

الخوارج في المشرق الإسلامي

حتى نهاية القرن الثاني الهجري



تأليف:

السيد الدكتور: صالح بن حسين السادة
(رحمه الله)

اعتني به محمود أبو نور الدين

ومرفق معه الخوارج وموقف الإسلام منهم

إعداد: محمود أبو نور الدين

٢٠٢٤



دار مشكاة

للطبع والنشر والتوزيع



اسم الكتاب:	الخوارج في المشرق الإسلامي
المؤلف:	السيد الدكتور صالح بن حسين السادة
المشرف:	الأستاذ الدكتور: فتحي عبدالفتاح ابو سيف
المحقق:	محمود أبو نور الدين
تقريب:	الأستاذ الدكتور مصطفى مراد / والأستاذ الدكتور سعيد قرني
مراجعة وتدقيق:	د. الأمير محفوظ محمد
المنسق للكتاب:	أ.منى الغريب
مصمم الغلاف:	شركة دوام للخدمات التقنية
رقم الايداع:	٢٠٢٤/٢٨٢٢
التقييم الدولي:	٩٧٨-٩٧٧-٨٧٢٧٨-٩-٠

٣٤ شارع يحيى إبراهيم - محمد مظهر - الزمالك - القاهرة
ت/ ٠١١١٤٣٩٨٩٩٤ - ٠١٠١٤٤٤٤٦٤٨ - ٠١٠٠٢٢٦٩٥٤٧

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
المحتوى الأدبي مسؤولية الكاتب بالكامل



كلمة المشرف العام

مؤسسة السادة للفكر والثقافة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

لما كان للعلوم الشرعية المنضبطة الأهمية الكبرى في حياة كل مسلم، وصار العلم الشرعي والحاجة إليه من أساسيات الحياة، وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الفتن، والشبهات وكثر فيه المشككين في ثوابت الدين من هنا وهناك. وحيث انتشر الجهل والبعد عن طلب العلم والتفقه في دين الله تعالى.

فكانت الحاجة للعلوم الشرعية ونشرها كالشمس للدنيا والصحة للأبدان .

ومن أجل هذا حملت على عاتقي تأسيس هذه المؤسسة العلمية وبمساعدة طيبة من بعض الاخوة المخلصين والهدف منها نشر العلم الشرعي الصحيح المنضبط المعتدل على منهج أهل السنة والجماعة .

حتى نقدم لأبناء الأمة الإسلامية العلوم الشرعية والأبحاث النافعة ، مساهمة طيبة منا ولو كانت بسيطة ، لكي تكون عدة لهم وتحصينا أمام الشبهات والفتن بجميع أشكالها. ولقد تعمدنا السهولة واليسر، لكي تكون متاحة لعموم المسلمين ولحبي دراسة العلوم الشرعية، والتفقه في الدين.

وانطلاقاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان، قال رسول الله، مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُقِفْهُ فِي الدِّينِ :

صحيح البخاري



وحديث- عبدالله بن عمر قال قال رسول ﷺ يَلْغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدَّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) أخرجه البخاري.

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما: قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ فقال: أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهراً...) رواه الطبراني في الأوسط والصغير.

ونسأله تعالى بجميل فضله وكرمه أن يجعله عملاً صالحاً ، ولوجه خالصاً وأن يكون زخراً لنا ولكل مسلم ، ونورا علي الصراط . وأن يغفر الله لنا ولوالدينا ولعموم المسلمين اللهم أمين يارب العالمين . وأن تكون هذا الأعمال صدقة جارية لنا في حياتنا وبعد مماتنا من باب وعلم ينتفع به

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ونحن الآن نقدم لشباب الأمة الإسلام كتاباً في غاية الأهمية عن الخوراج وخطورة هذا الفكر الغريب علي الأمة الإسلامية حتي نحصن شباب الأمة من الإنخراط وراء هذه الأفكار الهدامة التي تضرر بالأمة أكثر مما تنفع ونسأله تعالى أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم

المشرف العام

السيد: ناصر بن صالح بن حسين السادة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد عليه وعليه
وصحبه أجمعين

وبعد

لقد وصف الله عز وجل الأمة الإسلامية بأنها أمة وسط في كل شيء فلا تعرف
غلوا ولا انحرفا فقال تعالي في كتابه الكريم

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا ﴾ (البقرة ١٤٣) فكانت الوسطية من أجمل مميزات الأمة ولو سلك المسلم
طريقا غير هذا الطريق فقد خالف صفة الإسلام التي وصفها الله عز وجل

ومن المعروف أن الخوارج سلكت مسلكا مخالفا لهذه الوسطية وانحرفت في
السلوك والمنهج فكفرت رجال شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة أمثال سينا علي بن أبي
طالب رضي الله عنه وكفروا عددا كبيرا من الأمة الإسلامية

في حين نجد أن الإسلام ونبى الإسلام ﷺ نهي عن الغلو في الدين وعن تكفير
المسلمين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله
وليس كذلك إلا حار عليه. رواه مسلم. أي رجع عليه
وروى الترمذي: ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقاتله.

وعن جرير بن عبدالله كما في صحيح البخاري - قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حجة الوداع: استنصت الناس ثم قال: لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب
بعضكم رقاب بعض.

قال ابن تيمية: وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وان أخطأ وغلط حتى
تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك بل
لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة. انتهى.



ومن المعلوم أن الخوارج سقطوا في هذا النهي وخالفوا أمر رسول الله ﷺ فأطلقوا زمام التكفير وسفكوا الدم الحرام والمال الحرام وخالفوا تعاليم الدين ولقد نهى الإسلام عن الغلو في الدين فقال الله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]،

وفي الحديث: إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين. رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس؛ إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِتَشْدِيدِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَسْتَجِدُّونَ بِقِيَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالِدِّيَارَاتِ». أخرجه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط، والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً. قال النووي: والمتنطعون - المتعمقون المغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

فكان الخوارج علي المؤمنين أشداء وعلي غيرهم رحماء وخالفوا صفات أهل الإسلام التي جاءت في القرآن الكريم قال تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح ٢٩)



وكان من صفات النبي ﷺ كما قال الله تعالى عنه: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]

وكان من توفيق الله عز وجل أن قام علماء وأعلام في هذه الأمة وتصدوا لهذا الفكر الغريب والبعيد عن تعاليم الإسلام ، وبينوا للأمة خطورة هذه المعتقدات والأفكار الهدامة، وكان من هؤلاء الأعلام السيد الدكتور صالح بن حسين السادة في رسالته التي حصل بها علي درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة بمصر ولما كان لهذه الرسالة من أهمية وفائدة لطلاب العلم ولكل مسلم، قامت مؤسسة السادة للفكر والثقافة بإشراف السيد المهندس ناصر بن صالح بن حسين السادة بالعمل علي نشرها وتحقيقها وقد كان عملي في هذا البحث

١. عزو الآيات القرآنية إلى اسم السورة ورقم الآية.
٢. تخريج الأحاديث النبوية.
٣. تخريج الأقوال وتوثيقها.
٤. تخريج الأشعار والأمثال والحكم.
٥. عزو النصوص التي اقتبسها المؤلف إلى مصادرها.
٦. الشرح للكلمات الغريبة.
٧. التعريف ببعض الأعلام والأماكن المغمورة.
٨. وضع خرائط وصور حتي توضح المكان الجغرافي للحدث

وكان من أهم هذه الكتب التي رجعت إليها في عمل الترجمة: سير أعلام النبلاء للذهبي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي الحنبلي، أسد الغابة لابن الأثير،



والأعلام للزركلي وكتاب: فهرس الفهارس والأثبات لعبد الحي الكتاني (المتوفى: ١٣٨٢هـ) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة وبعض المواقع الإلكترونية وغير ذلك من الكتب كما أرفقت الكتاب ببحث مختصر جعلته في نهاية الكتاب عن موقف الإسلام من الخوارج.

وفي الختام أسأل الله عزو جل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الأمة.

كتبه محمود أبو نور الدين



جامعة عين شمس كلية الآداب
قسم التاريخ

أصل البحث رسالة دكتوراه
مقدمة من الباحث
صالح بن حسين بن ناصر السادة (رحمه الله)

إشراف

الأستاذ الدكتور فتحي عبدالفتاح أبو سيف
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
بكلية الآداب

١٤١٢هـ / ١٩٩٢م



تقريظا

من الاستاذ الدكتور مصطفى مراد الاستاذ بجامعة الأزهر الشريف وعميد معهد القرآن الكريم سابقا
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وعلي اله وصحبه ومن والاه

فإنني طالعت كتاب الاستاذ ابي نور الدين ، وهو يتحدث عن تاريخ القدس وفلسطين، وهو مهم في هذه الأيام ويمتاز بأنه يجمع بين الزمان والمكان والحال، فأما الزمان فقد جاء في هذا الوقت العصيب الذي تمتحن فيه الأمة كلها عن طريق الابتلاء في قضيه القدس وما نزل بنا من هذا العدو الظالم المجرم الذي لا يعرف دينا ولا خلقا ولا ضميرا ولا عقلا والذي اعتدى على الإنسان والحيوان والنبات والجماد فلم يبق ولم يذر، وأما المكان فإنه يجمع بين الكتابة والصورة فيصور لنا مظاهر ومناظر من القدس وما حولها وهذا يؤكد في ذهن القارئ وعقله المعلومة ، كما أنه أيضا يمتاز بالحال فانه موضوع سهل وميسور بوضعه ورسمه في صورته بهيمة واضحة المعالم تصل الى القارئ بسهولة ويسر لما يمتاز به أسلوب الكاتب من وضوح وبيان وجمال أسلوب وحسن عرض وبعد عن التقعر والغريب

فجزى الله الاستاذ ابا نور الدين خيرا على ما يقدمه من جهد مشكور في خدمة الإسلام وفيه وفي أمثاله يتحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم **جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**

الاستاذ الدكتور مصطفى مراد صبيحي

الاستاذ بجامعة الأزهر الشريف

وعميد معهد القرآن الكريم سابقا

وأحد علماء الجمعية الشرعية الرئيسية



تقريظ (٢)

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد

فالتشدد في دين الله تعالي وتكفير أهل الإسلام من الصفات السيئة المذمومة التي أنكرها الإسلام وذمها ... فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((ويلكم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض))؛ متفق عليه.

وحذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من خطورة التكفير فقال

عليه الصلاة والسلام: (... وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ) رواه البخاري،

وقال عليه الصلاة والسلام: (إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدَهُمَا) رواه البخاري.

ففتنة التكفير لها أثر شديد في تفريق الأمة وتمزيق قوتها وكسر لشوكتها وضياع هيبتها ، وهذا ما حدث من الخوارج عندما كانوا خنجرا مسموما في ظهر الأمة الإسلامية ، حيث أفسدوا أكثر من أن يصحلوا وخبروا أكثر من أن يعمرؤا.

وهذا العمل الذي بين أيدينا ، عمل طيب ورائع راعى فيه مؤلفه بين تأصيل الموضوع وسهولة العرض وعمق الفكرة وقوة الاستدلال من حيث التأليف والتحقيق.

ومما يمتاز به هذا العمل أنه يعالج موضوعا من الأهمية بمكان خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الاضطرابات والمشكلات الحياتية والنفسية وغيرها

وأسأل الله تعالى أن يتقبل منه هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناته إنه نعم المولى ونعم النصير

ا. د. سعيد قرني الفيومي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية جامعة الأزهر الشريف



ترجمة لصاحب الكتاب:

السيد الدكتور صالح بن حسين السادة رحمه الله :



وُلِدَ -رحمه الله- في دولة قَطْرَ، سنة
١٣٥٨ هجرية، ١٩٤٠ ميلادية:

أتم تعليمه الديني الأساسي في سنِّ مبكر،
وهو في سنِّ التاسعة عشر من عمره، مما
أهَّله للتدريس في عدد من دول الخليج
العربي كـمدرِّسٍ منتدبٍ لمادة التاريخ
والجغرافيا وأخرها كان في منطقة الرويس
شمال قطر عام ١٩٧٠م:

ثم أتم تعليمه الجامعي في كلية الآداب
جامعة القاهرة بمصر في بداية الستينيات
من القرن الماضي: تزوج -رحمه الله- وله
ثلاثة ذكور وبنت واحدة.



أولاده الذكور" هم .

السيد خالد بن صالح، والسيد ياسر بن صالح، والسيد ناصر بن صالح السادة. تم ترقيته بوزارة التربية والتعليم إلى مدير الامتحانات العامة بالوزارة. تم انتدابه من وزارة التربية والتعليم لتأسيس أول ملحقية ثقافية في سفارة لندن بعد الاستقلال، أوائل السبعينات، وكان ملحقا ثقافيا بها .



ثم رجع إلى قَطْر، واستقر فيها بعد مسيرة من الوظائف الخارجية في السلك التعليمي، والثقافي؛ ليتفرغ لدراسة الماجستير والدكتوراه سنة (١٩٧٧/ ١٩٧٨م) بالقاهرة انتهى



من دراسة الماجستير في جامعة القاهرة عام (١٩٨١م)، وكانت بعنوان: (تاريخ شرق الجزيرة و الخليج العربي من فجر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية)، وبدأ في دراسة الدكتوراه، وكانت مناقشة الدكتوراه في جامعة عين شمس عام (١٩٩٢م) التي كانت بعنوان: (الخوارج في الشرق الإسلامي حتى نهاية القرن الثاني الهجري)، ثم تفرغ بعد أن اجتاز الماجستير والدكتوراه لأعماله الخاصة، وللقراءة في التاريخ الإسلامي.



توفي الدكتور صالح بن حسين السادة -رحمه الله رحمة واسعة- عن عمر يناهز ٧٩ سنة عام ١٤٤٠ هجرية ٢٠١٩م، ودفن في مقبرة مسيمير بقطر. وكانت وفاته بعد أن ترك رسائل علمية مهمة عن تاريخ الجزيرة العربية، وتاريخ الخوارج تحتاج إلى إخراجها لطلبة العلم؛ لكي يتمكنوا من الاستفادة منها.

وهذا قبره رحمه الله.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله بداية كل نعمته ونهاية كل خير

الإهداء

إلى الذين تمتد أيديهم بالسوء إلي .. أمد يدي بشعاع من النور والمعرفة إليهم

شكر وتقدير

يطيب لي وقد انتهيت من هذا البحث أن أحمده الله إلهامه وتوفيقه ويسعدني ويشرفني أن أذكر بكل الإعزاز والإكبار الأستاذ الدكتور فتحي عبد الفتاح ابو سيف الذي أدين له بالفضل في إنجازي لهذا العمل المتواضع فقد استفدت من علمه ومن خبرته الكثير ودربني على البحث منهاجا ولغة ورايا فجزاه الله عني وعن طلابه خير الجزاء وانها لسعادة حقا أن أتقدم بموفور الشكر والامتنان لأساتذتي الأجلاء الذين شاركوا في قراءة هذا البحث وتحملوا مشقة مناقشتي رغم مشاغلهم وعلى ما استفدته من علمهم وخبراتهم .

فلا أدعي انني قد بلغت الغاية وحسبي أنني قد حاولت الكمال لله تعالى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الباحث الدكتور صالح بن حسين السادة



المقدمة

(أ)

نطاق البحث وتعريف المصادر:

تميزت فترة القرنين الأول والثاني الهجريين بظهور البواكير الأولى للتيارات السياسية في العالم الإسلامي؛ لذلك أولى الباحثون المحدثون أهمية كبيرة في دراستهم للأحزاب التي مثلت قوى المعارضة السياسية للدولة الأموية أولاً، ثم العباسية.

ولا نعدو الحق إذا قلنا: إن الخوارج لم تدرس معارضتهم السياسية دراسة تقارب الدراسات الكثيرة التي قام بها الباحثون عن الفِرَق المعارضة الأخرى كالشيعة مثلاً، وإدراكاً مني لأهمية هذا الأمر، فقد قضيتُ وقتاً غير قليلٍ في البحث والاستقصاء إلى أن وقع في خاطري موضوع الخوارج الذي يجمع بين المعارضة السياسية والعقائدية

حينها باشرت العمل الجدي؛ لتحقيق ما أصبو إليه، وكان أول ما أثار انتباهي أن هذه الفرقة "الخوارج" قد تطورت من الناحية السياسية، وفي الوقت نفسه لم يحظ الخوارج باهتمام الباحثين بالقدر الذي يستحقه هؤلاء القوم؛ إذ لم يفرد أي بحث علمي متكامل عنهم، وربما المستشرق الألماني فلهاوزن (Wellhausen)^(١) كان هو أول من التفت إليهم بشكلٍ جادٍ، وذلك حين وضع كتاب "الخوارج والشيعة" في الألمانية سنة ١٩٠٢ م، وهو الذي ترجمه عبدالرحمن بدوي^(٢) إلى العربية سنة ١٩٥٦ م، ويكاد

(١) ولد ١٧ مايو ١٨٤٤ - توفي ٧ يناير ١٩١٨) باحث توراتي ومستشرق ألماني، وأصبح خبيراً في تاريخ التوراة

ألف الكتاب الشهير «المملكة العربية وسقوطها»، ١٩٠٢ من أشهر أعماله كتاب مقدمة لتاريخ إسرائيل (Prolegomena zur Geschichte)

(٢) د. عبد الرحمن بدوي ولد في (٤ فبراير ١٩١٧ - توفي في يوليو ٢٠٠٢م بالقاهرة)، أحد أبرز المفكرين العرب في القرن العشرين أعماله أكثر من ١٥٠ كتاباً تتوزع ما بين تحقيق وترجمة وتأليف،



يقتصر على التاريخ السياسي، والنشاط الحربي لحركة الخوارج في المشرق والمغرب ليس غير، ويؤخذ على هذا الكتاب أنه "سئ العرض ويصعب استخلاص الخطوط العامة فيه"^(١)، ثم وضع الدكتور محمود إسماعيل^(٢) بحثاً مفصلاً عن الخوارج، وكان بعنوان: "الخوارج في المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري".

(ب)

وفيه أعطى للخوارج تاريخهم في المغرب، وأفاض بمعلوماتٍ غزيرة؛ حيث تحدّث عن أثرهم هناك في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد أشار في فصله الأول إلى الخوارج في المشرق حتى أوائل القرن الرابع الهجري "لكنها كانت إشارة محدودة، تحدث فيها عن تكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهم، وانقسامهم على أنفسهم وفشلهم.

فتوصلنا الفكر إلى أن نواصل البحث عن الخوارج في المشرق الإسلامي في القرنين الأول والثاني الهجريين؛ نظراً لعدم وجود دراسة متكاملة عن الخوارج في المشرق الإسلامي في هذه الفترة، فإننا اخترنا هذا الموضوع الذي تكرم أستاذنا الدكتور فتحي عبدالفتاح أبوسيف^(٣) بالموافقة عليه وبالترحيب به .

وكان يجيد اللغات: الفرنسية والألمانية والإيطالية والإسبانية واليونانية واللاتينية والإنجليزية والفارسية بالإضافة إلى اللغة العربية في آخر حياته أصبح من المدافعين عن الإسلام بعد فكره الوجودي
(١) المدخل إلى تاريخ الشرق الإسلامي، ط باريس ١٩٤٣م، ص ٦١٩ . Souvaget (١) سوفاجية. وينظر: نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي ط بيروت ص ٧.
(٢) محمود إسماعيل ولد (٢١ أبريل ١٩٤٠) مؤرخ ومفكر مصري متخصص في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

نشره ما يزيد على سبعين بحثاً في التاريخ والفكر ضمن أعمال المؤتمرات العلمية التي شارك فيها بمصر والكثير من الأقطار العربية والأجنبية.

منها الخوارج في بلاد المغرب وقضايا في التاريخ الإسلام ومغربيات - دراسات جديدة وفكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية

(٣) أستاذ التاريخ الإسلامي بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة عين شمس



سبب اختيار الموضوع:

أما اختيارنا لهذه الفترة فيرجع إلى أن القرن الأول يمثل ظهور الخوارج، ونزوحهم إلى المشرق الإسلامي، وشدة نشاطهم العسكري هناك، ومن ثمّ نكبتهم، ونهاية كيانهم في المشرق، وخاصة الأزارقة منهم، وإن بقي أثرهم في هذه الأقاليم لكنه غير فعّال، أما في القرن الثاني فكان نشاط الخوارج موزعاً بين الفرق والأقاليم.

صعوبات الدراسة:

والبحث في موضوع الخوارج في المشرق الإسلامي تواجهه بعض الصعوبات خصوصاً، وأن مصادر الخوارج أنفسهم قد أحرقت وأبيدت لكونها كتب المعارضة. فأخبرنا الدرجيني^(١) أن مكتبة الأئمة المعروفة (بالمعصومة) أحرقتها أبو عبدالله الشيعي^(٢) سنة ٢٩٧هـ، فمن المحقق كذلك أن كتب الأزارقة والصفرية في المشرق والمغرب لاقت نفس المصير. وإن بقي شيء منها فهو بعذر، ومن الصعب الاطلاع عليه، وهذا ما حدث للباحث، حيث سافر إلى عمّان مرتين خلال مدة البحث، وزار خلالها وزارة التراث العماني محاولاً أن يطلع على بعض المخطوطات هناك فلم يتمكن بعذرٍ،

(١) طبقات الإباضية ح ٢ ورقه ١٢٥ . هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف التماري الدرجيني الإباضي ، عالم من علماء الخوارج، ومتكلم في مذهب الإباضية، مهتم بالتراجم وتقييد أخبار العلماء والأدباء، واهتم بالشعر وغلب فن التاريخ على أغلب تصانيفه. ارتحل في أول سن البلوغ إلى ورجلان وهي واحة توجد بجنوب الجزائر لطلب العلم، في سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م. يزجج أنه ولد سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٤م، ويبدو أنّ ولادته كانت بمنطقة درجين السفلى بنفزاوة. وهو ينحدر من أسرة بربرية كانت تسكن تجار وسط جبل نفوسة بليبيا، وقد هاجر جدّه الأعلى الحاج بن يخلف إلى بلاد الجريد، التي كان أغلب سكانها إباضيين. كان والده من أول الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم والأدب، وفي ورجلان تلقى علوم الدين وفقه الشريعة عن أبي سهل يحيى بن إبراهيم أحد علمائها وأئمتها المشاهير. وفي سنة ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م. استأنف طلب العلم بتوزر وهناك أقبل على النظر في كتب التاريخ ومصنّفات المناظرة والجدل، وما لبث أن اتجه إلى جربة حيث أشير عليه بأن يأخذ في تأليف كتاب طبقات المشايخ وهو ما يذكره البرادعي في الجواهر المنتقاة. ينقسم كتاب طبقات المشايخ إلى جزءين كبيرين، الأول في التاريخ والثاني في السيرة. الموسوعة التونسية بتصريف

(٢) أبو عبد الله الشيعي ولد بصنعاء توفي سنة ٢٩٨هـ - ٩١١م) الحسين بن محمد بن زكريا، أبو عبد الله، المعروف بالشيعي ويلقب بالمعلم ممهد الدولة العبيدية ، والداعي لعبيد الله المهدي وناشر دعوته في المغرب. كان من الدهاة الشجعان.



أو بأخر من المسؤولين عليها، وإن تمكّن من الاجتماع مع بعض فقهاء، ومؤرخي المذهب الأباضي، وعلى رأسهم الشيخ سالم بن حمود السبائي،^(١) لكنه تقبّل مني بعض النقاش والاستفسار وأهداني بعضًا من كتبه^(٢)، وكتب أخرى، فجزاهم الله كل خيرا.

(ج)

لذلك اضطر المؤرخون المعاصرون الاعتماد في تاريخهم لهذه الحركات على كتب خصومها بالدرجة الأولى، فلا بد أن تكون الحاجة ماسة لدراسة نقدية لهذه المصادر لمعرفة الميول السياسية، والأهواء المذهبية، والوضعية الاجتماعية لمن نستقى عنهم مادتنا العلمية.

ولمّا كان معظم المؤرخين الرسميين موالين للسلطة سياسيًا، وسُيّي المذهب ينتمون إلى طبقة أقلام السلطة، وكتاب الدولة المُتمتّعين بالإنعامات فلا بد أن يسرف بأقلامهم في الولاء لأولياء نعمتهم، وتبرير أعمالهم كما جرت عليه العادة على مر التاريخ.

ومن هنا فقد وجب على الباحثين أن لا يسلموا بصحة كتاباتهم "فكلام الأقران بعضهم البعض لا يؤبه به، ولا سيما إذا لاح أنه لعداوة أو مذهب أو لحسد، كما ذكر الذهبي^{(٣)(٤)}، لذلك نجد مصادر البحث على وفرتها تعتمد على خصوم الخوارج من

(١) سالم السبائي (١٣٢٦ - ١٤١٤ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٩٣ م) هو سالم بن حمود بن شامس بن خميس السبائي الإباضي

قضى حياته في سلطنة عُمان: ولد في قرية «غلا» بولاية بوشر، وتوفي في مدينة مسقط. تلقى تعليمه في مدارس القرآن الكريم، وفي حلقات المساجد. اختير قاضيًا في عدة ولايات منها: بوشر، ونخل، وجعلان، وبنو بوحسن، كما عين قاضيًا في المحكمة الشرعية بالعاصمة مسقط، وعمل مستشارًا بوزارة التراث القومي والثقافة.

(٢) الشيخ سالم بن حمود السبائي إزالة الوعناء عن أبي الشعثاء القاهرة ١٩٧٩. وكتاب آخر: أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج ط القاهرة ١٩٧٩.

(٣) محمود اسماعيل الحركات السرية في الإسلام ص ٧.

(٤) الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ولد في كفر بطنا قرب مدينة دمشق في ٣ ربيع الآخر ٦٧٣ هـ مُحدث وإمام حافظ ومؤرخ. لديه المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل وقيل أن سُمي الإمام الذهبي بالذهبي لأنه كان يزن الرجال كما يزن الجواهري الذهب. تُوفي ليلة الإثنين ٣ ذو القعدة ٧٤٨ هـ الموافق لـ ٤ فبراير ١٣٤٨ م.



الشيعة والسنة الذين دأبوا على تشويه سيرة الخوارج والطعن في مبادئهم وأفكارهم، وليس أدل على ذلك من افتعال الأحاديث النبوية، واصطناعها لخدمة أغراضهم في تسفيه الخوارج، والتحقيق من شأنهم^(١).

حتى رأى بعض المؤرخين في المعارك كثيرا ما يجانبه الصواب، فيرى بعضهم أن خسائر الخوارج كانت فادحة بل إن معظمهم قال: "أبيد الخوارج عن آخرهم"، ونعتقد أن ذلك ما هو إلا مبالغة من هؤلاء، حيث إننا ما لبثنا إلا أن وجدنا جيشًا خارجيًا كبيرًا يقوم بحملة أخرى بعد ذلك.

(د)

ونستنتج من ذلك أن نتائج المعارك التي كانت لصالح الخوارج قد طمست تمامًا، وما ذكر منها إلا ما هو لا بد منه، وإن لم يكن ذلك، فكيف تمكّن الخوارج - وهم في بداية أمرهم عبارة عن عصابات تجوب البصرة وما حولها - من هذا الاستمرار وهذه المعارك والسيطرة على بعض أقاليم المشرق والمغرب، وإرهاق السلطتين: الأموية والعباسية.

ومع كل هذا فالإنصاف يحتم علينا أن نذكر أن بعض هؤلاء الخصوم قد أفاضوا بذكر أخبار الخوارج، ولم يجحدوهم حقهم كما يظن الكثيرون.

ومن هؤلاء: الطبري^(٢) في تاريخه، والمبرد^(٣) في كامله الذي قال عنه القاضي أبو بكر ابن العربي^(٤) "إنه - أي المبرد - ينزع إلى شيء من رأي الخوارج، وله فهم هوى"^(٥).

(١) الحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) في كتابه دول الاسلام ٢٩، يقول: "وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: الخوارج كلاب النار. راجع: البلاذري انساب الاشراف، ج ١١، ص ١٠٦. ومحمود اسماعيل - الخوارج، ص ٦.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، وُلد في طبرستان في مدينة أمل في سنة (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ - ٨٣٩ - ٩٢٣ م)، مفسر ومؤرخ وفتي، ولقّب بإمام المفسرين

(٣) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير ابن حسان الأزدي، المعروف بالمبرد (ابو العباس) (٢١٠ - ٢٩٠ هـ - ٨٢٥ - ٨٩٨ م)



وكذلك البلاذري^(٢) في أنسابه، وابن أبي الحديد^(٣) في شرحه الذي يبرر ثورة الخوارج على معاوية حينما قال: إن الخوارج امتازوا على معاوية بإظهار الدين، والالتزام بقوانين الشريعة، والعبادة وإنكار المنكر، ومن ثمّ فهم أحق بأن يتصبروا عليه^(٤).

أما ما وقع في أيدينا من تواريخ الخوارج أنفسهم فيكاد يكون مقتصرًا على فرقة واحدة فقط، وهي الإباضية لكون هذه الفرقة لا تزال تمارس نشاطها الفكري في عُمان، والمغرب ومنطويا على التعصب الشديد، وبلا حدود للمذهب الأباضي وأئمتها

أديب، نحوي، لغوي، اخباري، نسابه. ولد بالبصرة، واخذ عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وتصدر للاشتغال ببغداد، واخذ عنه نطويه وغيره، وتوفي ببغداد في ذي الحجة. من تصانيفه الكثيرة: المقتضب في النحو، الاشتقاق، احتجاج القراء وعراب القرآن، المقصور والممدود، ونسب عدنان وقحطان. معجم المؤلفين (١١٤/١٢)

(١) أبو بكر ابن العربي ولد ٤٦٨ هـ توفي سنة ٥٤٣ هـ هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي: قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتبًا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. قال ابن بشكوال: ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها. من كتبه (العواصم من القواصم - ط) جزان، و (عارضة الأحوذى في شرح الترمذي - - ط) و (أحكام القرآن - ط) مجلدان، و (القبس في شرح موطأ ابن أنس - خ) في الرباط (٢٥ جلاوي) و (الناسخ والمنسوخ - خ) في القرويين (الرقم ٨٠ / ٧٢) و (المسالك على موطأ مالك - خ) جزء منه في القرويين، و (الإنصاف في مسائل الخلاف) عشرون مجلدًا، و (أعيان الأعيان) و (المحصل) في أصول الفقه، و (كتاب المتكلمين) و (قانون التأويل - خ) جزآن منه، في التفسير. وهو غير محيي الدين ابن عربي الأعلام للزركلي (٦/ ٢٣٠)

(٢) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص ٢٤٩
(٣) البلاذري توفي سنة ٢٧٩-٨٩٢ م أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري: مؤرخ، جغرافي، نسابه، له شعر. من أهل بغداد. جالس المتوكل العباسي، ومات في أيام المعتمد، وله في المأمون مدائح. وكان يجيد الفارسية وترجم عنها كتاب (عهد أزدشير) وأصيب في آخر عمره بذهول شبيه بالجنون فشد بالبيمارستان إلى أن توفي. نسبته إلى حب البلاذري (Anacardium) قيل: إنه أكل منه فكان سبب علته. من كتبه (فتوح البلدان - ط) و (القرابة وتاريخ الأشراف - ط) أجزاء منه، ويسمى (أنساب الأشراف) ومنه مخطوطة نفيسة في مجلد واحد، كتبت في دمشق سنة ٦٥٩ هـ في خزانة الرباط (٧ جلاوي) و (كتاب البلدان الكبير) لم يتمه الأعلام للزركلي (١/ ٢٦٧)

(٤) ابن أبي الحديد ولد (٥٨٦ - توفي ٦٥٦ هـ) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين: عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ. ولد في المدائن، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظيًا عند الوزير ابن العلقمي له (شرح نهج البلاغة - ط) و (الفلك الدائر على المثل السائر - ط) و (نظم فصيح ثعلب - خ) و (القوائد السبع العلويات - ط) و (العبري الحسنان) في الأدب، و (شرح الآيات البيئات

للفخر الرازي - خ) رأيته في الأسكوريال (المجموعة ٣٣) و (الاعتبار) على كتاب الذريعة للمرزقي، ثلاثة أجزاء، و (ديوان شعر). توفي ببغداد (الأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٩).

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ١٣١



(١)، وأحيانا تتحامل على الفرق الأخرى من الخوارج؛ لذلك كان لزامًا على الباحث دراسة مصادر هذا التاريخ، وتقويمها والكشف عن ميولها، واتجاهاتها قبل الإقدام على استيفاء معلوماته منها كما أن مؤرخي الخوارج أنفسهم لم يعطوا اهتمامًا كبيرًا لتاريخ حركتهم السياسي في فترة الكتمان خاصة، ولم يهتموا بطريقة نزوحهم إلى المشرق وتاريخها.

(هـ)

أما الكتابات التاريخية - سواء كانت مشرقية أم مغربية- فإنه على الرغم من أنها في الغالب تهتم بالسلطة المركزية والحكم وتتغافل عن الحركات المعارضة لها فإنها تشمل في ثناياها على مادة علمية هامة، فكان لزامًا علينا أن نستقي المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث من مصادر مختلفة، وهذه المصادر في معظمها مهمة لكنها مختلفة في مادتها العلمية، فكان لا بد أن أجمع شتات هذه المعلومات، وأن أغربلها لكي أستخلص منها مادة علمية تمثل صورة لحياة الخوارج في ظل تلك الفترة في المشرق، ورغم ما بذلته من جهد فإنني أقول: إنه كثيرًا من النقاط غامضٌ مهمٌ.

ومن المعلوم أن أهمّ المؤرخين الأولين الذين كتبوا عن أحداث القرنين الأول والثاني الهجريين في الإسلام^(٢) هم كما يلي:

محمد بن إسحاق^(٣) (ت ١٥١هـ) الذي ألف كتاب "السيرة"، و"المبتدأ"، و"المغازي" وكتاب "الخلفاء"، وأبو مخنف لوط بن يحيى^(٤) (ت ١٥٧هـ) الذي ألف كتابًا

(١) انظر على يحيى معمر، مقدمة الأباضية دراسة على أصولهم وتاريخهم من ص ٥ - ١٠ .

(٢) ابن النديم الفهرست، طبعة بيروت، من ص ٩٢-١٠٣

(٣) ابن إسحاق توفي سنة ١٥١-٧٦٨ م) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة. له (السيرة النبوية - ط) هذبها ابن هشام. ومن الأصل أجزاء مخطوطة كتبت سنة ٥٠٦ هـ في خزنة القرويين بفاس و (كتاب الخلفاء) و (كتاب المبدأ). وكان قديرا، ومن حفاظ الحديث. زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ وسكن بغداد فمات فيها، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد. وكان جده يسار من سبي عين التمر. قال ابن حبان: لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، ورواه ابن عساقر. أحسن الناس سيقا للأخبار (الأعلام للزركلي (٦/ ٢٨)



منها كتاب "الردة"، وكتاب "أهل النهروان" و"الخوارج" وسيف بن عمر^(٢) (ت ١٨١هـ) الذي ألف كتاب "الفتوح والردة"^(٣).

وهشام بن محمد الكلبي^(٤) (ت ٢٠٤هـ) ومن مؤلفاته كتاب "التاريخ وأخبار الخلفاء"^(٥)، ومحمد بن عمر الواقدي^(٦) (ت ٢٠٧هـ) وهو مؤلف عدة كتب منها: "السيرة" و"الردة"، والتاريخ الكبير^(٧)، والهيثم بن عدي^(٨) (ت ٢٠٧هـ) الذي ألف عدة

(١) أبو مخنف الأزدي (توفي سنة - ١٥٧ - هجرية وهو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي الغامدي، أبو مخنف: رواية، عالم بالسير والأخبار، إمامي، من أهل الكوفة. له تصانيف كثيرة في تاريخ عصره وما كان قبله بيسير، منها "فتوح الشام" و"الردة" و"فتوح العراق" و"الجمال" و"صفين" و"النهروان" و"الازراقاة" و"الخوارج والمهلب" و"مقتل علي" و"الشورى" و"مقتل عثمان" و"مقتل الحسين - ط" و"مصعب ابن الزبير والعراق" و"أخبار المختار ابن أبي عبيد الثقفي - ط" ويسمى أخذ الثار الأعلام للزركلي (٢٤٥/٥)

(٢) سيف بن عمر الأسدي التميمي: من أصحاب السير. كوفي الأصل، اشتهر وتوفي ببغداد. من كتبه (الجمال) و (الفتوح الكبير) و (الردة) الأعلام للزركلي (١٥٠/٣)

(٣) نفس المصدر ، ص ٩٢-٩٤

(٤) هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي، أبو المنذر: مؤرخ، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. له نيف ومئة وخمسون كتابا، منها "جمهرة الأنساب - خ" "قطعة منه، و"الأصنام - ط" و"نسب الخيل - ط" و"بيوتات قریش" و"الكنى" و"المثالب - خ" و"افتراق العرب" و"المؤودات" و"ألقاب قریش" و"ألقاب اليمن" و"ملوك الطوائف" و"ملوك كندة" و"بيوتات اليمن" و"ما كانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الإسلام" و"الديباج" في أخبار الشعراء، و"تاريخ أجناد الخلفاء" و"صفات الخلفاء" و"تسمية من بالحجاز من أحياء العرب" و"كتاب الأقاليم" و"أخبار بكر وتغلب - خ" و"أسواق العرب" الأعلام للزركلي (٨٧/٨)

(٥) نفس المصدر ، ص ٩٧

(٦) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة، وكان حناطا (تاجر حنطة) بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطايه وقربه من الخليفة، فولى القضاء ببغداد. واستمر إلى أن توفي فيها. من كتبه (المغازي النبوية - ط) و (فتح إفريقية - ط) جزان، و (فتح العجم - ط) و (فتح مصر والإسكندرية - ط) و (تفسير القرآن - خ) و (أخبار مكة) و (الطبقات) و (فتوح العراق) و (سيرة أبي بكر ووفاته) و (تاريخ الفقهاء) و (الجمال) و (كتاب صفين) و (مقتل الحسين) و (ضرب الدنانير والدرهم) وينسب إليه كتاب (فتوح الشام - ط) وأكثره مما لا تصح نسبته إليه، قال الخطيب البغدادي: كان الواقدي كلما ذكرت له وقعة ذهب إلى مكانها فعابنه. وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد (صاحب كتاب الطبقات الكبير) الأعلام للزركلي (٣١١/٦)

(٧) نفس المصدر ، ص ٩٨-٩٩

(٨) الهيثم بن عدي الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الثعلبي الطائي البحتري الكوفي، أبو عبد الرحمن: مؤرخ، عالم بالأدب والنسب. أصله من "منبج" وإقامته وشهرته بالكوفة، ووفاته في فم الصلح (قرب واسط) عند الحسن بن سهل. اختص بمجالسة المنصور والمهدي والهادي والرشيد، وروى عنهم. وكان يتعرض لمعرفة أصول الناس ونقل أخبارهم، فأورد (في بعض كتبه) معابهم، وأظهرها، فكره لذلك، وطعن في نسبه. معرفة فيه: إذا نسبت عديا في بني ثعل ... فقدم الدال قبل العين في النسب الأعلام للزركلي (١٠٤/٨)



كتب منها كتاب " الوفود " و" الخوارج " ^(١) ، وعلى بن حسن المدائني ^(٢) (ت ٢٢٥هـ) ومن مؤلفاته رسائل النبي صلى الله عليه وسلم والوفود، و"تاريخ الخلفاء" و"الخوارج و"الردة" ^(٣) ، ولهؤلاء الأربعة الأخيرين أهمية -خاصة في دراستنا نظراً لكونهم من المشرق- بصريين في المنشأ ^(٤) ، وكتبوا عن الخوارج من قرب.

(و)

ومما يؤسف له أن كتبهم لم تصلنا كاملة إلا أنها أصبحت موارد مؤرخي التاريخ الحولي الذين نقلوا أخبارهم عن الخوارج بصورة عامة عن هؤلاء الإخباريين، ويتضح لنا هذا عند الطبري (ت ٣١٠هـ)، فإن كتابه "تاريخ الرسل والملوك" ذو أهمية في دراسة التاريخ الإسلامي فكانت أهميته في هذا البحث أن وجدت فيه مادة علمية واسعة عن أحداث القرنين الأول والثاني الهجريين، ومنها ما هو متعلق بالخوارج؛ فالطبري يهتم بجمع كافة الروايات المختلفة مع اهتمامه بضبط زمن الحوادث ^(٥) ، وكان ما أورده من معلومات عن هذه الفترة يعتبر المصدر الرئيسي لمن تلاه من المؤرخين وخاصة ابن الأثير ^(٦) (٦٣٠هـ/ ١٢٢٨م) الذي اكتفى في الغالب بتلخيص ما جاء فامتاز بالاختصار

(١) نفس المصدر ، ص ١٠٠ - ١٠٣

(٢) علي بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن المدائني: رواية مؤرخ، كثير التصانيف، من أهل البصرة. سكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن توفي. أورد ابن النديم أسماء نيف ومئتي كتاب من مصنفته في المغازي، والسيرة النبوية، وأخبار النساء، وتاريخ الخلفاء، وتاريخ الوقائع والفتوح، والجاهليين، والشعراء، والبلدان. قال ابن تغري بردي: " وتاريخه أحسن التواريخ وعنه أخذ الناس تواريخهم ". بقي من كتبه " المردفات من قریش - ط " رسالة، و " التعازي - خ ". الأعلام للزركلي (٤/ ٣٢٣)

(٣) نفس المصدر ، ص ١٠٠ - ١٠٣ .

(٤) صالح احمد العلى التنظيمات الاجتماعية في البصرة ، ط، بغداد ، ١٩٥٣ - ١٩٦٩ ص ٢٢
(٥) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) (ت ٣١٠هـ) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩ .

(٦) عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي (٥٥٥-٦٣٠ هـ) المعروف بابن الأثير الجزري، من أبرز المؤرخين المسلمين، عاصر صلاح الدين الأيوبي، ورصد أحداثها ويعد كتابه الكامل في التاريخ مرجعاً لتلك الفترة من التاريخ الإسلامي. ظل ابن الأثير مقيماً في الموصل، منصرفاً إلى التأليف، عازفاً عن السياسة الحكومية، توفي في شعبان ٦٣٠هـ



والنقد في الطبري مضيئاً إليه بعض الأخبار، حاذفاً الروايات المتكررة فقد عمّم نقده للمؤرخين الذين سبقوه، مثل: الطبري، وغيره .

فكانت عبارته والشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب ، والغربي قد أهمل أحوال الشرق .

أما البلاذري (ت ٢٧٩هـ) فقد رتب كتابه "فتوح البلدان" على أساس الأقاليم، والتزم بالإشارة في رواياته إلى الفتوحات، وتبدو أهمية هذا الكتاب في أنه ينقل عن الواقدي^(١) الذي توفي (٢٠٧هـ) ويمثل آخر من كتّب في المغازي والفتوح^(٢).

(ز)

والواقع أن البلاذري يعرض لموضوعاتٍ وظواهرٍ تأتي من خلالها الأحداث على مرّ الفترات التاريخية فكان خير معينٍ لنا في بحثنا خاصة أثناء حديثنا عن فتوحات المشرق الإسلامي، وزحف الخوارج إليه مع القبائل العربية الأخرى، كما زدنا ببعض المعلومات المتناثرة حول تاريخ الخوارج في المشرق .

أما عن تنظيمات الخوارج السرية والدعوة في المشرق، فإن البلاذري لا يمتاز عن غيره من المصادر السنية، ولا يزودنا بأية معلومات حول هذا الموضوع ، ولعل عدم

(١) الواقدي محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة، وكان حناطاً (تاجر حنطة) بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطايه وقرابه من الخليفة، فولى القضاء ببغداد. واستمر إلى أن توفي فيها. من كتبه (المغازي النبوية - ط) و (فتح إفريقية - ط) جزان، و (فتح العجم - ط) و (فتح مصر والإسكندرية - ط) و (تفسير القرآن - خ) و (أخبار مكة) و (الطبقات) و (فتوح العراق) و (سيرة أبي بكر ووفاته) و (تاريخ الفقهاء) و (الجمال) و (كتاب صفين) و (مقتل الحسين) و (ضرب الننانير والدرهم) وينسب إليه كتاب (فتوح الشام - ط) وأكثره مما لا تصح نسبته إليه، قال الخطيب البغدادي: كان الواقدي كلما ذكرت له وقعة ذهب إلى مكانها فعينه. وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد (صاحب كتاب الطبقات الكبير) الأعلام للزركلي (٦/ ٣١١)

(٢) قال عنه المسعودي "أبو الحسن علي بن الحسين" (ت ٣٤٦هـ) لا نعلم في فتوح البلدان احسن من طبعة ١٩٥٧ مصر، ص ١.



توفر مثل هذه المعلومات لديه كان السبب الرئيسي وراء إحجامه عن الحديث في هذا الأمر.

أما كتابه الآخر أنساب الأشراف ففيه معلومات قيمة عن الشخصيات العربية البارزة التي كان لها نشاط خاص في الدين والسياسة، فأمدنا بمادة طيبة خاصة من خلال حديثه عن خلافة مروان بن محمد^(١)، فأعطى صورة متكاملة لحركة الخوارج عامة والإباضية في الجنوب من الجزيرة، حتى توسع هذه الحركة والاستيلاء على الحجاز فكان البلاذري كمن راقب تحرك الخوارج في هذه الأجزاء^(٢).

ولاحظنا كذلك "خليفة بن خياط"^(٣) (ت ٢٤٠هـ) في الجزء الثاني من كتابه "التاريخ" قد اهتم بنشاط الخوارج في الجزيرة واليمن وحضرموت فكانت رواياته عن النشاط العسكري تعتبر واضحة متكاملة خاصة، وأنه يأخذ عن المداني^(٤).

أما المبرد (٢٨٥ ت) فقد أتى في كتابه "الكامل في اللغة والأدب"^(٥) في الجزئين الثاني والثالث بمعلومات ومادة قيمة وكثيرة عن الخوارج في المشرق، وأثناء بحثنا معه في هذه المادة كنا نتصور أننا أمام مؤرخ خارجي وذلك لوفرة المادة لكنه اقتصر على الحديث عن المعارك الحربية للخوارج عامة وحروب المهلب والأزارقة خاصة، ورتبها

(١) مروان الجعدي قتل سنة ١٣٢هـ هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، أبو عبد الملك، القائم بحق الله، ويعرف بالجعدي وبالحمار: آخر ملوك بني أمية في الشام. ولد بالجزيرة وأبوه متوليها. وغزا (سنة ١٠٥ هـ فافتتح (قونية) وغيرها. واستوى على عرش بني مروان (سنة ١٢٧) وقتل في مصر حمل رأسه إلى السفاح العباسي. وكان حازما مدبرا شجاعا، ويقال له (الحمار) أو (حمار الجزيرة) لجرأته في الحروب. واشتهر بمروان الجعدي، نسبة إلى مؤدبه (الجعد ابن درهم). وكان أبيض، ضخم الهامة، بليغا (له رسائل تجمع ويقندى بها) كما قال بعض مؤرخيه. وخلافته إلى أن بويع السفاح خمس سنين وعشرة أشهر (الأعلام للزركلي (٢٠٨/٧))

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الدين، دار المعارف مصر، ١٩٥٩.

(٣) خليفة العصفري توفي ٢٤٠هـ - ٨٥٤ م خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، أبو عمرو، ويعرف بشباب: محدث نسابة إخباري. صنف (التاريخ) عشرة أجزاء، طبع جزء منه و (الطبقات) ثمانية أجزاء، طبع جزء منه وكان مستقيم الحديث، من متيقظي رواته

(٤) ابن خياط (أبو عمرو) خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ، خليفة القسم الثاني حققه: د. سهيل زكار وأكرم ضياء العمرى، مطبعة الآداب النجف، ١٩٦٧/١٣٨٦م.

(٥) أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (ت ٢٥٨)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الفکر العربي، القاهرة، (ت ...) ج ١ / ص ١..



ترتيباً زمنياً، واهتم بالرسائل المتبادلة بين الخوارج وخصومهم ، فكان كما بري " ابن العربي كأنه " يميل إلى رأى الخوارج وله فهم هوى " .

(ح)

أما اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح (ت ٢٨٤هـ) فرغم أنه كاتب عباسي ، إلا أنه صنّف في التاريخ والجغرافيا ، وتاريخه حافل بدراسة الخوارج في المشرق ، وقد أتى بمعلومات متفرقة عن الخوارج لكن معظم هذه المادة يخص خوارج المغرب ^(١) ، لكنها معلومات كثيراً ما تختلف عما أورده المؤرخون السالف ذكرهم ، وهذا يدل على أنه استمد معلوماته من مصادر تختلف عن مصادر المؤرخين السالفين خاصة، وأنه قدّر له الاتصال ببعض أفراد من البيت الرستمي الخارجي في المغرب ، لكن عدم ذكره الأسانيد لروايته يجعل من الصعب التسليم بها .

ولقد كانت جغرافية : المعروفة بكتاب البلدان " ذات أهمية أعظم ، خاصة في دراسة مشاكل الحدود بين الدول وعرف اليعقوبي بالموضوعية وعدم الانحياز والحرص على التحقيق من مصادره ، ولا مبالغة فيما ذكره عن منهجه الذي حدده بقوله: "وقد اتصلت أسفاري، ودام تغربي، وكنت متى لقيت رجلا من تلك البلدان سألته عن وطنه، ومصيره وساكنيه، ودياناتهم ومقالاتهم ثم أثبت كل ما يخبرني به ومن أثق بصدقه واستظهر بمسألة قوم بعد قوم حتى سألت خلقا كثيرا من الناس" ^(٢) .

وهناك مؤرخون آخرون كابن قتيبة الدينوري محمد بن مسلم المتوفى في (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) في كتابه "الإمامة والسياسة" ^(٣) .

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جزآن ، بيروت، دار صادر ، دت

(٢) انظر محمود اسماعيل ، الخوارج في المغرب ص ١٤ .

(٣) تحقيق طه الزيني ط مصر ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٦٧ م .



والدنيوري أحمد بن داود (ت ٢٨١هـ / ٨٩٤ م) مؤلف " الإخباري الطوال " والمسعودي (أبو الحسن على بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) صاحب كتابي " مروج الذهب "، و" التنبيه والإشراف" ^(١) (٤) .

وابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) في كتابه وفيات الاعيان ^(٢) ، والنوبري شهاب الدين أحمد (ت ٧٧٢هـ / ١٣٣٣م) في كتاب " نهاية الأرب " ^(٣) ، فقد أوردوا أخبارا عن الخوارج وثورتهم .

(ط)

لكن المعلومات في كتبهم مختصرة على المشرق والخوارج، وعن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، كما أن بعض المعلومات التي ذكرها هؤلاء المؤرخون، وأشرنا إليها في ثنايا البحث تختلف عما أورده الطبري والبلاذري، مما يدل على أنهم استمدوها من مصادر تختلف عن مصادر المؤلفين السابقين وهذه الكتب أعطت البحث مادة علمية كبيرة .

أما عن الكتابات القريبة من الخوارج فأهمها: كتب الفرق والعقائد، ومنها: "مقالات الإسلاميين" للإمام الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، و"الفرق بين الفرق" للبغدادي (ت ٤٢٩هـ) والتبصير في الدين للإسفرائيني (ت ٤٧١هـ) والممل والنحل للشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) ومعلومات هذه الكتب مختصرة، وتهتم بالنواحي الفكرية للخوارج، وقلمها تهتم بالنواحي السياسية والعسكرية، خاصة وأن معظمها سُنِّيَّة لكن مع ذلك فيها معلومات مهمة عن الفرق التي انقسم إليها الخوارج، وعن الخلاف الذي دبَّ بين صفوف الخوارج أنفسهم .

(١) مروج الذهب ، ط دار الرجا مصر ١٩٣٨ ، والتنبيه ، والإشراف ط . دار الصاوي ، القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .

(٢) تحقيق ، محمد محي الدين عبد الحميد ، النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٨ - ١٩٤٩م .

(٣) مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م .



ومن الكتب التي خدمت البحث كتب الطبقات، فلها أهمية خاصة لكونها تختلف عن الكتابات التاريخية حيث تعتبر التاريخ الحقيقي للأفراد ومن أهم هذه الكتب وأشهرها كتب "طبقات الإباضية"، بل لا يوجد غيرها بالنسبة لطبقات الخوارج فكانت تبين طبقات الإباضية ونشاطهم في نشر الدعوة الإباضية في المشرق والمغرب وجعل البصرة المركز الأم أو مدرسة الدعوة، وأهمها جميعا كتاب الدرجيني أبي العباس أحمد من علماء القرن السابع الهجري ويسمى: "طبقات الإباضية" (١)، وقد رتب الكتاب على أسسٍ ذكر كل طبقةٍ من رجال الإباضية، وخاصة المغاربة فأصبح بلاشك أهم مصادر الإباضية في المغرب وعمان .

(ي)

أما أهميته بالنسبة لدراستنا فتكمن في أنه اعتمد على رواية أباضي من المشرق وهو أبوسفیان: محبوب بن الرحيل الذي عاصر الدعوة في مرحلة الكتمان في البصرة، وكان من أبرز علماء الإباضية الذين ألفوا في السير (٢)، وما سقناه عن الإباضية في البصرة وصلنا عن طريقه .

لكننا نجد في هذا الكتاب أنه مكرر لا جديد فيه، غير أن الدرجيني حاول تحقيق معلومات غيره، ومما يؤخذ على الدرجيني نقله لأحاديث تطغى عليها مسحة عنصرية تمجّد الفرس والبربر (٣)، أما فيما يتعلق بالمشرق فنجد أن الدرجيني قد اعتمد على المبرد "الكامل".

(١) مخطوط، يقع في ٣٧١ ورقة، بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٢٥٦١م.

(٢) الدرجيني، طبقات الإباضية، ورقة ١/١١ أ.

(٣) المصدر السابق، ورقة ٩ / ب



ومن كتب الطبقات الأخرى التي أخذنا منها مادة في إعداد هذا البحث كتاب "السير" لمؤلفه أبي العباس أحمد بن أبي عثمان بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت ٩٢٨هـ)^(١).

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الإسلامية حيث تناول بصورة عامة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ثم أسهب في الصراع بين الخلافة الأموية والخوارج، وهنا تظهر أهمية هذا الكتاب بالنسبة لبحثنا، ولمن أراد دراسة الحركة الخارجية في مراحلها الأولى.

ويمكن القول: إن الشماخي خير من أمدا بأخبار الخوارج خلال هذه الحقبة، فاستعرض أخبار الإباضية ونشاط الدعوة "حملة العلم" واعتمد كذلك على الدرجيني إلا أنه يختلف بعض الشيء عن الدرجيني فيما يتعلق بمركز عبدالله بن أباض والإباضية.

وكتب الطبقات عامة تختلف عن الكتابات التاريخية، في أنها تعتبر التاريخ الحقيقي للأفراد الذين يشكلون المجتمع كما تتحدث عن المجتمع من خلال الشارع حياة الأشخاص من خلال المجتمع من هنا نجد بها معلومات فهي توضيح مادة في الاقتصاد والثقافة، ولكنها لم تعتمد على الأسانيد مما يفقدها أهميتها العلمية، كما أن بها بعض الأساطير والقصص، وخاصة فيما يختص بالفترة الأولى من الفتح.

(ك)

ومن كتب السير في المصادر الخارجية تلك المخطوطة التي وقفنا عليها بدار الكتب المصرية، وكانت بعنوان: "كتاب السيرة وأخبار الأئمة" لأبي زكريا يحيى ابن أبي بكر

(١) السير باسم شرح مقدمة التوحيد مخطوطة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢٢٥٧٢ ب.



الورجلاني (ت ٤٧٠هـ)^(١)، وتظهر أهمية هذه المخطوطة: إذ تؤكد الصلة الوثيقة بين زعماء الدعوة في البصرة والمغرب ودور حملة العلم في نشر المذهب الإباضي من البصرة دون أن تذكر شيئاً عن المشرق؛ لذلك أصبح شأنها كبقية المخطوطات التي لم تأت بجديدٍ عن المشرق، بل اعتنت بإباضية المغرب دون الاهتمام بالمشرق، فأصبحت قيمتها العلمية بالنسبة إلى بحثنا محدودة غير أن أهم المخطوطات التي نهينا إليها من سبقنا في بحث دراسة الخوارج، والتي اطلعنا عليها بدار الكتب المصرية، والتي تطرقت إلى جزء من موضوع بحثنا فكانت لها أهميتها، حيث أمدتنا بمعلومات قيمة عن دور مشايخ الإباضية في تطور الحركة، وكشفت لنا عن السرية التامة التي تبناها الأئمة في البصرة لنجاح دعوتهم. رسالة في أحكام الزكاة بعث بها شيخ الدعوة في البصرة الإمام أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة^(٢) إلى دعائه في المغرب في أوائل القرن الثاني الهجري^(٣).

وتتمثل أهمية هذه الرسالة في كون صاحبها من شيوخ الإباضية الأوائل، ورئيس التنظيم السياسي السري في البصرة وأشار فيها إلى ذلك^(٤)؛ حيث كان يرسل الدعوة إلى الأقاليم في المشرق والمغرب، ومن خلال هذه الرسالة لمسنا حقيقة تطور الأفكار السياسية عند الخوارج، وعن الكتب الإقليمية التي خدمت البحث والتي اعتمدنا عليها، وأمدتنا بمعلوماتٍ تكاد تكون في معظم الفصول هو كتاب "تاريخ سجستان"^(٥) وقد كتب باللغة الفارسية، وهو يتناول تاريخ إقليم سجستان من أقدم العصور حتى القرن الخامس الهجري.

(١) الورجلاني، السيرة واخبار الأئمة، مخطوطه بدار الكتب المصرية، برقم ٩٠٣م. هو أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوراقجلاني: عاش في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة/١م، إخباري وأحد شيوخ المذهب الإباضي. له أجوبة وفتاوي في علم الكلام، ورسائل في الفقه، منها الذي فقد
(٢) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الإمام الثاني للإباضية، و مرجع الإباضية دون خلاف بعد جابر بن زيد. ولد في حوالي ٤٥ هجرية توفي سنة ١٥٠ هـ في عهد أبي جعفر المنصور،
(٣) رسالة في أحكام الزكاة، ضمن مجموعة من ورقه ١١٤ - ١١٦، وهي مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٨٢ ب

(٤) انظر نص الرسالة ضمن ملاحق البحث

(٥) وهو مؤلف مجهول، قام بتصحيحه وتحقيقه ملك الشعراء محمد تقي بهار طهران ١٣٥٢.



(ل)

وكتاب "تاريخ سيستان" ليس له سوى نسخة مخطوطة ربما كانت منسوخة من الأصل، والنسخة التي قام بتحقيقها محمد تقي بهار قبل عام (١٨٦٤هـ)، ويبدو أنها نسخة المؤلف الأصلية أما عن قدم هذا الكتاب فقد أشار المحقق، "بهار" إلى أن المؤلف ينقل عن مؤرخين وكتب كلهم من القدماء، مثل: المؤلف أبي المؤيد وكتاب "كرشاسب"، وعجائب البر والبحر^(١).

وتناول هذا الكتاب تاريخ إقليم سيستان، أو سجستان من أقدم العصور حتى القرن الخامس الهجري، وهذا جعله ذا أهمية كبيرة، والأهم من ذلك بالنسبة لنا أن هذا مثل الكتاب أورد أخبارًا جديدة عن الخوارج لم ترد في أي مصدر إلا مختصرة متناثرة مثل: أخبار حمزة بن عبدالله الشاري^(٢)، كما أورد رسالته إلى هارون الرشيد كاملة، وإجابة الخليفة عليها^(٣). وهذا التفصيل عن الخوارج لم يتوفر لنا في أي مصدرٍ آخر مما يجعلنا نذهب إلى أن المؤلف كان من المشايخين للخوارج على الأقل إن لم يكن خارجيًا في مذهبه.

ودليلنا على ذلك كثرة الإشارات التي جاء بها المؤلف في حروب حمزة بن أترك (حمزة بن عبدالله) تلك الإشارات التي استقاها من شاهد عيان، وليس بمستبعد أن حمزة أصبح أسطورة من كثرة حروبه التي أطلق عليها (مغازي حمزة) ولاشك أن هذه المعاني مهمة جدا من وجهة نظر التاريخ وينفرد بها هذا الكتاب .

(١) مجهول ، تاريخ سستان ، ص ٢٢١ .

(٢) ولد أبو حمزة في قرية مجز من أعمال صحار، واسمه المختار بن عوف الأزدي. وينتمي إلى قبيلة بني سليمة والتحق بمدرسة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فكان من خيار تلاميذه. و كان أبو حمزة من المؤسسين لدولة الإمامة في اليمن وحضرموت

(٣) انظر ملحق ، البحث الخاص بالرسائل المتبادلة بين حمزة وهارون .



وقد أمدنا هذا الكتاب "تاريخ سيستان" بمادة غزيرة أعانتنا في دراسة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع السجستاني تلك الأحوال التي عمّت معظم أقاليم المشرق، وليس سجستان فقط.

(م)

ومن الكتب الإقليمية الفارسية التي استعنا بها في البحث، والتي أمدتنا بمعلومات وافية عن المشرق، وعن الخوارج كتاب الدكتور إبراهيم باستاني باريزي أستاذ الجامعة بطهران ترجمة، الدكتور محمد فتحى الرئيس، وهو بعنوان "يعقوب بن الليث الصفار"^(١) جاء بمادة عن الخوارج لكنه نقلها من تاريخ سيستان إلا أن هناك معلومات أخرى انفرد بها .

وفي كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) (٢٥٥هـ) وقفنا على أسماء عدة من خطباء الخوارج، ولم يصل إلينا أي خطبة لواحد منهم؛ وهؤلاء الخطباء هم : حبيب بن خدره الهلالي^(٢)، وشبيل بن الضبيعي^(٣) والجون بن كلاب^(٤)،

(١) كان صائغاً ومؤسساً للسلالة الصفارية لسيستان وعاصمتها زرنج (مدينة الآن في جنوب غرب أفغانستان). غزا الكثير من الأجزاء الشرقية من بلاد فارس التي تتكون من إيران الحالية وأفغانستان وتركمناستان وأوزبكستان وطاجيكستان بالإضافة إلى أجزاء من غرب باكستان وجزء صغير من العراق.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣ ص ٣٦١ وهو حبيب بن خدره الهلالي. شاعر من شعراء الخوارج و من موالي بني هلال. وقال الجاحظ عنه: أنه من خطباء الخوارج وشعرائهم وعلماهم. وقال: عداه في بني شيبان وهو مولى لبني هلال بن عامر، وقد انتمى للخوارج في سن كبيرة، ولهذا تتفاوت أشعاره تفاوتاً ملحوظاً. له شعر في كتاب شعر الخوارج.

(٣) نفس المصدر ج ٢، ص ٣٥٧ وهو شبيل بن غزرة الضبيعي أبو عمرو البصري النحوي هو ختن قتادة بن دعامة، تابعي، وأحد رواة الحديث النبوي من أهل البصرة. هو راوية وخطيب ونسابة وشاعر. كان يرى رأي الخوارج ثم رجع عنه. له شعر في كلا الحالين. وكتاب الغريب في اللغة ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال: «ربما أخطأ»، ووثقه يحيى بن معين، روى له أبو داود حديثاً واحداً

(٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٦٥ الجون بن كلاب الشيباني الخارجي وهو من فرسان الخوارج قتله في معركة صبارة سنة تسع وعشرين ومائة في أحد المعارك



المقعطل قاضي عسكر الأزارقة أيام قطري^(١)، وخطيب الأزارقة زيد بن جندب، الذي أشاد فيه الجاحظ، فقال: "لولا أنه كان أشغي أصلح^(٢) لكان أخطب العرب قاطبة"^(٣).

ومن خطباء الصفرية الذين جمعوا بين الشعر والخطابة، ولم يصلنا شيء من خطبهم الضحاك بن قيس الشيباني^(٤)، وعمران بن حطان "الذي يقول الجاحظ: إنه خطب في حضرة زياد بن أبيه (أبي سفيان)، وابنه عبيد الله فقال بعض من سمعه: "هذا الفتى أخطب العرب"^(٥).

ونظرًا لأهمية الكتب الجغرافية في معرفة أقاليم المشرق، التي وصل إليها الخوارج، وبالتالي لمعرفتنا تحرك هذه الفرق والقوى المعارضة، وتوزيعها على هذه الأقاليم وتأثيرها وتأثرها بها كان لابد لنا من الرجوع إلى كتب الجغرافيا لتمدنا بهذه المعلومات.

(١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٦١ يقول عنه الجاحظ ، في البيان والتبيين ومن خطبائهم وفقهائهم وعلماهم: المقعطل، قاضي عسكر الأزارقة، أيام قطري.
(٢) أشغى الرَّجُلُ: تَضَارَبَ رأْيُهُ وزيد بن جندب زيد بن جندب الايادي الازرقى خطيب الازارقة واحد شعرائهم قال الجاحظ كان اشغى افلح (أي مختلف الاسنان مشقوق الشفة العليا) ولولا ذلك لكان اخطب العرب قاطبة.

دار العلم للملايين - بيروت - ط ١٥ (٢٠٠٢) ، ج: ٣ - ص: ٥٧

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٧٨

(٤) نفس المصدر ج ١ ، ص ٣٤٣ الضحاك بن قيس الشيباني زعيم ثورة الخوارج التي قامت في الموصل ضد الخليفة الأموي مروان بن محمد عام ١٢٧ قُتِل الضحاك عام ١٢٩ هـ، وقد بلغ من قوته أن بايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وسليمان بن هشام وصلبًا خلفه.

(٥) نفس المصدر ج ١ ، ص ١١١ ، ٣٦١ عُمَرَانُ بن حَطَّان (توفي ٨٤ هـ / ٧٠٣ م) هو شاعر عربي، من شعراء صدر الإسلام. هو أبو سماك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي. نشأ في حطان وطلب العلم والحديث، ثم اعتنق المذهب الخارجي



(ن)

ومن هذه المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها، كتاب "المسالك والممالك" ^(١) لابن خرداذبه ^(٢) (٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م)، وكتاب "الأعلاق النفيسة" ^(٣)، لابن رسته (٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) وكتاب البلدان ^(٤) لابن الفقيه (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م)، وكتاب "المسالك والممالك" ^(٥)، للإصطخري (ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م)، وكتاب التنبيه والإشراف ^(٦)، للمسعودي، (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) وكتاب "صورة الأرض" لابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٨ م) ^(٧)، وأهم هذه الكتب الجغرافية على الإطلاق بالنسبة لموضوع البحث كتاب "معجم البلدان" ^(٨)، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، ويعتبر من الكتب الموسوعية فهو بالإضافة إلى جغرافيته الكثيرة؛ فإن فيه مادة تاريخية عن الخوارج، هذا بالإضافة إلى اعتمادنا على كتب جغرافية أخرى كان أهمها كتاب كي لسترنج، وكان بعنوان: "بلدان الخلافة الشرقية" ^(٩)، تناول هذا الكتاب أقاليم الشرق كل على حدة، وتحدث عن جغرافية كل إقليم حديثاً مطولاً.

ومن المراجع الحديثة التي اعتمدنا عليها في البحث: الكتب الإقليمية وأهمها كتاب للدكتور أحمد الخولي بعنوان: "سجستان بين العرب والفرس من دخول الإسلام

(١) طبعة ليدن، ١٨٨٩ م.

(٢) أبو القاسم غبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن خرداذبه (٢٥٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٢٠ - ٩١٣ م)، المعروف باسم ابن خرداذبه من أصل فارسي وهو مؤلف أقدم كتاب عربي عن الجغرافيا الإدارية، أشار بصراحة إلى كروية الأرض في قوله: «إن الأرض مدورة كدوران الكرة، موضوعة كالمحفة في جوف البيضة...» (كتاب المسالك والممالك) كان من ثمءاء وأصحاب الخليفة العباسي المعتمد على الله.

توفي سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م، وقيل سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م.

(٣) طبعة، ليدن، ١٨٩١ م.

(٤) طبعة ليدن، ١٨٩١ م.

(٥) تحقيق، جابر عبد العال، القاهرة، ١٩٦١ م.

(٦) طبعة، دار التراث، بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

(٧) طبعة، لبنان، ١٩٦٣ م.

(٨) تصحيح وترتيب، محمد أمين، طبعة ١، القاهرة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م.

(٩) نقله إلى العربية، بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م.



حتى ظهور الصفاريين"، وهي فترة بحثنا، فأفادنا في بعض مادته لكنها في معظمها نقل من "تاريخ سيستان".

(س)

ومن المراجع الأخرى كتاب "الحركات السرية في الإسلام رؤية عصرية"^(١) للدكتور محمود إسماعيل، وكتابه الآخر "الخوارج في المغرب"، وكتاب "نشأة الإباضية"^(٢)، للدكتور عوض خليقات، وكتاب "أدب الخوارج"، للدكتورة سهير القلماوي، وكتاب "الخوارج والشيعة" لفلهاوزن، وغيرهم كثير من العرب والمستشرقين، وقد أشرنا إلى بعضهم في متن البحث أو الحواشي.

أما (الرسائل العلمية) التي اطلعنا عليها فمنها رسالة مهدي طالب هاشم "حركة الإباضية في القرن الثالث الهجري"، ورسالة د. آمال محمد حسن بعنوان: "برقة وطرابلس في القرون الثلاثة الأولى"، ومن المقالات، مقالة الدكتور محمود إسماعيل "جدل حول الخوارج وقضية التحكيم".

وفي ضوء المادة العلمية التاريخية التي جمعنا شتاتها، والتي توافرت للبحث استطعنا دراسة هذا الموضوع في خمسة فصول اتبعناها بخاتمة، وعدة ملاحق .

خطة الدراسة:

تناول الفصل الأول: جغرافية أقاليم المشرق، تلك الأقاليم التي وصل إليها الخوارج، ومنها ما اتخذته الخوارج معقلا لها. وشملت هذه الدراسة، الحدود التركيبية الطبيعية، والسكان، والحياة الاجتماعية والمدن والعمران، جغرافية تاريخية لخدمة

(١) مطبعة عمان الاردن ، ١٩٧٨م

(٢) مطبعة ، القاهرة ، ١٩٤٥م .



البحث . وتناولنا في القسم الثاني من هذا الفصل "الخوارج" من حيث ظهورهم، ونشأتهم وشمل الحديث الفرق التي تفرقوا إليها دور ومنهاج كل فرقة.

وخصص **الفصل الثاني**: للفتح الإسلامي للشرق، وظهور العنصر العربي الذي مهّد للخوارج في الوصول إلى المشرق. وشمل كذلك على أثر القبائل العربية في جلب أعداد الخوارج من العراق، وحركة هذه القبائل والصراع بينها ودور الخوارج في هذا الصراع، وكانت نهاية هذا الفصل تتناول هجرة الخوارج من العراق مركز الدعوة إلى المشرق ، ودور الولاة في هذه الهجرة.

(ع)

وأفرد **الفصل الثالث** من البحث لدراسة كون المشرق بعد الهجرة معقلاً للخوارج، وذلك بعد وجودهم فيه وسيطرتهم على بعض أقاليمه وعم الحديث دور معاوية ابن أبي سفيان في القضاء على الخوارج. ثم حروب المهلب والأزارقة فتحدثنا عن ابن قطري بن الفجاءة الذي تمكن من إقامة إمارة له، ولقّب نفسه بأمر المؤمنين أكثر من عشر سنوات، وبعدها انتقلنا بالحديث فيه عن موقف الحجاج المتشدد مع الخوارج، وموقف الحجاج من عبدالرحمن بن الأشعث الذي ثار عليه، وكان لهذه الثورة الأثر الكبير على خوارج المشرق .

أما **الفصل الرابع**: وهو بعنوان " فشل الخوارج في المشرق" فكان الحديث فيه أولاً عن نكبة الأزارقة في طبرستان بعد مقتل قطري بن الفجاءة وجماعته ثم الحديث عن جهود الإباضية، والنجيدات في الوقوف مع إخوانهم الأزارقة، وتخفيف الضغط عليهم فسعوا على تثبيت قوة الخلافة، وذلك بإشعال ثوراتهم في أجزاء مختلفة، كما حاولوا في الوقت نفسه على تثبيت كياناتهم والسيطرة على الأماكن المقدسة، وتحدثنا في هذا الفصل عن دور الخلفاء العباسيين في إضعاف الخوارج الصفرية خاصة، وظلال



الحديث فيه عن معارك حمزة بن عبدالله الخارجي، وخاصة تلك المعارك التي واجهها هارون الرشيد بنفسه، والتي كادت تهز كيان الدولة العباسية، ثم عرضنا بعد ذلك عوامل ضعف الخوارج، وأسباب فشلهم في نهاية هذا الفصل .

أما الفصل الخامس والأخير: فقد تناول أثر الخوارج في مجتمعات المشرق، حاولت أن تكون دراسة هذا الفصل دراسة شاملة للآثار، فكان الحديث فيه أولاً عن الفكرية والسياسية للخوارج في مجتمعات المشرق، والآثار في الحياة الاقتصادية وحركة السكان والسوق، وغيرها، ثم تحدثنا عن الحياة الاجتماعية، وبعدها كان الحديث عن الآثار الثقافية. واختتم البحث بخاتمة بلورته وخاصة عندما أضفنا إليه بعض الملاحق والخرائط .

وقد حاولت في بحثي هذا ، أن أقدم صوة متماسكة للخوارج في المشرق، وأحداثهم التاريخية مراعيًا التسلسل التاريخي في مجرى الحوادث وإظهار الروابط بين مختلف الأحداث لإظهار استمرارية تاريخ هؤلاء القوم، مع إبراز الأحداث المهمة التي كان لها تأثير بارز سيرًا مجراه فاتبعنا في البحث المنهج التاريخي التحليلي الذي يصف، ويحلل ويحاول عن طريق النقد الوصول إلى الحقيقة التاريخية الناصعة .

(ف)

وبالرغم من الجهد الذي بذلته فإنني أشعر بأن هناك نقص، وإنني أقول إنه ظل كثير من النقاط غامضًا مهمًا، وفي دراستي هذه نقص آخر ناجم عن عدم اطلاعي الكافي على المصادر الأجنبية الفارسية منها، والإنجليزية وغيرها، مما قد يكون فيها بعض المعلومات التي تغذي هذه الدراسة وتفيدها، ولكننا مع ذلك لن نهمل بعض هذه المصادر التي وقعت في أيدينا فقد ساعدنا بعض الأساتذة الأفاضل في ترجمة أجزاء منها ، فجزاهم الله عنا خير الجزاء .



ولا يسعني في النهاية، إلا أن أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور/ عبد الفتاح أبو سيف - المشرف على الرسالة؛ على جليل توجيهاته وملاحظاته طوال مرحلة إعداد البحث كما أتقدم بموفور الشكر والامتنان إلى كل من قدّم لي يدَ العون لإتمام هذا البحث .

وأخيرًا أتوجه إلى الله العليّ القدير أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع راجيا منه - سبحانه وتعالى- التوفيق والسداد والسلام عليكم .



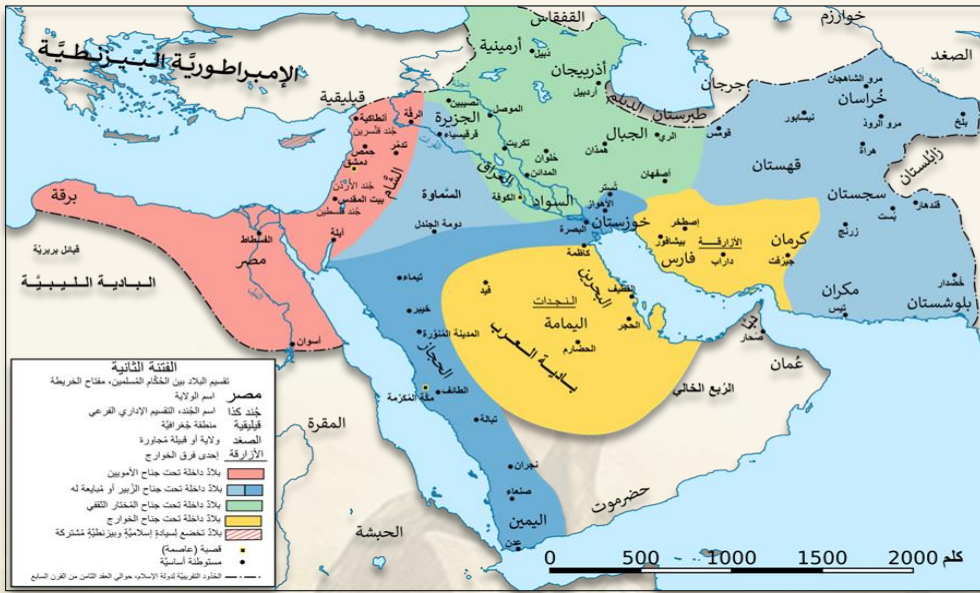
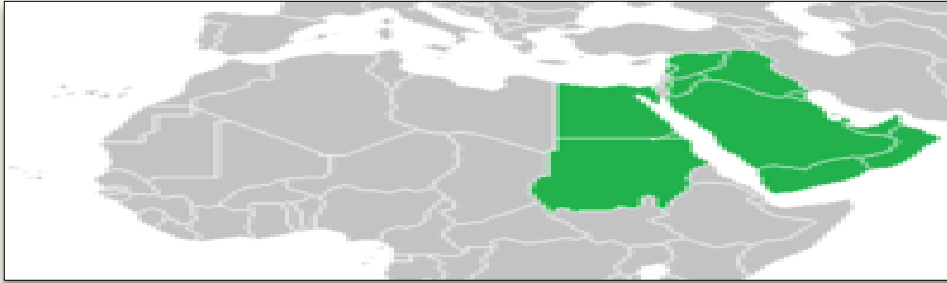
الفصل الأول

أولاً: جغرافية المشرق الإسلامي:

ثانياً: الخوارج وفكرهم السياسي والعقدي:



أولاً: جغرافية المشرق الإسلامي (١)



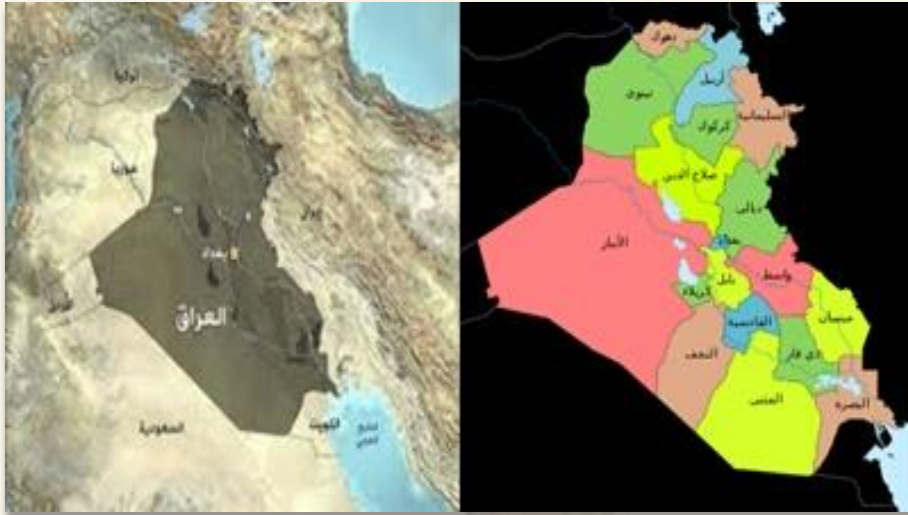
تدعيماً للقاعدة القائلة بأن الجغرافية توجه التاريخ^(١) وبرهاناً على قوة العقيدة الإسلامية، وقدرتها على الوصول السريع إلى قلوب الشعوب الآسيوية وتوضيحاً لدور

(١) المشرق الإسلامي هي المنطقة الجغرافية الواقعة شرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط. وتمتد إلى الخليج العربي. و هو مصطلح جغرافي يُطلق على جزء من منطقة الشرق الأوسط، الذي يمتد من البحر الأبيض المتوسط غرباً حتى الهضبة الإيرانية شرقاً، وهو اسم يشير إلى الجزء الشرقي من الوطن العربي. في مقابل المغرب العربي وهذه المنطقة هي العراق، السعودية، فلسطين، الكويت، الأردن، لبنان، البحرين، الإمارات، اليمن، سوريا، مصر، سلطنة عمان، السودان، إيران، أذربيجان، تركيا، قبرص.



الخوارج نتحدث بإيجازٍ عن الأقاليم والمدن الهامة في المشرق الكبير في المشرق الإسلامي والتي اتخذها الخوارج قواعد تجمعاتهم أو للانطلاق منها، حتى التي دارت فيها معاركهم مع الأمويين أو العباسيين ومن خلال ذلك نتصور جغرافية الأقاليم التي وصل إليها الخوارج على النحو الآتي :

أولاً من الغرب:

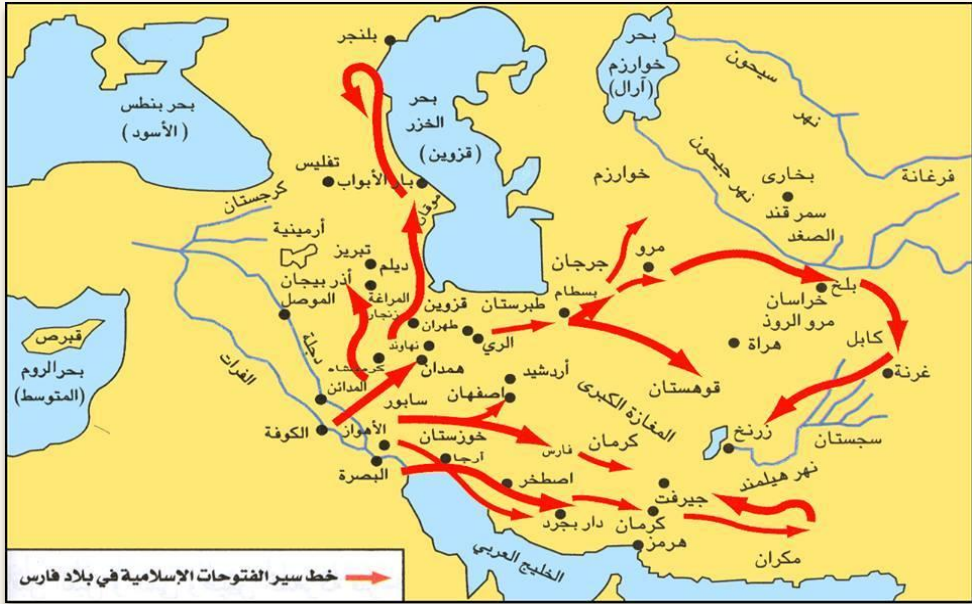


"العراق" هذا الإقليم الذي هو بمثابة القاعدة التي انطلق منها الخوارج إلى المشرق والمغرب، لقد أطلق العرب هذا الاسم العراق قديماً على القسم الجنوبي من عراق اليوم، وقد يثنى هذا الاسم؛ ليطلق على المُصْرَيْن: (الكوفة والبصرة). كما يقال (العراقان). وكذلك أطلق اسم العراق على إقليم بابل، ولكن اسم بابل نسيه الناس،

(١) الجغرافيا توجه التاريخ، كتاب لجوردون إيست؛ ترجمة جمال الدين الدناصوري؛ مراجعة د. محمد صادق.



ولم يعودوا يعرفون هذا الإقليم إلا باسم العراق (١) الذي هو بمثابة البوابة الغربية للمشرق الإسلامي. (٢)



ولقد اختلف بعض الجغرافيين والرواة في تعليل اسم العراق فبعضهم من قال: إن العرب أطلقت هذا الاسم على هذه الأرض لأنها تقع قريبا من البحر، كما يقول ياقوت (٣) يسمون ما كان قريبا من البحر عراقا، ويضيف إليه ابن الفقيه، فيقول:

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦، ج ٢٨ ص ١١٣ وانظر: أبو يوسف، الخراج، (ص ٤٨) والمقدسي (٣٣٦- نحو ٣٨٠هـ) محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء، المقدسي ويقال له البشاري، شمس الدين، أبو عبد الله: رحالة جغرافي، ولد في القدس. وتعالى التجارة، فتجشم أسفارا هيأت له المعرفة بغوامض أحوال البلاد، ثم انقطع إلى تتبع ذلك، فطاف أكثر بلاد الإسلام، وصنف كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)

(٢) فتحه المسلمون في عصر الخلفاء الراشدين في القرن السابع بعد أن أزاحوا الدولة الساسانية، وأصبح العراق مركزا للدولة الإسلامية في خلافة سيدنا علي بن أبي طالب، ثم كان العصر الذهبي للعراق خلال عهد الخلافة العباسية في العصور الوسطى، وبعد سلسلة من الغزوات والفتوحات أصبح العراق تحت حكم البويهيين والسلاجقة الأتراك ثم سقط بيد المغول عام ١٢٥٨م، ثم أصبح العراق ضمن سيطرة الدولة العثمانية في القرن السادس عشر، ولكن بشكل متقطع كان تحت السيطرة الإيرانية الصفوية والمملوكية.

(٣) معجم البلدان، ١٠ أجزاء، القاهرة، ١٩٠٦، (ج ٦/١٢٨). ياقوت الحموي (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم. أسر من بلاده صغيرا، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فتنظره وعلمه وشغله بالأسفار في متاجره، ثم أعتقه (سنة ٥٩٦ هـ) وأبعده. فعاش من نسخ الكتب بالأجرة.



سموا العراق عراقاً؛ لأنه سفلى عن نجد ودنا من البحر. ويقول: مضيئاً إلى تعليله هذا قول الأصمعي: ما دون الرمل عراق (١) في حين ذكر ياقوت (٢) تعليلاً آخر لهذه التسمية ذلك أن: العراق يمتد على طول دجلة والفرات امتداداً حتى يتصل بالبحر (٣) أما الماوردي (٤) في تعليله لهذه التسمية: " أطلق العرب كلمة عراق لاستواء أرضه حين خلت من جبال تعلقو وأودية تنخفض.

ولكن نضيفُ إلى ذلك أن اسمَ العراق أطلق مفرداً ومثنى، وأطلق على مَصْرَيْن استحدثا في عهد الإسلام الأول، فكان العرب يقولون: العراقان دلالة على المَصْرَيْن: "البصرة والكوفة"، والعراق إذا أرادوا أحد المصيرين بإضافة اسم الكوفة أو البصرة، ثم حذف بتوالي الزمن اسم المصيرين فكان يقال: عراق (٥) دلالة على أرض السواد كلها، وبذلك يمكننا أن نقول: إن أنسبَ، وأقرب الأقوال إلى الواقع في هذه التسمية هو أن كثرة الماء، والخضرة والقرب من البحر (٦) قد أعطته هذا الاسم وهو (عراق) لأن أهل البدو قديماً إذا ما انحدروا وراء الخضرة والماء لإبليهم فكأنهم قد أعرقوا للبحث عن غذائهم فسموا تلك المنطقة التي أعرقوا إليها "عراقاً" (٧).

(١) ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٩٨٥، ص ١٦١.

(٢) ياقوت معجم البلدان، ج ١، ص ١٢٨.

(٣) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ١٩٣٨، (ج ٣ / ص ٢٦٤) الفيروز آبادي (٧٢٩ - ٨١٧ هـ = ١٣٢٩ - ١٤١٥ م) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي من أئمة اللغة والأدب. ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زبيد سنة ٧٩٦ هـ، فأكرمه ملكها الأشرف إسماعيل، وقرأ عليه، فسكنها وولي قضاءها، وانتشر اسمه في الأفق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد.

(٤) الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٩٢٨ (ص ١٦٦) الماوردي، أبو الحسن (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ). أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي. من فقهاء الشافعية وإمام في الفقه والأصول والتفسير، وبصير بالعربية. كان من رجال السياسة البارزين في الدولة العباسية وخصوصاً في مرحلتها المتأخرة. نشأ الماوردي بالبصرة، وتعلم وسمع الحديث من جماعة من العلماء، وتولى القضاء في كورة (أستوا) من ناحية نيسابور، ولقب بأفضى القضاة عام ٤٢٩ هـ. تصنيف مؤلفات كثيرة ومن أبرزها: أدب الدنيا والدين؛ أعلام النبوة؛ الحاوي الكبير؛ الإقناع وهو مختصر لكتاب الحاوي الكبير.

(٥) المقدسي، احسن التقاسيم ج ٨، ص ١١٣.

(٦) ياقوت المصدر السابق، ج ٦، ص ١٢٨ والفيروز آبادي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٦٤.

(٧) الطبري، الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٥٨ ابن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه



أما حدود العراق فقد اتفق الجغرافيون العرب، أو كادوا يتفقون على رسم هذه الحدود، وهي من الغرب: الجزيرة العربية والبادية، ومن الشرق: بلاد الجبل وحلوان، ومن الشمال من حلوان إلى الجزيرة، ومن الجنوب: البادية وبحر فارس^(١)، واعتبر الخلفاء الأمويون والعباسيون العراق مركزاً للقسم الشرقي من الخلافة العربية.

أما بالنسبة للقسم الشمالي المسمى ببلاد الجزيرة فلم يدخل ضمنَ التحديد الجغرافي للعراق في العهد الأموي، حيث ذكر الطبري^(٢) قولاً لأحد المشتركين في جيش إبراهيم بن الأشتر قائد الجيش الذي أرسله المختار بن أبي عبيد الثقفي^(٣) لمحاربة عبيد الله بن زياد قائد جيش الدولة الأموية، قال: مضينا مع إبراهيم بن الأشتر نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام فخرجنا مسرعين، لا ننتهي نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق فسبقناه إلى تخوم^(٤) أرض العراق سبقا بعيدا، ووجلنا في أرض الموصل فعجلنا إليه وأسرعنا السير^(٥)، وبذلك يظهر واضحا أن الحدود الجغرافية كانت معروفة بين الجزيرة والعراق في العصر الأموي بصورة واضحة.

لكن هذا التحديد الجغرافي للعراق خالفه بعض الجغرافيين واللغويين والرواة العرب بأن أضافوا بعض الأقاليم وأدخلوها ضمن التحديد الجغرافي للعراق فذكر أبو

القضاء فامتتع، والمظالم فأبى له: (أخبار الرسل والملوك - ط) يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءا (جامع البيان في تفسير القرآن - ط) يعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءا
(١) ابن خردادبه، المالك والممالك، ط ١٨٨٩، ص ١٤ ابن خردادبه (نحو ٢٠٥ - نحو ٢٨٠ هـ) عبيد الله بن أحمد بن خردادبه، أبو القاسم: مؤرخ جغرافي، فارسي الأصل من أهل بغداد.
كان جده خردادبه مجوسيا أسلم على يد البرامكة. واتصل عبيد الله بالمعتمد العباسي، فولاه البريد والخبر بنواحي الجبل، وجعله من ندمائه له تصانيف، منها «المسالك والممالك - ط» و «جمهرة أنساب الفرس» و «اللهم والملاهي».

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٦

(٣) المختار بن أبي عبيد (١ هـ / ٦٢٢ م - ٦٧ هـ / ٦٨٦ م) قائد عسكري طالب بدم الحسين بن علي وقتل جمعا من قتلته ممن كان بالكوفة وغيرها أمثال عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وحرملة بن كاهل وشمس بن ذي الجوشن وغيرهم، سيطر على الحكم بالكوفة ورفع شعار «يا لثارات الحسين» وكان يخطط لبناء دولة علوية في العراق، وقد قُتل في الكوفة عام ٦٧ للهجرة على يد جيش مصعب بن الزبير له انحرافات عقائدية معرفة وهو المعني بحديث النبي صلى الله عليه وسلم إن في تقيف كذابا ومُبيِّرا. «ينسب إليه مذهب الكيسانية»
(٤) معجم المعاني الجامع جمع تُخْم وتُخْم وتُخْم: حدود فاصلة بين الأراضي قطع مسافة كبيرة حتى وصل تخوم الصين.

(٥) الطبري، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٦.



يوسف^(١) أنه قد: "فتح عمر بن الخطاب السواد كله إلا السند وخراسان أما ما ذكره الأصمعي والمدائني من أن العراق يبدأ من عامة الفرات إلى الصين شرقاً، فهذا ما لا يدخل ضمن التحديد الجغرافي بل ضمن التحديد الإداري والسياسي^(٢) حيث اعتبر الخلفاء الأمويون والعباسيون العراق مركزاً للقسم الشرقي من الخلافة العربية. وهذا ما ذكره المدائني من أن عمل العراق من رهيت غرباً إلى الفرات حتى حدود الصين شرقاً، والسند والهند وبلاد ما وراء النهر^(٣)"



(١) كتاب الخراج، القاهرة، ط الخاصة، ١٣٩٦ هـ، ص ٢٨ أبو يوسف (١١٣ - ١٨٢ هـ) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيهاً علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة. وتفقّه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه «الرأي» وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيدي، ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء. وهو أول من لقب «قاضي القضاة» ويقال له: قاضي قضاة الدنيا!، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. من كتبه «الخراج» و«الآثار» وهو مسند أبي حنيفة وغيرها.

(٢) ياقوت معجم البلدان.

(٣) ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص ١٦٦ ابن الفقيه (ت نحو ٣٤٠ هـ) أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمداني، أبو بكر، ابن الفقيه: جغرافي أديب. له كتاب (البلدان) نحو ألف ورقة، و (مختصر كتاب الفقيه) صفة بعد موت المعتضد، وكتاب (ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين)



والخلاصة أن العراق جغرافيًا هو الأقليم الذي يمتد من تكريت (١) شمالاً إلى رأس الخليج العربي (٢) جنوبًا، ومن إيران شرقاً إلى العديب (٣) غربًا.

أما من حيث العناصر المكونة لسكان هذا الإقليم من خلال زمن البحث فهي متعددة، وأبرزها ثلاثة عناصر، هي:

١ - النبط، ٢ - الفرس، ٣ - العرب، مع وجود عناصر أخرى كالأكراد والأحباش.

(١) تكريت مدينة عراقية ومركز محافظة صلاح الدين، تقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة وعلى بعد ١٨٠ كيلومتراً شمال مدينة بغداد و ٣٣٠ كيلومتراً جنوب الموصل.

(٢) الخليج العربيّ هو ذراع مائية لبحر العرب يمتد من خليج عمان جنوباً حتى شط العرب شمالاً بطول ٩٦٥ كيلومتراً. تبلغ مساحة الخليج العربي نحو ٢٣٣,١٠٠ كيلومتر، ويتراوح عرضه بين حد أقصى حوالي ٣٧٠ كم إلى حد أدنى ٥٥ كم في مضيق هرمز. والخليج العربي ضحل لا يتجاوز عمقه ٩٠ متراً إلا في بعض الأماكن. يبلغ طول الساحل العربي على الخليج العربي ٣,٤٩٠ كيلومتر وهو أطول من الساحل الإيراني، إذ تملك إيران ساحلاً يبلغ طوله ٢,٤٤٠ كيلومتراً على الخليج العربي، وبهذا فإن الساحل العربي أطول بحوالي ١,٠٥٠ كيلومتراً من الساحل الإيراني.

(٣) العُديب بضم أوله، تصغير العُذب، وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسية و المغيثة، وهو من منازل حاج الكوفة، وتقع على طريق الحج العراقي أو الكوفي والذي كان يعرف بدرب زبيدة. ينظر: معجم الصحابة، ج ١، ص ١٠٤.



أولاً: النبط (١).



وهم بقايا سكان العراق القدماء من الكلدانيين السريان^(٢) وكان يطلق عليهم قبل الفتح الإسلامي للعراق اسم الآراميين^(٣) في حين كان العرب المسلمون يطلق على سكان السواد اسم النبط^(٤).

(١) النبط هو الاسم الذي كان أطلقت العرب على سكان جنوب العراق الذين يتحدثون اللغة الآرامية ثم أصبح الاسم يطلق على جميع السريان سواء في العراق أو سوريا واطلق العرب اسم النبط على السريان من قبل العرب حتى في المناطق التي لم تتواجد فيها قبيلة النبط (الأنباط) الأردنية. واستعمل اسم النبط مرتين وباشكال مختلفة. فقد كان الأنباط يطلقون على أنفسهم اسم النبط وهم قبيلة عربية تسكن في الأردن وسيناء والنقب واطلق العرب اسم النبط كاسم لمتحدثي اللغة الآرامية في العراق وعلى سريان سوريا إضافة لاستعمال مصطلح السريان بالرغم ان السريان وسكان العراق لم يطلقوا على أنفسهم تسمية النبط. يعتقد ان المؤرخون العرب كانوا يقصدون بـ«نبط العراق» المندائيين الذين يتحدثون اللغة المندائية (لغة آرامية)، ويقول ناجي معروف كلهم ساميون ومن الأصول العربية القديمة. راجع: عروبة أبي حنيفة، د. ناجي معروف الأعظمي، ص ١٩.

(٢) جماعة بشرية في العصور العتيقة من منطقة جنوب بلاد الرافدين.
(٣) المسعودي، التنبيه والإشراف، دار التراث، بيروت، ١٣٨٨ - ١٩٦٨، ص ٣٦. والآراميون هم أحد الشعوب السامية موطنهم وسط وشمال سوريا والجزء الشمالي الغربي من بلاد الرافدين، يرجع أصلهم إنهم كانوا من الشعوب المتنقلة. والمسعودي (ت ٣٤٦ هـ) علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود: مؤرخ، رحالة، بحاث، من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها. قال الذهبي: «عاداه في أهل بغداد، نزل مصر مدة، وكان معتزليا». من تصانيفه «مروج الذهب - ط» و «أخبار الزمان ومن أبياده الحدثنان».

(٤) ابن الفقيه المصدر السابق، ص ٨ ابن الفقيه (نحو ٣٤٠ هـ) أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الهمداني، أبو بكر، ابن الفقيه: جغرافي أديب. له كتاب (البلدان) نحو ألف ورقة، و (مختصر كتاب البلدان - المصنف بعد موت المعتضد، وكتاب (ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين)



لقد كان للآراميين دولة في العراق قبل ظهور أردشير بن بابك مؤسس الأسرة الساسانية، وقد تمكّن هذا من القضاء على آخر ملوكهم المسمى أردوان^(١)، وخضع العراق للحكم الفارسي، واعتبر ملوك الفرس أرض السواد ملكاً للدولة، وسمحوا لسكانه بأن يبقوا في أرضهم يزرعونها على أن يدفعوا الضرائب التي تفرضها السلطة عليهم فانصرف النبط إلى الزراعة خاضعين لأسيادهم من الأمراء والدهاقين وأرباب الأملاك من الفرس. وأطلق الفرس عليهم اسم الطبقة العامة تمييزاً عنهم باعتبارهم الطبقة الخاصة^(٢)، والنبط هؤلاء لا يشكلون وحدات قومية خاصة بهم، بل كان نسبهم يعود إلى قراهم التي يسكنونها، فإذا سئل أحدهم عن نسبه، قال: من قرية كذا وكذا^(٣) وكانت ديانتهم المسيحية على المذهب النسطوري^(٤)، وقد ساعد اعتناقهم النصرانية على انتشارها بين غرب العراق، وبعض القبائل العربية في الجزيرة العربية.

وأما لغة النبط فهي اللغة الآرامية^(٥) إحدى اللهجات السامية، وقد أصبحت بعد انتشار المسيحية اللغة التي يستعملها رجال الدين في كنائسهم، وبذلك انتشرت

(١) حمزة الاصفهاني ، التاريخ ، ص ٦٥ حَمَزَةُ الْأَصْفَهَانِي (٢٨٠ - ٣٦٠ هـ) حمزة بن الحسن الأصفهاني: مؤرخ، أديب. من أهل أصفهان. زار بغداد مرات. وكان مؤدباً. من كتبه: صنّف لعضد الدولة ابن بويه كتابه (الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية - خ) تعصب فيه للفارسية. (تاريخ أصبهان)

(٢) الطبري الرسل والملوك، (ج٤/ ص ١٧) ابن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام. ولد في أمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى له: (أخبار الرسل والملوك - ط) يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءاً (جامع البيان في تفسير القرآن - ط) يعرف بتفسير الطبري.

(٣) ابن عبدربه، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعد العريان ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، (٣ / ٣٣٤) و ابن عبد ربه (ت- ٣٢٨ هـ) وهو: أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم، أبو عمر: الأديب الإمام صاحب العقد الفريد من أهل قرطبة كان جده الأعلى (سالم) مولى لهشام بن عبد الرحمن بن معاوية. وكان ابن عبد ربه شاعراً مذكوراً فغلب عليه الاشتغال في أخبار الأدب وجمعها. له شعر كثير. منه ما سماه (المحصات) وهي قصائد ومقاطع في المواعظ والزهد.

(٤) نسبة الى نسطوربوس من مدينة مرعشى المتوفى سنة ٤٥٠م والذي كان في حماية الدولة الفارسية لمعارضته الكنيسة البيزنطية انظر جواد على ، العرب قبل الاسلام ، بغداد، ١٩٥٦، ص ٧ وينسب إلى «نسطوربوس» المعتقد الديني المسيحي الرافض لعقيدة مجمع أفسس المعقود سنة ٤٣١م. ولد نسطورس عام ٣٨١ م بمدينة مرعش في سوريا وتربى في إنطاكية وهناك ترهب بدير أيروببوس، وتلمذ على يد ثيودوروس المصيصي.

(٥) لغة سامية شرقية-أوسطية، انطلقت مع قيام الحضارة الآرامية في وسط سوريا وكانت لغة رسمية في دول العالم القديم ولغة الحياة في الهلال الخصيب.



بين القبائل العربية المنتصره باعتبارها لغة رجال الكنيسة، يرتلون بها صلواتهم وبها يكتبون .

لقد كان النبط -وهم عامة سكان السواد - يعطون في الأرض سامعين مطيعين لكل حاكم، فهم كما قال أحد زعمائهم في الحيرة لخالد بن الوليد: "ما نحن إلا كعلوج السواد عبيدٌ لمن غلب" (١).

ولما جاء الفتح الإسلامي وقف النبط موقفا ينم عن ولائهم للفرس، ولكنه في الحقيقة لم يكن ولاء بل كان احتماء بهم من هذه الجيوش التي جاءت من الجزيرة، فالتفوا حول الفرس يساعدهم ضد هؤلاء الفاتحين، ولكن ذلك لم يمنع بعضهم من الدخول في صلح مع المسلمين (٢)، وهؤلاء بدورهم اعتبروهم نصارى أهل ذمة عليهم أن يدفعوا الجزية عن رؤوسهم، والخراج عن أراضيهم، ولم يجبروا أحداً على ترك دينه (٣).

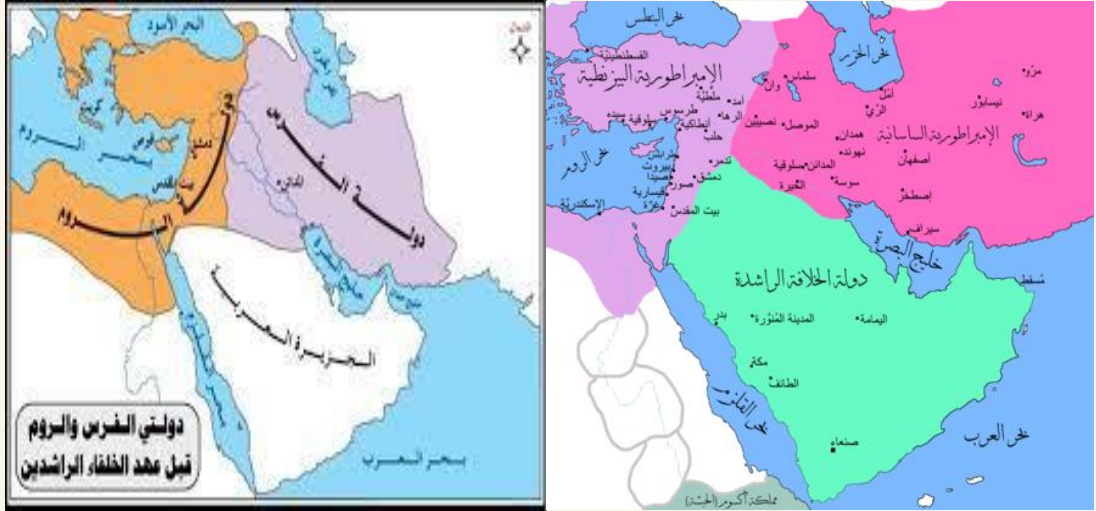
(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج ٤، ص ٩٤ .

(٢) الطبري، المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٣ .

(٣) نفس المصدر. ص ٨ .



ثانياً: الفرس .



بعد أن خضع العراق للحكم الساساني انتشر الفرس في أنحاءه، وزاد انتشارهم بعد أن اتخذ لموكهم المدائن في قلب السواد عاصمة لهم (١)، ولم يقتصر وجودهم على المدائن والمدن الأخرى كالأنبار والحيرة وغيرها، بل انبثوا في القرى والريف يمتلك الأراضي، ويجبون خراجها، فأصبحوا يحكم سيادة دولتهم ملاك وأرباب الإقطاعيات، كما كانوا يشكّلون الحاميات العسكرية في المدن والقرى وعلى حدود السواد الغربية، ليضعوا عنه الغزاة والطامعين، وقد أطلق على مجموعهم اسم الطبقة الخاصة تميزا لهم عن النبط، وهم الطبقة العامة (٢).

(١) المدائن: وكان فتح المدائن كلها على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦ في أيام عمر بن الخطاب، وإنما سمّتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة، وأثارها واسماؤها باقية، كتاب معجم البلدان الحموي، ياقوت ج ٥ ص ٧٥. وينظر: البلاذري، فتوح البلدان القاهرة ١٩٥٧، (ج ٢ / ص ٣٢٣).

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٩٤.



وكان لوجود الفرس وسيادتهم على العراق أثر في صبغته بالصبغة الفارسية من ثقافة وتقاليد ونظم، وقد زالت دولتهم وزال سلطانهم بعد اندحارهم أمام جيوش المسلمين الفاتحين، فانتقل منهم من بقي في أرض السواد من ديانتهم القديمة إلى الدين الإسلامي، وتركوا لغتهم ليتكلموا لغة القرآن.

وأما موقف هؤلاء الفرس من الفتح الإسلامي، فهو ما سنوضحه في الفصل الثاني من البحث.

ثالثاً: العرب.

لقد كان لقرب العراق من الجزيرة العربية، وخصوبته الأثر الكبير في جذب العرب سكان الجزيرة العربية إلى العراق، حيث نزحت إليه موجات بشرية سامية عديدة، وفي أزمان مختلفة من التاريخ، كما نزحت إليه أعداد كثيرة من القبائل العربية قبل الفتح الإسلامي (١).

ومن أقدم من سكن العراق من العرب قوم كانوا قد سكنوا الأنبار (٢) منذ عهد الكلدانيين، حيث ذكر الطبري أن خالد بن الوليد بعد أن فتح الأنبار رأى أهلها يكتبون بالعربية ويتعلمونها فسألهم ما أنتم؟ فقالوا: قوم من العرب نزلنا إلى قوم من العرب كانوا قبلنا فكانت أوائلهم نزلوها أيام يختنصر (٣) حين أباح العرب ثم لم نزل عنها فقال: مم تعلمتم الكتاب؟ قالوا: تعلمنا الخط من أياد (٤).

(١) انظر الفصل الثاني من البحث والخاص بحركة القبائل العربية.

(٢) محافظة الأنبار هي محافظة عراقية تقع في غرب العراق. تعد أكبر محافظات العراق مساحة حيث تشكل ما يعادل الثلث (٣/١) من مساحة العراق. تضم داخل حدودها الهضبة الغربية والتي يصل ارتفاعها في أقصر غرب الأنبار أكثر من ٩٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر. كلمة أنبار كلمة عربية تعني المخزن، أنبار جمع نبر (مخزن). أسماها المناذرة الأنبار لأنها كانت مخزناً للعدد الحربية أو لأنها كانت مخزناً للحنطة والشعير والخبث. تعد من أكثر المدن أهمية في فترة الاحتلال الساساني على العراق، لأنها ذات مركز حربي مهم لحماية العاصمة المدائن من هجمات الروم.

(٣) يختنصر: أحد من أقوى الملوك الذين حكموا بابل وبلاد الرافدين، حيث جعل من الإمبراطورية الكلدانية البابلية أقوى الإمبراطوريات في عهده بعد أن خاض عدة حروب ضد الآشوريين والمصريين، كما سيطر على بابل ومدينة أورشليم (القدس) مرتين، الأولى في سنة ٥٩٧ ق م والثانية في سنة ٥٨٧ ق م، إذ قام بدمرها.



ومن القبائل العربية الأخرى التي سكنت العراق قبل الفتح الإسلامي، والتي ذكرها أبو يوسف في كتابه الخراج "قبائل كندة في سواد العراق" (١) ولما جاء الفتح العربي مع ما يحمله من تعاليم الإسلام واللغة العربية، طغى الإسلام على كل العقائد والأديان، وأصبح بعد فترة لا تتجاوز المائة عام دين الأكثرية من سكان العراق، كما سادت اللغة العربية غيرها من اللغات.

أما أشهر المدن والتي لعبت دورًا كبيرًا وبارزا في نشأة الخوارج، بل جعلوها مركزا للدعوة منذ ظهورهم على مسرح التاريخ فهي البصرة (٢)، وتعتبر من أهم مراكز الدعوة، للخوارج، ومنها ظهر الدعوة ثم الكوفة، وهي المدينة الثانية في العراق التي اتخذها الخوارج مركزا لهم للانطلاق إلى الشرق الإسلامي، مبتدئين بالأقاليم المجاورة وكذلك مدينة (سُرَّ مَنْ رَأَى = سامراء) (٣) التي بناها المعتصم الخليفة العباسي وتقع: شمال بغداد (٤).

- سكان أورشليم، من اليهود وأنهى حكم سلالة داود، عليه السلام كما ذكر أنه كان مسؤولاً عن بناء عدة أعمال عمرانية في بابل مثل الجنائن المعلقة ومعبد إيتيمينانكي وبوابة عشتار.
- (١) الطبري المصدر السابق، جـ ٣، ص ٣٧٥.
- (٢) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج القاهرة، ط الخامسة، ١٣٩٦ هـ ص ١٤٦.
- (٣) البصرة: مدينة عراقية تقع في أقصى جنوب العراق على الضفة الغربية لشط العرب، البصرة مدينة قديمة شيدها عتبة بن غزوان ؓ في عهد ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب ؓ لتكون أول مدينة إسلامية بناها العرب خارج شبه الجزيرة العربية، وعتبة بن غزوان (ت ١٧ هـ) صحابي بدري، كان حليفاً لبني نوفل بن عبد مناف في الجاهلية. أسلم وهاجر إلى يثرب، وشارك مع النبي ﷺ في غزواته كلها، ثم شارك في فتح العراق، وهو الذي بنى البصرة، وكان أول ولايتها. من السابقين إلى الإسلام، فكان سابع سبعة أسلموا، وهو من بني مازن بن منصور أحد قبائل قيس عيلان، وكان حليفاً لبني عبد شمس بن عبد مناف، وقيل بني نوفل بن عبد مناف في الجاهلية. ومن الذين هاجروا إلى الحبشة.
- (٤) سامراء: تلك المدينة التي اتخذها سبعة من خلفاء بني العباس عاصمة لهم مدي نصف قرن ونيف ٢٢١ - ٢٧٩ هـ / ٨٣٦ - ٨٩٢ م (الوائق المتوكل المنتصر - المستعين المعتز المهدي وآخر ثم المعتمد) ثم سرعان ما زال عزا وضع مجدها بعودة الخلفاء منها إلى بغداد. يراجع كي نسترنج بلدان الخلافة الشرقية، ص ٧٦ - ٧٩.

(٥) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٣٨٠ - ١٩٦٠، ص ٢٨٤.



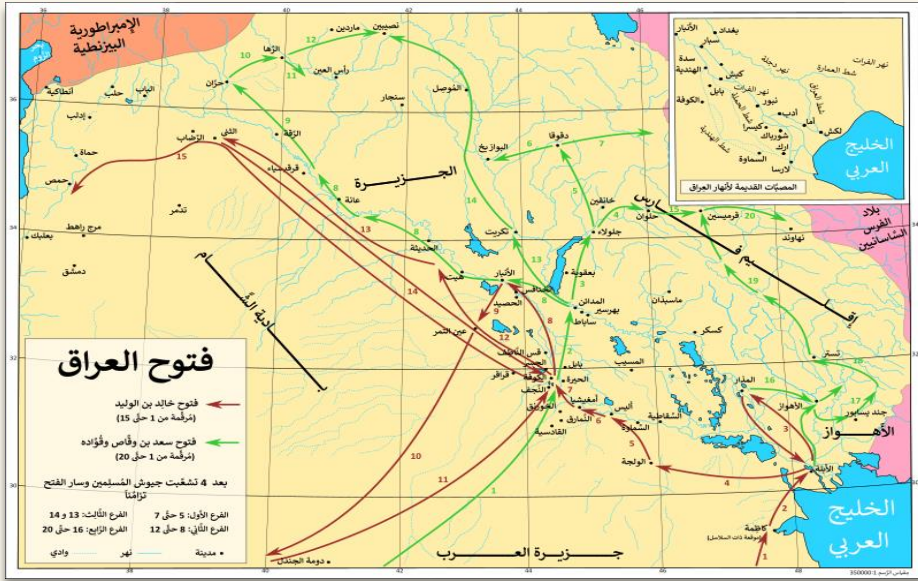
ومن المدن التي لها الأثر الكبير في نفوس الخوارج والتي تعتبر في أهميتها كمدينة كربلاء^(١) عند الشيعة هي: "بلدة النهروان"^(٢)، وتعرف أيضا بـ(جسر النهروان) فهي تقع أول طريق خراسان بغداد^(٣) وقد وصفها ابن رسته^(٤) بأنها مدينة يشقها النهروان نصفين من وسطها. وقال: وفي الجانب الغربي أسواق، ومسجد جامع، ونواعير تسقى أراضيها^(٥)، وفي الجانب الشرقي مسجد جامع، وسوق وحول المسجد خانات ينزلها الحاج والمارة^(٦).

ومن مدن العراق التي اختطت خلال الفترة التي يتناولها هذا البحث "واسط" وهي مدينة ذات نصفين على شاطئ نهر دجلة بالعراق، وسميت بواسط لأن مساحتها إلى البصرة خمسين فرسخا، ومثله إلى الكوفة ومثله إلى الكوفة، وإلى الأهواز، وبغداد فكأنها، في الوسط، واختطها الحجاج بن يوسف بين الكوفة والبصرة سنة (٨٤ هـ / ٧٠٢ م)^(٧).

- (١) وتقع مدينة كربلاء إلى الجنوب من العاصمة بغداد وتبعد عنها بحوالي ١٠٥ كم^٢، وترتفع المدينة ٣٠ مترا عن مستوى سطح البحر، وهي تقع في موقع مهم يربطها بالحدود السعودية عن طريق النخيب ومن الشمال ترتبط بالعاصمة بغداد ومن الجنوب ترتبط بالنجف ومن جهة الجنوب الشرقي بالحلة.
- (٢) النهروان: مدينة تقع جنوب شرق بغداد العاصمة والجزء الشمالي منها يقع قرب من ملتقى نهر ديبالى مع نهر دجلة، وهي منطقة زراعية أصلا تحولت مؤخرا إلى مدينة في الضواحي، هي قريبة من مدينة المدائن التي تحوي آثار طاق كسرى. تبعد مدينة عن بغداد حوالي ٣٥ كيلو متر.
- (٣) كي نسترنج، المصدر السابق، ص ٨٥.
- (٤) أحمد بن عمر، أبو علي ابن رسته (توفي نحو ٣٠٠ هـ) هو جغرافي فارسي، من أهل أصفهان. حج سنة ٢٩٠ هـ وصنف كتاب «الأعلاق النفيسة»، وصف بها الكثير من المدن والبلاد. الكتاب يقع في سبعة أجزاء، لكن لم يصلنا منه إلا الجزء الأخير.
- (٥) وهي آلات مائية خشبية تدور بالقوة المائية وتتواجد على شواطئ النهر. وتنقل الماء منه بواسطة صناديق إلى حوض علوي ومنه يجري في قنوات محمولة على قناطر ليسقي المدينة وبساتينها.
- (٦) المصدر السابق.
- (٧) تقويم البلدان، تصحيح رينود، باريس، ١٨٤٠، ص ٣٠٧. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر.



ثانياً: إقليم فارس .



ولاية واسعة يحدها جهة العراق أرجان(١)، ومن جهة كرمان السيرجان(٢)، ومن جهة بحر الهند سيراف(٣)، ومن جهة السند مكران(٤)، وعاصمتها شيراز(٥). ومن مدنها الأهواز، وكسكر مكرم، وفيها نهر تَسْتُر الذي دارت حوله معارك مع الخوارج(٦).

- (١) أرجان هي مدينة تاريخية مندثرة، تقع بين الأحواز وفارس، وتسمى أحياناً في بعض المصادر بمدينة برمقباد أو بزقمباد أو أيز قباد. بناها الملك الساساني قباد بن فيروز
- (٢) سيرجان هي مدينة إيرانية تقع في محافظة كرمان.
- (٣) مدينة سيراف الاسم القديم صيراف مدينة أثرية قديمة، تقع في محافظة بوشهر في جنوب إيران. ذكره ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان سيراف: بكسر أوله، وأخره فاء، طولها تسع وتسعون درجة ونصف، وعرضها تسع وعشرون درجة ونصف. ومن أسمائها القديمة أيضاً يقال: (سيراب)
- (٤) و مكران العربية تمتد في جنوب شرق إيران وغرب باكستان، وتطل على بحر العرب.
- (٥) أتم فتح شيراز أبو موسى الأشعري ، وعثمان بن أبي العاص في آخر خلافة عمر ابن الخطاب، ثم فتحها الأشعري صلحا على أن يكونوا أهل ذمة يؤدون الخراج إلا من أحب منهم الجلاء ، ولا يقتلوا ولا يستعبدوا (البلاذري) ، فتوح البلدان ج ٢ ، ص ٤٧٨ .
- (٦) الإصطخري، المسالك والممالك ، ص ٦٢ إقليم فارس هي مناطق في جنوب إيران تشكل فيها اللغة الفارسية اللغة الأساسية، وتشمل مناطق ومحافظات: فارس، بوشهر، كهكيلويه وبوير أحمد، شرق محافظة خوزستان، غرب هرمزكان. إضافة في بعض المکتوبات في المناطق والمحافظات: أصفهان، يزد، كرمان. فارس القديمة أيضاً تطلق علي محافظة فارس في جنوب إيران، وليس لها ساحل مطل على الخليج العربي.



وإقليم فارس عرفه اليونان باسم برسس "Persis"، وظل هذا الاسم حتى يومنا هذا، وخاصة في أوروبا حيث تعرف باسم Persia بلاد فارس^(١) في حين أن الفرس أنفسهم يسمون بلادهم (إيران).

وقد قسّم الساسانيون فارس إلى خمسة أقسام، يقال لكل قسم منها (كورة)^(٢)، ولما دخلها المسلمون الفاتحون^(٣) ظل إقليم فارس على هذا التقسيم حتى أيام المغول^(٤)، ومن أشهر مرائئ فارس مرغاً سيراف^(٥)، الذي كان أهم ميناء في خليج فارس ويذكرها الإصطخري^(٦) بأنها تقارب شيراز في الكبر والفخامة، ومنازلها وأهلها مترفون يبالغون في نفقات الأبنية، حتى أن التاجر منهم ينفق على داره زيادة عن ثلاثين ألف دينار، وأهلها أيسر أهل فارس، ومنهم من يتجاوز ماله ستين ألف ألف درهم، بفضل تجارة البحر^(٧).

أما أنهار فارس فأشهرها نهر سكان^(٨) مخرجه على ثلاثين ميلاً شمالاً من غرب شيراز^(٩).

(١) السترنج بلدان الخلافة الشرقية .

(٢) نفسه المرجع.

(٣) ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن ابي العاص الثقفي رضي الله عنه على البحرين وعمان ، فوجّه عثمان أخاه الحكم بن ابي العاص في البحر لفتح فارس في جيش كبير من عبد القيس، والأزد وٴميم، وبني ناجية وغيرهم، وذلك سنة ١٩ هـ (البلاذري)، فتوح البلدان، (٢/ ٤٧٦).

(٤) لسترنج، المرجع السابق ، ص ٢٨٣.

(٥) وسيراف، كشيراز: بفارس، على ساحل البحر، مما يلي كرمان، أعظم فرضة لهم، كان بناؤهم بالساج في تأنق زائد، وقد نسب إليه جملة من أهل العلم، كأبي سعيد السيرافي النحوي اللغوي.

(٦) الإصطخري (٣٤٦ - هـ) هو: إبراهيم بن محمد الفارسي، أبو إسحاق الإصطخري ويقال له الكرخي: جغرافي، رحالة، من العلماء. من أهل إصطخر (بايران) قام بسياسة طاف بها بلاد العرب وبعض بلاد الهند، وبلغ الأوقيانوس الأتلانتيكي، واستعان بكتاب (صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي، ولم تكن مصادر علم البلدان موفورة في عصره، فألف كتابيه (صور الأقاليم) على اسم كتاب البلخي، و(مسالك الممالك) يراجع المسالك والممالك ، ص ١٠٤ .

(٧) لسترنج ، المرجع السابق ، ص ٢٩٤

(٨) نهر سكان: في فارس، يخرج من جبال قرية الرويجان فينعطف حول مدينة كور، ثم يصب في البحر الأعظم بين نجيرم وسيراف.

(٩) كل لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٨٨ .



ومن أشهر المدن في إقليم فارس: الأهواز، وتقع بين البصرة وفارس، ويطلق عليها العرب "أحواز" جمع حوز، أي: "حد" (١) والإيرانيون يطلقون عليها (الأهواز)، وهي قاعدة لإقليم خوزستان، وتعرف قديماً باسم هرمز شهر (٢) وجاء في المخطوطات بصورة هرمز أوشير، وهرمزاردشير، وهو اسمها الفارسي .

غزاها المغيرة بن شعبه رضي الله عنه (٣) في آخر سنة خمس عشرة (٤) أو أول سنة ست عشرة استخلف عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلاً يقال له: الخريت بن راشد رضي الله عنه (٥) ثم تولاه مصقلة بن هبيرة الشيباني عاملاً لعلی بن أبي طالب رضي الله عنه (٦) .

وكانت معقل الخوارج منذ أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأولى، فقد قصدها الخريت بن راشد زعيم الخوارج، قبل أن يخرج إلى "صفين"، وبعد "صفين" أخذ يجمع الجنود، ويدعو إلى خلع علي رضي الله عنه والبراءة منه فأجابه إلى ذلك خلق كثير من الخوارج حتى اجتمع لديه عشرة آلاف رجل من أهل الأهواز (٧)، ومن بني ناجية (٨) ومواليهم،

(١) الأهواز أو الأحواز هي عاصمة ومركز محافظة خوزستان التي كانت تسمى عربستان حتى عام ١٩٢٥. تقع جنوب غرب إيران، ويخترق المدينة نهر كارون، وهي ترتفع عن سطح البحر ٢٠ مترًا. وبحسب إحصاء عام ٢٠٠٦

(٢) كي لسترنج، المرجع السابق، ص ٢٦٨

(٣) المغيرة بن شعبه بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. يقال له (مغيرة الرأي). ولد في الطائف (بالحجاز) وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك فدخل الإسكندرية وافداً على المقوقس، وعاد إلى الحجاز. فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. وذهبت عينه باليرموك. وشهد القادسية و نهاوند و همدان وغيرها. وولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد، وعزله، ثم ولاه الكوفة. وأقره عثمان على الكوفة ثم عزله. ولد (٢٠ ق هـ - ٥٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٧٠ م) الأعلام للزركلي (٧/ ٢٧٧)

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ج ٢، ص ٤٦٤ .

(٥) الخريت الناجي (٣٩ هـ) الخريت بن راشد الناجي: صحابي ثائر، من الزعماء الشجعان المقدمين، من بني ناجية. كان من أشياع علي (رض) وجاءه من البصرة بثلاث مئة من بني ناجية فشهدوا معه الجمل و صفين، وأقاموا بالكوفة. ولما كان التحكيم خرج الخريت بمن معه، إلى بلاد فارس، فسير علي معقل بن قيس وجهاز معه جيشاً لقتاله. فكانت المعركة في الأهواز. وكثرت جموع الخريت، فنصب معقل راية و نادى: من لحق بها فهو آمن، فانصرف إليها كثير من أصحاب الخريت، فانهمز، فقتله النعمان بن صبهان الراسب .

(٦) ابن الأعمم المصدر السابق الفتوح أبو محمد أحمد بن أعمم الكوفي. توفي حوالي عام (٣١٤ هـ)؛ هو مؤرخ مسلم. ألف كتاباً اسمه «كتاب الفتوح» حيث روى خطب وحكم الصحابي علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(٧) نفس المصدر، ج ٤، ص ٧٦

(٨) بنو ناجية إحدى القبائل العربية في البحرين، والخريت من بني ناجية، يوليوس فهورن تاريخ الدولة العباسية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ص ٨٠ - ٨١ .



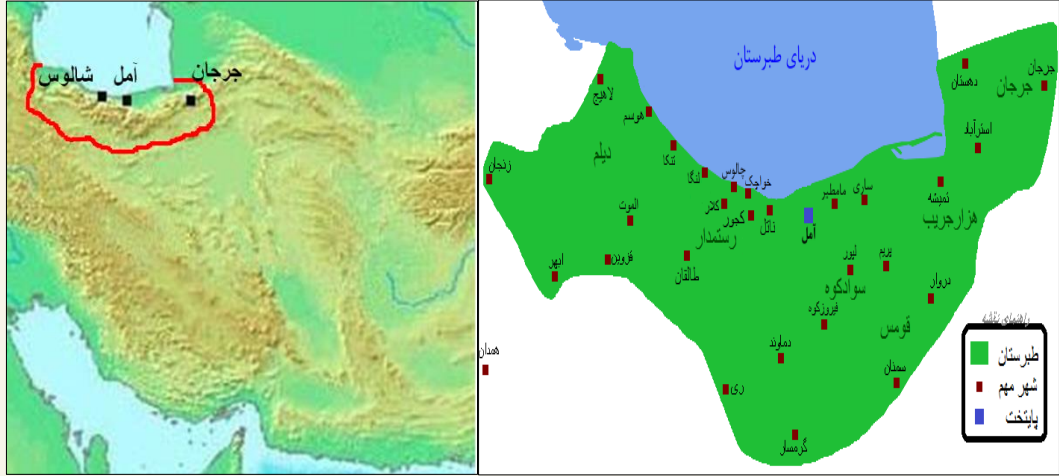
ومن مدن فارس تستر وكسكر مكرم (١) وفي فارس كذلك مدينة جند نساب وهي مدينة في إقليم فارس بناها سابور به أردشير فنسبت إليه، وقد فتحها المسلمون سنة ١٩ هـ / ٦٤٠ م في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومات بها يعقوب الصفار مؤسس الدولة الصفارية وذلك يوم الاثنين العاشر من شوال عام ٢٦٥ هـ / ٩ مايو ٨٧٨ م (٢).

أما همذان فهي مدينة تقع في وسط الجبال، تبعد عن مدينة حلوان في أول العراق سبعة وستين فرسخاً (٣)، ولها أربعة أبواب، وبها مياه وبساتين وزروع كثيرة، قيل: بناها همذان بن فلوح بن سالم بن نوح عليه السلام (٤)، وقد فتحها جرير البجلي رضي الله عنه بأمر من المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (٥٣ هـ / ٦٤٣ م) (٥).

(١) القزويني، آثار البلاد ص ١٥٢ زكريا القزويني (٦٠٥ - ٦٨٢ هـ) زكريا بن محمد بن محمود، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري النجاري: مؤرخ، جغرافي، من القضاة. ولد بقروين (بين رشت وطهران) ورحل إلى الشام والعراق، فولي قضاء واسط والحلة في أيام المستعصم العباسي، وصنف كتباً، منها (آثار البلاد وأخبار العباد) في مجلدين، و(خطط مصر) و(عجائب المخلوقات) ترجم إلى الفارسية والألمانية والتركية. (٢) تاريخ سيستان، ص ٢٣٣. المؤلف مجهول، كان حياً بمنتصف القرن الخامس الهجري (المتوفى: ٤٥٠ هـ). (٣) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢١٧. (٤) القزويني، آثار البلاد ص ٤٨٣.



ثالثًا: إقليم طبرستان.



إقليم بين العراق وخراسان بقرب بحر الخزر^(١)، ذو مدن كثيرة من أهمها: أمل، والعجم يسمون طبرستان^(٢) (ما زندران) وتقع بين الري وقومس، وبحر الخزر، وسبب تسميتها بهذا الاسم (أن قومًا من جيلان دخلوها، وكان بها شجر كثير يحجب رؤية أرضها فسميت: فقالوا: لو قطعنا هذا الشجر بالفئوس ونزلناها، وعمرناها، ففعلوا ذلك فسميت على كلامهم طبرستان من طريق الفئوس^(٣))، وقد فتحها سعد بن أبي وقاص بن أمية زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٤).

(١) بحر قزوين أو بحر الخزر بحر مغلق يقع في غرب آسيا على مساحة تبلغ ٣٧١,٠٠٠ كيلو متر مربع وهو أكبر بحر مغلق في العالم، يبلغ طول بحر قزوين ١,٢٠٠ كيلو متر بعرض يصل لـ ٣٠٠ كيلو متر، ويبلغ أقصى عمق له ١٠٢٣ م، وتطل على بحر قزوين خمسة دول هي روسيا وإيران وأذربيجان وتركمانستان وكازاخستان.

(٢) طَبَرِسْتَان أو بِلَادِ الطَّبَرِ هو إقليم عرفه العرب والفرس والترك باسمه منذ القرون القديمة، وهو يقع في شمال دولة إيران وفي جنوب غرب دولة تركمانستان اليوم ويمتد في معظمه على الساحل الجنوبي لبحر قزوين عبر سلسلة جبال ضخمة أعطته هيبة عند قدماء العرب كما يصفه ياقوت الحموي في معجم البلدان، وتسمى هذه السلسلة الآن سلسلة جبال البروز وهي تمتد عبر أقاليم مازندران وكلاستان وشمال سمنان. وكان يُسمى الفرس حاكم إقليم طبرستان بـ«الأصهبذ».

(٣) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص ٣٠١.

(٤) البلاذري، المصدر السابق، ص ٣٣٠.



إقليم سجستان (سيستان):



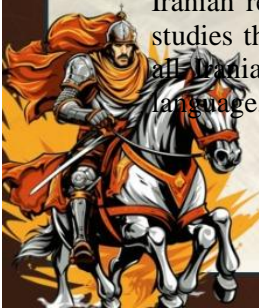
إقليم عظيم يقع في الجنوب الشرقي من إقليم خراسان^(١)، ويطلق اسمه على اسم المدينة، ويقع بين خراسان ومكران، وبين السند وكرمان، ويحيط بهذا الإقليم خراسان غرباً، ومن جهة الشرق والشمال أرض الهند، ومن الجنوب أرض سهلة لا يرى فيها جبل، وتشتد بها الرياح^(٢)، وكانت هذه الظروف الطبيعية كثيراً ما تؤثر في ظروف سجستان الاقتصادية التي تدفع الأهالي بها إلى اعلان تمردهم على السلطة الحاكمة "وخاصة في سنوات القحط الاقتصادي الذي غالباً ما تتعرض له هذه الولاية^(٣)،

(١) الخولي، سجستان بين العرب والفرس، ص ٧٠.

(٢) أبو الفداء، المصدر السابق، ص ٣٤٠.

(٣) The Cambridge: History of Iran, Vol. 4, p. 104.

Volume 4 is a survey of every aspect of the civilisations which flourished in the Iranian region from the Arab conquests to the Saljuq expansion: in particular, it studies the gradual transition of Iran from Zoroastrianism to Islam, the uniting of all Iranians under one rule, the flowering into full magnificence of the Persian language, and the establishment of those other acts which were to flourish so



والنتاج من قلة مصادر المياه الصالحة لري الأراضي الزراعية وضعف الموارد الاقتصادية (١) أو من اشتداد الرياح، وزيادة الرمال الكتبانية التي تغطي الزراعة وتمهها تماما، وكان أهل سجستان إذا استيقظوا في الصباح بعد عاصفة رملية، جرت على ألسنتهم جميعاً هذه العبارة: " لقد أصيب المحصول أمس بالرمل"، وما يعنيه هذا الكلام هو أن حقول سجستان قد دفنت تحت الرمال، ولا سبيل لإنقاذها(٢)، وهبوب هذه الرياح في الصيف يكون أطول زمناً، وأشد قوة منه في الشتاء، حتى ليقال إن الرياح لا تهدأ في سيستان(٣)، لكن من منفعة هذه الرياح أنها تساعد على تحمل حرارة الصيف الشديدة، بل إن هذه الرياح هي التي تدير طواحين سيستان الهوائية(٤).

أما عن مياه سجستان فأشهر أنهارها (نهر هيرمند) الذي يقال عن سجستان أنها هبته (٥)، ينبع من الشرق ويقطع كل أرض سجستان إلى الغرب، وفي أثناء سيره إلى الغرب يكون بعض الدلتاوات، ثم تختفي بعض مياهه في جوف الأرض ويستغل بعضها وما يتبقى يصب في بحيرة "زره" (٦)، ويبلغ طول هذا النهر مائة وخمسة وثلاثين فرسخاً (٧)، أما عرضه في أرض سجستان (سيستان) فيتراوح بين (٢٠٠ و ٥٠٠ مترًا)، حسب سنوات الجفاف أو الفيضان، وعمقه متران وخمسة أمتار، وتتفرع منه ألف

brilliantly after the Mongol conquest. The volume as a whole provides a comprehensive record of the formative centuries of Islam in Iran
المجلد ٤ هو مسح لكل جانب من جوانب الحضارات التي ازدهرت في المنطقة الإيرانية من الفتوحات العربية إلى التوسع السلجوقي: على وجه الخصوص ، يدرس الانتقال التدريجي لإيران من الزرادشتية إلى الإسلام ، وتوحيد جميع الإيرانيين تحت حكم واحد ، ازدهرت اللغة الفارسية في الروعة الكاملة ، وتأسيس تلك الأعمال الأخرى التي ازدهرت ببراعة بعد الفتح المغولي. يقدم المجلد ككل سجلاً شاملاً للقرون التكوينية للإسلام في إيران.

(١) الخولي المرجع السابق ص ٢٨ وانظر: أبو سيف ، خراسان ، ط سعيد رأفت ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ص ٨٥.

(٢) باستاني ، يعقوب بن الليث الصفار ، ص ٧٧ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، نيل سيستان .

(٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ .

(٥) باستاني، المصدر السابق، ص ٧٥ .

(٦) نفسه .

(٧) الفزويني، نقلًا عن ابوياف، خراسان، نزهة القلوب، تصحيح لسترنج، ليدن، ١٣٣١ هـ / ١٩١٣ م .



ترعة (الري الأراضي الخصبة، (١) ولما كان ارتفاع أرض سجستان لا يزيد فوق مستوى البحر عن ٥٠٠ أصبح من الضروري إقامة السدود على النهر للاستفادة من مياهه في الري، لكي ترتفع المياه إلى الأراضي، ومن أعظم هذه السدود سد " كجكي " على بعد نحو ٥٠٠ كيلومتر من دلتا نهر هيرمند، ويبلغ ارتفاعه ١٠٠ متر، ويقوم بتخزين ثلاثة مليارات متر مكعب من الماء ذا (٢). ولهذا قال أهل سجستان: إن شروط تعمير سجستان ثلاثة هي: إقامة سدود للماء، وحواجز للرمال، وروادع للمفسدين (٣).

وتحفل أراضي المشرق الإسلامي وخاصة سجستان - منذ تاريخها القديم بالقلع العديدة التي أقامها ملوك إيران الأقدمون ، على مراحل عصورها المختلفة، وحتى الإسكندر المقدوني له نصيب في إقامة واحدة منها(٤)، وكانوا يقولون لهذه القلعة "قلعة ذي القرنين"، وغير هذه القلاع نجد ينابيع طبيعية منها البارد، ومنها الحار (٥) أشهر مدن سجستان زرنج، التي تعتبر أهم مدن سجستان(٦) ومن قراها. ولم يبق من مدينة زرنج - التي "قرنين" وهي على مسافة فرسخ من زرنج(٧)، كانت عاصمة لإقليم سيستان منذ نحو ١١٠٠ عام أية آثار تدل عليها أنّ نهر "هرمند" غير مجراه عدة مرات على مرّ السنين (٨).

ومن مدن سجستان الهامة "بست"، وتقع بين "هرات" و"غزنه"، وهي ذات أرض خصبة كثيرة النخيل والأعناب، ويعتبر مصدرًا رئيسيًا لاحتياجات سجستان، فهي أرض الفاكهة كما يقولون، حيث تنتج أرضها الجوز والخوخ واللوز وهي في غاية الخصب (٩).

(١) باستاني، المصدر السابق، ص ٧٥. مجهول، تاريخ سيستان، ص ٢١.

(٢) باستاني يعقوب بن الليث، ص ٨٤.

(٣) مجهول، تاريخ سيستان، ص ٢١.

(٤) نفس المصدر، ص ١٠ - ١١.

(٥) نفس المصدر، ص ١٣ وما بعدها.

(٦) ابوسيف، خراسان، ص ٤٢.

(٧) القرويني، آثار البلاد، ص ٣٦١.

(٨) باستاني، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٩) ابن الفداء، تقويم البلدان، ص ٣٤٥.



لقد كانت سجستان ولاية خاضعة لمن يحكم خراسان، بتفويض من الخلافة، إلا أن أهلها كانوا شديدي الشكيمة، ويتطلعون إلى الاستقلال عن أيّ تبعية، وقد ساعدهم على وجود نزعة الاستقلال هذه عندهم انتشار مذهب الخوارج بينهم، هذا المذهب الذي ينبذ التبعية تمامًا.

وسجستان هذه -بحكم موقعها الجغرافي المتطرف في ناحية الشرق وابتعادها عن مركز الخلافة العباسية- أغرّت زعماء المعارضة السياسية وخاصة الخوارج باتخاذها مقرًا للعمل فيها ضد الخلافة (١)؛ لذا عرفت سجستان بأرض المعارضة (٢).

ومن ولاية الخوارج في سجستان الوالي همام بن عدى السدوس من قواد الخوارج الكبار، وقد وصل إليها حال وصول عبدالرحمن بن الأشعث الكندي على رأس جيش الطواويس المعروف، هذا الجيش الذي حارب الخوارج، وقاتلهم وأرسل برؤوسهم إلى الحجاج، ولكن سرعان ما أدار عبدالرحمن بن الأشعث هذا الجيش لمحاربة الحجاج، بل ولتهديد الخلافة الأموية في دمشق، وبلغ الأمر أن لقب عبدالرحمن نفسه بأمر المؤمنين في المشرق الإسلامي (٣).

وقد قدمت سجستان منذ أن دخلها الإسلام فاتحًا البعض ممن خدموا الحضارة الإسلامية في مناهلها، وتذكر على سبيل المثال، وليس الحصر أبا حاتم

(١) ابوسيف، خراسان، ص ٤١ .

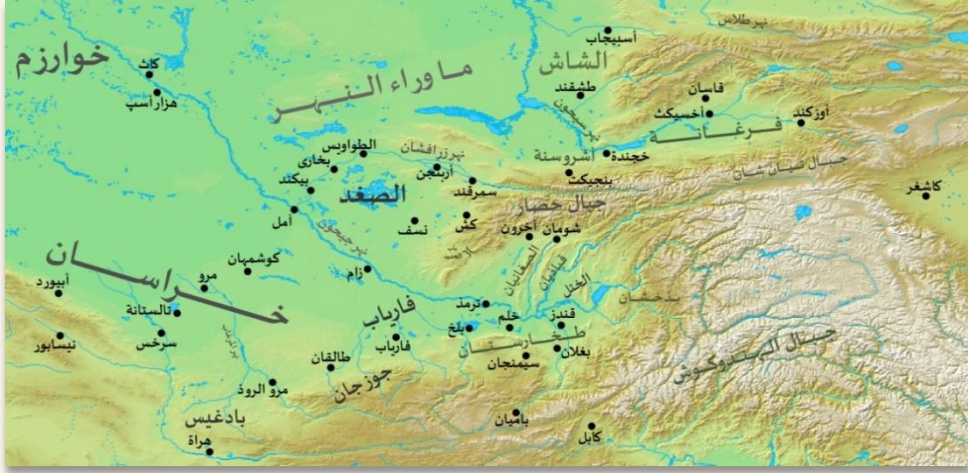
(٢) نفسه، ص ٧١ .

(٣) انظر: الفصل الثالث من البحث (ثورة عبدالرحمن بن الأشعث وأثرها في خوارج المشرق) .



السجستاني، وأبا داود(١) وأبا الحسين بن محمد بن يحيى الذي ألف "غريب القرآن" وحفيده السجستاني صاحب "تاريخ آل محمد"، وغيرهم كثير(٢).

إقليم خراسان:



وهو الإقليم الواقع في الشرق والشمال الشرقي، وهو بمثابة ذلك الركن المهم من أركان الدولة الذي اتخذته الخوارج بؤرة لهم لما له من أهمية جغرافية واقتصادية وبشرية، فخراسان منطقة طبيعية واسعة، تحيط بها الجبال من الجنوب فتكون لها حدوداً(٣).

(١) ابن خلكان وفيات الاعيان، (١/ ص ٣٠٢). ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، أبو العباس: المؤرخ الحجة، والأديب الماهر، صاحب (وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان - ط) وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً ولد في إربل (بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقي) وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها، وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام. وعزل بعد عشر سنين، فعاد إلى مصر فأقام سبع سنين، ورد إلى قضاء الشام، ثم عزل عنه بعد مدة. وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون. يتصل نسبه بالبرامية.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٧ - ٤١. The Cambridge: History of Iran, Vol. 4, p. 103.

(٣) كل لسترنج بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٢.



أما اسمها خراسان فجاء نتيجة لطبيعة هذه البلاد التي جعلت السكان يطلقون هذا الاسم "خراسان" عليها إذ يرون الشمس وكأنها بزغت منها، وهم على مرتفعات إيران الشرقية، فالشمس في الفارسية "خر" وتعني "اسان" أصل الشيء ومكانه في اللغة نفسها، وعلى هذا تعنى كلمة خراسان مطلع الشمس^(١).

ويعتبر إقليم خراسان أكثر أجزاء إيران حيوية ونشاطا، كما أنه يلاحظ أن هذا الإقليم كان أوسع كثيرًا جدًا من الإقليم الحالي الإيراني الذي يعرف بهذا الاسم^(٢)، ويحيط بخراسان من الغرب مغازه بين بلاد الجبل وجرجان، ومن الشرق نواحي سجستان وبلاد الهند. ومن الشمال بلاد ما وراء النهر، وشيء من تركستان ومن الجنوب مغازه تفصل بينها وبين فارس، وقومس^(٣).

وتشمل خراسان على عدة كور منها بلخ، ومرو، ونيسابور، ونياطوس، وهرات، وكروخ، ويوشنج، وسنتحدث عن بعض هذه الكور (المدن) بقليل من الإيضاح بعد أن نوفي خراسان حقها، ويقول المقدسي: أن العرب كانوا يعتبرون خراسان وفارس شيئًا واحدًا^(٤)، ونعتقد أن ذلك يعود لأهمية خراسان؛ لكون إقليم فارس أقرب الأقاليم الإيراني للعرب.

أما عن أهمية خراسان فقد أوجزها إمام الدعوة العباسية محمد بن علي العباسي، أثناء خطبة له، حيث قال عندما أراد أن يوجه الدعوة إلى الأنصار: (أما الكوفة وسواها فشيعة على وولده، وأما البصرة وسواها فعثمانية تدين بالكف،

(١) ولكن الأسماء كثيرا ما تحمل أكثر من تعليل واحد ، فهناك رواية تقول إن خراسان هو ابن عالم بن سام بن نوح، وقد خرج من بابل مع أخيه " هيطل"، ونزل كل واحد منهما في البلد المنسوب إليه، فأقام خراسان في هذه المنطقة فعرفت باسمه خراسان وصل هيطل" في بلاد ما وراء النهر قسميت بلاد الهياظلة (محمود شاکر، خراسان، المكتب الإسلامي، بيروت) ط ١٩٨٦م، ص ٠٨.

(٢) ولبر إيران ماضيها وحاضرها من الترجمة العربية ، ص ٥١.

(٣) أبو الفداء، تقويم البلدان ص ٤٤١ .

(٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٥٣.



وتقول: "كن عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل"، وأما الجزيرة فحرورية مارقة^(١)، وطاعة مروان وعداوة راسخة أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان^(٢)، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليها أبو بكر وعمر، لكن عليكم وجهلا متراكما بخراسان، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة، وقلوب فارغة لم تقتسمها الأهواء، ولم تتوزعها النحل^(٣).

وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب^(٤)، ولهم أصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة^(٥) وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق، وإلى مطلع سراج الدنيا وصباح الخلق^(٦).

وأهمية خراسان هذه - وخاصة السياسية منها تمتد إلى ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد فارس، حيث ارتبط اسم هذه الولاية (خوراسان أو خاروستان) - عند الفرس - ببلاد الشمس المشرقة المزدهرة سياسيًا واقتصاديًا^(٧)، وظل ازدهارها السياسي حتى العصر العباسي، حيث اعتمدت الخلافة العباسية اعتمادًا أساسيًا على موارد هذا الإقليم الاقتصادية وإمكاناته البشرية، مما دعم من ثقلها السياسي في المنطقة الشرقية، لكون الخراج يخرج من خراسان، ويرسل في صدر الإسلام مع خراج سجستان دفعة واحدة إلى الخلافة في بغداد فسجل لنا قدامة ابن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) في "كتاب الخراج" أن خراسان وحدها كانت تقدم ٣٧ مليون درهم لبيت المال سنويًا

(١) وفي نص المقدسي (فحرورية صادقة واعراب كالأعلاج مسمون في اخلاق نصاري احسن التقاسيم ، ص ٢٩٣ .

(٢) وفي نص المقدسي (فحرورية صادقة واعراب كالأعلاج مسمون في اخلاق نصاري احسن التقاسيم ، ص ٢٩٣ .

(٣) وجاء في نص المقدسي كذلك "لم تتوزعها النحل ولم يقرح فيها الفساد" ص ٢٩٣ .

(٤) يقصد بذلك انهم رجال يعتمد عليهم .

(٥) يعنى أنهم أكثر الشعوب الإسلامية سخطا وتدمرا على الأمويين وأكثرهم جرأة على مناهضهم .

(٦) الفقيه الهمداني مختصر كتاب البلدان ، ص ٢١٥ وانظر : جمال الدين سرور ، الحياة السياسية ، ص ٦٦ .

(٧) أبو سيف ، خراسان ، ص ٦ .



(١)، ولما ظهر الخوارج في هذه الأقاليم، وازداد نفوذهم، كان الخراج ينك (يتعطل) بين الحين والآخر، طبقًا لمعدلات الانتصار، أو الهزيمة (٢).

لهذا اعتبرت الخلافة العباسية خراسان مقرا للسلطة السياسية في المشرق الإسلامي منذ بداية العصر العباسي (١٣٢هـ - ٧٤٩م)، حيث أعطت الخلافة العباسية لهذه الولاية امتيازًا خاصًا عن بقية الولايات لما قدمه أهل خراسان من مساندة للدعوة العباسية (٣).

ونظرًا لهذه التميزات التي اختصت بها خراسان حصلت على ما يشبه الزعامة السياسية فوصلت في المنطقة، حيث فوضتها الخلافة في الإشراف الإداري على بقية الولايات الشرقية خراسان بهذا الإجراء إلى درجة كبيرة من النفوذ السياسي على بنية الولايات، مما دفع بالقوى السياسية إلى التصارع فيما بينها لامتلاك خراسان بوصفها أهم الولايات الشرقية (٤).

ولعبت خراسان بمراكزها الثقافية فيما بعد والحضارة الإسلامية دورًا كبيرًا في خدمة الإسلام وظهر فيها العلماء، ومن أبرزهم: النيسابوري، والبيروني وابن سينا، والغزالي والجويني والثعالبي.

(١) أبو الفرج قدامه بن جعفر الكاتب البغدادي، "كتاب الخراج" داخل أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن مرداذبه كتاب المسالك والممالك ليدن: إيرل ١٨٨٩،
(٢) راجع ظاهرة كسر الخراج عند حسن محمود، الإسلام في آسيا الوسطى، ص ٣٢.

(٣) أبوسيف، خراسان، ص ٨٥.
(٤) نفس المرجع ص ٦، ٧.



أما أشهر مدن أو كور خراسان فهي كما يلي:

بلخ: هي مدينة خراسان العظمي،



وهي ذات قسمين الغربي منها في جرجان والشرقي في طخارستان وتقع بلخ في أرض مستوية، وبينها وبين أقرب الجبال إليها نحو أربعة فراسخ، وهو جبل "كو"، وبها نهر (دماس)، ولها سبعة أبواب غزاها الأتراك سنة (٥٥٠هـ / ١١٥٥م)، وخرّبوا بناءها(١).

نيسابور: من أعظم وأحسن المدن الخراسانية،



وتعرف ب(عتبة الشرق)، بها معادن الفيروزج، وينسب إليها الإمام العلامة (رضي الدين النيسابوري) وسميت "نيسابور" لأن "سابور الملك لما رآها قال: يصلح أن يكون

(١) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٣٦٢.



هاهنا مدينة، فأمر ببنائها، وكان العجم يسمونها " نشاور " (١). وقد اتخذها طاهر بن الحسين (٢) لما تولى أمر خراسان عاصمة له، وكان منها يصدر القرار بتعيين من يتولى السلطة على خراسان، حتى سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م (٣).

نسا: من مدن خراسان التي



دخلها عبدالله بن عامر والي البصرة (٤)، وأتاه صاحب نسا، وصالحه على ثلاثمائة ألف درهم، ويقال على احتمال الأرض من الخراج على أن لا يقتل أحدًا ولا يسببه (٥)

(١) القزويني ، آثار البلاد ص ٤٧٣ .

(٢) طاهر بن الحسين اسمه طاهر بن الحسين بن زريق ماهان الخزاعي ولد سنة ١٥٩ هـ وهو أشهر قائد في قوات الخليفة العباسي المأمون وكان يعرف بذي اليمينين وفاته ٢٥ جمادى الآخرة ٢٠٧ هـ، وقد سيره لمحاربة أخيه الأمين من خراسان لما خلع بيعته فقتل طاهر إلى بغداد بعد كسر جيش الخليفة بالري وأخذ ما في طريقه من البلاد وحاصر بغداد وقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى خراسان وعقد للمأمون على الخلافة فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته وقد قام المأمون بتوليته على خراسان سنة ٢٠٥ هـ وأسس هناك الدولة الطاهرية وتوفي في ٢٠٧ هـ.

(٣) ابن طيفور ، كتاب بغداد، ص ٢٣ ابن طيفور (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ) أحمد بن طيفور (أبي طاهر) الخراساني، أبو الفضل: مؤرخ، من الكتاب البلغاء الرواة. أصله من مرو الروذ، ومولده ووفاته ببغداد. كان مؤدب أطفال. له نحو خمسين كتابا، منها (تاريخ بغداد) طبع منه المجلد السادس، و (المنتور والمنظوم) أربعة عشر جزءا بقي منها جزآن. أحدهما الحادي عشر، طبعت قطعة منه باسم (بلاغات النساء) والآخر الثاني عشر، مخطوط.

(٤) سرور، الحياة السياسية في الدولة العريقة ، القاهرة ط ٥، ١٩٧٥، ص ٥٤١ عبد الله بن عامر (٤ - ٥٩ هـ) هو: عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي، أبو عبد الرحمن: أمير، فاتح. ولد بمكة. وولي البصرة في أيام عثمان (ع) قال الإمام علي (ع) ابن عامر سيد فتيان قریش. ولما بلغ معاوية (ع) نبأ وفاته قال: يرثيها الله عبد الرحمن، بمن نفاخر ونباهي. ينظر: الأعلام للزركلي (٤ / ٩٥).



مرو: من المدن الرئيسية في إقليم خراسان.



وظلت حتى زمن كبير هي العاصمة السياسية للإقليم، ولها ذكر كبير في التاريخ الإسلامي، بل هي من أشهر المدن الخراسانية وأقدمها، بناها (ذو القرنين) (١).

مرات: من المدن الهامة بخراسان بداخلها المياه الجارية والأرض المستوية المنبسطة، والجبل منها على نحو فرسخين، وقد فتحها الجيوش الإسلامية في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم أكمل الفتح في عهد الدولة الأموية (وضمت معها بلخ وكابول وغزنة) (٢).

مما تقدم من عرض موجز لجغرافية المشرق الإسلامي، يتضح لنا أنه بفضل طبيعته المعطاءة ساعد على وجود حالة من الرخاء والتقدم والازدهار الاقتصادي الواسع، وأن تنفق على بغداد من المشرق ثروات هائلة وأموال منتظمة، كل ذلك دفع الخوارج إلى التطلع إلى المشرق والاستقرار فيه والانطلاق منه. ولكن ما هو أثرهم على المشرق؟ هذا ما سنحاول بحثه فيما يلي من فصول.



(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج ٣ ص ٥٠٠.
 (٢) القزويني، المصدر السابق، ص ٣٦١. دمرها التتار سنة ٦١٧هـ،
 (٣) اللغوي، تهذيب الأسماء ج ١، ص ٢٧٠.

ما وراء النهر:



يقصد ببلاد ما وراء النهر البلاد التي وراء نهر جيحون بخراسان من الناحية الشرقية^(١)، وبلاد ما وراء النهر عبارة عن إقليم عظيم من أخصب أقاليم الإسلام وأكثرها خيرا تحيط به من الغرب حدود خوارزم، ومن الجنوب نهر جيحون، يسكنه الأتراك^(٢) وبه عدة مدن هي: بخاري، وسمرقند والشاش وفرغانة وأشرو سنه، وكان ملك هذا الإقليم يلقب بخاقان شابه^(٣).

وكانت بلاد ما وراء النهر - تابعة إداريًا لسلطة عامل خراسان^(٤)، منذ الفتح العربي أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان حتى صدور منشور الخلافة العباسية في (٢٥١ هـ / ٨٦٥م) بفصل ولاية ما وراء النهر إداريًا عن ولاية خراسان نظرًا لقوة حكم السامانيين في بلاد ما وراء النهر^(٥).

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج ٣، ص ٧٧٥.

(٢) الإصطخري، المسالك والممالك، ص ١٦٠ وانظر: ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٣٩

(٣) Barthold For Studies on the History of Central Asia, Vol. 1, p. 15-16. بارثولد

دراسات تاريخ آسيا الوسطى، المجلد ١، ص ١٥-١٦.

(٤) أبو سيف: خراسان، ص ٨٣.

(٥) المصدر نفسه.



ولم تأخذ فتوحات العرب لبلاد ما وراء النهر مظهرها الجدي، إلا منذ أن وُلِّيَ الحجاج على خراسان القائد العربي الكبير قتيبة بن مسلم الباهلي رضي الله عنه (١) في سنة ٧٠٥هـ/٨٦م) في أول خلافة الوليد بن عبد الملك، وفي أول ولايته وجّه قتيبة من مرو أخاه صالحاً (٢)، فغزا بلاد فرغانة، وافتتح كاسان وأدرشت، وخشكت مدينة فرغانة القديمة (٣).

ويقول البلاذري: " كان الحكم بن عمرو الغفاري (٤) أول من صلّى من وراء النهر" (٥)، وأن " أول من قطع المهر سعید بن عثمان بن عفان " (٦).

(١) قَتَيْبَةُ بن مُسْلِم (٤٩ - ٩٦هـ) هو: قَتَيْبَةُ بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، أبو حفص: أمير، فاتح، من مفخر العرب. كان أبوه كبير القدر عند يزيد بن معاوية. ونشأ هو في الدولة مروانية. فولى الري في أيام عبد الملك ابن مروان، وخراسان في أيام ابنه الوليد. ووثب لغزو ما وراء النهر، فتوغل فيها. وافتتح كثيراً من المدائن، كخوارزم، وسجستان، وسمرقند. وغزا أطراف الصين وضرب عليها الجزية. وأذعنت له بلاد ما وراء النهر كلها. واشتهرت فتوحاته، فاستمر ولايته ثلاث عشرة سنة، وهو عظيم المكانة مرهوب الجانب. قال احد الأعمام بعد مقتله: يا معشر العرب قتلتم قتيبة، والله لو كان فينا لجعلناه في تابوت واستفتحنا به غزونا. وقال المرزباني: وأهل البصرة يفخرون به وبولده. ينظر: الأعلام للزركلي (١٨٩/٥).

(٢) صالح بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي أخو قتيبة بن مسلم أبوهما مسلم بن عمرو وكنيته أبو صالح، مما يدل على أن صالحاً أكبر من قتيبة أخوه ، كان مع قتيبة حينما ولاه الحجاج ولاية خراسان سنة ٧٠٤هـ/٨٦م. فيعد أن استعاد قتيبة طخارستان إنصرف إلى مرو فاستخلف على الجند أخاه صالحاً، ففتح صالح مناطق فرغانة وكاشان وأورش و أخسيكث بما وراء النهر ،وعندما ثار قتيبة على الخليفة سليمان بن عبد الملك تألبت عليه الناس، فأرسل صالحاً إلى حشود الناس الناقمة، فرماه أحدهم فأصاب رأسه، فحمل إلى قتيبة فجلس عنده ساعة حتى مات، وكان مقتله في فرغانة وقد قتل معه بعض أخوته وأهله ومن بينهم أخاه قتيبة. وكان ذلك سنة ٩٦هـ.

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، قسم ٣ ، ص ٥١٧ البلاذري ت ٢٧٩ هـ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري: مؤرخ، جغرافي، نسابة، له شعر. من أهل بغداد. جالس المتوكل العباسي، ومات في أيام المعتمد، وله في المأمون مدائح. وكان يجيد الفارسية وترجم عنها كتاب (عهد أزدشير) . ينظر: الأعلام للزركلي (١/٢٦٧) .

(٤) الحكم بن عمرو الغفاري، يقال له الحكم بن الأقرع، وهو أخو رافع بن عمرو الغفاري، غلب عليهما أنهما من بني غفار بن مليل، وليسا عند أهل النسب كذلك، إنما هما من بني نعيلة بن مليل أخي غفار ، وينسونهما الحكم ورافع ابنا عمرو بن مجدع بن حذيم بن الحارث بن نعيلة بن مليل بن ضمرة، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورويا عنه، وسكنا البصرة. بعثه زياد على البصرة واليًا في أول ولاية زياد العراقيين، ثم عزله عن البصرة، وولاه بعض أعمال خراسان، ومات بها. ويقال: إنه مات بالبصرة سنة خمسين. وقيل: بل مات بخراسان سنة خمسين، ودفن هو وبريدة الأسلمي في موضع واحد، أحدهما إلى جنب صاحبه. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/٣٥٨).

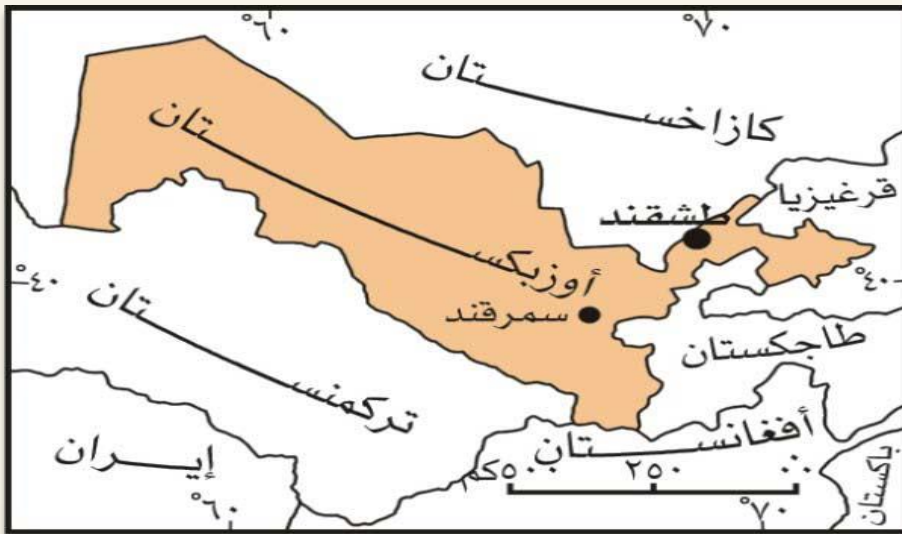
(٥) البلاذري، فتوح البلدان ، ج ٣، ص ٧٧٥.

(٦) سعيد بن عثمان وفاته نحو ٦٢ هـ هو سعيد بن عثمان بن عفان الأموي القرشي: وال، من الفاتحين. نشأ في المدينة. وبعد مقتل أبيه وفد على معاوية، فولاه خراسان سنة ٥٦ هـ ففتح سمرقند، وأصبحت عينه بها. وعزل عن خراسان سنة ٥٧. ولما مات معاوية، انصرف إلى المدينة. فقتله أعلاج كان قدم بهم من سمرقند. ينظر: الأعلام للزركلي (٣/٩٨).



ومن أشهر مدن ما وراء النهر بخارى، ويعبر إليها من أمل الشط ، وهي مدينة على أرض مستوية محاذية لنهر جيحون على معبر خراسان ، ويتصل بها سائر الصغد المنسوب الى سمرقند وأشروسته والشاش وفرغانة ومن أهم مدنها الطواويس وجبالها اهمها جبل ودكة ، وينسب اليها الشيخ الامام البخاري صاحب الصحيح أقدم كتب الأحاديث (١) .

سمرقند:



(١) ابل حوقل: صورة الارض ص ٥٤٧ .



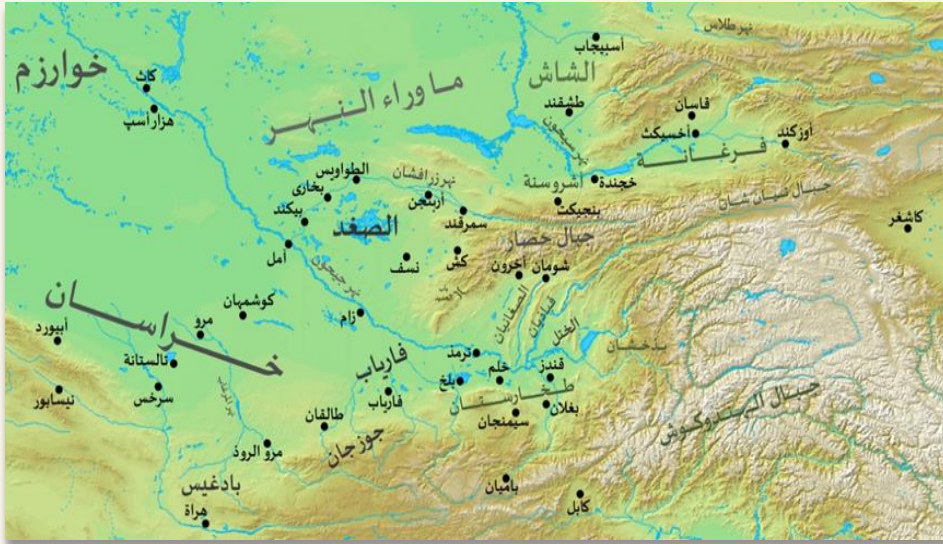


وهي أشهر مدن إقليم ماوراء النهر، تقع جنوبي وادي الصفد، وهي عاصمة الصفد، ومرتفعة على هذا الوادي، وحول سورها خندق عظيم، ويخترقها نهر عظيم^(١)، وسمرقند من المدن التي فتحت بخدعة؛ إذ وضع قتيبة قائد المسلمين في المشرق رجالا من عسكره مثلثمين في صناديق، ثم تظاهر بالانسحاب، فأمر دهيقان سمرقند بإدخال الصناديق إلى المدينة، فلما أدخلت، خرج الرجال منها وفي أيديهم السيوف، وأخذوا لا يستقبلون أحدا إلا قتلوه حتى أتوا باب المدينة ففتحوه فدخل قتيبة بالجيش^(٢).

(١) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٤٩٣. و أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٣، ص ٥٠.
(٢) النيبوري، الأخبار الطوال، ص ٣٢٨ المؤلف: أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ).



أشروسنه:



بلدة كبيرة تقع فيما وراء النهر بين سيجون، وسمرقند وهي إحدى بلاد الإقليم الرابع، والغالب عليها الجبال، وحدودها من الشرق فرغانة وحدودها من الغرب سمرقند، ومن الشمال الشاش، ومن الجنوب حدود كشي والصفانيان وسومان (١).

وآخر أقاليم المشرق الإسلامي ذات الأهمية إقليم خوارزم، فهو إقليم مشهور بمدينة الكثيرة وقراه المتعددة، ويمر بهذا الإقليم نهر جيحون المعروف. وخوارزم هذا إقليم متقطع عن خراسان وبلاد ماوراء النهر، وتحيط به بلاد الترك من الغرب ومن الجنوب خراسان، ومن الشرق ماوراء النهر، ومن الشمال بلاد الترك أيضا وأعظم مدنه كركنج، وتسمى بالعربية "الجرجانية" (٢).

(١) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، المجلد الرابع، ص ٩٧ وانظر ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٩٧.
(٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٤٧٧.



يمثل الخوارج في نظر مؤرخي الفرق الإسلامي كل من خالف، أو خرج على الخلفاء والأئمة سواء في عصر الراشدين أو في العصور التالية (١).

وعند بعض المؤرخين وكتاب الفرق والعقائد، والفلاسفة والأدباء هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب حين قبل التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان (٢).

حيث كانوا يرون أن الفصل في موضوع الخلافة لا يصح أن يوكل إلى البشر، بل ينبغي الاحتكام فيه إلى الحرب والكفاح هذا الرأي على ما بيده هورأي مؤرخي الخوارج (٣)، ويوضح لنا الإسفرائيني والبغدادي (٤) أنه اصطلح على اصلاق لفظة الخوارج على تلك الجماعة التي شايعت علي بن أبي طالب في نزاعة مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم، ثم خرجت عليه وفارقتة الى كورة حروراء (٥).

ولقد أطلقت عليه عدة أسماء وألقاب منها: "الخوارج"، و"الحرورية" و"الشرارة" و"المارقة"، و"المحكمة". والسبب الذي من أجله سموا خوارج هو على علي بن أبي طالب. والسبب الذي من أجله سموا حرورية أنهم لم يرجعوا مع علي إلى الكوفة، واعتزلوا صفوفه، ونزلوا بحروراء، وسموا شرارة لأنهم قالوا: شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة (٦)، ومن المحقق أنهم أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم (الشرارة) اعتقاداً .

بأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا، أو باعوا أنفسهم في سبيل الله (٧). وقد اشتقوه من قوله تعالى: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ

(١) الشهرستاني، الملل والمحل، ج ١، ص ١٠٥ .

(٢) السمانلي، اصدق المناهج، تحقيق سيده كاشف، ص ٢ .

(٣) يحيى بن معمر، نشأة المذهب الأباضي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٩٦٤، ص ١٩ - ٢٠. وينظر: عرفان بن عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ط الارشاد، بغداد، ١٩٦٣، ص ٦٧ .

(٤) الإسفرائيني، التبصير في الدين، ص ٤٦. والبغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٧٥ .

(٥) حروراء: كورة من كور الكوفة على بعد ميلين منها النوى : صحيح مسلم ج ١، ص ٦٣٨ .

(٦) الأشعري، مقالات الاسلاميين، (ج ١/ ص ٢٠٦ - ٢٠٧). Smith : the Ibadites Muslim . 12.p.284 .

. World , vol

(٧) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٥٥ - ١٥٦ .



أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) (١)، وهو الاسم الذي تردد في شِعْرهم وعرفوا به على مدى تاريخهم الحربي، وهو اسم يحبونه أخذوه من قوله تعالى: (من الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله) (٢)، وكثيراً ما ورد هذا الاسم في شعرهم في نغمة تدل على الفخر والاعتزاز (٣).

ومن أسمائهم (المارقة)، وذلك للحديث النبوي الذي أنبأ بأنه سيوجد مارقة من الدين كما يمرق السهم عن الرمية، إلا أنهم لا يرضون بهذا اللقب (٤)، وسموا (محكمة) لإنكارهم الحكمين (عمرو بن العاص)، و (أبا موسى الأشعري)، وقالوا: لا حكم إلا لله (٥). ويروى المقدسي أسماء فوق الخوارج بشكل يختلف قليلاً عما ذكره البغدادي (٦)، وتسمى الخوارج بأسماء أخرى، وفي هذا يقول المقدسي: "ويجمعهم كلهم اسم الخوارج والشراة والحورية والحكمية، ولقبهم المارقة" (٧)، وإذا كان من المحقق أن الخوارج على أنفسهم اسم "الشراة" اعتقاداً بأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا، فلا نستبعد أن يكونوا هم أيضاً الذين سمو أنفسهم "خوارج" (٨).

استناداً منا على قول: زعيمهم عبدالله بن وهب الراسبي (... فخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدعة المضلة (التحكيم) والأحكام الجائرة (٩)، متخذين النهروان دار مستقر لهم) (١٠).

(١) سورة النساء ١٠٠/٤ .

(٢) البقرة ١٠٧/٢ .

(٣) راجع قصيدة معاذ بن جوين بن حصين في ، الطبري ، ج ٥ ، ص ١٨٧ .

(٤) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٥) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٦) المقدسي ، البد والتاريخ ، ج ٥ ، ص ١٣٤ - ٦٣٥ . والبغدادي ، نفس المصدر السابق والصفحة .

(٧) المقدسي ، نفس الكتاب ، الجزء والصفحة .

(٨) يقول المؤرخ pareja أن لقب الخوارج لاقى الرضى والقبول عنهم لأنها تمثل خروجهم في سبيل الله .

(Islamologie,p.815).

(٩) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج ، ص ١٢١ .

(١٠) الطبري ، الرسل والملوك ، ج ١٥ ص ٤ - ٧٥ . والأشعري ، نفس الكتاب والجزء ص ١٢٨ .

والشهرستاني نفس الكتاب والجزء ، ص ١٩٩ ، ٢٠٣ . والبغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٧٥ ، ٧٥ .



ثانياً: الخوارج وفكرهم السياسي والعقدي:

١- نشأة الخوارج:

إذا كان معنى الخوارج هو الإنكار على الإمام العدل والاعتراض عليه، فإن هذا المعنى حدث للرسول القائد الأعلى للمسلمين (١). إذن هل يرجع أصل الخوارج وبدورها الأولى إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟ أم أن الخارجية بدعة نشأت إثر " فتنة صفين"؟ ومن هو أول خارجي؟ .

يوضح لنا الشهرستاني (٢) أن نشأة الخوارج أول النزعة الخارجية قائمة على أساس عقلي، وهو القول بالتحسين والتقبيح العقليين ذلك أن الخارجي الأول حكم هواه، وعقل وأعرض عن النص، الذي هو فعل النبي، فإذا عدّ من خرج على الإمام خارجياً، فممن أنكر على النبي الرسول، أولى بأن يوسم بسمة الخارجية .

كما أن ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) قال: إن أول الخوارج وأشدهم خارجية، وأقبحهم حالة، إنما هو ذو الخويصرة التميمي فهو أول خارجي في الإسلام، وورد في بعض روايات هذا الحديث أنه حرقوص بن زهير (ت ٣٨٨ هـ / ٦٥٨ م) (٣).

ولقب ذو الخويصرة "يستبدل به" ذو الثدية" و"المخرج" والثلاثة بمعنى واحد هو: (رجل مشوّه الذراع ويده قطعة لحم شبيهه بثدي المرأة) (٤).

(١) أخرج البخاري (١٩٤- ٢٥٢ هـ ٨٠٩- ٨٧٠ م) في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن سعد بن مالك الأنصاري (ت ٧٤ هـ / ٦٩٤)، قال: "بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبدالله ذو الخويصرة التميمي فقال: أعدل يا رسول الله؟ فقال: ويلك من يعدل إذا لم أعدل دعه؟ قال: عمر بن الخطاب دعني أضرب عنقه، قال: دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية". ابن حجر، فتح الباري، (ج ١٢/ ص ٢٤٦).

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٣) أخرج هذه الرواية الثعلبي ابو اسحق احمد بن محمد النيسابوري (ت ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م) قال : ان ذا الخور صيرة التميمي وهو مرقوص بن زهير أصل الخوارج (ابن حجر ، ج ١٢ ، ص ٢٤٥ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٤١٦ . وصحيح مسلم، شرح النووي، ج ٧/ ص ١٦٦ . وسيرة الخوارج، ص ٢٤٥ .



ويرى البعض^(١) أنهم (أي الخوارج) خرجوا غضبًا للدين من جور الولاة، وترك عملهم بالسنة النبوية. ونجد نظرة المؤرخين إلى الخوارج اختلفت، فقسم منهم نظر إليهم بوصفهم ضلوا الطريق ومارقوا، وقسم آخر من المؤرخين ربط خروجهم بالغيرة على الدين، والوقوف أمام السلطة الحاثة .

في حين يرى البعض الآخر^(٢)، أن من أعظم هذه الأمور التي حفزتهم على الخروج -غير الحق الذي اعتقدوه- أنهم كانوا يحسدون قريشًا على استيلائهم على الخلافة واستبدادهم بها دون الناس. ولم يقف الأمر عند حسد بعض القبائل القوية لقريش، بل وصل إلى التشابك، فهذا الأشر بن مذحج الهمداني يتصدى لسعيد ابن العاص أمير الكوفة حينما قال: " إنما هذا السواد بستان قريش يرد عليه الأشر، فيقول : " السواد الذي أفاء الله علينا بأسيافنا تزعم أنه بستان ولقومك ثم قاما يتشابكان" ^(٣).

وهناك رؤية أخرى لعبد المنعم ماجد^(٤) مؤداها أن بدو تميم اعتمدت بينهم فكرة الخروج على نظام الخلافة القائم، ورغبتهم في الدعوة إلى نظام جديد للخلافة، تعبر عن تطوع العرب من غير أهل الحجاز، ثم عدم التقيد بالخضوع لقريش.

والملاحظ في تعبير عبد المنعم ماجد (.. أن بدو تميم أنه يقصر الخوارج على تميم، في حين أن الخارجية لم تكن حكرًا على قبيله تميم وحدها، صحيح أن غالبية الخوارج الأول كانوا من تميم^(٥)، ولكن كان منهم أيضًا من انتهى إلى القبائل الأخرى مثل بكر، وهمدان، والأزد، وغيرها .

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج ١٢ ، ص ٢٣٢ ، طبعة اولى ، ١٣٢٥ هـ .

(٢) أبو زهرة ، المذاهب الاسلامية ، ص ١٠٣ .

(٣) لبلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٥ ، ص ٤٠ .

(٤) التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

(٥) الطبري ، الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥١٦ . وابن خلدون ،



٢- ظهور الخوارج :

يستند الدارسون في تفسير ظهور الخوارج على أسس سياسية واقتصادية واجتماعية وللدوافع الاقتصادية والاجتماعية أهمية كبيرة في توضيح التاريخ الإسلامي الأمر الذي عوّل عليه الكثير من المؤرخين^(١).

فظهور الخوارج في أول الأمر ارتبط بمسائل السياسة والحكم، ثم بدأ يتطور مع التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي عم العالم الإسلامي بعد الفتوحات .

وهناك من المؤرخين^(٢) من قدّم العامل الاقتصادي والاجتماعي، فرأوا في ظهور الخوارج انتفاضة لعرب البادية الذين استوطنوا الكوفة والبصرة بعد الفتوح الأولى فهو لاء -وخاصة من كان منهم من قبيلة تميم كانوا قبل الإسلام يعيشون في فقر مدقع، ولم تتحسن أحوالهم كثيرا في ظل الإسلام، بينما كانت القبائل الأخرى تنعم بالثراء وترفل في الترف، فامتألت قلوبهم حقدًا وغيظًا وزاد من ثورتهم تمسكهم

الشديد بالتقاليد والطبائع البدوية كالتعصب للقبيلة والولاء لها، فرفضوا الحكومة السياسية، وتمردوا على نمط الحياة الاجتماعية في ظلها فثورتهم من ثم "تمثل ثورة البدو على سيادة الدولة"^(٣).

لقد اختلف الباحثون في بداوة الخوارج فينقل "فلهوزن"^(٤) عن "برنوف" أنه في رسالته التي ألفها عن الخوارج يرى أنهم من البدو، بينما يرى فلهوزن نفسه أنهم لم يكونوا من البدو، لأن البدو في نظره لم يكونوا متعمقين الدين، وهؤلاء حريصون على التمسك به، ولم يكن القرآن في نظرهم موضوع دراسة نظرية، بل كان عملاً وتقوى،

(١) محمود اسماعيل ، الخوارج وقضية التحكيم،

وانظر : Lewis, B., Some Observations on the Significance of:

Hersey in The History of Islam, Studia Islamic, Vol. I, p. 46.

(٢) راجع أبو زهرة ، المذاهب الاسلامية ، ص ١٠٤ ، أبو النصر ، الخوارج في الإسلام ، ص ١٨ .

(٣) التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

(٤) الخوارج والشيعة ، ص ٢٠ .



وكانوا شديدي التقوى فهم من طبقة القراء (١)، ومذهبهم مذهب سياسي هدفه تقرير الأمور العامة وفقا لأوامر الله ونواهيه .

والرأى عندنا أن الخوارج -سواء كانوا من البدو أم لم يكونوا - هم من الذين أسلموا بصدق، ولكن طبيعة البداوة أَلقت بظلمها على سلوكهم من التشدد في الدين وعدم قبول المناقشة فيما فهموه منه. وطبيعة البداوة لا تتناقض مع شدة التقوى والتمسك بالكتاب كما يفهم من رأى فهلوزن .

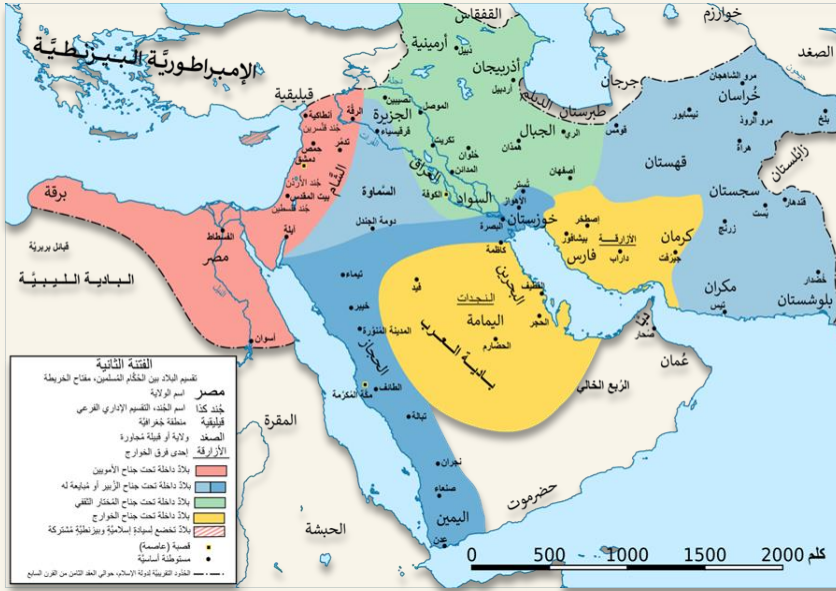
ويكاد يجمع المؤرخون على أن أسباب ظهور الخوارج هو كتاب "التحكيم" الذي قرأه الأشعث بن قيس على الناس والذي جاء مخالفا لرأيهم (٢).

لكن الشهرستاني (٣) له نص يشير إلى وجود سابقة للخوارج على مسألة التحكيم، فلقد أشار إلى إنذار الذين ناقشوا عليا من الخوارج (٤) إنسان لم يقبل التحكيم فسوف يلقي ما لقيه عثمان على أيديهم، وهذا يعنى وجود الخوارج من قبل التحكيم ويعني

أن قبول الإمام علي للتحكيم لم يكن هو السبب الأول والوحيد بظهور الخوارج، بل كان بمثابة الشرارة التي اندلعت منها نار ثورة الخوارج .

(١) فهلوزن ، الخوارج والشيعه ،ص ٢٠ .
(٢) الزين تاريخ الفرق الاسلاميه ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ط ٢ ، ص ٨٨ .
(٣) الممل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٧ .
(٤) نفسه .





فالنص يشير إلى أن الخوارج هم الذين دفعوا عليا لقبول التحكيم، ثم ثاروا عليه بعد ذلك لظهور نتيجة التحكيم المخالفة لرأيهم ، ولقد أشار الشهرستاني^(١)، بعد ذلك النص إلى أنهم كذبوا على "علي ووقفوا في تناقض، وذلك لأنهم قالوا إنه حكم الرجال، وليس ذلك صدقا لأنهم هم حملوه على التحكيم وأيضا لأن تحكيم الرجال جائز، فإن القوم هم الحاكمون في هذه المسألة وهم رجال .

ولدينا من النصوص ما ينفي عن الخوارج شبهة إجبار علي بن أبي طالب على قبول التحكيم، ومما يؤكد خروجهم عليه لرفضهم مبدأ التحكيم من أساسه^(٢).

ذكر ابن جيون - وهو مؤرخ شيعي في كتابه (شرح الأخبار) نقلا عن يحيى ابن يحيى بن آدم عن حبيب بن أبي ثابت أحد رجال صفين أنه: "...لما دعى عمرو بن العاص إلى التحكيم.. ومال أكثر الناس إلى الموادة، جاءت الخوارج وأسيافهم على عواتقهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين أتمنعنا أن نسير بأسيفانا إلى هؤلاء، فنقاتلهم ويحكم الله بيننا

(١) الممل والنحل ج ١ . ص ١٥٧ .

(٢) الزين ، تاريخ الفرق الإسلامية ، ص ٨٨



وبينهم (١)، ويقول: ابن قتيبة (٢) لما سمع على قول الأشعث (٣)، ورأى حال الناس قبل القضية، وأجاب إلى الصلح، قام إلى على أناس وهم القراء منهم عبدالله بن وهب الراسبي في أناس كثير، قد اخترطوا سيوفهم ووضعوها على عواتقهم فقالوا لعلي: اتق الله، فإنك قد أعطيت العهد وأخذته منا لتفنين أنفسنا أو لتفنين عدونا...".

ولو رجعنا إلى الخلف قليلا لتبين لنا أن هذا الخروج لم يأت هكذا فجائيا، أو أنه قام من فراغ، فبعد أن سبقت الخلافة إلى علي بن أبي طالب بات العرب يطعنون عليه سياسته في توليه بني عمه من أولاد العباس بن عبد المطلب حكم الولايات، مثل: عبيد الله بن العباس على اليمن، وقثم بن العباس على الحجاز، فالولاة الجدد من أقارب الخليفة الحالي، كما كان الولاة السابقون من أقارب الخليفة السابق، فكانوا يقولون: "علام إذا قتلنا الشيخ؟" (٤) -يقصدون عثمان بن عفان، ثم لماذا هو (علي بن أبي طالب) يحلل دماء أهل البصرة في "موقعة الجمل"، ويحرم عليهم أموالهم كغنيمة، وكان قد منعهم منها وعوضهم بما كان في بيت المال (مال البصرة) (٥).

هنا تبرز مشكلة هامة، وهي ما مدى حرية الخليفة في التصرف في مال المسلمين؟ فقد كان عثمان يعطي منها الكثير لأقاربه ويعطي على أنصاره ما وجد في بيت (مال البصرة) (٦).

أخذت الصعاب تلاحق علي بن أبي طالب (٧)، منذ اضطر إلى وقف الحرب، وقبول التحكيم، الذي جاءت نتيجته سلبية، فكان أن كاتب أهل الكوفة زملاءهم من

(١) محمود اسماعيل، الخوارج وقضية التحكيم، ص ٦٣.

(٢) هو الأشعث بن قيس الكندي من قبيلة كندة باليمن كانت سيرته غير شريف فانه ارتد مع المرتدين ودفع قبائل كندة للارتداد، وتزعج حركة القبائل العربية المرتدة، ولم يرجع عن غيه الا بعد أن قضى الجيش الاسلامي على معظم القبائل المرتدة. وقد جبي به الى أبي بكر، فعفى عنه، وارجع اليه زوجته أم فروة، وكانت قبيلته تسميه عرف النار الطبرى الرسل والملوك، ج ٣، ص ٣٣٨. وشرح نهج البلاغة، لابن ابى الحديد، ج ١، ص ٢٩٥، وابن قتيبة الامام السياسية، ج ١، ص ١١١. والشهرستاني الملل والنحل، ج ١، ص ١٥٥، والزين، تاريخ الفرق الاسلامية، ص ٨٦.

(٣) (٥) ابن قتيبة الامامة والسياسة، ج ١، ص ١١١.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ج ٣، ص ١٣٢.

(٥) الطبرى، الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٤١ - ٥٤٢.

(٦) نفسه.



أهل البصرة بعزمهم على الخروج فاجتمع أربعة آلاف منهم عند النهروان^(١) وتولى قيادتهم عبدالله بن وهب الراسبي على الأمر بالمعروف والنهي على المنكر^(٢)، ومن رؤسائهم الذين اجتمعوا بالنهروان مع عبدالله بن وهب، زيد بن حصين الطائي، حرقوص ابن زهير السعدي^(٣).

ولعل أول حادث قام به الخوارج وأثار جماعة المسلمين، هو قتلهم عبدالله بن خباب وزوجته، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤)، وربما كان حظَّ عبدالله بن خباب سيئًا حينما قابل الخوارج، وهم في ثورتهم وغضبهم وحينما حاوروه لم تعجبهم محاورته^(٥)؛ إذ اتضح منها أنه يتبع الرجال على أسمائهم، ولا يحاول تفهم المبادئ القويمة التي يدعون إليها، ويخرجون من أجلها فثاروا عليه ومعه سريته، فقتلوه^(٦) فبلغ ذلك عليًا فخرج إليهم في الجيش الذي كان هياؤه للخروج إلى الشام، فالتقى بهم وأوقع بهم بالنهروان في شوال (٣٧ هـ / ٦٥٧ م)^(٧) ولم ينج منهم إلا العشرة، ولا قتل ممن مع علي إلا نحو العشرة^(٨)، كما قتل أميرهم عبدالله بن وهب الراسبي، وانتهت بهذه المعركة تلك القوة المقاتلة الناشئة من الخوارج، ولكن الخوارج لم ينتهوا فكريًا وعقيدة، بل ربما زادتهم هذه المعركة إصرارًا؛ إذ جعلت منهم شهداء ماتوا في سبيل مبدئهم، فترسموا خطاهم، حتى قتلوا الإمام عليًا، ثأرا لمن مات منهم يوم النهروان.

(١) انظر الفصل الخامس بالجغرافية التاريخية للبحث

(٢) ويقول الشهرستاني: ان اول مع بويغ بالامامة من الخوارج عبدالله بن وهب الراسبي في منزل زيد بن حصين بايعه عبدالله بن الكواء، وعروة بن جدير، ويزيد بن عاصم، وجماعة معهم، وذلك في خلافة امير المؤمنين علي (الملل والنحل، ج ١، ص ١٧٩). وانظر كتاب الزين، تاريخ الفرق الإسلامية، ج ٢، ص ٧٤. وابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج ١، ص ١٢١. وانظر الطبري، المصدر السابق ج ٥، ص ٧٤.

(٣) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٢، ص ٢٣٢

(٤) ابن الأثير، نفس الكتاب والجزء، ص ١٧٢.

(٥) ابن الأثير، نفس الكتاب والجزء، ص ١٧٢.

(٦) انظر المحاوره في كتاب ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج ١، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٧) ابن حجر فتح الباري، ج ١٢، ص ٢٣١.

(٨) الطبري، الرسل والملوك، ج ٥، ص ٧٥.

(٩) نفسه.



ويري نيكلسون Nicholson أن النهروان بالنسبة للخوارج أصبحت فيما بعد مثل: كربلاء عند الشيعة؛ لأنها أزكت روح العصبية والتضحية والفداء عند بقاياهم (١).

كما أن هناك من المؤرخين من يؤكد أن النهروان أصبحت رمزًا للاستشهاد في سبيل الحق، وباتت من معالم الخوارج، وأصبح لها شهداء، ومجاهدون، وفقهاء ودعاة ينشرون آراء الخوارج، ويناضلون عنها أشد نضال بالاستناد إلى القرآن وإلى الجدل، وذلك في الفترة ما بين (٤٠. ٦٠هـ / ٦٦٠ - ٦٧٩م) (٢).

لم يكن أصحاب النهروان هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب فحسب، بل إن مجموعات أخرى شقت عصا الطاعة عليه، وأعلنت الخروج على إمامته، فقد خرج الأشرس ابن عوف الشيباني بالدمسكرة (٣) في مائتين من أتباعه، ثم نزل الأنبار، فوجه إليهم على أحد قادته، فقتله في ربيع الأول سنة ٣٨هـ (أيلول ٦٥٨م) (٤)، وخرج هلال بن علقمة بن تميم الرباب، في أكثر من مائتين في "ماسيدان" (٥) فقهرهم معقل بن قيس الرياحي، في جمادى الأولى سنة ٣٨هـ / تشرين أول سنة ٦٥٨م (٦).

وتتالي الخروج على علي بن أبي طالب فخرج الأشعب بن بشر البجلي في قرابة ٣٠٠ رجل في جرجرايا (٧) فبعث إليه على "قدامة السعدي، فقتله وأصحابه، في جمادى الثانية سنة ٣٨هـ / تشرين الثاني سنة ٦٥٨م (٨). ثم خرج في المدائن سعيد بن

(١) . Nicholson: A Literary History Of The Arabs, p. 208.

(٢) سهرير القلموي، ادب الخوارج، ص ٣٥ وانظر الأشعري مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢١١ .

(٣) قرية كبيرة قرب بغداد (ياقوت، معجم البلدان ج ٢، ص ١٤٥) .

(٤) ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٧٢ .

(٥) مدينة بفارس (ياقوت معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١) .

(٦) ابن الأثير، نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٧٢ .

(٧) بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط و بغداد، ياقوت، نفس المصدر ج ٢ ص ١٢٣ .

(٨) ابن الأثير، نفس المصدر ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .



قفل التميمي ومعه ٢٠٠، رجل فخرج إليه سعد بن مسعود فقتلهم في رجب ٣٨ هـ / كانون الأول سنة ٦٥٨ م (١).

لكن أخطر من خرج على علي بن أبي طالب بعد النهروان هو أبو مريم السعدي التميمي، فقد أتى شهرزور (٢)، ومعه مائتا رجل وقيل أربعمائة أكثرهم من الموالي فتوجه بهم صوب العراق، ونزل بالقرب من الكوفة، فأرسل إليه على يدعوه إلى بيعته فأبى إلا الحرب، فبعث إليه أمير المؤمنين شريح بن هاني في ٧٠٠ رجل فهزمهم

أبو مريم، فاضطر على للخروج إليه بنفسه، فهزمهم واستأمن منهم خمسون رجلا، وذلك في رمضان سنة ٣٨ هـ / شباط ٦٥٨ م ووصفهم ابن الأثير (٣) بأنهم أشجع من قاتل من الخوارج.

أردنا من عرضنا لمن خرج على علي بن أبي طالب أن نبين أوائل الخوارج، وزعمائهم في عهد علي بن أبي طالب، وبالتحديد في عام واحد وهو (٣٨ هـ / ٦٥٨ م).

لقد خامر الشك أوائل الخوارج، وداخلتهم الحيرة في موقفهم من علي وقتالهم إياه. ويتبين هذا من موقف فروة بن نوفل الأشجعي، والذي عبر عن شكه فقال: والله ما أدري على أي شيء نقاتل عليا، أرى أن أنصرف، حتى تتضح بصيرتي في قتاله واتباعه (٤) .. واعتزل مع جماعة بشهرزور، وبعد مقتل علي خرجوا على معاوية سنة (٤١ هـ / ٦٦١ م)، وقالوا: "قد جاء الآن ما لاشك فيه فسيروا إلى معاوية فجاهدوه (٥)، وكان لمعاوية كما يبدو دور كبير في نشأة الخوارج، حيث لعبت يده في انقسام جيش علي، وسببت ظهور الخوارج ويقول اليعقوبي (٦) إن أهل الشام لما رفعوا المصاحف،

(١) نفسه .

(٢) كورة واسعة في الجبال بين اربيل و همدان من ارض فارس واهلها كلهم أكراد (ياقوت نفس المصدر ٣٧٥/٣) .

(٣) الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٣٧٢ - ٣٧٣ . وانظر الطبري : الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٩٢ .

(٤) ابن الأثير ، نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٣٤٣ .

(٥) الطبري ، الرسل والملوك ، ج ٢ ، ص ١٦٦ وقال احد الخوارج : (فانه لا عذر لنا في القعود ، وولاتنا ظلمة ، وسنة الهدى متروكة . الطبري ، نفس المصدر ، ص ١٧٤ .

(٦) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .



قال علي: إنها مكيدة^(١) ليسوا بأصحاب قرآن، فاعترض الأشعث بن قيس الكندي^(٢)، وقد كان معاوية استماله، وكتب إليه ودعاه إلى نفسه

حيث قبل مسألة رفع المصاحف^(٣)، فقال: " قد دعانا القوم للحق والقرآن، فلا تدعنا للسيف" ويذكر ابن قتيبة أيضا أن معاوية أرسل عتبة بن أبي سفيان إلى الأشعث وقال له: أَلِنُ إلى الأشعث كلاً، فإنه إن رضي بالصلح رضيت به العامة فناداه عتبة وكلمه .

لكن فلهوزن^(٤) استبعد أن تكون قضية رفع المصاحف مؤامرة بين الأشعث وعمرو بن العاص، وأن يكون الأشعث قد خان علياً لصالح معاوية، في حين لم يستبعد طه حسين ذلك، وقال: " فما أستبعد أن يكون . الأشعث بن قيس وهو ماكر أهل العراق وداهيتهم . قد اتصل بعمرو بن العاص ماكر أهل الشام وداهيتهم ودبرا هذا الأمر بينهما تديباً^(٥)، وأضاف طه حسين أن المؤامرة لم تقف عند رفع المصاحف ، بل ظهر ما هو أشد منها خطراً وهو اختيار الحكيمين^(٦) .

والواقع أن الأحداث التي تعرضت لها الأمة الإسلامية، وصدعت كيانها، ودعت بل وأرغمت أكبر المسلمين إلى أن يتخذوا مواقف معينة إزاءها تلك الأحداث وتلك التصرفات فنشأت الفرق بنشوء تلك المواقف في تلك التصرفات، وظهرت الآراء إزاء أحداث واقعية حية ملموسة.

(١) الزين ، تاريخ الفرق الإسلامية ، ص ٨٥ .

(٢) يذكر لنا التاريخ ان الاشعث هذا ارتد عن الاسلام بعد وفاة الرسول ﷺ وحاربه ابوبكر ، فلما رأى الهزيمة اوشكت أن تحيق به ، كتب الى ابي بكر يعلن عودته للاسلام ويطلب العفو . وعفا عنه ابو بكر ولكن اغلب الظن ان الاسلام لم يتعمق في طبقات قلبه (النورى) ، تهذيب الاسماء، القسم الاول ، ج ١، ص ٢٢٢ وللأشعث هذا ابن اسمه محمد ، خان عهده بعد أن امن مسلم ابن عقيل ، وسرعان ما اسلمه الى حتفه ، ولم يببال بما قد مطه من الوعود "الطبرى ج ٤ ، ص ٢٨٠ للأشعث هذا حفيد اسمه عبدالرحمن بن محمد الأشعث، وسيأتي ذكره في محاولته اسقاط الدولة الاموية وتوليه الخلافة .

(٣) البيهقي ، تاريخ ، ج ٢، ص ١٨٨ - ١٨٩

(٤) الخوارج والشيعية ، ص ٢٨ - ٢٩ - ٣٠

(٥) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ج ٢ ، ص ٨١ .

(٦) نفسه ، وانظر ابن اعثم ، الفتوح ج ٣ من ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .



والذي يهمننا الآن منها موقف الخوارج الذين وقفوا موقفا حاسما قاطعا، ولم يكن موقفا نظريًا محضًا، وإنما موقفا عمليًا، ونشأتهم لم تكن نتيجة العاطفة السياسية فقط، وإنما هي عاطفة دينية في جوهرها ولقد أدرك المستشرق نيكلسون هذه الحقيقة فقرر أن الدافع للخارجية إنما هو دافع ديني^(١)، ولا شك في أن العنصر السياسي متضمن فيها، لأن الحقيقة القرآنية حقيقة دينية سياسي ولا فصل فيما بينهما .

وعلى ذلك نستطيع القول بأن نشأة الخوارج لا ترجع إلى العاطفة فحسب، بل إنها تنطوي على عنصر عقلي أساسي في تكوين الفرق والأحزاب وهو التأويل، وذلك استنادا إلى رأي ابن حجر العسقلاني في ذلك^(٢) نستطيع أن نستخلص مما سبق من الآراء المويدة بالنصوص، أن بذرة الخوارج الأولى نبتت في عهد النبوة، ثم ترعرعت في خلافة عثمان، وبلغت أوجها في زمن علي في فتنة صفين ثم النهروان والنخيلة .

ولسنا في حاجة إلى إعادة سرد النصوص التي تبرهن على ذلك؛ لأن الخارجيين على عثمان انشقوا على امام شرعي ، وسلّوا سيوفهم في وجهه، واجترأوا عليه وقتلوه، لأغراض ومقاصد شتى، ولقد أدرك هذه الظاهرة وتطورها أحد أئمة الشريعة، وهو أبو بكر محمد بن الحسن الأجرى (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)، ويسجل تطورهما مرحلة مرحلة كما يبدو من هذا النص: " وأول قرن طلع منهم " الخوارج على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو رجل طعن على النبي صلى الله عليه وسلم " وهو يقسم الغنائم بالجعرانة، فقال: اعدل يا محمد، ثم خرجوا بعد ذلك من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان.. ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٣)، معنى ذلك أن ثورة الخوارج قائمة على أساس الشعور بأن هناك شيئًا في الحياة السياسية والاجتماعية والأخلاقية قد انحرف أو أن

(١) أبو النصر ، الخوارج في الاسلام ، دار المعارف، ط ٢، ص ١٤٦ .

(٢) فتح الباري ، ج ١٢ ، ص ٣٤٦ .

(٣) كتاب الشريعة القاهرة، ط ١٣٦٩ / ١٩٥٠ ص ٢٢ .



هناك تغيراً حدث لم يكن في عهد عمر بن الخطاب، ﷺ، ومن هنا فإن الخوارج فهموا أو أحسوا أن هناك انحرافاً عن الحقيقة القرآنية نفسها (١). فأوجبوا على أنفسهم إنكار هذا الانحراف والجهاد في سبيل الله ونستطيع أن نقول إن الخوارج ثاروا على الظلم: ثاروا على تلك السياسة التي اختطها القرشيون ليكونوا حكاماً للمسلمين (٢)، سواء كانوا يستحقون أو لا يستحقون فالخوارج

من هذه الزاوية حزب سياسي وحسب (٣)، كما ثاروا على الفوارق البغيضة التي استنها حكام بني أمية بين العرب والموالي. لهذا تميزت الحركة الخارجية (٤)، عن غيرها من العناصر السرية المعادية للخلافة الإسلامية، فكان ذلك الإنكار وذلك الخروج أصلاً للمذهب السياسي الخارجي العملي والنظري (٥) ومنه انبثق مذهب سياسي جديد، وتيار فقهي يستند إلى القرآن، وإلى الإجماع الإسلامي، قام منذ أن خرجوا لتكون الخلافة حقاً لكل مسلم كفاء يجتمع فيه العلم والعدل والزهد (٦)، وإذا جار السلطان وجب عزله، فإن امتنع جاز قتله، ومن خرج عن الإمام العادل، وجب قتله، وليس من حق الإمام الذي اختاره المسلم أن ينزل عن الإمامة (٧).

فأخلصوا لعقيدتهم، وقاتلوا دفاعاً عنها، ولهذا نظر إليهم كثير من خيرة الناس نظرة عطف وإشفاق فقد روي أن علي بن أبي طالب في آخر أيامه قال: "لا تقاتلوا الخوارج بعدي (٨) فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه" يريد أن يقول: إن الخوارج طلبوا الحق، ودافعوا عن عقيدة اعتقدوها وإن أخطأوا فيها، وأما

(١) أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٦٤

(٢) Muir : The Caliphate P.229.

(٣) سهير القلموي، أدب الخوارج في العصر الأموي، المقدمة، ص هـ.

(٤) نفس المصدر، ص ٢٢.

(٥) ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج ٥، ١٤١.

(٦) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٧٤ ومابعدا.

(٧) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٦٣.

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢٩٠. وانظر: الناصري منهج المعارج لأخبار الخوارج، منشور الناصري مخطوطة. بدار الكتب المصرية ورقة رقم ٢١٤٤، تاريخ تيمور، ص ٧.



معاوية فكان لا يطلب حقا، وإنما كان يطلب باطلا ويدافع عنه وقد أدركه . ولما سئل علي بن أبي طالب عن هل النهروان أكفارهم ؟ قال: من الكفر فرّوا، قيل: منافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، وهؤلاء يذكرون الله بكرة وأصيلا، قيل فما هم؟ قال: "قوم أصابهم فتنة فعموا فيها وصموا" وفي الطبري (١) قال: "إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم لبغهم علينا".

وبالرغم من ذلك فإننا نرى أن هذه الفتنة (التحكيم) - التي تأجج سعيها بين المسلمين، وشتت الشمل، وصدعت الوحدة الإسلامية ، وجعلتهم شيعةً وأحزابا متنافرة متعادية متناحرة لا ترجع إلى سبب واحد (التحكيم) وإنما ترد إلى عدة ودعا

عوامل متشابكة فالأسباب الاجتماعية تكونت داخل المجتمع الإسلامي نفسه، عن طريق انتمائه ونموه واتساعه، وتعدد أجناسه، ومنها ما يرجع إلى أسباب اقتصادية، نتيجة الثروات التي أوجدت بينهم الصراع والتنافس، ومنها ما يرد إلى مؤامرات سرية هدفها تخريب المجتمع الإسلامي من داخله وتقويض أساسه ، كما أن للخلافة دورًا كبيرًا في ظهور الفرق الإسلامية فضلا عن آراء كافة علماء المسلمين وعامتهم (٢).

وقد حمل الشهرستاني بني أمية مسئولية ما وقع من أحداث في أواخر عهد عثمان، فقال: "وجاروا فجبر عليه، ووقعت في عهده أحداث كلها محالة على بني أمية" (٣)، فقد كانت الدولة الأموية انتقالا بين الخلافة - زمن الخلفاء الأربعة وبين الحكم الوراثي المطلق في العصر العباسي وقد أكد العباسيون على أن الخلافة حق شرعي لهم، وعلى أنها ميراث لهم عن جدهم العباس -عم الرسول صلى الله عليه وسلم- " والعم مقدّم في الميراث من النبي صلى الله عليه وسلم على غيره سواء أكان من الأمويين

(١) الرسل والملوك ج ٥ ، ص ٧٣ .

(٢) السبائي ، مخطوطه ازالة الوعناء عن ابي الشعثاء، تحقيق سيده كاشف ، ص ٦٠،

(٣) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٤ ، وينظر: (ج ١/ ص ١٦٣ - ١٦٤).



أم من العلويين (١)؛ لذلك أخذ العباسيون عن الفرس فكرة الحق الإلهي المقدس في الحكم، بمعنى أن السلطة للخليفة العباسي مقدسة، ومستمدة من الله تعالى (٢)، وعليه فاننا نتفق في الرأي مع بعض المؤرخين (٣) حينما قالوا: يتضح لنا أن أسباب ظهور الخوارج هي تعبير عن تناقضات اقتصادية واجتماعية اكتسبت طابعاً دينياً نتيجة تفجير تلك التناقضات من خلال مشكلة الإمامة؛ لذلك فجماعة الخوارج تشكل حزباً سياسياً يتبنى مبدأ العدالة الاجتماعية كما نادي بها الإسلام .

٣- فرق الخوارج:

أولاً: الأزارقة:

أشهر فرق الخوارج، وتنتسب إلى صاحبها ورئيسها نافع بن الأزرق الحنفي (المكنى بأبي راشد) (٤)، ويذكر البغدادي (٥): (٢) أنهم أكثر فرق الخوارج عدداً، وأشدهم شوكة، وقد بدأ أمرهم فيما برّد به لنا . المبرد . بأن مولى لبني هاشم جاء إلى نافع فزين له رأيه فقال: " إن أطفال المشركين في النار ، وإن من خالفنا مشرك فدماء هوءاء الأبطال لنا حلال " فقال له نافع: "كفرت وأدلت بنفسك" فأخذ هذا المولى يؤول آيات القرآن؛ ليثبت صدق مقالته، وينجو من القتل، فأؤل له قوله تعالى: {وقال نوح رب لا

(١) الطبري ، الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٧٦ . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، طبعة القاهرة ، ١٩١٣ ، ج ٣ ، ص ٣٧٠ . وانظر : المسعودي ، مروج الذهب . ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٢) محمود اسماعيل الحركات السرية في الإسلام ، ص ١٥

(٣) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٤) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ . نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم. كان أمير قومه وفقههم. من أهل البصرة. صحب في أول أمره عبد الله بن عباس. وله (أسئلة - ط) رواها عنه، قال الذهبي: مجموعة في (جزء) أخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير. وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على (عثمان) والوا عليا، إلى أن كانت قضية (التحكيم) بين علي ومعاوية، فاجتمعوا في (حروراء) وهي قرية من ضواحي الكوفة، ونادوا بالخروج على علي، وعرفوا لذلك، هم ومن تبع رأيهم، بالخوارج وكان نافع (صاحب الترجمة) يذهب إلى سوق الأهواز، ويعترض الناس بما يحير العقل (كما يقول الذهبي) ولما ولي عبيد الله بن زياد إمارة البصرة (سنة ٥٥ هـ في عهد معاوية، اشتد على (الحروريين) وقتل (سنة ٦١) زعيمهم أبا بلال: مرداس بن حذير قتل يوم (دولاب) على مقربة من الأهواز سنة ٦٥ هـ الأعلام للزركلي (٧/ ٣٥١)

(٥) الفرق بين الفرق ، ص ٩٤ - ٩٥ .



تذر على الأرض من الكافرين ديارًا ، إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا { (١) ، فمال نافع إلى رأيه ، وأخذ يستعرض الناس (٢) .

أخطأ نافع بن الأزرق في تأويل الآيات القرآنية، حين نظر إلى بعضها معزولة عن آياتٍ أخرى لها صلةٌ بها دون أن يربطها بأسباب النزول، ودون أن ينظر نظرة شمولية للقرآن الكريم، فوقع فيما وقع فيه سواه من الخوارج، حين عزلوا أنفسهم عن النظرة نفسها .

ولما خرج نافع بن الأزرق وأتباعه من البصرة إلى الأهواز، وتبّى آراء متطرفة، تخلى عنه كثير من الخوارج (٣)، وعارضوا الأفكار التي طرحها "الأزارقة" وكونوا جماعاتٍ، وفِرَقًا خاصة بهم، فظهرت فرق الصفرية، والنجديات والإباضية وغيرها . فذهب سالم بن مطر مولى (٤) بنى زمان بن مالك بن وائل، وأبو فدبك عبد الله بن ثور من قيس بن ثعلبة، وعطية بن الأسود الحنفي إلى اليمامة (٥) فاختيار هوء لاء اليمامة لا بد أن يكون ناتجًا عن إدراكهم أن الأوضاع هناك تلائم مجيء الخوارج إليها ، وأنّ لهم فيها من يساندهم ، ويعطف عليهم ، ولعل للشعور القبلي أثرًا في ذلك وأنهم من عشائر اليمامة، فاختراروا أبا طالوت رئيسا لهم ، على أن يكون لهم حق إبداله ومبايعة من هو أفضل منه عندما يجدون ذلك (٦) .

(١) سورة نوح ٢٦ / ٧١ - ٢٧ . وانظر : المبرد ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٨٤ .

(٢) الاصفهاني ، الاغانى ، ج ٦ ، ص ١٣٤ .

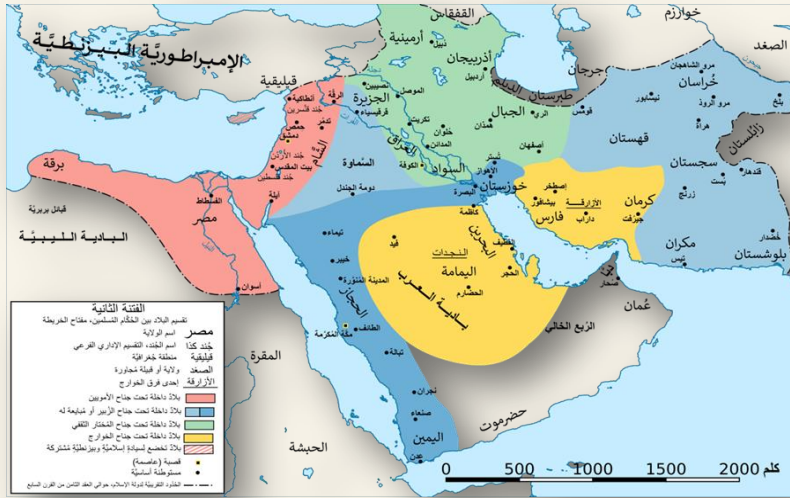
(٣) البلاذري أنساب الأشراف ، ج ٦ ، مخطوط ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٣٠ ، وأيضا ج ١١ ، ص ٨٠ - ٨٣ ، والمبرد ، الكامل ، ج ٢ ، ص ١١٧ - ١١٨ ، والطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ ، وابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، والذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ ، وابن خلدون ، التاريخ ، مجلد ٣ ، ص ٣١٠ - ٣١١ ، ودائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ٨ ، ص ٤٧٢ ، وفهوزن الخوارج والشيعه ، ص ٦٦ .

(٤) في بعض الروايات انه من بني زمان وليس مولا هم ابن الاثير الكامل ح ٤ ، ص ١٦٧ .

(٥) ابن الأثير ، نفس الكتاب والجزء ، ص ١٢٣ .

(٦) السهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٦٢ .





ويقال: إن زعماء الخوارج الذين تخلفوا عن نافع، وكوّنوا الفرق الخارجية الأخرى كانوا في الأصل من أتباعه ، فيذكر الدنيوري أن الأزارقة في أول أمرهم كانوا أربعين رجلا وفيهم من عظمائهم: ابن الأزرق وعطية بن الأسود، وعبدالله بن صفار وعبدالله بن أباض، وحنظلة بن بهس، وعبيدالله بن الماحوز (١) وربما كان ذلك قبل أحداث نافع ومخالفته لما أجمعت عليه الخوارج .

وهؤلاء الخارجون عن ابن الأزرق أو المنفصلون عنه سرعان ما أطلق عليهم " أهل الوقوف لأنهم اعتبروا آراء ابن الأزرق التي نادى بها مخالفة للقرآن والسنة ولآراء الخوارج القدماء فوقفوا عند الشبهة وأطلق عليهم " أهل الوقوف وقالوا لنافع : " أحدثت ما لم يكن عمله السلف من أهل النهروان وأهل القبلة، فقال: هذه حجة قامت على ولم تقم عليهم(٢)) اختلف بعض المؤرخين فيمن أحدث بدع الأزارقة من زعمائهم ، فعلى الرغم من أن أكثر المصادر تتفق على أن نافع هو الذي أحدثها ، فإن

(١) الدنيوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٦٩ .

(٢) تاريخ مصنف ، مجهول ، ج ١١ ، ص ٧٨ - ٧٩ .



الأشعري^(١) يذكر أن عبد ربه الكبير هو الذي جاء بها البغدادي^(٢) يتفق مع الأشعري في خبره لكنه يعود فيقول: "وقيل عبد ربه الصغير". ويعدد الشهرستاني^(٣) قادة الخوارج الذين كانوا من أصحاب نافع بن الأزرق، ثم أصبحوا من زعماء الأزارقة، فيذكر منهم: عطية بن الأسود الحنفي، وعبدالله بن الماحوز، وأخويه عثمان والزيبر، وعمرو عمير العنبري، وقطري بن الفجاءة، وعبيدة بن هلال اليشكري وأخاه محرز بن هلال وصخر التميمي، وصالح بن مخراق العبدي، وعبد ربه الكبير، وعبد ربه الصغير، ويقول ابن حزم^(٤) إن أولهم نافع ابن الأزرق، وآخرهم عبيدة بن هلال اليشكري، ولكنه يشك في صبيح مولى سوار بن الأسمر المازني التميمي، الذي خرج في أيام هشام بن عبد الملك، أكان برأي الأزارقة أم برأي الصفرية.

آراء الأزارقة ومعتقداتهم:

تبني أبو راشد (نافع بن الأزرق) آراء متطرفة، فشدد على التكفير على القعدة، وكان يستشهد في ذلك بقوله تعالى: (وقاتلوا المشركين كافة) ^(٥)، وكان يرى أن التقية غير جائزة، مستدلاً بقوله تعالى: (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ^(٦) كما عد مخالفه مشركين كفر لا تحل مناكحتهم وموارثتهم، أو أكل ذبائحهم، ولا يجب رد أماناتهم، وفي ذلك أنكر عليه ابن إياض وصاحب الصفرية وقالوا: إن الأمانة مؤداة للبر والفاجر على السواء^(٧)، كما أباح قتل نساء وأطفال من لم يعتنق مذهبهم، وتكفير نافع لمخالفه وجعلهم مشركين خالف أسلافه من "المحكمة" الذين كانوا يقولون: "بأن مخالفهم كفار وليسوا بمشركين" ^(٨) غير أن هذه الآراء المتطرفة لم يقبلها عدد من الخوارج، رغم أن رأس الأزارقة يكثر من الاستشهاد بآيات القرآن

(١) مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٧٠.

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٧٣.

(٣) الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٢.

(٤) الفيصل في الملل، ج ٤، ص ١٨٩ - ١٩١.

(٥) سورة التوبة ٣٦

(٦) سورة النساء ٧٧

(٧) مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٩٤.

(٨) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ٧٢.



للتدليل على صحة دعواه، فقد احتج لتفضيل الخروج على القعود بقوله تعالى: (انفروا خفافا وثقالا) (١) وبأن الله فضل المجاهدين على القاعدين من الضعفاء والمرضى والذين عذروا لعدة فيهم، حين قال: (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله) (٢). لقد كَفَّرَ نافع مخالفيه ولم يقبل منهم إلا الهجرة إليه، ليهجروا بذلك ديار الكفر، ويدخلوا ديار الإسلام وإلا فالسيف " فكتب إلى البصرة كتابا بذلك . فلما ورد كتابه، خالفه زعماء الحرورية هناك، ولم يستجيبوا لدعوته. ورد عليه ابن أباض وابن صفار، فأنكروا كثيرا من آرائه واجتهاداته (٣)، رغم ما جاء في الكتاب من أنهم ككفار العرب الذين لم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وإن من لم يهاجر إليه من الخوارج هو بمنزلة الكفار أيضا (٤) واستحل قتلهم بذلك (٥)، متأولا قوله تعالى: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ (٦) وكان نافع يقول: من لم يخرج يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهو كافر ضال حلال الدم (٧). اجتهد نافع بن الأزرق في ترسيخ مبادئه الجديدة في نفوس أتباعه فقد كان يقنعهم بصحة رأيه، واستقامة دعوته وعظيم أجر تابعيه فبشَّروهم بأن الله قد أكرمهم بخروجهم وأنار بصائرهم، ونزع عن قلوبهم ما ران عليها من الضلالة والكفر، ويكفيهم فخرا واعتزازا أنهم إنما خرجوا طلبا لرضوان الله والعمل بشريعته، فهو قائدهم، وقرآنه إمامهم. استطاع أبو راشد أن يوصل أتباعه إلى التبرؤ من مخالفيهم بحجج قرآنية، وبالتالي فقد حرّم قبول شهادتهم أو أكل ذبائحهم ، كما حرّم مناكحتهم وموارثتهم (٨)، وأخذ الدين عنهم وما دام الأزارقة هم الذين يعرفون الدين والحق ويعطون به دون الناس، فقد أصبح لزاما عليهم أن يحملوا هذا الدين لأولئك

(١) سورة التوبة

(٢) سورة النساء

(٣) المبرد الكامل ٣ / ٢٩٠ - ٢٩١ .

(٤) نفس المصدر

(٥) المصنف المجهول ص ٨٠.

(٦) سورة التوبة ٩٠.

(٧) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، تحقيق يوسف فان، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت ١٩٧١ ص ٨٠.

(٨) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٦٣.



المخالفين، ولا يجوز لهم أن يكتموا ما أنزل الله، وتأول لهم قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ (١). هكذا استطاع أن يقنع أصحابه بصحة نهجه، فاستجابوا له وأطاعوه (٢)، حتى قالوا: نحن مشركون مادمننا في دار الشرك " فإذا خرجنا فنحن مسلمون (٣). وأحدث الأزارقة أشياء أخرى في الإسلام فيما بعد ، فقد حرّموا رجم الزاني المحصن بحجة أنه غير مذکور في القرآن ، كما كانوا لا يرون حدًّا للذف على النساء،

فيما إذا كان القاذف امرأة وعلّلوا ذلك بأن المذكور في القرآن هو صفة "الذين" وهو للمذكورين (٤)

وأبطلوا إقامة الحدود على الذين يقذفون الرجال المحصنين، بينما أقاموها على من قذف المحصنات النساء (٥) ، وأوجبوا قطع يد السارق في القليل والكثير (٦) ، كما أخرجوا مرتكب الكبيرة من دائرة الإسلام ، فهو كافر مخلد في النار، واستدلوا على ذلك بكفر إبليس الذي ارتكب كبيرة لما امتنع عن السجود، فخلده الله في النار رغم إقراره بوحدانية الله ، ولكن مرتكب الكبيرة لا يكفرونه في ديار هجرتهم إلا إذا كان قاتلاً لأحدهم غير أن البغدادي يذكر أنهم يرمون مرتكب الكبيرة منهم بالشرك (٧). ومن اجتهاداتهم المخالفة لأهل السنة أيضا أنهم أوجبوا على الحائض الصلاة في حيضها، وأنكره بعضهم، كما أنهم حرّموا قتل النصارى واليهود وأباحوا قتل المسلمين (٨). أن الآراء الشديدة الغالية التي تبناها الأزارقة وضعت الخوارج في بداية مرحلة خطيرة،

(١) سورة البقرة ١٥٩.

(٢) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٥٨١، ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ١٦٧.

(٣) تلبيس إبليس ٩٥.

(٤) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٦٣.

(٥) الإبجي، شرح المواقف، ج ٢ ص ٢٩١.

(٦) الأشعري مقالات الإسلاميين، ج ١ صفحة ١٧٤.

(٧) المقرئزي، الخطط، ص ١٧٨.

(٨) الشهرستاني، الملل والنحل ج ١ ص ١٦٤.

(٩) المبرد الكامل ج ٣ ص ٢٩١-٢٩٢ ، وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤ ص ١٨٩.



فقد فتحت مجالاً واسعاً أمام مجتهدهم لمناقشات نظرية واسعة استمرت فترة من الزمن ، وأدت إلى ظهور آراء متباينة ومواقف مختلفة وكانت سبباً في تفرقهم ، وتآلب أعدائهم عليهم ، فكانت نهايتهم وسوف نعرض لذلك فيما بعد .

ثانياً : النجدات (النجدية) (١)

مؤسس هذه الفرقة هو نجدة بن عامر الحنفي (٢)، الذي خرج مع نافع ابن الأزرق إلى الحجاز لامتحان عبدالله بن الزبير (٣)، فلما رأى الخوارج أن ابن الزبير على غير رأيهم، تفرقوا عنه ، فتوجه نجدة وأتباعه إلى اليمامة ونزلوا بأباض ، ولكنه ظل على ولائه لابن الأزرق حتى أظهر نافع البراءة من التعدة . أما نافع بن الأزرق فقد تفرق عنه بعض أتباعه لما ضاقوا ذرعاً بتشدده عندما أظهر البراءة من القعدة عنه بعد أن كانوا على رأيه، وسماهم مشركين، واستحل قتل أطفال مخالفه ونساءهم، ففارقه أبو فديك ، وعطبة الحنفي ، وأرشد الطويل ، ومقلاص، وأيوب الأزرق وجماعة من أتباعهم . وذهبوا إلى اليمامة . بدأ نجده بن عامر مخالفاً لما أحدثه نافع، فكتب إليه كتاباً يذكره فيه بماضيه الشريف، وكيف تحوّل وأحدث بعد أن تجرد الشيطان له، وقد ردّ على نافع الحجج بالحجة والرأي بالرأي (٤)، مما يشير إلى سعة علمه وحسن إدراكه لأحكام القرآن .

فبدأ بأمر القعدة، فأخذ عليه أنه كفر الذين عذرهم الله في محكم كتابه إذ يقول التالي: (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون

(١) لعل تسميتهم بال نجدات للتفريق بينهم وبين من ينتسب إلى بلاد نجد المقريري الخطط ص ١٧٨ .
 (٢) المبرد الكامل ج ٣ ص ٢٨٥ ، ونسبهم الشهرستاني للرجل اسمه عاصم الميلاد والنحل ج ١ ص ١٥٦ .
 (٣) المبرد الكامل ج ٣ ص ٢٨٥ .
 (٤) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٢٠١ ، وفي رواية أخرى ان نجده لم يكن مع نافع في الأهواز وإنما كان في اليمامة مع جماعة من أتباعه ولكنه اراد الذهاب والحقق بنافع فاستقبله عدد من الخوارج كانوا قد انفصلوا عن نافع بعد أن أظهر البراءة من القعدة عنه بعد ان كانوا على رأيه وسماهم مشركين واستحل قتل أطفال ونساء مخالفه وهم أبو فديك وعطبة ابن الاسود الحنفي وراشد الطويل ومقلاص وأيوب الأزرق وجماعه من أتباعهم فأخبر هؤلاء نجده بن عامر وأتباعه بأحداث نافع وردوهم الى اليمامة وبايعوا نجده وكفروا من قال بأكفار القعدة منهم على الهجرة اليهم وكانوا من قال بإمامة نافع ابن الأزرق. راجع البغدادي الفرق بين النجدات ص ٨٧ ، وانظر الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٦٥ .



حرج إذا نصحو الله ورسوله (١)، ثم سمّاهم أحسن الأسماء، فقال تعالى: (ما على المحسنين من سبيل) (٢)، وأنكر عليه قتل الأطفال، وقد نهى الرسول عن قتلهم والله يقول: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، ويورد في كتابه لنافع "دفاعا عن القعدة الذين قال الله فيهم خيرا، وإن كان قد فضّل المجاهدين عليهم، حيث يقول: ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر﴾ (٣)، فسماهم تعالى بالمؤمنين وإن قدم عليهم المجاهدين بأعمالهم ثم لا ينسى أن يذكره بأن الله أمر أن تؤدي الأمانات إلى أهلها (٤) ، وهكذا بدأ نجدة مخالفا لما أحدثه نافع، ولكن ابن الأزرق لم يسلم بما قاله نجدة في رسالته، بل رد عليه وتأوّل آيات القرآن، بما يدعم حجته، ويسند رأيه (٥).

ولما لم يستطع أحدهما إقناع الآخر باجتهاده، ورأيه، فقد أصبح للخوارج أميران نافع بن الأزرق (أبو راشد) في الأهواز وما حولها، ونجدة بن عامر الحنفي في اليمامة والبحرين وما دونها، ولكن سرعان ما وقع الانقسام في صفوف النجدية فصارت فروعًا ثلاثة منها ذلك الذي تزعمه عطية بن الأسود الحنفي واستقر بجماعته في سجستان حتى أنه أطلق على هؤلاء خوارج العطوية، نسبة إلى عطية ابن الأسود (٦).

لكن نجده لم يكتف بالمنطقة التي فرض سلطانه عليها، فاستخلف باليمامة عمارة بن سلمي (٧) وتقدم سنة ٦٧هـ / ٦٨٦ م نحو البحرين، وقد رحّب به الأزدي وانضموا إليه، أما عبدالقيس فلم يذعنوا له، وقرّروا محاربتة، والتقوا معه بالقطيف، ولكنهم انهزموا، وقتل منهم جمع كبير وسبى نجدة من قدر عليه من أهل

(١) البغدادي الفرق بين الفرق ص ٨٧ والشهرستاني الملل والنحل ١ صفحہ ١٦٥.

(٢) سورة التوبة ٩١.

(٣) سورة النساء ٨٥.

(٤) المبرد الكامل ج ٣ ص ٨٥.

(٥) البغدادي الفرق بين الفرق ص ٨٧.

(٦) نفس المصدر.

(٧) في الجزء الحادي عشر من تاريخ مصنف مجهول عماره ابن سليم ياقوت الحموي معجم البلدان ج ١٤.



القطيف^(١). ثم أقام بالقطيف بعد فتحها، ووجه ابنه المطرح؛ ليتعقب فلول المنهزمين من عبدالقيس، فالتقى بهم في الثوير^(٢)، ولكن المطرح قتل وجماعة من أصحابه^(٣) وفي ذلك يقول جمال بن سلمة^(٤).

إن تقتلونا بالقطيف فإننا * قتلناكم يوم الثوير وصحصحاً

وإن تقتلوا منا وكيعاً وعاصماً * فإننا قتلنا طارقا والمطرحا

ثم أرسل نجدة أيضاً سرية إلى الخط (ساحل شرق الجزيرة العربية) بقيادة داود الفلكي^(٥) فظفر بأهله^(٦) وهكذا اتسع سلطانه إلى جزء كبير من البحرين والخط. وفي سنة (٥٦٨ / ٦٨٧ م أخضع نجدة المناطق الشمالية من البحرين، وقاتل بني تميم في كاظمة (الكويت) وطويلع، وأجبرهم على أن يؤدوا له الصدقة، وبذلك امتد سلطانه إلى أطراف العراق. ثم سار مع قوة صغيرة إلى صنعاء فدخلها حيث بايعه أهلها خوفاً منه، ثم أرسل نجدة ابا فديك عبدالله بن ثور إلى حضرموت فجى الصدقات من أهلها^(٧).

أما آراء النجدية فإنها لا تكاد تختلف كثيراً عن آراء الأزارقة، وقد قيل عن نجدة بن عامر أنه كان يكتب إلى ابن العباس يستفتيه ببعض القضايا الدينية، فقد كتب إليه يسأله عن سهم ذوي القربى فردّ عليه ابن العباس ولسان حاله يقول: (قاتله الله يقتل المسلمين ويسأل عن المحقرات)^(٨). ومن آراء النجدية واجتهاداتهم أن جميعهم لا يرون وجوب الإمامة، إذ لا حاجة بالناس. في نظرهم. إلى إمام قط، فما عليهم إلا أن

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٠٢.

(٢) موقع لبني بكر ابن كلاب قريب من زواج من جبال حي ضربته يقوت الحموي معجم البلدان جيم واحد ص ١٣٩.

(٣) ابن الأثير نفس المصدر جيم ٤ ص ٢٠٢.

(٤) أنساب الأشراف، البلاذري ٦١٥.

(٥) ابن حزم جملة أنساب العرب ٤٠٨.

(٦) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٠٢.

(٧) أبو يوسف، الخراج ١٠٦.

(٨) المطي التنبيه والرد ص ٥٢.



يراعوا العدل والإنصاف فيما بينهم، فإن لم يستطيعوا تحقيق ذلك وكان لابد للناس من إمام لإقامة العدل بينهم جاز لهم ذلك (١)، كما خالفوا الأزارقة بشأن من ثقل عن الهجرة إليهم، وحكى عنهم أنهم يستحلون دماء أهل المقام وأموالهم إذا كان مقامهم في دار التقية، ويتبرؤون ممن يخالفهم بذلك (٢)، بينما يقول الشهرستاني (٣): إن نجدة أجاز التقية، واحتج بقوله تعالى: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ وقوله تعالى: ﴿وقال رجل مومن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ كما ينقل الكعبي عن النجدات أن التقية جائزة في القول والعمل، وان كان في قتل النفس (٤)، وبالرغم من نجاح نجدة وامتداد نفوذه فإن أمره لم يطل فأمام تلك المخالفات الصريحة التي ارتكبتها، وأمام تلك التيارات التي تعمل على هدم سلطته دبّ الخلاف بينه وبين أتباعه حتى وثب عليه أبو فديك وقتله سنة (٥٧٢ هـ / ٦٩١ م) (٥)، وبويع لأبي فديك من بعده، فأنكر أصحاب نجدة عليه ذلك، وتبرءوا منه ووقع الانقسام (٦)، وتفرقوا إلى فروع ثلاثة أهمها ذلك الذي تزعمه عطية بن الأسود الحنفي حيث استقر بجماعته في سجستان، وأطلق على خوارج سجستان آنذاك العطوية نسبة إلى عطية بن الأسود هذا.

ثالثا: الصفرية :

وهم أتباع زياد بن الأصفر وموطنهم الإقليم الشرقي من الجزيرة (٧)، وهناك روايات أخرى ترجح تسميتهم بالصفرية لصفرة وجوههم من كثرة العبادة (٨)، وظهر الصفرية حين خالف عبدالله بن الصفار نافع بن الأزرق" حول مسألة القعدة سنة ٧٥ هـ / ٦٨٤م، وقد اتخذ الصفرية في هذه المسألة موقفا وسطا بين الأزارقة المتطرفين والإباضية المعتدلين " فلم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين

(١) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٦٨.

(٢) الأشعري مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦٥.

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٦٨.

(٤) الأشعري مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٧٦.

(٥) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٦٧٤.

(٦) البغدادي الفرق بين الفرق ٨٧.

(٧) نفس المصدر ص ٨٧ وما بعدها الشهرستاني الملل والنحل واحد ١٦٧.

(٨) البغدادي نفس المصدر ٩٠ انظر الحياه السياسية في الدولة العربية ص ١٣١.



والاعتقاد^(١)، وجاء ذلك في قول زعيمهم ابن الأصفر إلى عبدالله بن أباض: "برى الله منك فقد قصرت، وبرى الله من ابن الأزرق فقد غلا برى الله منكما جميعاً^(٢)، وليس القول بشأن القعدة فصار أكثر أصحابه من الصفرية قعدية^(٣)، والواقع أن العقائد الصفرية تمثل تطوراً عملياً ملحوظاً في فكر الخوارج، إذ خالفت الصفرية غيرها من الفرق الخارجية فجنحت إلى التخفيف من غلو التطرف الذي أفضى بحركاتهم إلى الفشل من قبل، فأجازوا التقية في القول دون العمل^(٤)، ولم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا يتفوقون معهم في الدين والاعتقاد، كما أنهم خالفوا الأزارقة أيضاً فلم يروا قتل النساء والأطفال^(٥) ولم يقولوا بتخليد أطفال المشركين في النار^(٦)، وأجاز بعض زعمائهم تزويج المسلمات من مخالفهم في دار التقية^(٧)، وقد كفل لهم ذلك معاشة الجماعة الإسلامية بدلا من إشهار عدائهم لها، الأمر الذي أتاح لهم القدرة على الدعوة السرية المنظمة، وحقق لمذهوم الانتشار، لكنهم كانوا أكثر تطرفا الإباضية في موقفهم من مرتكبي الكبائر، ومن ثم من مسألة دار الكفر والإيمان"، فبينما رأى الإباضية أنهم موحدون قال الصفرية بتكفيرهم^(٨)، وفي ذلك تفسير لزعمة القسوة والعنف التي لازمت سياسة الصفرية في معاملتهم مع أعدائهم، وينقل لنا الأشعري عن الصفرية أكثر الخوارج قولهم: "إن كل ذنب مغلظ كفر، وكل كفر شرك، وكل شرك عبادة للشيطان^(٩)، ويحكي عن زياد بن الأصفر أنه قال: "نحن مؤمنون عند أنفسنا فلا ندرى لعلنا خرجنا من الإيمان عند الله ويرى أن الشرك ليس شركا واحداً بل شركين: فعباداة الأوثان شرك، وطاعة الشيطان شرك آخر. وقال الشيء نفسه في الكفر، فالكفر عنده كفران: كفر بإنكار الربوبية، وكفر بإنكار النعمة كما أن البراءة في عرفة،

(١) البغدادي نفس المصدر ص ١٢٣ والعقد الفريد ج ١ ص ٢١٦، والشهرستاني الملل والنحل واحد ١٦٧.

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ ٤٦٨ ج ٤

(٣) المبرد الكامل ج ٣ ص ٢٧٥

(٤) الشهرستاني نفس المصدر ج ١ ص ١٨٤.

(٥) البغدادي الفرق بين الفرق ٩١.

(٦) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٨٤.

(٧) نفس المصدر انظر محمود اسماعيل الخوارج ص ٤٥.

(٨) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٨٤.

(٩) الأشعري مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٨.



براءتان: براءة فريضة واجبة، وهي التبرؤ من أهل الجحود، وبراءة سنة مستحبة وهي البراءة من أهل الحدود^(١)، وقيل عن الصفرية أيضا أنها تصلي خلف من لا تعرف^(٢).
 مما تقدم نجد عدم غلو واضح في فكر الصفرية ومبادئهم، ولم تبق الصفرية على رأي واحد بل أصابها ما أصاب غيرها من الفرق الخارجية، فتجمعت حول أصحاب الرأي فيها جماعات مختلفة^(٣).

رابعًا: الإباضية:

اختلف المؤرخون المسلمون اختلافا واضحا في أصل الإباضية وزمن نشأتها، ويتضح لنا هذا الاختلاف من خلال الروايات المقتضبة التي أوردها هؤلاء المؤرخون فقد عزا بعض المؤرخين الإباضية إلى عبدالله بن أباض المري بن عبيد بن مقاعس التميمي، كان في زمان معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى زمان عبدالملك بن مروان^(٤) في حين تذكر بعض المصادر. مثل الشهرستاني^(٥)، والمقرئزي^(٦) أن خروج عبدالله ابن أباض كان في زمن مروان بن محمد الأموي، ولم ينتسب الإباضية إلى أي شخص من فقهاءهم قبل عبدالله بن أباض الذي عاصر معاوية بن أبي سفيان (٤٠ - ٩١ هـ / ٦٦٠ - ٦٨٠ م) مؤسس الدولة الأموية الأول، وعبدالملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٤ - ٧٠٥ م) مؤسس الدولة الأموية الثاني^(٧).

وعبد الله بن أباض ينتسب إلى قبيلة تميم في البصرة، وفي ذلك يقول المؤرخ الأباضي سالم السيابي^(٨): "أصله من تميم الذين هم الحجر الخشن عرفوا بذلك في

(١) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٨٤

(٢) الأشعري مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٠٥

(٣) هو عبد الله بن إياض المقاعي التميمي من بني مره ابن عبيد بن مقاعي انظر ابن قتيبة المعارف تحقيق دكتور ثروه عكاشه مصر سنة ١٩٦٩ ميلادية طبعه ٤ ص ٦٣٢ والمبرد الكامل جيم ٣ جيم ٢ ص ١٧٩ دار التقدم مصر ١٣٢٣ هجرية.

(٤) سالم محمود ابن حمود الحرشي العقود الفضية في الاصول الإباضية ص ١٢١.

(٥) الملل والنحل ج ١ ص ٢٤٤.

(٦) الخطط ج ٢ ص ٣٥٥.

(٧) سالم ابن حمود السيابي مخطوطه أصدق المناهج تحقيق وشرح سيده كاشف ص ٣.

(٨) إزالة الوعاء في اتباع بن الشعثاء ص ١٤٤ وطالب هاشم الحركة الإباضية في الشرق العربي ٤٦.



التاريخ"، لكن هناك ارتباكاً في بعض الروايات في كتب الفرق فيما يتعلق بنسبهم فالمقدسي^(١) ينسب الأباضية إلى الحارث بن أباض ولم يذكر الفترة التي عاش فيها والملطى^(٢) (٣) ينسب الأباضية إلى عبدالله بن أباض، لكنه يقول في موضع آخر أنهم أصحاب أباض بن عمرو الذين خرجوا من سواد الكوفة فقتلوا وسبوا الذرية وعلى هذا يكون منشوءهم في الكوفة؛ إذ يشير إلى بقاياهم وذلك إلى ما بعد منتصف القرن الرابع الهجري^(٣).

في حين نجد الشهرستاني ينسبهم (الأباضية) إلى عبدالله بن أباض، لكنه يجعل خروجه في أواخر الدولة الأموية، إذ يشير إلى مقتله مع عبدالله بن يحيى^(٤)، ولعله هنا يقصد عبدالله بن يحيى الكندي الملقب بطالب الحق، والذي ثار في أواخر الدولة الأموية^(٥)، أما شخصية عبدالله بن أباض، فقد صورها بعض كتاب الفرق على أنها شخصية قلقة لا يقر لها قرار، ولا يطمئن للمبادئ التي يعتنقها فابن حزم في رواية له يذكر "أن عبدالله بن أباض يرجع في أقواله إلى الصفرية، ثم رجع فبريء منه أصحابه"^(٦)، ومما جعل ابن حزم يطمئن إلى هذه الرواية أن الإباضية المعاصرين له لا يعرفون شيئاً عن سيرة عبدالله بن أباض مع أنهم ينسبون إليه^(٧).

أما مؤرخ الأباضية الشيخ الشماخي فقال: "أما تسميتهم بالأباضية فقد سماهم الأمويون وأدخلوهم في فرق الخوارج، ولم يقبل الأباضية في بداية الأمر تسميتهم بهذا الاسم^(٨). لكنهم قبلوه منذ خلافة عمر بن عبدالعزيز ٩٩.١٠١هـ / ٧١٧.

(١) البدء والتاريخ ص ٥٣٨ ج ٥

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع بيروت سنة ١٩٦٨ ص ٥٢

(٣) نفس المصدر

(٤) المصدر الشهرستاني ص ٨٠ ج ١

(٥) انظر الفصل الرابع من الرسالة جهود الأمويين في إضعاف شوكة الخوارج

(٦) نفس ابن حزم الفصل القاهره ج ٤ ص ١٩٣

(٧) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء، القاهرة (د.ت) ج ٤، ص ١٩٣.

(٨) قال الشيخ الشماخي في القول المتين رداً على المخالفين: "وأما تسمية مذهبنا بالأباضية فلكون عبدالله بن

أباض - رضي الله عنه - كان المجاهد علناً، والمناضل في سبيل تحقيق الحقائق، وتصحيح قضايا الناس

انظر الساملي، إزالة الوعاء، ص ٥٠.



٧١٩^(١). وبدأ اسم الأباضية يظهر في كتاباتهم بعد ذلك حتى يومنا هذا^(٢). لكنهم نفوا ما جاء في الكثير من المصادر والمراجع التاريخية والفقهية والفلسفية والأدبية من أن الأباضية ضمن فرق الخوارج، ويتبرؤون من الفرق الغالية^(٣).

أما الأباضية المعاصرون فهم يتبرؤون من اسم الخوارج، بعد أن أسئ فهم المذهب الأباضي، إذ جمع جل المؤرخين وكتاب الفرق والعقائد. فضلا عن سائر الكتب. بين الأباضية والغلاة والمتطرفين والخارجين على الإسلام^(٤).

وعمان هي الوطن الأم للأباضية في العالم الإسلامي، وقد انضم الكثيرون إلى هذا المذهب بفضل قوة الدعاة إلى المذهب في عمان^(٥) وسطع نجم بعضهم مثل أبي بلال مرداس بن أدية، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وعبدالله بن أباض في البصرة^(٦).

ظهور الأباضية في عمان:

من الصعب معرفة التاريخ الذي بدأت فيه دعوة الخوارج الأباضية وانتشارها بعمان، حيث لم يكن للخوارج أثر سياسي ملحوظ في عمان، في الوقت الذي نشط فيه الأزراقة في الأهواز، وسجستان، والنجدان، وفي شرق الجزيرة في البحرين واليمامة.

لكن يبدو أن الدعوة الخارجية في عمان انتشرت في نطاق ضيق قبل خلافة عبدالمك بن مروان ٦٥ هـ / ٨٦ هـ / ٦٨٤ م. ٧٠٥ م^(٧) ويخبرنا عمر فاروق . في كتابه (ملاحم من تاريخ الحركة الأباضية بعمان). أن الدكتور باثيرست يرى أنه ربما كان

(١) الطبري، الرسل والملوك، ج٦، ص ٥٦٥.

(٢) سيدة كاشف، أباضية عمان، ص ٢٥٦.

(٣) السماتلي، اصدق المناهج، ص ٢.

(٤) يحيى معمر، نشأة المذهب الأباضي، ص ٣٣ - ٣٥.

(٥) انظر: ملحق البحث الخاص بأسماء الدعاة الأباضية " حملة العلم" الذين حملوا الدعوة الأباضية من البصرة إلى عمان.

(٦) السيابي، ازالة الوعاء، ص ٢٧ - ٣٠.

(٧) السعودى، التنبيه والإشراف، ص ٢٧٠.



هناك أئمة خوارج قبل الأباضية^(١). كما أن المصادر التاريخية لا تذكر بصورة دقيقة متى أصبحت الأباضية العقيدة الأكثر انتشاراً في عمان.

ويبدو أن أول ظهور للخوارج في عمان كان عندما أرسل نجدة بن عامر الحنفي (٦٦. ٧٢ هـ / ٦٨٥. ٦٩١ م)^(٢) حملة بقيادة عطية بن الأسود الحنفي للاستيلاء على عمان، فتصدى لها العمانيون بقيادة عباد بن عبدالله الجلندي وابنيه سعيد وسليمان، حيث قتل عباد، وهرب سعيد وسليمان إلى داخل عمان^(٣)، فاستطاع عطية السيطرة على عمان، وان لم تكن سيطرة شاملة واستمر بها شهورا قليلة، ثم خرج منها بعد ان ولي أبا القاسم خليفة له على عمان، حتي نهض سعيد وسليمان وقتلا أبا القاسم، وحاول عطية بن الأسود الاستيلاء على عمان مرة ثانية، لكنه هزم، وركب البحر إلى كرمان شرقاً^(٤).

لكن مصادر الأباضية تؤكد أن الجذور التاريخية الأولى لدخول الدعوة الأباضية إلى عمان ترجع إلى الوقت الذي حكم فيه الحجاج بن يوسف الثقفي العراق ٧٥. ٩٥ هـ / ٦٩٤. ٧١٣ م^(٥)، حيث بدأ التنظيم الأباضي السري يرسم لنفسه الكيان السياسي في عمان، ويشكل في الوقت نفسه خطراً كبيراً على سلطة الحجاج هناك. وكان للحجاج بن يوسف دور كبير في تغذية هذا النشاط وخدمة الدعوة الخارجية في عمان، فقد فر من خوف الحجاج الشاعر الخارجي المشهور عمران بن حطان، ولجأ إلى عمان، فوجد قوما ينشدون أشعاره ولا يعلمون أنه عمران، فدعاهم إلى رأيه وأقام بين أظهرهم،

(١) عمر فاروق، ملامح من تاريخ الحركة الأباضية بعمان، مجلة المؤرخ العربي، ص ١٧٤ العدد الثاني ١٩٧٥، بغداد.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٣.

(٣) الازكوي، كشف الغمة، مخطوط بوزارة التراث العماني، ورقة ٣٢٧ (في حين ذهب الدكتور جمال زكريا إلى القول بأنهما هربا من الحجاج إلى شرق إفريقيا، وإلى بلاد الزنج، وكان لذلك أثر في انتقال المذهب الأباضي إلى شرق إفريقيا، (قاسم جمال زكريا، دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، ط القاهرة ١٩٦٧، ص ٩.

(٤) ابن الأثير، الحركة الأباضية في المشرق العربي، ص ١٦٧.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ٢٠٣.



وظهر أمره، ووجد قوما مسارعين له ليكون على مرداس بن أدية ، ويذكرون فضله، ويظهرون أمره شاهرا، فكتب غلى أهل عمان في قتله^(١).

ويتبن لنا من هذا النص أن الحركة الخارجية دخلت عمان بشكلها المعتدل المتمثل بأراء أبي بلال مرداس، الذي يعتبره الأباضية إماما من أئمتهم الأوائل^(٢).

وحينما أدرك الحجاج أن جابر بن زيد هو المسئول عن نشاط الخوارج في البصرة المعادي للأمويين، أراد أن يشل هذا النشاط ، فنفى جابر بن زيد إلى عمان مع أحد الدعاة المسعى هبيرة^(٣)، فجاء هذا النفي على العكس من توقعات الحجاج . خدمة للدعوة الأباضية في عمان، وبذر البذور الأولى لهذه العقيدة^(٤) وقد ساعد على إجابة العمانيين لجابر بن زيد عوامل أهمها:

أولا: وجود أفكار خارجية معتدلة مهدت لأراء جابر بن زيد في نشر أفكاره المعتدلة وهي التي تمثلت مع أبي بلال مرداس^(٥).

ثانيا: أن جابر بن زيد من أهل عمان^(٦) ، وكان يسكن قرية فرق^(٧) قبل هجرته إلى البصرة وربما كان يتردد على عمان بعد هجرته.

ثالثا: انتسابه إلى قبائل عمان وخاصة القبائل الأزدية، فجابر بن زيد يحمدي من الأزد^(٨) ، وعلى هذا فهو يكن غريبا على هذه القبائل. ونضيف إلى هذه العوامل عاملا

(١) العتوبي، أنساب العرب، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢٤٦١ تاريخ الورقة ١٠١ب. عمران بن حطان: يذكر البغدادي أنه صفر المذهب. الفرق بين الفرق ، ص٧٢.

في حين أن هناك تعقيا لطالب هاشم، في كتابه "الحركة الأباضية" ص١٦٨، يقول فيه: " ان عمران بن الحطان طان محدثا وخطيبا ، وأديبا لييبا، وهو من الأئمة الأباضية وعلماهم، وليس صفري المذهب، وقد تولى مهمة الدفاع عن الأفكار الأباضية بالحجة، بعد وفاة الامام عبدالله بن أباض، وقد توفي عمران بن حطان سنة ٥٨٩هـ".

(٢) الدرجيني، طبقات الأباضية، الورقة ١٦ب. وانظر السماخي، السير، ص ٩٠.

(٣) الدرجيني، المصدر السابق، الورقة ٩٣ب.

(٤) انظر: العتوبي ، أنساب العرب، ورقة ١٠١ب.

(٥) Phillips w:Oman History, 1967, p.20.

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٥٨، ج ٧، ص ١٧٩.

(٧) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٢٦٦أ.



خاصا بجابر بن زيد وهو أنه يتمتع بمستوى فكري ومركز علمي مرموق، كما أنه من أكبر فقهاء البصرة^(١) ومرجع من مراجع الفتيا المعدودين^(٢)، كل ذلك ساعد على استقطاب المسلمين واستجابتهم لمذهب الأباضي، ثم إن التحرك من موطنه عمان أكثر يسرا وسهولة، فيما لوقورن بجو البصرة الفكري المتلاطم، الذي يعكس اتجاهات الشيخ المختلفة، وتركيبها الاجتماعي، وانتماءاته المتعددة، ومركزية الإدارة فيها^(٣) كل هذه العوامل مجتمعة ساعدت جابر ابن زيد في نشر دعوته، ولا يستطيع الباحث هنا تحديد تاريخ معين للنجاح الذي اكتسبته الدعوة الأباضية في عمان، ويرجح أن هذا النجاح تحقق في مطلع القرن الثاني الهجري،

وذلك على يد حملة العلم، فقد تزعم " أبو عبيدة مسلم " قيادة الدعوة في نهاية القرن الأول الهجري بعد وفاة جابر بن زيد عام ٩٣ هـ / ٧١٩ م^(٤).

أما عن عدد حملة العلم . الذين دخلوا عمان في عهد أبي عبيدة مسلم . فقد اختلف فيه بعض المؤرخين الرواد، فالعتوبي يشير إلى أسماء أربعة من هؤلاء الدعاة، أولهم محمد بن المعلا الفشحي، وهو أول من قام بالدعوة إلى تأسيس الإمامية الأباضية بعمان^(٥)، ثم تبعه الربيع بن حبيب بن عمر الفرهودي، والمنير بن النير الرياحي، ويشير بن المنذر النزواني^(٦)، حملة العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى عمان محبوب بن الرحيل، وموسى بن أبي جابر الأزكوي، والمنير بن النير، وهاشم بن قيلان^(٧).

لقد كان لنجاح حملة العلم الأباضية في عمان أثر كبير في تغير العقلية العمانية، واعتناق الكثير من أهلها المذهب الأباضي، ويعزي نجاحهم لانتمائهم لقبائل

(١) الرازي، كتاب الجرح والتعديل، القسم الأول، مجلد أول، ص ٤٩٤ - ٢٩٥.

(٢) البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ٨٩.

(٣) انظر: ابن سعد، نفس الكتاب، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٤) العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ص ١١١.

(٥) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ٩٦ ب.

(٦) العتوبي، انساب العرب، ورقة ٩٣ أ.

(٧) نفسه.

(٨) الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٣١ ب.



الأزد العمانية وفروعها المختلفة^(١)، حيث مكنتهم هذه الرابطة القبلية من معرفة عادات العمانيين وتقاليدهم ويسرت لهم الحماية والنجاح.

ويبدو أن العامل الجغرافي الذي ميز هذا الإقليم اعطاه خصائص ساعدته على الانفصال^(٢)، فموقع عمان . في جنوب شرق الجزيرة العربية . جعلها تطل على الخليج العربي والبحر العربي، فاعطاها هذا لموقع أهمية تاريخية وبحرية عظيمة، فأصبحت الممر التجاري الذي يربط أقاليم الخلافة العباسية ومركزها في العراق بجنوب وشرق آسيا.

إن الواقع التاريخي أثبت لنا أن الأباضية فرقة من فرق الخوارج دون جدال والدليل على ذلك أن الأباضية تتولي المحكمة الأولى، وخاصة عبدالله بن وهب الراسي، وتعتبره إماما للدفاع أو للظهور، تبعا لاختلاف فقهاء الأباضية فيه^(٣).

ولا نريد أن نتعرض لآراء الأباضية بالتفصيل، لأننا ملتزمون بالمنهج التاريخي ونحاول بقدر الامكان الاستغناء عن الفقه كلما أمكن ذلك ولكن لا بد أن نشير إلى آراء الأباضية . مذهبهم وعقيدتهم . باجمال وإيجاز.

إن أول واجب عند الأباضية هو معرفة الله، وتجب معرفته عندهم بمجرد التمييز لا عند البلوغ، ولا يجوز الجهل بالله ولا الشك فيه، وهو ما يؤدي إليه نظرهم القول بأن أول واجب هو النظر أو القصد إليه^(٤) فهم أقرب الفرق إلى نهج السنة الشريفة والاعتداء بها^(٥)، وهم كذلك أقرب الفرق الإسلامية إلى فكر السنة^(٦) فهم من خيار المسلمين وممن يرجعون في كل أمورهم من عبادة ومعاملة إلى الكتاب والسنة^(٧).

(١) العتوبي، المصدر السابق، ورقة ١٧٠ب.

(٢) مراد، جزيرة العرب، ص ١٣١-١٣٢ . انظر: قاسم جمال زكريا، دولة البوسعيد في عمان وشرق أفريقيا ص ٦.

(٣) إبراهيم أطفيش، مقدمة التوحيد وشرحها، ص ٥٤-٥٥.

(٤) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ص ٢٦.

(٥) خليفات، الأصول التاريخية للفرق الأباضية، ص ٥٣.

(٦) ورد ذلك في اجتماع علماء الأزهر لتقييم الموقف العقدي في العالم الإسلامي.

(٧) السبائي، طلاقات العهد الأباضي في حلقات المذهب الأباضي، ص ٨٣.



ويقول عز الدين التنوخي: (الأباضية اليوم بعمان والمغرب من بقايا المسلمين المعتدلين والمتمسكين بالكتاب والسنة)^(١)

ويرى الأباضية أن مرتكب الكبيرة موحد، وليس مؤمناً^(٢) وكانت نزعتهم أميل إلى المسالمة فلا يجمعهم مع الخوارج سوى انكار التحكيم فلم يغالوا في الحكم على مخالفهم كالأزارقة، بل حرموا قتل الموحدين واستحلال دمائهم، وحرموا استعراض الناس وامتحانهم كما فعل غيرهم، ويدلنا على ذلك قول إمامهم عبدالله بن أباض: لا نقول فيمن خالفنا أنه مشرك، لأن معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول، وإنما هم كفار للنعم، ومواريتهم ومناكحتهم والإقامة معهم حل، ودعوة الإسلام تجمعهم^(٣).

ولعل اعتدال هؤلاء الجماعة من الخوارج، وعدم انجرافها مع الفرق الخارجية الأخرى. هو الذي أتاح لها البقاء إلى أيامنا الحاضرة في بعض مناطق إفريقيا وعمان وزنجبار^(٤) لكنها تعرضت كغيرها من الفرق الخارجية الأخرى إلى الانقسام على نفسها، فجاءت منها فرق مختلفة^(٥)

لذلك نستطيع أن نقول أن الأباضية من أقدم فرق التاريخ الإسلامي عمقا وامتدادا، فضلا عن غناها فقها وفكرا، وكثرتها شيوعا وانتشارا واستمرارا، إذا قيست بغيرها من الفرق التي اندثرت.

مما سبق يمكن لنا تلخيص آراء الخوارج من موضوع الخلافة في العناصر الآتية:

(١) السبائي، طلاقات العهد الأباضي في حلقات المذهب الأباضي، ص ٨٣.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٨١.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٨١.

(٤) ابن عبدبريه، العقد الفريد، ج ١، ص ٢٦١.

(٥) محمود إسماعيل، الحركات السرية، ص ٢٦. وهذه الفرق هي: الحفصية (المقرزي، الخطط، ص ١٨٠)

واليزيدية (ابن حزم الفصل في الملل والنحل، ج ٤، ص ١٨٨) والحارثية (البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٨٩)

(١٨٩)، والواقفة والضحاكية (الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٨٨-١٨٩)



أولاً: الخلافة حق شائع بين جميع المسلمين الأحرار والأرقاء، وإذا اختير الخليفة بإجماع الأمة، لا يحق له أن ينزل عنها، وإذا جار أو انحرف، استحل الخوارج قتله إذا اقتضت الضرورة ذلك^(١).

ومن آرائهم في الخلافة أنهم يقدمون الفاضل على المفضول، وقد يعرفون الفاضل إذا ما ندب نفسه أو دعا أو خرج للجهاد، فمن بادر إلى ذلك، فهو المقدم فيهم، وهو أحق الناس بالإمامة وهم يذهبون إلى أن الافتخار بالأجناس، وتفضيل بعضها على بعض كفر، وإنما التفضيل عندهم بالتقوى^(٢).

ثالثاً: أما رأي الخوارج أنفسهم في الخروج على الإمام العدل الشرعي، فالواقع أننا نستطيع أن نستشفه من حكمهم على الإمام بالكفر، حيث كان فيما يبدو من أجل عزل نفسه حين سوى بينه وبين معاوية في التحكيم، لأنه لم يستمر في قتال البغاة الخارجين على خلافته الشرعية من وجهة نظرهم.

فكر الخوارج:

مما تقدم يتضح لنا أن الفكر كان مهياً للمعارضة، وأن بذور الفتنة قد غرست فلما تهيأ لها الجو المناسب، ظهرت واتسعت على شكل حزب سياسي كبير "الخوارج".

لم يكن للخوارج أفكار وعقائد خاصة بهم عند نشأتهم، فالتفوا حول شعارات دينية تثير حماسهم، وتحرك عواطفهم، وتدفعهم إلى التضحية والفداء، وقد ظل الشعار الذي رفعته الخوارج يوم صفين "لا حكم إلا لله"^(٣). لحقبة طويلة. هو الراية التي يلتفون

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ١٥٨. وانظر المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٦.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٤٠٢.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٩٢.

وانظر: الزين، تاريخ الفرق الإسلامية، ص ٨٩.



حولها، وهو النداء الذي يستثير حميتهم، حتى يوطنوا أنفسهم على الموت طلباً للشهادة فعند التعبئة للحرب يصيح فيهم مناديتهم "هل من راح إلى الجنة" فيتصايحون جميعاً: "الروح إلى الجنة"^(١) فهذا خارجي قد طعن بالرمح، فجعل يسعى فيه إلى قتاله: وهو يقول: وعجلت إليك ربي لترضى^(٢) وهذا خارجي آخر خالطه السيف، فاخذ يردد: "حبذا الروحة إلى الجنة"^(٣)

لم تقف الخوارج عند حد هذا النداء القرآني فحسب، بل طبقوه على مخالفهم من المسلمين، فإذا على بن أبي طالب قد كفر لقبوله التحكيم، وإذا أصحابه كفروا أيضاً لقبولهم إمامته بعد ذلك^(٤) (٥) ولكن رغم اجماع الخوارج على تكفير علي، فإنهم مختلفون في نوع هذا الكفر، فبعضهم يراه كفر شرك، بينما يراه آخرون منهم كفراً

من نوع آخر^(٥)، كما كفروا الحكمين أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص ومعاوية وناصرية ومقلديه^(٦)، ولم يوقروا من الخلفاء الأوائل إلا أبا بكر وعمر اللذين رأوهما إمامي حق^(٧)، أما عثمان فلم ينج من تشنيعهم عليه بالكفر، لسيرته في السنوات الست الأواخر من خلافته^(٨).

ولم يكتف الخوارج بتكفير غيرهم من المسلمين، بل نظروا إليهم نظرة المسلمين إلى عرب الجزيرة، فكان عليهم إما الإسلام وإما السيف^(٩)، في حين كانت نظرهم إلى غير المسلمين من أصحاب الديانات السماوية الأخرى أكثر إنسانية وأقل تطرفاً، إذ كانوا

(١) طه حسين، الفتنة الكبرى، ج ٢، ص ١٠٥.

(٢) المبرد، الكامل، ج ٣، ص ١٥٥.

(٣) أبي الحديد، نفس الكتاب، ج ٥، ص ٩٦.

(٤) نفسه، ج ٨، ص ١١٣.

(٥) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٦٧.

(٦) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٨٧.

(٧) المبرد، الكامل، ج ٣، ص ١٦٤.

(٨) السيابي، أصدق المناهج في تمييز الأباضية من الخوارج، ص ٦٣-٦٤.

المسعودي، نفس المصدر والصفحة.

(٩) ابن عبدبر، العقد الفريد، ط القاهرة، ص ١٢٦٣هـ، ج ١ ص ٢٦٤.



يرون المحافظة على أهل الذمة من اليهود والنصارى، في الوقت الذي كانوا يستبيحون دماء المسلمين ويقولون: " احفظوا ذمة نبيكم" ^(١) وهكذا كانت غلظتهم مع المسلمين عاملا على احتماء المسلم بهوية غير الإسلام للنجاة من شرهم، فحين وقع واصل بن عطاء المعتزلي بين أيديهم، لم ينجح منهم إلا ادعاؤه أنه مشرك مستجير بهم ^(٢).

ومنذ بدء دعوتهم لم يكونوا يرون الإقامة بين مخالفهم من المسلمين، لاعتقادهم أن ديار السلطان ديار جور واستبداد، وأن المقيمين بها هم أهل بدع مضلة، فبعد مبايعتهم للراسي خطبهم، فقال: " اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبل أو إلى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة" ^(٣) وسرعان ما هجر الخوارج ديارهم تاركين أهلهم وأقربائهم لينضموا إلى ولاية الحق والعدل ^(٤) ولكن هذه الهجرة لم تكن تعني أنهم قد هجروا ديارهم إلى الأبد، بل كان تعبيرا عن خروجهم على سلطان الحكم، ورفضهم أن يستظلوا بنظامه، واستعدادا للانقضاض عليه، ودك أركانه لاستبداله بما يرونه عدلا وإسلاما.

ففكر الخوارج السياسي إذن مصدره الدين وليس العصبية، وهو ما عبر عنه

ابن خلدون

بقوله " إن الخوارج المستميتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رياسة، ولم يتم أمرهم لمزاحمتهم العصبية القوية " إنما تولد عن " خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية، متعلقة بالإمامة ، ذلك هو ما أجمع عليه جمهرة من الدارسين الثقة" ^(٥)

(١) المبرد، نفس المصدر والصفحة.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٣٥ . وعند ابن قتيبة... (منكرين لهذه البدعة المضلة (التحكيم) والأحكام الجائرة،

الإمامة والسياسة ، ج٢، ص٢٢٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٣٦.

(٥) المقدمة ، ج٢، ص٦٩.



كان الطابع الديني سمة مميزة لنشاط الخوارج ونظمهم السياسية في المشرق^(١) فقد التزموا بتعاليم المذهب في اختيار الأئمة، وجباية الأموال والجهاد، ومعاملة الخصوم.

هكذا كان التطرف والشدة في إعلان الرأي من خصائص فكرهم السياسي، ومن أسباب فشلهم أيضا، حتى قيل بأن " سياستهم غير سياسية بته " ^(٢) وليس أدل على ذلك من قولهم بالاستعراض ورفض التقية وتشددهم في قبول المهاجرة^(٣).

وعلى الرغم من فرق الخوارج فيما بعد واختلاف آرائهم وتشعب مذاهبهم وتأويلاتهم، فإنهم قد اتفقوا على بعض المسائل الهامة التي تشكل نواة أفكارهم، وأبرز هذه المسائل الفكرية والعقائدية ما يلي:
أولا: نظرية الخلافة (الإمامية)^(٤):

يذهب البغدادي إلى أن الذي اجتمعت عليه الخوارج " وجوب الخروج على السلطان الجائر"^(٥)، وليس جواز الخروج، كما ذهب الاسفراييني^(٦)، ويحدد المقدسي أن الخوارج لم يكفروا كل حياة عثمان بن عفان، الفترة التي تبرأوا منها ليست أيامه كلها"^(٧)

لقد وضع الخوارج نظرية الخلافة، وهي أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، وإذا اختير الإمام أو الخليفة، لا يصح له أن يتنازل وليس بضروري أن يكون الخليفة أو الإمام قريشيا، بل يصح أن يكون من قريش ومن غيرها، ولو كان عبدا حبشيا^(٨)، ولا شك أن هذا المبدأ قد لقي قبولا في نفس الموالي الذين انضم بعضهم إلى

(١) فلهوزن، الخوارج والشيعة، ص ٢٩.
(٢) محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص ٢٥٨.
(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٤.
(٤) الإمامة والخلافة لفظان أطلقا على مسمى واحد (الماوردي الأحكام السلطانية ص ٢٠)
(٥) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٥٥.
(٦) الاسفراييني، التنبير في الدين، ص ٢٦.
(٧) المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٥، ص ١٣٤ - ١٣٥.
(٨) شجع هذا المبدأ الموالي وغير العرب إلى الانضمام إلى الخوارج، انظر ابن الجوزي تلبس إبليس، ص ١١٣.



صفوف الخوارج، وإذا تم الاختيار كان على الإمام أو الخليفة أن يخضع خضوعاً تاماً لما أمر الله، وإلا وجب عزله، وأدركوا أن كل دعوة لا تستهدف الوصول إلى قيادة الأمة لا تستطيع الاستمرار والحياة، فقال أحد قادتهم يحثهم على اختيار أمير لهم: "فولوا رجلاً منكم، فإنكم لا بد لكم من عماد وسناد وراية تحفون بها وترجعون إليها" (١)

سرعان ما استجابوا لهذه الدعوة فاختاروا منهم عبدالله بن وهب الراسي، واعتبروه الإمام الشرعي والأمير المنتخب (٢).

واتفق جميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن على الأمة الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله " صلى الله عليه وسلم"، عدا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، إنما عليهم أن يتعاطوا الحق فيما بينهم (٣).

إذن أوجب الخوارج نصب الإمام (٤) ورأوا أن الإمامة تستحق بالشورى من قريش أو غيرهم من العرب والعجم (٥) فيستحقها أي مسلم يجتمع فيه العلم والزهد ولو كان نبطياً (٦): ولا يجوزون إمامة الجائر (٧) بل أجازوا البراءة من الأئمة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله. في رأيهم. أو كما عبر "البغدادي" عن هذا المبدأ بقوله: "وجوب الخروج على السلطان الجائر" (٨) فلا يصح الرضي عن ظلمهم وجورهم (٩)، ويعرف أبو يعقوب الورجلاني السلاطين بأنهم "الذين تغلبوا على الناس لا يراعون شرعاً، ولا يدعون إليه" (١٠) وبمقتضى هذا المبدأ رجعوا إلى الوراثة، فرضوا عن أبي بكر، لأنه أخذ بكتاب

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣٣٦.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٠٨.

(٣) ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج ٤، ص ٨٧.

(٤) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٥٧.

(٥) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة، ص ٦٨.

(٦) ابن الجوزي، تلبس إبليس، ص ٩٦.

(٧) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٠٤.

(٨) الفرق بين الفرق، ص ٧٣.

(٩) الشهرستاني، نفس الكتاب والجزء، ص ٢٠٠.

(١٠) الورجلاني، الدليل لأهل العقول، ج ٣، ص ٤١.



الله تعالى وسنة نبيه محمد "صلى الله عليه وسلم" (١) كما رضوا عن عمر بن خطاب، لأنه كان يهتدي بمن قبله من المؤمنين وبحكم كتاب الله وسنة نبيه (٢) أما عثمان، فيتبرؤون منه (٣)، لأنه . في رأيهم . يحكم بغير ما أنزل الله، وأنه . في رأيهم . خالف سنة نبي الله والخليفتين الصالحين أبي بكر وعمر (٤)

وبذلك أنكروا أولوية قريش، وأكدوا على ميزان الفضيلة والتقوى، وتقديم أشد الناس بأسا في تحمل مسئوليات هذا المنصب الخطير في السلم والحرب.

أما عن بيعة أمير الخوارج، فكان يأخذها من أعدائه بعد هزيمتهم، حيث كانوا يؤمرون بوضع أسلحتهم أولا، ثم يسلمون عليه بإمرة المؤمنين (٥) ، وعلى الرغم من استعمال الخوارج لكلمة خليفة وكلمة إمام، فإن لقب أمير المؤمنين كان المحبب عندهم، تيمنا بعمر بن الخطاب الذي يحملون له الاكبار والتقدير.

أما العصمة فينفها الخوارج عن الإمام نفيا تاما، بل إن طائفة منهم ترى أن الرسول " صلى الله عليه وسلم " معصوم، فيما يتعلق بتبليغ الرسالة، أما فيما يأمر به أو ينهى، فإنه غير معصوم، وجوزوا وقوع الظلم من النبي " صلى الله عليه وسلم " نفسه، لذلك قال أولهم: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل (٦) وهم بخلاف الشيعة، فإن الإمام عندهم معصوم . وقد ذهبوا إلى أن الإمام تقبل حسناته، وتغفر له سيئاته، وإلى أن طاعته واجبة في كل ما يأمر به (٧) فكانه عندهم شخص شبه معصوم.

وفيما يتصل برجعة الإمام، فإن الخوارج لا تعتقد في رجعة أحد إلا الحمزية أصحاب حمزة بن أكرك الذي كان من المجاردة الحازمية، ثم خرج عنهم، وقال بالقدر،

(١) كشف الغمة، ورقة ١٩٠

(٢) نفس المصدر والصفحة، ومختصر تاريخ الأباضية، ص ٢١

(٣) الشهرستاني، نفس الكتاب والجزء، ص ١٩٨

(٤) كشف الغمة، ورقة ١٩٣

(٥) ابن تيمية، منهاج السنة، ج ٢، ص ٨٣

(٦) نفسه.

(٧) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٩٩، ويذهب البغدادي إلى أن المنتظر عند الخوارج هو مسعود بن عمرو العلفي، من أتباع خلف الذي كان تابعا لابن الأورق ومخالفا لحمزة بن أكرك، بل إنه ينسب إليه قتل حمزة بن أكرك.



وبالاستطاعة قبل الفعل، وعندما مات، شك اتباعه في موته وبقوا ينتظرون عودته إليهم مدة مائة وعشرين سنة^(١) وبهذا يكون هناك وجه شبه بين الشيعة والخوارج، كما تأثر الأرجاء بالتشيع، فأخذ المرجئة عن الشيعة التقية والمهدي المنتظر^(٢).

ثانيا: نظرية الإيمان:

اصطبغ فكر الخوارج في أول أمرهم بصبغة سياسية محضة، ثم قرروا بعد ذلك أن العمل بأوامر الدين - من صلاة وصيام وصدق وعدل - جزء من الإيمان، وليس الايمان الاعتقاد به وحده، فمن اعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم لم يعمل بفروض الدين، وارتكب الكبائر، فهو كافر؛ لأنه هو الذي يصنع مصيره المؤمن، أو مصيره الكافر، بما يكتسبه من فعل، أو يجتنبه من نهي^(٣).

وإيمان عند الخوارج قول وعمل، أي لا بد أن يترجم المعتقد عندهم إلى واقع حياة، فالذي يؤمن بالله ورسوله وبكل ما أمر به الإسلام من صلاة وزكاة وأوامر ونواه، ثم لا يقيم الصلاة، ولا يؤتي الزكاة زلا ياتمر بالأوامر ولا ينتهي بالنواهي، فليس بمؤمن، وإنما كافر، وعند الأباضية منهم أنه كافر كفر نعمة، " فمن أتى بالقول وضع العمل فهو منافق، وليس بمشرك، ولا مسلم"^(٤).

والواقع أن المسلمين يكادون يتفوقون - عدا المرجئة - على أن الإيمان يشمل الأعمال لأن العمل مسألة سلوك مرتبطة بأمر الدين، وهو الإيمان، فإذا كان العمل عنصرا داخلا في مقوماته، فإن من ترك العمل أو خالف النهي خرج بذلك عن الإيمان، وإيمان عند الخوارج كل لا يتجزأ، فأصله التصديق والإقرار والمعرفة، وتجسيد السلوك والعمل^(٥).

(١) انظر المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٥، ص ١٣٨

(٢) محمود إسماعيل، الحركات السرية، ص ٣٨

(٣) الشهرستاني: نهاية الأقدام، ص ٤٧٥

(٤) أمال محمد حسن، (برقة وطرابلس في القرون الثلاثة الأولى)، ص ١٥

(٥) ابل تيمية، الإيمان، ص ١٥٤



والغزالي يرد الإيمان إلى ثلاثة فصول هي الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر أما ما عداها من الفروع، فلا كفر فيها، إلا أن ينكر الإنسان أصلاً دينياً جاء عن الرسول بطريقة التواتر، إذ يصبح حينذاك بمنزلة القرآن^(١) وهذه الأصول تقرها الشيعة الإمامية أيضاً^(٢)

ويجدر بنا بعد هذا الاستعراض لأفكار الخوارج الأساسية أن نستعرض بإيجازه الأفكار والمعتقدات الفرعية في الأمور البسيطة.

الأفكار الفرعية:

ذكر أن الخوارج على اختلاف أصنافها تبرأ من الكاذب، ومن الذين يجاهرون بالمعصية^(٣) وحكي الأشعري أنهم ينكرون عذاب القبر، ولا يرون على الناس فرضاً ما لم تأتهم الرسل^(٤)، وقد احتجوا على ذلك بقوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)^(٥) كما خالفوا اعتقاد أهل السنة بشفاعة الرسول يوم القيامة^(٦)

وربما يكون من المفيد في هذا المقام أن نعرض لما ذكره القلقشندي حول إيمان جميع الخوارج، إذ كشف لنا العديد من آرائهم وأفكارهم في كثير من الأمور المختلفة، فعلى الرغم من أن هذا الإيمان يماثل في أصوله إيمان أهل السنة فإنهم يزيدون عليها، فيقولون: "وإلا أجزت التحكيم وصوبت قول الفريقين في صفتين، وأطعت بالرضى مني حكم أهل الجور وقلت في إمارة بني أمية عدل وإن قضاءهم حق، وأن عمرو بن العاص أصاب وأن أبا موسى الأشعري ما أخطأ"^(٧).

(١) انظر الغزالي، فيصل التفرقة، ص ٥٦

(٢) مغنية، مع الشيعة الامامية، ط بيروت ١٩٥٦، ص ٧

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٦

(٤) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٠٦

(٥) سورة الإسراء آية ١٥

(٦) ابن تيمية، الإيمان، ص ١٤٢ - ١٤٣ ط القاهرة ١٣٢٥ هـ

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٢٢٥



ويبدو أن الخوارج ظلوا . في أول أمرهم . على رأي واحد، لا يختلفون إلا في الأمور الفرعية البسيطة، فكانوا يتولون أهل النهروان الذين يصفونهم كشهداء بدر عند المسلمين، كما كانوا يتولون كبيرهم أبا بلال مرداس بن أدية^(١) ولعل تعرفنا آراء أبي بلال هذا يكشف لنا أفكارهم قبل أن تتبلور عقائدهم بشكلها الواضح.

كان أبو بلال من الذين حاربوا إلى جانب علي في صفين، ثم أنكر التحكيم، ولكنه لم يكن يدين باستعراض، ولا يرى القتال إلا دفاعاً عن النفس، كما كان يحرم خروج النساء^(٢)، وقد قيل أنه كان يدين بالتقية، فقد ذكر المبرد أنه نصح البلجاء^(٣) الخارجية أن تستتر، بعد أن كانت تحرض الناس على ابن زياد، فقال لها: "إن الله قد وسع على المسلمين في التقية فاستتري"^(٤)

ولقد خالف مرداس في بدء أمره رأي أسلافه، فلم ير حرجاً في الإقامة في ديار المسلمين . من مخالفهم . وظل على هذا الاعتقاد حتى حبسه عبدالله بن زياد، وأخذ يجد في مطاردة الشراة، حينذاك صمم على الخروج، فلما سئل عن ذلك، قال: " أريد أهرب بديني وأصحابي من أحكام هؤلاء الجورة"^(٥)

وهكذا بدا لنا أن الخوارج في بدء أمرهم لم يكونوا أصحاب نظريات عقيدية خاصة بهم، بل كانوا يخضعون لاجتهادات زعمائهم الذين لم تكن قد تبلورت لديهم أفكار محددة واضحة يتميزون بها عن سائر المسلمين، وربما كان انشغالهم بالأعمال الحربية المتواصلة قد حال بينهم وبين النظر في الأمور الفكرية، ولم يتسن لهم

(١) المبرد، الكامل، ج ٣، ص ٢١٥

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٥١٨

(٣) هي امرأة من بني حازم بن يربوع بن حنظلة التميمي (شرح النهج، ج ٥، ص ٨٢)

(٤) المبرد، الكامل، ج ٣، ص ٢١٥، ولعل أخذه بمبدأ التقية هو الذي جعل الشيعة تدعيه، فقد زعموا أنه كتب إلى الحسين بن علي، فقال: إني والله لست من الخوارج، ولا أرى رأيهم، وإني على دين أبيك إبراهيم، ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ٩٧

كما استحلته المعتزلة، وزعموا أنه خرج منكراً جور السلطان، داعياً إلى الحق والعدل، واستدلوا على ذلك من رده على زياد، حين توعد وهدد أن يأخذ المحسن بالمسي، والمطيع بالعاصي، المبرد، نفس المصدر، ص ٢١٤

(٥) المبرد، نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٥٠



ممارستها إلا في مرحلة متقدمة من العصر الأموي، حين تسرب إلى عقائدهم طرف من المباحث الكلامية، كالكلام في الاستطاعة، وخلق الأفعال، الوعد والوعيد، وغيرها. ويمكن لنا مما تقدم أن نعلم بوضوح كيف أن الخوارج ليسوا مجرد بدو كما ادعى بعض المؤرخين، وليست حركتهم "تطاولا وتمردا وفتنة" ضد أولي الأمر. وليست "مروقا وكفرا وزندقة" من الناحية الديني، وإنما كانوا من أحسن الناس فكرا، وأصوبهم وأقربهم إلى حقيقة الحوار والمناظرة، وسوف يري القارئ هنا نموذجا لذلك في استجابة شوذب الشيباني^(١). زعيم الخوارج. الذي أعد له عمر بن عبدالعزيز جيشا كبيرا

(١) والكره الطبري باسم بسطام من بني يشكر الرسل والملوك، ج ١، ص ٥٥٥



الفصل الثاني

عوامل استقطاب المشرق للخوارج

١. الفتح الإسلامي وظهور العنصر العربي في المشرق.
- ٢- أثر حركة القبائل العربية في المشرق في تواجد الخوارج
- حركة القبائل
- الصراع بين القبائل ودور الخوارج.
٣- هجرة الخوارج من العراق
- العراق مركز التنظيم السري
- الهجرة إلى المشرق ودور الولاة



أولاً: الفتح الإسلامي للمشرق وظهور العنصر العربي :

لقد وجد الخوارج والمعارضون للسلطة من الفتح الإسلامي طريقاً سهلاً يوصلهم إلى المناطق النائية لإظهار المعارضة هناك وهذا ما ظهر في تجمعات الخوارج أثناء الفتوحات الإسلامية في المشرق، حيث كان معظمهم جنوداً في جيوش الخلافة، ثم أصبحوا معارضين خارجين عليها في أرض نائية عن السلطة ألا وهي المشرق خاص، وأن جيوش المسلمين الموجهة إلى الفتح كان لا بد وأن تضم صفوة المسلمين، وأن يكون بين صفوفهم حفظة القرآن والقراء (١)، وهؤلاء هم لبنة تكوين الخوارج.

فتح العراق:



(١) الطبري، الرسل والملوك ج ٣ ص ٣٤٣ وشكري فيصل، المجتمعات الإسلامية ص ٨٨





كان العراق خاضعاً للدولة الفارسية منذ سنة ٢٢٢ م ، إذ تمكن أردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية (١) من القضاء على المقاومة في العراق، حتى تمكن من جعله جزءاً من الإمبراطورية الفارسية خاضعاً لنظمها وقوانينها، وأصبح بذلك أحد الأقاليم الأربعة التي كانت تكون الإمبراطورية الساسانية (٢)، وفي ظل السيطرة الفارسية على العراق، عنى الفرس عناية خاصة بالعراق فقاموا بإنشاء مشاريع الري، وإحياء المشاريع القديمة، فانتعشت الزراعة وكان العاقر من الأرض كثيراً والمعطل منها يسيراً (٣)، وبيذكرنا ذلك بما حدث عندما أسس (عبدالرحمن الداخل) (٤) الدولة الأموية في الأندلس،

(١) أردشير بن بابك بن ساسان سنة (١٨٠-٢٤٢)، حاكم إصطخر ووالي فارس أسس الإمبراطورية الساسانية بعدما أسقط الإمبراطورية البارثية، وأصبح أول الملوك الساسانيين . ولد في بلاد فارس في قرية طبرود من قرى مدينة اصطخر.

(٢) حمزة الأصفهاني ، التاريخ ، ص ٦٥ أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني (٢٨٠ - ٣٦٠ هـ هو مؤرخ، أديب. من أهل أصفهان . رحل إلى بغداد وغيرها للدراسة. من مصنفاته «التنبيه على حدوث التصحيف» و«تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء». وقد ألف المستشرق أوجين كتاب «مؤلفات حمزة الأصفهاني» باللغة الألمانية

(٣) أبو يوسف ، الخراج ص ٤٨

(٤) عبد الرحمن الداخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الملقب بصقر قريش ويعرف بالداخل، الأموي: مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، وأحد عظماء العالم ولد في دمشق، وشيخه





فشرع العرب يعمّرون، وينمون موارد البلاد الطبيعية حتى قيل إنه لم يبق في عهده ذراع أرض بلا زرع، كما اهتم الفرس بتحسين حدود العراق، وإقامة الحصون والمسالح ليبعدوا عنه (العراق) غارات البدو والطامعين، وزاد اهتمامهم باتخاذهم المدائن عاصمتهم الشتوية في أول الأمر وما لبثوا أن اتخذوها مركزا دائما لهم منذ عهد أنوشروان بن قباد^(١) ومن مظاهر عنايتهم بالعراق مساعدتهم إقامة دولة المناذرة التي اتخذت الحيرة عاصمة لها. ولكن لا بد لنا هنا أن نعلم أن غاية الفرس من مساعدتهم في إقامة هذه الدولة. هي أن تكون حاجزا يمنع غارات البدو الذين دأبوا على الإغارة على أرض السواد كلما سنحت لهم الفرصة، وكذلك لصد غارات الدولة البيزنطية في الشمال.

سنة ١١٣ هـ - بني الرصافة بقرطبة تشبها بجده هشام بناني رصافة الشام. وتوفي بقرطبة ودفن في قصرها ١٧٢ هـ الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣٨)

(١) اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٦٤ اليعقوبي (- بعد ٢٩٢ هـ) أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد. كان جده من موالى المنصور العباسي. رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمنية. ودخل الهند. وزار الأقطار العربية. وصنف كتابا جيدة منها (تاريخ اليعقوبي) انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي، وكتاب (البلدان - ط) و (أخبار الأمم السالفة) صغير، و (مشكلة الناس لزمانهم) رسالة. واختلف المؤرخون في سنة وفاته، فقال ياقوت الحموي ٢٨٤ ونقل غيره ٢٨٢ وقيل ٢٧٨ أو بعدها.



لقد اعتنق ملوك الحيرة الديانة النصرانية . وكان أول من اعتنقها من ملوكهم عمرو بن عدي^(١) مؤسس الدولة^(٢) فانتشرت هذه الديانة في ربوع العراق، وكانت تنافي عقيدة الفرس الذين اعتبروا المجوسية ديانة خاصة بهم، ولم يحاولوا أن يجبروا أحدًا على اعتناقها^(٣) .

ولقد ظل العراق خاضعا للفرس من سنة (٢٢٣ م إلى سنة ٦٣٧)، حتى اصطبغ بالصبغة الفارسية تمامًا، إلى أن جاء الفتح الإسلامي الذي هدأ أركان هذه الدول، وأخضع العراق تماما، وصبغه بصبغة جديدة، وهي صبغة الإسلام.

لقد تم فتح العراق على مرحلتين:

المرحلة لأولى وهي التي قام بها خالد بن الوليد رضي الله عنه^(٤) وأبو عبيدة بن مسعود الثقفي^(٥) والمثنى بن حارثة الشيباني رضي الله عنه^(٦) في خلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي أول خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي: أول من ملك العراق من بني لخم في الجاهلية. تولى بعد مقتل خاله " جذيمة " وانتقم له من قاتلته " الزباء " في خير طويل. وكانت إقامته بالحيرة، وهو أول من اتخذها منزلا من ملوك العرب. ومات فيها. قال البغدادي. هو أول ملوك لخم، استمر في الملك أكثر من ٥٠ سنة، منفردا به مستقلا، لا يدين لملوك الطوائف (من الفرس) ولا يدينون له. الأعلام للزركلي (٨٢ / ٥)

(٢) ابن خلدون المبتدأ والخبر، ج ٢ ص ١٧٢ ابن خلدون (ولد ٧٣٢ - ٨٠٨ توفي هـ) وابن خلدون هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وقرطبة وتلمسان والاندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسانس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برفوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزى بزي القضاة محتفظا بزي بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة. كان فصيحًا، جميل الصورة، عاقلًا، صادق اللهجة، عزوفًا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية. ولما رحل إلى الأندلس اهتز له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه.

(٣) جواد علي، العرب قبل الإسلام ج ١ ص ٧٩

(٤) البلاذري، فتوح البلدان ج ٢ ص ٣١٠

(٥) أبو عبيد بن مسعود الثقفي: قائد، من الشجعان. أمره عمر بن الخطاب على الجيش الزاحف إلى العراق لقتال الفرس، وهو أول جيش سيره عمر. وفي الكامل لابن الأثير خبر طويل عما صنعه في غارته على بلاد فارس. قتل في وقعة الجسر. وهو والد المختر الثقفي توفي - ١٣ هـ = - ٦٣٤ م) الأعلام للزركلي (٤ / ١٩٠)

(٦) المثنى بن حارثة بن سلمة الشيباني: صح أبي فاتح، من كبار القادة. أسلم سنة ٩ وغزا بلاد الفرس في أيام أبي بكر، فنتقل الناس أخباره، فسأل أبو بكر: من هذا الذي تأتينا وقائع قبل معرفة نسبه؟ فقال قيس بن عاصم: أما إنه غير حامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا قليل العدد، ولا ذليل الغارة، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني! ثم وفد على أبي بكر فأكرمه وأمره على قومه، وعاد يغير على سواد العراق (وهو أول من فعل



والمرحلة الثانية: قام بها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا^(١)

وفي المرحلة الأولى وقف العرب من أهل العراق بجانب الفرس في أول الأمر؛ ولذا لم تأت هذه المعركة بنتائج حاسمة، ولم تثبت فيها أقدام المسلمين، ولم يكن الفرس مقدّرين تماما لقوة العرب، والغرض الذي حاربوا من أجله، بل حسبوا أنهم - أي المسلمين - إنما جاءوا كما كان يفعل أسلافهم من قبل والغزو والسلب، ثم يعودون إلى جزيبتهم، ولكنهم لما شعروا بأن هؤلاء لم يأتوا لأجل ذلك، وإنما جاءوا فاتحين، ن وداعين إلى دين جديد يدعون إلى الحق، والعدل، والمساواة، والإيمان بالله وحده لا شريك له، وبرسوله محمد "صلى الله عليه وسلم، عندئذ عملوا على جمع كلمتهم، وتناسوا أحقادهم واختلافاتهم، وعوّلوا على أن يجمعوا للعرب كل قوتهم؛ ليدافعوا عن كيانتهم، وأمام هذا القرار الفارسي، وأمام القوات الكبيرة اضطرت الجيوش العربية الإسلامية إلى التراجع إلى أطراف السواد، وقد أسهم في ذلك رحيل خالد بن الوليد إلى الشام بأمر من أبي بكر لمعاونة المسلمين هناك، ونقض أهل السواد العهد التي أبرموها مع العرب وانضمامهم إلى الفرس، فكانت النتيجة هي انهزام أبي عبيدة مسعود الثقفي في معركة الجسر سنة (١٣هـ / ٦٣٤م) ^(٢) وتراجع المثني إلى أطراف السواد ^(٣).

أما في المرحلة الثانية لفتح العراق فقد تمكّن عمر بن الخطاب من أن يجمع فيها جيشًا كبيرًا وجّهه إلى العراق، وعهد بقيادته إلى صحابي جليل مشهور بالشجاع وقوة

ذلك من المسلمين) فأمدّه أبو بكر بخالد بن الوليد فكان بدء الفتح. ولما ولي عمر أمده بجيش عليه أبو عبيد بن مسعود الثقفي " وقتل أبو عبيد، وجرح المثني، فأمدّه عمر بجيش يقوده سعد ابن أبي وقاص. وشهد المثني عدة وقائع بعد شفائه، فانقضت عليه جراحته، فمات قبل وصول سعد إليه استشهد متأثرًا بجراح معركة الجسر سنة ١٤ هـ = ٦٤٥ م) الأعلام للزركلي (٥/ ٢٧٦)

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٣١١

(٢) الطبري، الرسل والملوك، ج ٤، ص ٧٠. ويذكر البلاذري ان موقعه الجسر كانت يوم السبت في آخر رمضان سنة ١٣ هـ. انظر فتوح البلدان، ج ٢ ص ٣١٠

(٣) ابل خياط، التاريخ ج ١ ص ٩٢ الطبري، الرسل ج ٣ ص ٥٩٠



الإيمان، ألا وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي تمكّن من دحر الفرس في معركة القادسية (١) المظفرة سنة (١٥هـ / ٦٣٦م) (٢)



وهي المعركة الحاسمة التي قضت على قوة الفرس في أراضي العراق، وفتحت للمسلمين الطريق إلى عاصمتهم المدائن، ومن ثم إلى المشرق عامة فتمكّنوا من فتح المدائن، وكان المسلمون فيها ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف، ورستم في ستين ألفاً (٣)، ولما انهزم الهرمزان يوم القادسية قصد خوزستان، وقاعدتها الأهواز (٤).

(١) معركة القادسية أحد معارك الفتح الإسلامي لفارس وقعت في ١٣ شعبان ١٥ هـ (١٦-١٩ نوفمبر ٦٣٦)، بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص والإمبراطورية الفارسية بقيادة رستم فرخزاد في القادسية، انتهت بانتصار المسلمين ومقتل رستم. وكانت أحد أهم المعارك لفتح العراق. وشهدت المعركة تحالف للإمبراطور الساساني يزيدجرد الثالث مع الإمبراطور البيزنطي هرقل الذي زوج حفيدة مانباغ إلى يزيدجرد كرمز للتحالف. كان انتصار المسلمين في القادسية بداية لانتصارات إسلامية لاجئة في المنطقة، كان من أهمها فتح المدائن في شهر صفر سنة ١٦ هـ، ووقوع معركة جلولاء، وفتح حلوان في ذي القعدة من السنة نفسها. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص: ٥، ٦، ٨، ٢٣، ٢٤.

(٢) الطبري الرسل والملوك ج٣ ص ٥٩٠

(٣) ابن الخياط التاريخ ج١ ص ١٠١ في حين يقول البلاذري كان المشركون زهاء المائة ألف وعشرون ألفاً معهم ثلاثون فيلاً، وكان جمع المسلمين تسعة آلاف إلى عشرة الفتح ج ٢ ص ٣١٤.

(٤) إقليم الأهواز أو عربستان وخوزستان، منطقة في إيران أغلبية سكانها عرب، هي منطقة تقع بجانبها من الناحية الجغرافية



فملكها وظل يغير على ثغور البصرة حتى قاتله المسلمون، فطلب الصلح، فأجيب، ثم بينه وبين المسلمين خلاف على الحدود، فنقض العهد، فبعث إليه عتبة جيشاً هزمه، ففرّ وطلب الصلح على ما بقي من البلاد، في الوقت الذي كان يجمع فيه أهل فارس فأرسل إليه سعد رضي الله عنه النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه (١)، في جند كثيف، ونزلوا منازل الهرمزان ، فلما بلغ الهرمزان مسيراً يرى النعمان إليه، بادره بالشدة ولقيه، ولكنه انهزم وفرّ إلى تستر (٢) فسار إليه أبو موسى الأشعري في جند البصرة (٣) فأتى تستر ولحقه النعمان (٤) فحاصروا الفرس بها أشهراً، وأكثروا فيهم القتل، وزاحفوه ثمانين زحفاً حتى اقتحموا المدينة، وتحصن الهرمزان بالقلعة، ولكن سرعان ما أوثقوه، واقتادوه إلى عمر (٥) ولما جاء الأحنف رضي الله عنه بالهرمزان إلى عمر، قال له: يا أمير المؤمنين لا يزال أهل فارس يقاتلون ما دام ملكهم فيهم، فلو أذنت بالانسياح في بلادهم فأزلت ملكهم، انقطع رجائهم (٦) فأجابه عمر رضي الله عنه إلى ذلك ، وعقد سبعة ألوية للانسياح في المشرق:

الأول لواء خراسان للأحنف رضي الله عنه، ولواء أردشير في سابور لمجاشع السلمي، ولواء اصطخر لعثمان ابن أبي العاص الثقفي، ولواء دار بجرد لسارية الكتاني، ولواء كرمان

(١) النعمان بن مقرن المزني صحابي جليل من صحابة رسول الله، أمير قبيلة مزينة التي تسكن قريباً من المدينة المنورة. سكن البصرة، ثم تحوّل إلى الكوفة. ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة الجزء السادس. ص. ٢٤٦

(٢) انظر: الطبري، الرسل والملوك ج ٤ ص ٧٧ الدينوري الأخبار الطوال ص ١٣ هو أبو بكر الدينوري (ت- ٣٣٣ هـ) هو: أحمد بن مروان الدينوري المالكي، أبو بكر: قاض من رجال الحديث . كان على قضاء (القلزم) ثم ولي قضاء (أسوان) بمصر عدة سنين. وتوفي بالقاهرة. من كتبه (المجالسة وجواهر العلم - خ) الجزء الأول منه، وهو من أماليه [ثم طبع كاملاً بتحقيق الشيخ مشهور بن حسن و (الرد على الشافعي) و (مناقب مالك) وفي العلماء من يتهمه بوضع الحديث.

(٣) ابن الخياط والتاريخ ص ١١٩ ابن الخياط الكتاب: تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ) المحقق: د. أكرم ضياء العمري

(٤) الدينوري الأخبار الطوال ص ١٣ وانظر الطبري، نفس المصدر، ج ٤ ص ٨٤

(٥) الطبري نفس المصدر والصفحة ص ٨٦ ٨٧

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣ ابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير: المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتجوّل في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع العلماء والأدباء، وتوفي بها. من تصانيفه «الكامل - ط» اثنا عشر مجلداً، مرتب على السنين، بلغ فيه عام ١٠٢٩



لسهيل بن عدي، ولواء سجستان لعاصم بن عمرو، وأخيراً لواء مكران للحكم التغلبي . فساروا وكان انسياحهم في بلاد العجم ففتحوها على مراحل وأزمنة مختلفة .

تَوَجَّ المسلمون انتصار القادسية بانتصار آخر، في معركة جلولاء سنة (١٦هـ /

٦٣٧م)

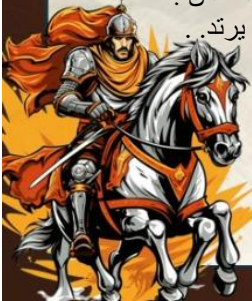


وسميت جلولاء بهذا الاسم حيث جثت قتلى الفرس أرض المعركة، وغنم المسلمون فيها غنيمة لم يغنموا مثلها قط (١)، وبهذا كانت سيطرة الفرس على العراق قد انتهت، وذلك في آخر سنة (١٦هـ / ٦٣٧م) (٢) ورغم ذلك لم ينته أمرهم نهائياً إلا في معركة نهاوند سنة (٢١هـ / ٦٤١م) (٣) والتي يعدها البلاذري من فتوح أهل الكوفة (٤)،

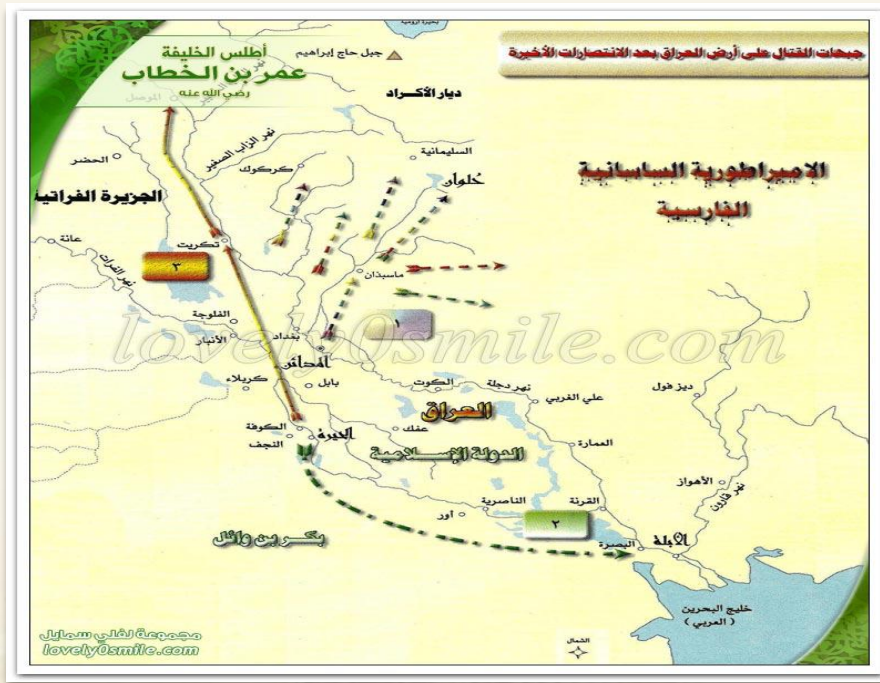
(١) البلاذري ، فتوح البلدان ج٢ ص ٣٢٥ والطبري ، نفس المصدر ج ٤ ص ٢٤ ، الذنوبري ، نفس المصدر ١٢٧، موقعة جلولاء وقعت في سنة ١٦ للهجرة الموافق ٦٣٧ ميلادية، بعد فتح المدائن. فأقام سعد في المدائن ومضى صيف سنة ١٦ للهجرة في راحة. أما يزيدجرد وجيشه المنهزم فانه هرب إلى الجبال وخضع الذين على الشاطئ الدجلة لأنهم وجدوا أن المقاومة لاتجدى ففعلاً وفي الخريف اجتمع الفرس على يزيدجرد بحلوان على نحو مائة ميل من المدائن ومن هناك تقدم قسم من الجيش إلى « جلولاء » وهي حصن أحاطوه بخندق وأحاطو الخندق بحسك الحديد (مسامير) الا اطرفهم فبلغ ذلك سعداً فأرسل إلى عمر فكتب اليه عمر أن سرح هاشم بن عتبة إلى « جلولاء » واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وان هزم الله الفرس فاجعل « القعقاع » بين السواد والجبيل وليكن الجند اثني عشر الفاً ففعل سعد ذلك وسار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنيمة في اثني عشر الفاً منهم وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن كان ارتد ولم يرتد .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٢ ص ٣٢٥

(٣) الذنوبري ، الأخبار الطوال ص ١٣٣



بينما يعدها بعدها الدينوري^(١) من فتوح أهل البصرة . وفيها انتصر المسلمون بقيادة النعمان ابن مقرن المزني^(٢) على الفرس وسميت فتح الفتوح لأهميتها ، وعظيم النتائج التي تمخضت عنها ، فلم يعد بعدها للفرس أية قوة ، وتبعثرت جيوشهم هنا وهناك تطاردهم الهزيمة، ويسوقهم الخوف، ثم انتهى أمرهم بمقتل آخر ملوكهم يزيدجر سنة (٣٠هـ / ٦٥٠م) في خلافة عثمان بن عفان^(٣) .



وهذا خضع العراق تماما للحكم العربي فانقلت إليه القبائل العربية من أنحاء الجزيرة وامتزجت بالسكان الأصليين من عرب ونبط وفرس^(٤) الامتزاج الشعب العراقي

(١) البلاذري ، نفس المصدر ، ص ٣٧٥

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٣

(٣) ابن الأثير ، الكامل ج ٣ ص ٩

(٤) الدينوري ، نفس المصدر ص ١٤٠ .

(٥) ابل عبدربه، العقد الفريد تحقيق محمد سعد العريان ط ١٩٥٣ ، ج ٣ ص ٣٣٤ .



الذي دان بالإسلام كما سادت اللغة العربية غيرها من اللغات التي كانت منتشرة في أرجائه^(١) .

وقد ساعد دخول العراق في المجموعة العربية الإسلامية على نشر الدين الإسلامي في أقطار عديدة، حيث أصبح البوابة الرئيسية لانطلاق الجيوش الإسلامية إلى المشرق في سبيل الفتح الإسلامي، فكان العراق من أهم المراكز العربية لنشر الدين الإسلامي كما كان من أهم مراكز تجمع الخوارج ، ومنه نزحوا إلى المشرق آنذاك .



(١) جراد على ، العرب قبل الإسلام ، بغداد ، ص ١٩٥٦ ، ج ٦ ص ٧

فتح فارس:



وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه والياً على البحرين وذلك سنة (١٦هـ جمادى الثانية / يونيو ٦٣٧م) (١) فأراد أن يكون له ذكر في حروب المسلمين مع الفرس، وأن يأتي بمثل ما أتى به سعد في القادسية ، فندب الناس فارس

(١) كان العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه قد سار في عهد أبوبكر رضي الله عنه الى البحرين في الفي رجل من المهاجرين والانصار (ابن اعثم ، الفتوح ج١، ص ٤٨). وفي سنة (١٦هـ) ولاه النبي الله عليه وآله وسلم البحرين، وبعثه الى المنذر بن ساوي العدي ملك البحرين، ثم ولاه على البحرين لما فتحها الله عليه. ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على اليمامة والبحرين، وكان والياً عليها من قبل في عهد أبي بكر لكن عمر عزله وولي مكانه قدامه ابن منظور ، ثم عزل قدامة وولى العلاء. ينظر: الطبري، الرسل والملوك ج٤ ص ٧٩) والبلاذري فتوح البلدان ج٢ ص ٤٧٦).



، فأجابوه وعبر بهم البحر^(١)، دون إذن الخليفة عمر بن الخطاب الذي سبق أن نهاه عن البحر، وربما يرجع نهى عمر بن الخطاب لأبي العلاء عن عبور البحر إلى أن معظم جيوش المسلمين من البدو الذين لم يركبوا البحر، وتمكن العلاء في أول الأمر من فتح جزيرة^(٢) في البحر مما يلي فارس، لكن الفرس حالوا بين المسلمين وسفهم ، فقاتل المسلمون مستميتين حتى قتلوا من الفرس، واتجهوا نحو البصرة طلبا للنجاة فتداركهم الخليفة، وأرسل إليهم عتبة بن غزوان رضي الله عنه وهو بالبصرة فسار في اثني عشر ألف مقاتل، وأدركوا المسلمين، وانهزم الفرس بعد قتال مرير، وعاد المسلمون بالغنائم إلى البصرة^(٣) .

ولما تولى عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان سنة ١٧هـ^(٤) من قبل الخليفة عمر بن الخطاب، وجه أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس في جيش من عبدالقيس والأزد وتميم وبنى ناجية وغيرهم^(٥) ففتح جزيرة أبركاوان^(٦)، ونزل بتوج، وبنى المساجد، واتخذها دارا للمسلمين وأسكنها عبدالقيس وغيرهم^(٧). في هذا الوقت كانت ألوية المسلمين التي أعدها عمر بن الخطاب جاهزة للانسياح شرقا في أرض الأعاجم، فاتجه لواء لنعيم بن مقرن إلى همدان ، وكان قد وعد نعيم بأنه إذا فتح همدان ، سار إلى ماوراء ذلك حتى خراسان^(٨)، فخرج ابن مقرن إلى همدان،

(١) الطبري ، المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٢) هي جزيرة دارين فقد سار إليها العلاء بن الحضرمي في جوف الليل واحتوى المسلمون على جميع ماكان في الجزيرة من النساء والذرية الأموال (اب اعثم الفتوح، ج ١ ص ٥٣) .

(٣) الطبري المصدر السابق ج ٤ ص ٨٠

(٤) نفسه عثمان بن أبي العاص الثقفي وهو عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبيد بن دهمان ، وقد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع وعشرين في أناس من ثقيف، فسأله مصحفا فأعطاه، وأمره على الطائف، وأمره بالتجوز في الصلاة، شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسواسا يعرض له في صلاته، فضرب صدره، وتقل في فيه فلم يحس به بعده، كان ذا مال كثير الصدقة والصلة، يختار العزلة والخلوة، سكن البصرة، وإليه ينسب سوق عثمان، داره دار البيضاء، وله بالبصرة غير دار توفي سنة إحدى وخمسين بالبصرة، معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤/ ١٩٦٢) .

(٥) البلاذري المصدر السابق ج ٢ ص ٩٤ .

(٦) جزيرة ابركاوان ويقال لها أيضا "ابن كادان" هي جزيرة عامرة بالسكان فيها مزارع وقرى تطل على ضفة الخليج العربي الغربية ، وتقع بين عمان والبحرين (ياقوت ج ٣ ، ص ٧٩) .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ ص ٤٧٥ .

(٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٨



واستولى على بلادها جميعاً وحاصرها، وسألوه الصلح ففعل، وقبل منهم الجزية، وكان ذلك في سنة (٢٤هـ / ٦٤٥م) (١)، وكانت همذان والري قد فتحت أولاً في عام (١٢هـ / ٦٣٣م)، فتم فتح الأولى همذان عنوة على يد حذيفة، ويقال فتحها المغيرة بن شعبة سنة (٢٤هـ / ٦٤٤م) (٢) أما الثانية فغزاها أبو موسى الأشعري وفتحها سنة (٢٤هـ / ٦٤٤م) (٣)

فتح أذربيجان:



كان المغيرة بن شعبة واليا على الكوفة من قبيل الخليفة عمر بن الخطاب فأنفذ كتابا من الخليفة إلى حذيفة بن اليمان يأمره فيه بولاية أذربيجان، وكان وقتها بنهاوند، فسار حتى أتى مدينة أردبيل، وهي عاصمة أذربيجان، ومركز حاكمها الذي يطلق عليه آنذاك (مرزبان) والذي جمع حوله قوات كثيرة فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً حتى

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) ابن خياط ، التاريخ ج ١ ص ١٢٤ .

(٣) البلاذري ، نفس المصدر نفسه ج ٢ ص ٤٠٠



اضطر المرزبان (١) إلى طلب الصلح، فصالحه حذيفة رضي الله عنه سنة (٢٢هـ/٦٤٢م)، على ثمانمائة ألف، فأجاب إلى ذلك أهل أذربيجان كلهم وفتحت أذربيجان سلماً (٢)، واستعمل عليها عتبة بن فرقد السلمي رضي الله عنه (٣)، ثم تولى أمرها سعيد بن سارية الخزاعي رضي الله عنه (٤)، ثم الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه (٥)، وذلك في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٦).

فتح اصطخر:



- (١) المرزبان: رئيس الفرس، أو الفارس الشجاع المقدم على القوم، وهو دون الملك في الرتبة والجمع: مرزبانة
 (٢) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٧
 (٣) عتبة بن فرقد السلمي هو صحابي ويعتبر فاتح شمال العراق وأذربيجان. أسلم قبل غزوة خيبر.
 (٤) سعيد بن سارية بن مرة بن عمران بن رباح بن سالم بن غاضرة بن حبشة بن كنجب الخزاعي فارس. له إدراك. وكان علي شرطة سيدنا علي وولاه أذربيجان. قال ابن عبد ربه الأندلسي: عند ذكره بطوناً من خزاعة، منهم: عمران بن حصين، وسعيد بن سارية، ولي شرطة علي بن أبي طالب، وأبو جمعة جد كثير عزة. وفي رواية: سعد بن سارية. (الإصابة ١١٢/٢). جمهرة أنساب العرب ٢٣٧/٣. العقد الفريد ٢٩٨/٣. قاموس الرجال ٣٦٠/٤).
- (٥) لأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، أبو محمد: أمير كندة في الجاهلية والإسلام. كانت إقامته في حضرموت، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ظهور الإسلام، في جمع من قومه، فأسلم، وشهد اليرموك فأصيب عينه كان الأشعث مع سيدنا علي يوم صفين، على راية كندة. وحضر معه وقعة النهروان. ورد المدائن، ثم عاد إلى الكوفة فتوفي فيها (ت ٤٠هـ) ينظر: الأعلام للزركلي (١/٣٣٢).
- (٦) البلاذري، فتوح البلدان، ج ٢ ص ٤١١.



غزاها عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه (١) سنة (٢٣ هـ / ٦٤٣ م) (١) "توج في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان يغزو صيفاً ويرجع فيشتو في توج (٢) ولما عزل عثمان بن عفان رضي الله عنه أبا موسى الأشعري رضي الله عنه عن البصرة، وولي مكانه الذي تولى أمر عبدالله بن عامر رضي الله عنه، تولى أمر فتح اصطخر عمير بن عثمان بن سعيد خراسان وأتم فتحها، ثم عاد إلى فارس؛ ليحارب الفرس في اصطخر، ولكنه هزم وقتل، ولما علم بذلك ابن عامر رضي الله عنه وإلى البصرة (٣) جهز جيشاً، ولقى الفرس باصطخر فقتل منهم مقتلة عظيمة، وفتحها عنوة (٤)، وكان الفرس يعتبرون اصطخر هذه التاج، فإن ذهبت منه ريشه، لم يكن للعجم نظام بعده (٥).

(١) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان، من ثقيف: صحابي، من أهل الطائف. أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر. ثم ولاء عمر " عمان " و " البحرين " سنة ١٥ هـ وكتب له أن يستخلف على الطائف من أحب، فاستخلف أخاه الحكم. واستمر في البحرين إلى أن آلت الخلافة لعثمان بن عفان، فعزله، فسكن البصرة إلى أن توفي. له فتوح وغزوات بالهند وفارس. وفي البصرة موضع يقال له " شط عثمان " منسوب إليه. وهو الذي منع ثقيفاً عن الردة: خطبهم فقال: كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتدادات ٥١ هـ الأعلام للزركلي (٤/٢٠٧).

(٢) ابن الأثير، نفس المصدر ص ٤٠

(٣) (ابن خياط، التاريخ ج ١ ص ١٢٦ . وتوج من أعمال فارس .

(٤) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي، أبو عبد الرحمن: أمير، فاتح. ولد بمكة سبقت ترجمته (ابن خياط) ج ١ ص ١٢٦، والأعلام للزركلي (٤/٩٤).

(٥) ويذكر البلاذري ان القتلى من الأعاجم كانوا أربعين ألفاً، نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٨٠، وانظر الطبري، الرسل الملوك، ج ٤، ص ١٧٧ .

(٦) ابن اعثم الفتوح ج ٢ ص ٧٢.



فتح كرمان :



يقول ابن الأثير إن فتح كرمان تم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي فتحها هو عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي سنة (٢٣ هـ / ٦٤٣م^(١)) أما البلاذري فيذكر أن الذي تولى فتحها هو مجاشع بن مسعود السلمي^(٢) الذي تمكن من فتحها عنوة، واستبقى أهلها، وأعطاهم الأمان، وبنى بها قصرا يعرف بقصر مجاشع^(٣) ثم يعود ابن الأثير ليذكر أن فتح كرمان الثاني إنما تم في سنة (٣١ هـ / ٦٥٠م)، على يد مجاشع بن مسعود السلمي، وكان أهلها قد نكثوا العهد وعبروا فأغار عليهم مسعود،

(١) ابن الأثير، نفس المصدر (ج ٣ ص ٤٤) . عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي: صحابي. كان من الدهاء الفصحاء، انتهت إليه السيادة في خراة. أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وتبوك. وقاتل مع عليّ بصفين، فكان قائد الرجالة، فقتل (ت ٣٧هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٧٣) .

(٢) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي: صحابي، من القادة الشجعان. استخلفه المغيرة بن شعبه على " البصرة " في خلافة عمر. وغزا " كابل " وصالحه صاحبها " الأصبهيد " . وقيل: كان على يديه فتح " حصن أبرويز " بفارس. وكان، يوم الجمل، مع " عائشة " أميرا على بني سليم، فقتل فيه، قبل الوقعة ودفن بداره في " بني سدوس " بالبصرة. له خمسة أحاديث، في الصحيحين وغيرهما. ٣٦ هـ) . ينظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٢٧٧) .

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ، ج ٢ ص ٤٨٢



وقاتلهم ما حولها من المدن مثل: جيرفت والقعص، وهرب معظمهم إلى مكران وسجستان^(١).

أما المؤرخ ابن أعمش . في كتابه الفتوح . فيذكر لنا أنه بعد أن تمكن أبو موسى الأشعري من فتح اصطخر تقدم نحو كرمان، فجعل يفتحها موضعًا موضعًا^(٢) وكرمان هذا إقليم في شرق فارس ليس بخصب لخلوه من الأنهار تقريبًا، وكان لهذا الإقليم قصبتان في أيام العباسيين وهما: السيرجان، وكرمان ، وأشهر مدنه هرمز على الساحل، وجيرفت في الداخل^(٣).

فتح خراسان:



(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٢٨

(٢) ابن أعمش الفتوح ج ٢ ص ٧٧ وانظر : الواقدي ، فتوح الإسلام ص ١١٧ وياقوت معجم البلدان ج ١ ص ١١٧

(٣) لسترنج بلاد الخلافة الإسلامية في المشرق ص ١٩-٢٠



خراسان في الفارسية القديمة معناها "البلاد الشرقية" وكان هذا الاسم في أوائل القرون الوسطى يطلق بوجه عام على جميع الأقاليم الإسلامية في المشرق^(١) وفي أول الأمر عقد لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس رضي الله عنه (٢)، الذي سار إليها ، وافتتح في طريقه هراة، ثم سار إلى مرو الشاهجان^(٣)، ففر يزدجرد منها إلى مرو الروز فملكها الأحنف، هناك جاءه المدد من أهل الكوفة، فواصل سيره فيتعقب يزدجرد إلى مرو الروذ، وجعل الكوفيين في مقدمته فالتقوا مع يزدجرد على بلخ، فهزموه، فعبر النهر ولحقهم الأحنف، وفتح الله عليهم. ودخل عامة أهل خراسان في الصلح ودفعوا إلى الأحنف بن قيس تلك الخزائن والأموال التي كانت عندهم، وتراجعوا وأموالهم على أفضل ما كانوا عليه زمن الأكاسرة، ثم سار الأحنف إلى بلخ فنزلها^(٤) وكتب إلى الخليفة بهذ النصر، ولما وصل خبر الفتح إلى الخليفة عمر بن الخطاب، جمع الناس وحمد الله في خطبته على إنجاز وعده ثم قال: " ألا نملك المجوسية قد هلك فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم ، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وابناءهم لينظر كيف تعملون، فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تولى إلا من قبلكم^(٥) ويحدثنا الطبري^(٦) عن فتح خراسان فيقول: لقد بعث علي بن أبي طالب جعرة بن هبيرة إلى خراسان، ثم حاصر أهل نيسابور حتى صالحوه مرو .

(١) نفس المرجع ، ص ٤٢٣

(٢) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المرّي السعدي المنقري التميمي، أبو بحر: سيد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. يضرب له المثل في الحلم. ولد في البصرة وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يره. ووفد على عمر، حين آلت الخلافة إليه، في المدينة، فاستبقاه عمر، فمكث عاما، وأذن له فعاد إلى البصرة، فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: أما بعد فأذن الأحنف وشاوره واسمع منه إلخ. وشهد الفتوح في خراسان واعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفين مع عليّ سنة (٧٢هـ) ينظر: الأعلام للزركلي (١/ ٢٧٦).

(٣) ابن الأثير نفس المصدر ج ٣ ص ١٨

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٦

(٥) الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٦٣-٦٤

(٦) البلاذري فتوح البلدان ج ٣ ص ٤١١



فتح جرجان وطبرستان :



ولى الكوفة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية رضي الله عنه (١)، وذلك سنة (١٩ هـ ٦٤٩م) فخرج سعيد وغزا طبرستان بغير كتاب آتاه من، ويقال كان يرافقه في غزواته الحسن والحسين رضي الله عنهما أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتمكّن أحد من فتح بعض قرى طبرستان حتى اضطر ملك جرجان إلى طلب الصلح فصالحه سعيد على مائتي ألف درهم (٢) ثم واصل زحفه في أرض طبرستان حتى فتح سهل طبرستان والويان ونواحها، وخضعت طبرستان للمسلمين سنة (٣٠هـ/ ٦٥٠م) (٣) وتولى أمرها محمد الأشعث بن قيس الكندي (٤)، أما أهل جرجان فقد

(١) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. ربي في حجر عمر بن الخطاب. وولاه عثمان الكوفة وهو شاب، فلما بلغها خطب في أهلها، فانسبهم إلى الشقاق والخلاف، فشكوه إلى عثمان، فاستدعاه إلى المدينة، فأقام فيها إل أن كانت الثورة عليه، فدافع سعيد عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان، فخرج إلى مكة، فأقام إلى أن ولي معاوية الخلافة، فعهد إليه بولاية المدينة، فتولاها إلى أن مات. وهو فاتح طبرستان. وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قويا، فيه تجبر وشدة، سخيا، فصيحاً. قيل: توفي سنة ٥٣ هـ) ينظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٩٦)

(٢) البلاذري فتوح البلدان ج ٣ ص ٤١١

(٣) ابن خياط، التاريخ، ج ١، ص ١٤٢

(٤) محمد أبو عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي. ولد في عهد النبي، ولأه زياد بن أبيه والي العراق على طبرستان. وعندما تولى عبد الله بن الزبير الخلافة في الحجاز، ولأه أخوه مصعب العراق، فانضم إلى جيش الأشعث في الحرب ضد المختار الثقفي، وقُتل في معركة المذار التي قُتل فيها المختار.



نقضوا الصلح، وغدروا، فتوجه إليهم جهم بن زحر الجعفي^(١) ففتحها^(٢) ويقال إنه غزاهم في مائة وعشرين ألفا من أهل الشام والجزيرة والمصريين وخراسان^(٣).

(١) جهم بن زحر الجعفي: والي جرجان. كان من الشجعان الأشراف. خرج مع يزيد بن المهلب بالعراق، وولي له أعمالا. ولما قتل يزيد قبض على جهم في خراسان، وطيف به على حمار، ثم ضرب منتهي سوط وقتل

(٢) ١٠٢ هـ) الأعلام للزركلي (٢/ ١٤١)

(٣) (٢) البلاذري، فتوح البلدان ج ٢ ص ٤١٢

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٤١٣



فتح سيستان سجستان (١):



أخذت المصادر العربية القديمة اسم سجستان من الاسم الفارسي (sangistan) وتعتبر أرض المعارضة التي اندفع إليها الخوارج، لما لها من امتيازات طبيعية تجعلها في مأمن واكتفاء فموقعها الجغرافي جنوب خراسان مع إحاطتها ببحيرة زره، ووقوع نهر

(١) سيستان (بالفارسية: استان سيستان) واسمها القديم (أرض الساس) أو سهل ساستان وكانت تسمى في القرون الإسلامية الأولى «سجستان»، وهي منطقة تاريخية تقع في شرق إيران ويقع قسم منها في جنوب أفغانستان حيث كانت الأخيرة في أغلب العصور جزءاً من الإمبراطورية الفارسية. وقد كانت سيستان هي موطن لعدد من القبائل السكونية الإيرانية الأصل. سجستان: هي سجستان وسيستان وسمتها المراجع العربية القديمة من الاسم الفارسي سيكستان (sagistan) وهي البلاد السهلية (كي لسترنج المرجع السابق ص ٣٧٢) وذكر الاصطخرى أنها خصبه كثيرة الطعام والنمو والأعشاب (المسالك والممالك ص ٢٤٠). لموقع الجغرافي لسجستان: سجستان قديماً كانت تشمل مناطق أوسع بكثير من المنطقة الحالية التي يطلق عليها سيستان، وهذا قسم صغير من سجستان الواسعة الممتدة من «سيزوار» إلى «أرض السند»، ومن «كرمان» إلى «الهند» حسب رواية تاريخ سيستان. ذكر الحموي في معجم البلدان حدود سجستان قائلاً: ومن بوشنج إلى سجستان خمس مراحل، ويقال سبع مراحل فسجستان بالتوزيع الجغرافي القديم موزعة الآن بين ثلاث بلاد هي: (١) باكستان وتضم المناطق الواقعة في شمال غرب إقليم بلوشستان الباكستاني). (٢) أفغانستان وتضم المناطق والولايات الجنوبية لأفغانستان مثل ولايت هلمند وولاية نيمروز وولاية فراه). (٣) إيران (وتضم إليها مدينة زاهدان مركز محافظة سيستان وبلوشستان الإيرانية، ومدينة زابل ومدينة نهبندان وسربيشه اللتان تقعان حالياً في محافظة خراسان الجنوبية). والجزء الأكبر من سجستان (سيستان الحالية) تقع في الجنوب الشرقي من إيران في مساحة تبلغ قرابة ١٥١٩٧ كم. على الحدود الأفغانية، وتبلغ نسمة ساكنيها خمسمائة ألف أو أكثر؛ وأهل السنة يشكلون أكثر من ٤٠ في المائة من سكانها حسب الإحصائيات غير الرسمية، وقد تم التوجه إلى إقليم بلوشستان وتعرف بمحافظة «سيستان وبلوشستان».



هيلمند في شرقها، ومرتفعات رستاق وقندهار في أعالي النهر جعلها أرض أمان، وحصنا حصينًا، وهذا ماكان يتطلع إليه الخوارج .

كما كانت خصوبة أرضها ، وكثرة الطعام والتمور والأعناب^(١) بها من الأسباب التي شجعت الخوارج للاندفاع إليها، ولقد تمكّن الربيع بن زياد الحارثي - في أول الأمر - من فتح مدن وقرى بسجستان دون قتال مثل كركوبه^(٢)، وزالق وكرنك^(٣) ، اما زردشت وهي من قرى رزنج - فقد خرج أهلها فقاتلوه قتالا شديدا ، لكنهم انهزموا وقتل منهم الكثيرون ، فسار الربيع إلى ناشروذ، وقاتل أهلها وظفر بهم، ثم مضى إلى سرواذ وبعدها حاصر زرنج^(٤)، وظلت المعارك في مدن وقرى سجستان، حتى ولي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عبدالله بن عامر رضي الله عنه على البصرة فوّلّى . أي ابن عامر عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه سجستان فسار يفتح البلاد عنوة، أو يصالح أهلها، حتى بلغ كابل، فحاصرها شهورا، وكان يقاتلهم بالمنجنيق، حتى تمكّن المسلمون من دخولها عنوة بعد كسر الباب الذي وقع عليه فيل كان قد قتل بالمنجنيق^(٥).

ولما تولى زياد بن أبي سفيان البصرة، أقرّ عبدالرحمن بن سمرة على سجستان أشهرًا ثم ولّاه الربيع بن زياد ثم عزله وولى مكانه عبدالله بن أبي بكره، وهكذا ظل الولاة العرب يتعاقبون على اليسجستان.

وكان الحجاج قد أعد جيشا كبيرا لغزو سجستان قوامه عشرون ألفا من فرسان، وعشرون ألفا من أهل البصرة^(٦) واختار أهل الغنى والشجاعة، وأمدهم

(١) لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٧٢.

(٢) كركوبه: مدينة شمال زرنج مدينة زرنج وهي مدينة في أفغانستان وهي عاصمة ولاية نيمروز جنوب غربي أفغانستان بالقرب من حدود إيران. وكان أهلها من الخوارج فتحت صلحا وهي على بعد خمسة أميال من زالق (البلادري) فتوح البلدان ج ٢ ص ٤٨٤ ولسترنج المرجع السابق (ص ٣٨٠).

(٣) الكرنك: مدينة من مدن سجستان، يسميها البعض كرون، وهي مدينة نزهة كثيرة الخيرات وأهلها كلهم خوارج" ابن رسته الاعلاق النفسية ، ص ١٧٤. والاصطخري المسالك والممالك ص ٢٤٤ وابن حوقل ، صورة الأرض ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

والقزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ج ٢ ص ١٦٣ وانظر كسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٨٠

(٤) زرنج هي مدينة سجستان يقابلها بالفارسية شهرسيستان لسترنج نفس المرجع السابق ص ٣٧٣

(٥) البلادري، فتوح البلدان ج ٢ ص ٤٨٨

(٦) نفس المصدر ص ٤٨٩



بالسلاح الكامل، وبعث عليهم عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث^(١) فسار عبدالرحمن، ودخل سجستان وقرها شينًا فشيئًا، وبعث عمّاله عليها وأخذ منها الاموال والغنائم، ومنع من التوغل في البلاد إلى كابل، فكتب إلى الحجاج بذلك، فكتب إليه الحجاج يوبخه على القعود عن ألا توغل،، ويأمره بالمضي لما أمره به، من هدم حصونهم وقتل مقاتليهم، وسي ذراريهم، وأعاد عليه الكتاب بذلك ثانية وثالثة وقال له: إن مضيت وإلا فأخوك إسحاق مكانك^(٢)، فجمع عبدالرحمن الناس ورد الرأي عليهم وقالوا: لا نسمع ولا نطيع للحجاج، ثم خلعوا الحجاج، وبايعوا عبدالرحمن بالإمارة، فصالح عبدالرحمن صاحب سجستان^(٣) على أنه إن ظهر فلا خراج عليه ما بقي، وإن هزم منعه ممن يريد به ثم ولي على بست وعلى زرنج وسار إلى العراق، ولكن سرعان ما غدر به رتبيل^(٤) سجستان، وأسلمه خوفًا من الحجاج، لكن عبدالرحمن ألقى بنفسه من فوق الجبل^(٥) ولقد ظلت سجستان تدفع الإتاوة إلى عمال الخلفاء، حتى جاء عهد المهدي، فكانت الإتاوة تقبض من رتبيل سجستان تبعًا لقوة هؤلاء العمال وضعفهم^(٦)

(١) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٤٥٤ والطبرى الرسل والملوك ، ج ٦ ص ٣٣٥

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ص ٤٦٢

(٣) الخولى سجستان بن العرب والفرس ، ص ٦١-٦٢

(٤) البلاذرى فتوح البلدان ، ص ٤٤ وينظر (ENCY OF ESLAM (art kobul) nd ed vol

رتبيل ملك الترك كتب الحجاج إلى رتبيل يقول له: والله الذي لا إله إلا هو، لنن لم تبعث إلي بابين الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف مقاتل، ولأخربنها. فلما تحقق الوعيد من الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشار عليه بتسليم ابن الأشعث إليه قبل أن يخرب الحجاج دياره، ويأخذ عامة أمصاره، فأرسل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقاتل عشر سنين، وأن لا يؤدي في كل سنة منها إلا مائة ألف من الخراج، فأجابه الحجاج إلى ذلك، وقيل: إن الحجاج وعده أن يطلق له خراج أرضه سبع سنين، فعند ذلك غدر رتبيل بابن الأشعث، فقبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه فقيدهم في الأصفاد، وبعث بهم مع رسل الحجاج إليه، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له: الرخج، صعد ابن الأشعث وهو مقيد بالحديد إلى سطح قصر، ومعه رجل موكل به؛ لئلا يفر، وألقى نفسه من ذلك القصر، وسقط معه الموكل به فماتا جميعا، فعمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاحتزه، وقتل من معه من أصحاب ابن الأشعث، وبعث برؤوسهم إلى الحجاج، فأمر فطيف برأسه في العراق، ثم بعثه إلى أمير المؤمنين عبد الملك فطيف برأسه في الشام، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر فطيف برأسه هنالك، ثم دفنوا رأسه بمصر وجنته بالرخج، وقيل إنه مات عام ٨٥ هـ الموسوعة التاريخية السقاف احداث عام ٨٤ هـ.

(٥) الطبرى المصدر السابق ، ص ٣٩٠

(٦) انظر البلاذرى نفس المصدر ج ٢ ص ٤٩٥



إن الفتح الإسلامي للمشرق على يد العرب الغازين في سبيل الله يدل دلالة واضحة على عظمة هذه الفتوحات الإسلامية معنويًا، ولقد كانت أرض المشرق النائية والمستعصية لتاريخها الفارسي والتركي والعقائدي ممهدة لقبول الدين الإسلامي وأحكامه وجوهره .

ظهور العنصر العربي :

لابد لنا في أول حديثنا عن ظهور العنصر العربي في المشرق أن نطرح الأسئلة التالية:

هل دخل المسلمون شرقًا جماعات قبلية أم جماعات ممتزجة؟ وهل كان الخوارج بين صفوف هؤلاء؟ وهل كانوا في اندفاعهم في فتوحاتهم تلك تفرقهم عصبتهم أم تضمهم فكرتهم؟ كانت القبلية هي الطابع الذي يسود حركة الفتح أم توارت هذه القبيلة وراء وحدة المشاعر وقوة الخطر العدد الذي يواجهونه؟ وإذا كانت قد توارت فكيف كان ذلك؟. هذه الأسئلة تفرض نفسها علينا حين نتحدث عن ظهور العنصر العربي في المشرق ووجود الخوارج هناك .

. وسبق أن ذكرنا ذلك في فتح العراق أن المرحلة الأولى من الفتوح في المشرق جاءت في آخر عهد أبي بكر رضي الله عنه وأول عهد عمر رضي الله عنه (١) فقد عهد أبو بكر إلى خالد بن الوليد وعباض بتوليها فأتى خالد العراق من أسفله، في حين أتاهما عياض (٢) من أعلاه على أن يلتقيا في الحيرة، وبلغ خالد الحيرة مبكرًا، في حين عياض لما صادفه من مشكلات وعقبات مما اضطر خالدًا إلى مصالحة الحيرة والتوجه لإنقاذه (٣)، كما اضطر إلى أن يفض مصالح الفرس من حوله وأن يحارب في سلسلة من المعارك غربي نهر الفرات وما حوله، حتى يأمن ظهره، وتستتب له أطواف هذا النهر (٤) .

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج ٢ ص ٣١٠

(٢) نفسه

(٣) ابن خياط، التاريخ، ج ١، ص ٩٢ .

(٤) الطبري، الرسل والملوك، ج ٤ ص ٧٠ . والبلاذري المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٠



وحين نحاول الإجابة على السؤال الذي طرحناه في بداية حديثنا هاهنا، نجد أن جيش خالد كان يضم صفوة المسلمين الذين حاربوا أهل الردة في أنحاء الجزيرة ثم إنه سار من اليمامة أو من المدينة متجهاً إلى العراق، وواضح أن هذا الجيش لم يعرف فيه قبيلة فيما قبلية لماذا؟ لأنه كان من خلاصة المهاجرين والأنصار الذين استبق إلى الدعوة ورافقوها منذ نشأتها، وكان يضم جنوداً ممن كانوا حول مكة والمدينة واليمن وكانوا جميعاً يسعهم الإخلاص للفكرة التي آمنوا بها، واندفعوا من أجلها ثم زادتهم الحروب المتصلة صهراً، كما كان فيه كثرة من الصحابة والقراء.^(١)

أما جيش عياض فلا نعلم عنه شيئاً في بداية تكوينه وكل ما نعلمه أنه كان بين النجاج والحجاز، وأن أبا بكر رضي الله عنه كتب إليه أن يسير حتى يأتي المصبخ فيبدأ بها، كانت هذه هي النواة الأولى في جيش العراق، ثم اعترها بعض التغير فانسحل منها ناس، وانضم إليها اناس آخرون، فقفل أهل المدينة وما حولها، واضطر خالد وعياض أن يستمدا أبا بكر فأمدهما: أمد خالدًا بالقعقاع به عمر التميمي، وأمد عياض بعبد الرحمن بن عوف الحميري، ثم انضم إلى جيش خالد ثمانية آلاف من ربيعة ومضر، وكان هو في ألفين فاستتم الجيش عشرة آلاف^(٢) ومضى خالد بهذا الجيش فخاض الطريق إلى الحيرة في سلسلة من المواقع المتصلة حتى دخلها وعين عليها القعقاع بن عمرو وعلى الأنبار الزبيرقان بن بدر، ثم مضى إلى عياض لمساعدته، فأوقع بالفرس، ومن ظاهرهم من العرب النصراري، في سلسلة من المعارك، ثم ارتد إلى الحيرة ليصله كتاب الخليفة أبي بكر الصديق مادحا ومحذرا ونادبا إياه إلى الشام^(٣) خرج خالد إلى الشام بطائفة من الجيش، واستخلف المثني على من بقي منه وخاض المثني مع جيش الفرس معركة واحدة في بابل^(٤)، ثم خرج إلى المدينة وصادف ذلك مرض أبي بكر الصديق، ثم انتقله إلى جوار ربه وتولى عمر بن الخطاب فندب الناس لمواصلة

(١) الطبري، الرسل والملوك، ج ٤ ص ٧٠

(٢) الطبري الرسل والملوك ج ٣ ص ٣٤٦

(٣) شكرى فيصل المجتمعات الإسلامية ص ٨٩

(٤) الطبري نفس المصدر ج ٣ ص ٤١٢



الفتوحات، وبعث بالمشي بن حارثة الشيباني إلى العراق^(١)، وبدأت تكسو جيش العراق طبقة جديدة بين الطبقات المقاتلة، هم من أهل الردة الذين عادوا إلى الإسلام، وكان أبو بكر وقف منهم وقفته التي اتسمت بعدم الاستعانة بهم في الفتوحات ولما جاء عمر خفف من ذلك، ورمي بهؤلاء في جيوش الفتح للشام والعراق، ثم تتابعت المعارك، وهزم المسلمون في معركة الجسر^(٢) وبعد هذه المعركة وبعد أن بقي المشي في قلة من جنوده قتل من قتل، وهرب منهم من هرب، وبلغ عددهم في رواية أبي عثمان المهدي الفين^(٣) وكان لا بد أن يمد الخليفة في المدينة جنده في العراق، حتى يستطيع المسلمون أن يثأروا لقتلى الجسر في معركة البويب^(٤) وهنا وجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشقة في استدعاء الناس، واستنفارهم لمحاربة جيوش الفرس التي كانت في نظرهم ذات بأس وشدة وذات قهر وسلطان، فما بالك بالأمر في نظرهم بعد هزيمة الجسر التي قتل فيها من قتل وغرق من غرق.

لم يكن المسلمون عارفين ما وصلت إليه الأمور في إيران من إنهاك لقوتها العسكرية في حروبها الرومانية المتصلة التي لم تكن تنتهي التبدأ من جديد. ولم يكن المسلمون واقفين على ما أصاب البنية الاجتماعية لإيران من خلل، كما لم يكونوا مدركين لما أصابهم من تدهور وتخلف في العقيدة التي لم تعد تسير العصر، أو تتماشى معه، ونتيجة لعدم الوقوف على ذلك كله نجد عمر بن الخطاب يبذل كل جهده في نذب الناس، حتى يبلغ بذلك حد الإكراه^(٥)، فأمد العراق بإمدادات عظيمة حيث تجمع له الكثير، فأقبل عليه ألف من قيس عجلان عليهم بشر بن عبدالله الهلالي، وثلاثة آلاف ممن قدّم عليه من اليمن والسراة، وأمد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

(١) البلاذري فتوح البلدان ج ٢ ص ٣٠٧

(٢) البلاذري فتوح البلدان ص ٣٠٨

(٣) شكرى فيصل المجتمعات الإسلامية ص ٩١

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٣ ص ٤٦٣

(٥) الطبري نفس المصدر ج ٣ ص ٤٦٠ وانظر شكرى فيصل نفس المصدر ص ٩٢



بعد خروجه بألفي يمني وألفي نجدي^(١)، وانتخب سعد بن بني تميم والرياب أربعة آلاف ثلاثة آلاف تميمي وألف ربي . وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف

أما المثني فكان في ثمانية آلاف من ربيعة: ستة آلاف من بكر بن وائل وألفين من سائر ربيعة وأربعة آلاف ممن انتخب بعد وصول خالد، وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقي يوم الجسر^(٢)، وكان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة، وألفان من قضاة وطى، ثم انضم إلى سعد بعد ذلك الأشعث بن قيس الكندي في ألف وسبعمئة من أهل اليمن، وبلغ عدد القادسية بضعة وثلاثين ألفاً^(٣). ومن تكون هذا الجيش الكثيف نرى امتزاجاً بين القبائل، وكان هذا جديراً بأن يؤتي ثماره ، كما كان تنظيم الجيش كفيلاً بأن يجعل الصلات القبلية تفسح مكانها لصلوات أخرى ، وبدت الروح القبلية مصفرة شاحبة إلى جانب روح الجماعة التي تبدو مضيئة نيرة^(٤)، فحقق هذا الجيش انتصاره لأعلى الفرس، وحدهم، بل على ذاته أيضاً، حين سمت روح الجماعة على الحدود القبلية الضيقة، وانخرطت في تنظيم جديد يلف الناس جميعاً، ويمزج بين القبائل في الشمال والأخرى في الجنوب بين الربيعي والمضري، وبين الأزدي والقيسي يظهر هذا التوحد التام والنسيج المحكم، لا فرق بين سداه ولحمته ، فكل يؤدي دوره

إن الجماعة الإسلامية كانت مدعوة لأن تمضي في هذا الائتلاف، وأن تستمر في معاناة هذه الفترات الرائعة التي مثلت أسى صور توحدها، ولكن السؤال الذي يلح على الأذهان ويقرع الأسماع هو: هل استجابت الجماعة الإسلامية لهذه الدعوة ومضت فيها؟ وهل حافظت على أسى صور توحدها أم نكصت على عقبيها؟ وهبت عليها من جديد روح من أرواح الجاهلية الأولى فعرقلتها وهزمت طلائعها، وسمحت للشعوب

(١) الطبري نفس المصدر السابق ص ٤٨٥

(٢) معركة الجسر كانت موقعة الجسر في ٢٣ شعبان ١٣ هـ، بين جيش الخلفاء الراشدين بقيادة أبو عبيد بن مسعود الثقفي والإمبراطورية الفارسية. استشهد من المسلمين في هذه المعركة أربعة آلاف شهيد.

(٣) شكرى فيصل نفس المرجع ، ص ٩٥ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٩٧



باستغلال هذا الوضع الجديد وهل كانت الحياة في البيئات الجديدة ملائمة لهم المفتوحة، ولضعاف النفوس من بين أبنائها، ومن لم يحسن فتأقلموا معها وعاشوا حياتها؟

تخبرنا الروايات أن المسلمين حين بلغوا المدائن فاجأهم فيها وفي غيرها أنماط من الحياة تخالف مخالفة صريحة الأنماط التي يعرفونها حق المعرفة في الجزيرة، ويعرفونها بعض المعرفة في العراق العربي. وعندما رجعت طائفة من القادة والجنود من جلولاء وحلوان وغيرها^(١) إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاحظ أنهم لا يتمتعون من صلابة القوة وفيض النشاط بالقدر الذي كانوا يتمتعون به حين كانوا في الحيرة وما حولها، وحين سألهم شكوا إليه ما يلقون من الذباب والغبار ورخومة البلاد^(٢)، فكتب إلى سعد يأمره بالقدوم عليه^(٣) فاستخلف بجلولاء واحداً من الأعاجم الذين أسلموا من يطبقون المعيشة بتلك الأنحاء، وكان سعد قد بدأ إقامة مستعمراته في هذه الأرض وبدأت مع هذه المعسكرات أولى خطوات استقرار المسلمين بالعراق بنوعيه العرب والأعجمي والسير به سيراً مقصوداً في طريق الإسلام والتعريب .

وبدأت بعد ذلك عملية التعريب للعراق حيث ظهر العنصر العربي واضحاً فبدأ التعريب اللغوي أولاً، ثم بدأت عملية التعريب الجنسي، فمنع الزواج من الكتابي الفارسيات^(٤) ثم تلا ذلك ظهور طبقة الموالي^(٥) من مسلمة الأعاجم.

ويشير فلهوزن^(٦) هنا إلى أنه: " إذا كان الأعاجم قد أقبلوا في بادئ الأمر على الدخول في الإسلام فإنهم لم يفعلوا ذلك من أجل الإسلام نفسه بمقدار ما فعلوه ابتغاء

(١) شكري فيصل المجتمعات الإسلامية ص ٩٨

(٢) الطبري الرسل والملوك ج ٤ ص ٤١

(٣) قال عمر بن الخطاب لسعد: " يرتادون منزلاً برياً بحرياً فان العرب لا يصلحها من البلدان الا ما اصلح

البعير والشاه... " الطبري ، الرسل والملوك ج ٤ ص ٤١

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٣ ص ٥٨٨

(٥) كان يطلق علي كل من دخل الاسلام من غير العرب الموالي .

(٦) تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الي نهاية الدولة الاموية ترجمة عبد الهادي أبو ريده، راجع المصحة

حسن مؤسس القاهرة ١٩٦٨ ص ٤٧٠ .



المزايا التي كان يمكنهم منها، فهم قد اتخذوا الإسلام وسيلة للتقرب من الطبقة الحاكمة وللمشاركة فيما كان لها من مزايا، أي هم اتخذوه وسيلة لكي يستعربوا وينالوا ما كان للعرب من حقوق ومزايا ثم سمو أنفسهم بأسماء وألقاب بالقبائل العربية .

لقد اندفعوا نحو الإسلام وتقربوا من الولاة وأولى الربابات، وتعلموا العربية حذقا وإجادة وأسهموا هم ومن أتى بعدهم من اجيال في نشر الظلال العربية، وفي إمداد الصراع اللغوي بقوة كبيرة كانت تنتقص من الجانب الفارسي لتزيد في الجانب العربي وكان بعض هؤلاء يفعل ما يفعل إيماناً بعمله، وبعضهم إظهاراً لبراعة ومقدرة فائقين. ويذكر لنا البلاذري^(١) عن فتح فارس قوله: "لما ولي عمر عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان، فدوخهما، واتسعت له طاعة أهلها وجه أخاه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس، في جيش عظيم من عبدالقيس، والأزد، وتميم، وبني ناجية وغيرهم، ففتح جزيرة "ابركاوان"^(٢) وفي رواية أبي مخنف أن عثمان نفسه قطع البحر فترك توج^(٣)، وأسكنها عبدالقيس وغيرهم.

ويذكر الطبري ويتفق معه البلاذري . أن خراسان كان بها حين تولي سليمان بن عبدالملك (٩٦هـ / ٧١٤ م) أربعون ألفاً من مقاتلة أهل البصرة، وسبعة آلاف من مقاتلة أهل الكوفة، وسبعة آلاف من الموالي^(٤) ثم فصل أمرها الطبري فقال إنها تسعة آلاف من أهل العالية وسبعة آلاف من بكر وعشرة آلاف من تميم (ولاشك أن معظمهم من الخوارج) وأربعة آلاف من عبدالقيس، وعشرة من الأزد^(٥) .

(١) فتوح البلدان ج ٢ ص ٤٧٦.

(٢) جزيرة قشم جزيرة قسم التابعة لمحافظة هرمزكان هي أكبر جزيرة تقع في الخليج الفارسي وكذلك أكبر جزيرة غير مستقلة في العالم والتي تحظى بموقع استراتيجي في غاية الأهمية. كانت قشم في العهد الساساني تُعرف بـ "ابركاوان".

(٣) بتوج : هي مدينة توج او توز في كور ارجان من أكوار فارس الخمسة وهي المركز التجاري المهم ذكرها الاصطخري بقوله : " مدينة شديدة الحر كثيرة النخيل ذات تجارة يعمل فيها ثياب كتان تنسب اليها ويمر بها نهر توج (كي لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٩٥

(٤) البلاذري نفس المصدر والجزء والصفحة وانظر الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٥١٢

(٥) البلاذري نفس المصدر ص ٤٠٩



وقد اتخذ استقرار العرب هؤلاء في هذه المناطق (المشرق) مظاهر مختلفة أهمها:

اسكان العرب:

كانت مقاومة الفرس للفتح الإسلامي، وما تبعها من سلسلة الانتفاضات كفيلة بأن تلفت نظر الولاة والقادة إلى أن يستقر الأمر للمسلمين في تلك المنطقة من الأرض، إن لم يرافق هذا الغلب الحربي أنواع من الاتصال بالأرض، ومن الامتزاج بين السكان الأصليين (الفرس والترك، والغزاه الفاتحين) (العرب)، ومن توثيق للعلاقات والصلات بينهم، وقد يكون هذا أساس ما فكر فيه الولاة، حين دفعوا بالقبائل العربية إلى أن تنزل خراسان، لذا شهدت هذه المنطقة هجرة كبيرة هذه القبائل إليها .

معنى ذلك أن الخوارج وجدوا فرصة سانحة لهم وسيلا ميسره للفرار إلى المشرق، واستقطاب هذه الأعداد الهائلة من العرب إلى صفوفهم وثورتهم ومبادئهم، فاستغلّ الخوارج هذا النزوح العربي إلى المشرق أحسن استغلال، وخلقوا من بعض إقليم المشرق مراكز وقواعد لهم .

وقد أشار الى ذلك النزوح البلاذري^(١) حين قال: إن زياد بن أبي سفيان حين ولي البصرة (٤٥هـ / ٦٦٥م) ولّى عامر بن أحمد اليشكري مرو^(٢) ولما سار المسلمون إلى كرمان^(٣) هرب كثير من أهلها وتركوا البحر ولحق بعضهم بمكران^(٤) وأتى بعضهم سجستان، فأقطعت العرب منازلهم وأراضهم، فعمروا وأدّوا العشر فيه وحفروا فيها القني في مواضع منها^(٥)، ويبدو أن أمر هذه الهجرات لم يكن متروكا للقبائل تجريبها من تلقاء نفسها، وإنما عمد إليها أولوا الشأن والأمر، وهدفوا من ورائها لتحقيق أغراض وأهداف معينة وكانت جزء من سياسة بعض الولاة لتحقيق أهداف تخالط

(١) فتوح البلدان ج٢ ص ٣٩٦ وانظر شكري فيصل المجتمعات الإسلامية ص ٢٠٦
(٢) مرو : اشهر مدن خراسان (ابن اعثم الفتوح) ج٢ ص ٧٨ (بناها ذو القرنين (القزويني ، اثار البلاد ص ٣٦١

(٣) كرمان : هو اقليم يقع في شرق فارس وارضه غير خصبه (كي لسترنج الخلافة ص ١٢٠)

(٤) مكران: يعرف قسم منه اليوم ببلوختستان وتقع في مشرفة الهند (كي لسترنج نفس المرجع ص ١٠٠)

(٥) ابن الاثير الكامل ج ٣ ص ١٣٨ .



نفوسهم، ومن ذلك ما أشار إليه البلاذري من أن زيادا ولي الربيع بن زياد الحارثي (٥٠ هـ / ٦٧٠ م) (١) خراسان (٢)، وحول معه من أهل (البصرة والكوفة) زهاء خمسين ألفا بعائلاتهم، وأسكنهم دون النهر (٣) وليس ثمة شك في أن هجرة خمسين ألفا بعائلاتهم كان عملا منظما يستر وراءه كثيرا من الأهداف سواء في تأمين الفتوح أو إقامة هذه القبائل، حتى تستطيع أن تنفذ إلى فتوح أخرى، أو تنشر بذور التعريب والإسلام أو تفعل ذلك جميعاً .

أن كانت هذه الهجرة الكبيرة كما أشار إليها بعض المؤرخين تمت في عهد زياد وابنه عبيد الله فلا بد أن يكون أول المهاجرين هم الخوارج الذين يلاحقهم زياد وابنه عبيد الله للفتك بهم والقضاء عليهم، فمعنى ذلك أن معظم المهاجرين كانوا من الخوارج أو المتعاطفين معهم الذين أخذوا معهم عائلات الخوارج التي هاجر عنها لتأمين الوصول إلى المشرق خوفا من زياد وابنه، لم تكن هذه سياسة زياد أو ابنه عبيد الله وحدهما، بل كانت سياسة غالبية الولاة الذين غلبتهم الحصافة وبعد النظر، وكتب التاريخ حافلة بأفعال أمثال أولئك الولاة والخلفاء، وتعدى الوالي قتيبة بن مسلم رضي الله عنه طوره في هذا الصدد، واتخذ من بعض مدن المشرق وما وراء النهر، مثل: بخارى وسمرقند وخوارزم، مراكز للتعريب وصبغ البيئة الجديدة بالصيغة العربية، ولم يكتف العرب المسلمون بالاستيطان في المناطق الجديدة، بل عمدوا إلى بناء المدن، لما أحسوا بالحاجة إلى أن تكون لهم مراكز أصلية يطمئنون إليها، وينطلقون منها وتكون لهم مثابة وأمنا، فبدأوا يخططون الأرض، ويقىمون المعسكرات التي تتحول بعد ذلك إلى مدن كما هو الحال حين أنشأ المسلمون مدينة شيراز وكان موقعها أيام عمر مركزا

(١) الربيع بن زياد بن أنس الحارثي، من بني الديان: أمير فاتح، أدرك عصر النبوة، وولي البحرين، وقدم المدينة في أيام عمر، وولاه عبد الله بن عامر سجستان سنة ٢٩ هـ ففتحت على يديه. له مع عمر بن الخطاب أخبار. وكان شجاعا تقيا، قال عمر لأصحابه يوما: دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرا فكأنه ليس بأمرير وإذا لم يكن بأمرير فكأنه أمير. فقالوا: ما نعرفه إلا الربيع بن زياد. فقال: صدقتم. توفي في إمارته ٥٣ هـ ينظر: الأعلام للزركلي (٣/ ١٤).

(٢) البلاذري فتوح البلدان (ج ٢ ص ٤٨٩)، وانظر اليعقوبي تاريخ اليعقوبي (ج ٢ / ص ٢٢٢)

(٣) شكري فيصل المجتمعات الإسلامية في القرن الأول ص ٢٠٦ .



للجيش الذي أرسل لحصار اصطخر، ويذكر أنه " تم بناؤها سنة (٦٤ هـ ٦٨٣ م) على يد شخص اسمه محمد (١) .

ولم يكتف المسلمون بذلك، بل عمدوا إلى القيام بأعمال إنشائية في المناطق التي استوطنوا فيها أو أنشأوا مدنها فشقوا الأنهار وعمروا الموات (٢) كان دور الخوارج في ذلك كبيرا حيث يقول المستشرق فهلوزن: " طالما كانت العراق وما يلحق بها من بلاد العجم في قبضة الخوارج (٣) ويعود فيقول: 'ولكن لاشك في أنهم - أي الخوارج - كان لهم من الشأن هناك - أي في المشرق - أكثر مما يمكننا أن نأخذه من الأخبار القليلة التي تذكر عنهم (٤) .

(١) الاصطخرى المسالك والممالك ص ١٢٥ . محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم ابن أبي عقيل النُّقَفي: فاتح السند، وواليها. من كبار القادة، ومن رجال الدهر في العصر المرواني. ويعنيه حمزة ابن بيض الحنفي بقوله: (قاد الجيوش لسبع عشرة حجة) كان أبوه والي البصرة للحجاج. وولي الحجاج محمدا ثغر السند في أيام الوليد ابن عبد الملك. وكان ببلاد فارس على رأس جيش في طريقه إلى الري، فأقام في شيراز، ولد (٦٢ - نحو ٩٨ هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٣٣٣).

(٢) الطبرى الرسل والملوك، (ج ٣ / ص ٥٨٨ - ٥٨٩). والبلاذري فتوح البلدان، (ج ٢ / ص ٤٨٢).

(٣) فهلوزن تاريخ الدولة العربية ص ٤٦٣

(٤) فهلوزن تاريخ الدولة العربية ص ٤٦٣



ثانياً: أثر حركة القبائل العربية في المشرق في تواجد الخوارج :

أ - حركة القبائل العربية في وجود الخوارج :

من العوامل الهامة التي أتاحت للخوارج الوجود في المشرق، وأقاليمه المختلفة حركة القبائل تلك الحركة التي كان للمشرق فيها نصيبٌ كبيرٌ، وكان الخوارج يمثلون جزءاً كبيراً منها خاصة، وأنهم كانوا من البدو (١) الذين لا يستقرون في مكان واحد؛ لذلك استغل الخوارج هذا التنقل منذ بدأ ظهورهم على مسرح التاريخ لنشر مذهبهم، وإقناع العامة بالدخول معهم في عصيان الخلافة، والتمرد عليها .

وحيثما نتحدث عن حركة القبائل والهجرات لا بد لنا من أن نرجع إلى الوراثة قليلاً لنبين أن هجرات العرب لم تبدأ منذ الفتح الإسلامي . كما ذكرنا سابقاً عند حديثنا عن الفتح . وإنما كانت هناك هجرات كثيرة قبل الفتح بكثير، ولم تقتصر هذه الهجرات على المسافات الصغيرة فقط، بل كان منها ما بين صنعاء وسمرقند التي تقع في بلاد ما وراء النهر(٢).

ولعل الهجرة التي نشأت عن انهيار سدّ مأرب

(١) بن حزم جمهرة انساب العرب (ص٣٦٤)، والذنيوري الخبار الطوال (ص ١٩٧). ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، شاعر وكاتب وفيلسوف وفقه. ولد في مدينة قرطبة وكان يلقب القرطبي إشارة إلى مولده ونشأته. اختلف في نسبه، أينحدر من أصول فارسية أم من أصل أسباني أم هو عربي صميم النسب؟! كانت أسرته من تلك الأسر التي صنعت تاريخ الأندلس. عُمُرَت حياته في صباه بالدرس والتحصيل، فأخذ المنطق عن محمد بن الحسن القرطبي، وأخذ الحديث عن يحيى بن مسعود، وأخذ الفقه الشافعي عن شيوخ قرطبة، ونشأ شافعي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الظاهري حتى عرف بابن حزم الظاهري. توفي بقرية منتليشم من بلاد الأندلس. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة من العلماء المتخصصين،

(٢) بن حوقل صورة الارض ص ٢٣ . بن حوقل (- بعد ٣٦٧ هـ) محمد بن حوقل البغدادي الموصلبي، أبو القاسم: رحالة، من علماء البلدان. كان تاجراً. رحل من بغداد سنة ٣٣١ هـ ودخل المغرب وصقلية بلاد الأندلس وغيرها. ويقال: كان عينا للفاطميين. له (المسالك والممالك). ينظر: الأعلام للزركلي،





هي أبرز مثالٍ على ما كان من إندماج وتواصل ، ولعل الأزد بنوع خاص أقوى المهاجرين تمثيلاً لحركة التمازج القبلي(١)، وهناك أيضاً قبائل تنوخ التي قدمت من اليمن فاستقرت على ضفافِ الفراتِ، واتخذت الحيرة مقراً لها، وساعدهم على الاستقرار ملوك الفرس بإقامة إمارة الحيرة . وكان عرب الحيرة يتألفون من ثلاثة أقسام(٢) أولاً: تنوخ وهم سكان المطال وبيوت الشعر والوبر. سكنوا غرب الفرات بين الحيرة والأنبار فما فوقها. ثانياً: العباد، وهم الذين سكنوا رقعة الحيرة فابتنوا فيها. ثالثاً: الأحلاف، وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة (٣) وشاركت بعض القبائل الأخرى من العرب سكن الحيرة مع العباد من تميمٍ وطئٍ وغسانٍ والعديسيين وكلبٍ وغيرهم(٤) فأهل الحيرة لم يكونوا ينتسبون إلى قبيلةٍ واحدةٍ بل كانوا أخلاطاً من أبناء العرب فجمعت بينهم وحدة الدين، وليس وحدة النسب، كما سكن الحيرة أقوامٌ من النبط،

(١) الهمداني صفحة جزيرة العرب ص ٢٠٦ / ٢١٠ .

(٢) حمزة الاصفهاني تاريخ ص ٦٦ . حمزة الأصفهاني (٢٨٠ - ٣٦٠ هـ) حمزة بن الحسن الأصفهاني: مؤرخ، أديب. من أهل أصفهان. زار بغداد مرات. وكان مؤدباً صنّف لعضد الدولة ابن بويه كتابه (الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية - خ) تعصب فيه للفارسية. (تاريخ أصبهان)

(٣) حمزة الاصفهاني تاريخ حمزة ص ٦٦

(٤) مقدمة بن جعفر الخراج وصناعة الكتاب ص ١٠٢



فتأثروا بهذا المحيط العربي، وتكلموا اللغة العربية تشوهاً رطانة، فتأثر عرب الحيرة بهذه الرطانة، وبدت على ألسنتهم^(١).

أما القبائل العربية الأخرى التي سكنت العراق قبل الفتح الإسلامي، فكانت جماعات من قبائل النمر، وأياد، وتغلب، وبني بكر بن وائل وقبائل كندة^(٢)، وقبيلة بني شيبان التي كانت تتجول على تخوم العراق من ناحية الجزيرة^(٣).

ويذكر ابن حوقل خلال حديث عن الجزيرة أنه: "وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومُضَرَ الجزيرة حتى صارت لهم ديار ومراع، فنزلوا على حضارة فارس والروم، حتى أن بعضهم تنصَّر، ودان بالنصرانية مع الروم، مثل تغلب ابن ربيعة بأرض الجزيرة، وغسان وبهراء وتنوخ من اليمن بأرض الشام^(٤)".

ويذكر الهمداني - حين تحدث عن الأزد - أنه: قد "سار كل فخذ منهم إلى بلد فمنهم من خرج إلى العراق، ومنهم من سار إلى الشام، لحق كثير من ولد نصر بن الأزد بنواحي الشجر وأطراف فارس^(٥)".

(١) جواد علي العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٦٠. المؤرخ الدكتور جواد علي ١٩٠٧-١٩٨٧م المؤرخ الأستاذ الدكتور جواد علي ألف كتابيه الشهيرين (تاريخ العرب قبل الإسلام) بثمانية مجلدات و(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) بعشرة مجلدات، وهي من أهم الكتب التي تلقى الضوء على ما يسمى في كتب التاريخ الخلفية التي جاء منها الإسلام أو ما يطلق عليه مؤرخي الغرب جذور الإسلام.

(٢) أبو يوسف الخراج، (ص ١٤٦). أبو يوسف (١١٣ - ١٨٢ هـ) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة. وتفقّه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه «الرأي» وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد، وهو على القضاء. وهو أول من دعي «قاضي القضاة»، ويقال له: قاضي قضاة الدنيا!، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. من كتبه «الخراج» و«الأثار» وهو مسند أبي حنيفة، و«النوادر» و«اختلاف الأمصار» و«أدب القاضي» و«الأمال في الفقه» و«الرد على مالك ابن أنس» و«الفرائض» و«الوصايا» وغيرها. ينظر: الأعلام للزركلي،

(٣) الطبري الرسل والملوك ج ٣ ص ٣٧٤ / ٣٧٥.

(٤) ابن حوقل صورة الأرض ص ١٩.

(٥) الهمداني صفحة جزيرة العرب ص ٢٠٦. ابن الحائك الهمداني (٢٨٠ - ٣٣٤ هـ) الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود، من بني همدان، أبو محمد: مؤرخ، عالم بالأنساب عارف بالفلك والفلسفة والأدب، شاعر مكثّر، من أهل اليمن. كان يعرف بابن الحائك، وبالنسابة، وبابن ذي الدمينة (نسبة إلى أحد أجداده: ذي الدمينة بن عمرو) ولد ونشأ بصنعاء وأقام على مقربة منها في بلدة (ريدة)، وطاف البلاد، وأسس المكتبة فيها. وعاد إلى اليمن فأقام في مدينة صعدة، وهاجى شعراءها، فنسبوا إليه أبياتا قيل: عرض فيها بالدين.



وكانت حركة الفتح تحمل خيراً كثيراً، لا من حيث انتشار الدعوة فحسب، بل لأنها كانت أسلوباً للمزج بين القبائل واختلاطها وتحطيم ما كان في الجاهلية من حواجز، ولذا بدت الجزيرة منذ أن هبت، منطلقة وراء حدودها، وكأنها أمة واحدة قد نسيت كل ما كان من خلافاتها، وأهدرت ما بينها من فروق النسب والدم، والتقت في ظلال الإخاء على دعوة واحدة تدعو إليها وتخرج من أجلها إلى الأطراف الشمالية والشرقية .

فقد سجل لنا التاريخ أن الجنود لم يكونوا يعودون إلى بلادهم ومجتمعاتهم بل يظلون في هذا المجتمع الجديد الذي أنشؤوه ولم تعد سمة القبيلة أو قبائلهم تحول بينهم وبين الاختلاط في المجتمع الجديد؛ ولذا نرى الطبري يقول: "إن العلاء بن الحضرمي قائد الجيوش التي خرجت من البحرين رجع بعد انتصاره إلا من أحب المقام^(١) وهكذا نرى أن بعض الجنود استوطنوا حيث أحرزوا الانتصار.

ومن الذين استوطنوا سجستان من العرب بنو تميم، وبنو بكر^(٢) الذين يمثلون أهل الخوارج في المشرق، علماً بأن الخارجية (الخوارج) لم تكن حكراً على تميم وحدها^(٣) صحيح أن غالبية الخوارج الأول كانوا من تميم إلا أنه كان منهم أيضاً من ينتمي إلى القبائل الأخرى كبكر وهمدان والأزد غيرها^(٤)، وكذلك الحال في بقية المشرق الإسلامي فقد تفرقت القبائل العربية بعد الفتح في هذه الأقطار وأقامت، وحدث التزاوج بين المقيمين أصلاً، والكلام هنا يطول لكنه خارج من نطاق بحثنا

فحسب ونقل إلى سجن صنعاء. من تصانيفه (الإكليل) في أنساب حمير وأيام ملوكها، عشرة أجزاء، طبع منها الأول والثاني والثامن والعاشر، و(صفة جزيرة العرب) ينظر: الأعلام للزركلي

(١) الطبري الرسل والملوك ج ٤ ص ٨٠ .

(٢) البلاذري فتوح البلدان ج ٢ ص ٣٧٢ .

(٣) الطبري نفس المصدر ج ٥ ص ٥١٦ وانظر بن خلدون العبر ج ٣ ص ١٤٥ وانظر

Brockelman,k:Histort of the Islamic people p.70

(٤) ابن حزم جمهورية انساب العرب ص ٣٦٤ الدنيوري الأخبار الطوال ص ١٩٧ وفلهوزن تاريخ الخوارج ص ١٥٦



وهكذا كان للفتوح أثرها الكبير في المزج بين القبائل المختلفة، وصهرها ونبذ خلافاتها القديمة ذلك أن الأعمال التي كانت تقوم بها الجيوش كانت تقتضى بطبيعة الحال - تعاوناً جماعياً لا يعتمد على روح القبيلة الفردي - بل إن تكوين الجيش لم يكن يستند إلى التقسيم القبلي، وإن وجدت جماعات كثيرة من بعض القبائل داخل نطاق الجيش الموحد الذي كان يصهرها داخل بوتقة نظامه وما ذكره الطبري^(١) خير شاهد على ذلك، إذ يقول: (... لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأة يوم القادسية، من بجيلة والنخع، وكان في النخع سبعمائة امرأة فارغة، وفي بجيلة ألف فصاهر هؤلاء ألقاً من أخيار العرب وهؤلاء سبعمائة، وكانت النخع تسمى: "أصهار المهاجرين"، ويمضي الطبري؛ ليبين لنا أن المهاجرين تزوجوهن حتى استوعبوهن، وهذا يدل من ناحية أخرى على أن المحاربين كانوا يخرجون ومعهم نساؤهم، وأن هذه الحادثة صورة رائعة لتزواج القبائل واختلاطها وتوسعة أفقها حتى لا تكون القبيلة وحدة قائمة بذاتها.

وليس هناك شك في أن الاختلاط بين القبائل في تكوين الجيوش والخروج للفتح لا بد وأن يؤدي إلى نوع من الاختلاط، أعمق مدى، وأبعد أثراً، حين تستقر هذه الجيوش، أو تأخذ حظاً في الراحة في المعسكرات التي كانت تتحوّل أحيانا إلى مدنٍ جديدة، كما هو الحال في إنشاء مدينة شيراز في فارس^(٢) أو في المدن الأخرى.

ويشير بعض المؤرخين^(٣) إلى أن سعد بن مالك لما نزل الكوفة كتب إلى عمر يقول: "إني قد نزلت بالكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات نبتها ناعم أبيض من أفضل المرعى فنحن إذن أمام حركة هجرة عريضة، بعيدة الأمد لا تتكئ إلى القبيلة، ولكنها تتخذ من حياة الإسلام، ونظمه ومن آثار الفتح وامتداده، ومن حياة الجماعة الجديدة معالمها التي تحب أن تعرف بها^(٤)، وليس أدل على مدى الاختلاط في المدن المفتوحة

(١) الرسل والملوك ج ٣ ص ٥٨١

(٢) الاضطخري مسالك الممالك ص ١٢٤ / ١٢٥ .

(٣) الطبري نفس المصدر ج ٤ ص ٤٣ / ٤٤ .

(٤) الطبري نفس المصدر ج ٤ ص ٤٣ / ٤٤ .



من أن تقرأ أسماء القبائل والجماعات التي نزلت الكوفة^(١) إذ نجد فيها قبائل من الشمال، ومن الجنوب وقبائل من ربيعة ومن مُضَرَ، ومن الحجاز ومن نجد، ومن الكوفة والبصرة خرجت القبائل العربية إلى المشرق الإسلامي، فاستوطنت خراسان بعد الفتح، ويذكر بعض المؤرخين^(١) أنه لما ولي زياد بن أبي سفيان الربيع بن زياد الحارثي سنة (٥١هـ / ٢٧١م) خراسان حول معه من أهل المصْرَيْن زهاء خمسين ألفاً بعائلاتهم، وكان فيهم بريدة بن الحصيب الأسلمي أبو عبدالله، والذي توفي بمرور في أيام يزيد بن معاوية .

وذكر أيضا أن زياد بن أبي سفيان ولي البصرة سنة (٤٥هـ / ٦٦٥م) تولى أمير ابن أجر مرو، وهي من مدن خراسان، وخليد بن عبدالله الجنفي ابرشهر نيسابور، وقيس بن الهيثم الطالقان والغارياب ونافع بن خالد الطائي، من أزد هراة، وبادية عيس ويوشنج وفارس من أنواران ، فكان "أمير" أول من أسكن العرب مرو^(٢) .

(ب) الصراع بين القبائل ودور الخوارج فيه :

بعد ان انتقلت القبائل العربية إلى الأمصار المفتوحة مصاحبة للجيش العربية المظفرة، واستقرت في هذه الديار، وبالتدريج أصبحت جزءاً لا يتجزأ منها^(٣) فكان نصيب المشرق الإسلامي عامة وخراسان خاصة كبيراً من هذه القبائل، فنجد بني تميم الذين هم حجر الأساس للخوارج^(٤) وبني بكر بن وائل من القبائل التي اختارت أرض سجستان لسكنائها.

وسرعان ما ظهر في داخل هذه القبائل نوعٌ من الصراع انعكس على أصحاب البلاد الأصليين، وكان لابد للخوارج من انتهاز هذه الفرصة العظيمة، خاصة وأن هذا

(١) الطبري الرسل والملوك ج ٤ ص ٤٨ / ٤٩ .

(٢) انظر البلاذري فتوح البلدان ، ج ٣ ص ٥٠٧ .

(٣) مجهول تاريخ سستان ص ٤٠ .

(٤) لكون معظم الخوارج من بني تميم (الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ١٥٦ . وابن خلدون العبر



الصراع سرعان ما تحول إلى عداً بين القبائل العربية، وصل حدًا حمل معه المارة والألم، وما أشده من سلام صمتٍ، ولكنه رهيب في الوقت ذاته .

يذكر ذلك فلهوزن فيقول : (إذا كان العداً بين القبائل قد خفّت حدته في البصرة^(١)، فإنه أخذ في خراسان صورة أشد خطراً، وكان ما بين القبائل من عداً قد انتقل من البصرة إلى خراسان؛ لأن فتح خراسان كان من جهة البصرة، وكان عرب خراسان من أهل العراق^(٢)، ويقول كان أكبر ما دعا قبائل البصرة إلى الكف عن السير في طريق الخصام هو ذلك الخطر المنتظر من جانب الخوارج^(٣) .

ولما وصل العرب إلى خراسان والمشرق الإسلامي، تحول هذا الخصام إلى تسابق في محاربة الخوارج، وهنا لابد لنا من أن نسأل: هل انتهز الخوارج هذا الخلاف بين القبائل؟ هذا ما سوف نعرض له لاحقاً .

لقد أخذ النزاع بين القبائل في المشرق الإسلامي صورة أشد خطراً حيث انتقل ما كان من عداً بين القبائل من البصرة إلى المشرق؛ لأن فتح المشرق كان من جهة البصرة ، وكان عرب المشرق من أهل العراق. لم يكن الصراع في المشرق الإسلامي بين القبائل العربية فحسب بل كان العربُ هناك في صراع دائمٍ مع الفرس، والترك سكان المشرق الأصليين، كما كانت هناك غزوات صغرى قام بها أهل القبائل من أجل أنفسهم لا تحت لواء أحدٍ، وذلك لكي يستقروا أينما امكنهم ذلك، حتى أصبحت خراسان أشبه شيء بجزيرة عرب ثانية^(٤) مع فارق وهو أن جزيرة العرب الجديدة هذه كانت في أرض الأعداء، وأن ظروفها كانت أكثر تعقيداً، وأنها كانت تسمح للنزعات الفوضوية بالظهور على نحوٍ بعيدٍ عن الاكتراث ، وعن التقييد بالقيود .

(١) مجهول تاريخ سستان ص ٤٠ .

(٢) بدا الصراع ف البصرة بين الازد وربيعة وبنى تميم القيس (الطبرى الرسل والملوك ج ٥ ص ٥٦٧

(٣) فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص ٣٩٣ .

(٤) فلهوزن تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٩٤ . انظر فصل جغرافية المشرق الإسلامى .



وفي غرب إيران حيث الصراع بين القبائل . كانت قيس هي الغالبة، خصوصًا في العصر الأخير أما في المشرق فقد كانت أرض بكر، وأرض تميم متداخلتين، وكانت هاتان القبيلتان تتنازعا على بعض الأماكن، فتدعي كل منهما أنها هي التي احتلتها قبل الأخرى، وكان التنافس على خراسان وسجستان، وهاتان الولايتان المتجاورتان متصلتان، رغم أن كلاً منهما في كثير من الأحيان كان يديرها والي على حدة، وبعد أن كان الشأن الأكبر في أول الأمر لسجستان، انتقل إلى خراسان، وكانت (زرنج) عاصمة سجستان كما كانت عاصمة خراسان^(١)، وكان قواد جيوش الفتح بحسب العادة القديمة يكافأون بأن تسند إليهم إدارة الجهات التي يسعدهم الحظ بالتغلب عليها وقد دورًا رائعًا من الناحية العسكرية -أيضًا-، ولكنه لم يبقَ في ولاية البلاد التي فتحها مدة طويلة ولعله بحكم أنه كان سيد تميم في البصرة، قد أحس أنه أكبر من ذلك، وكان أقدم أمراء خراسان (أو أجزاء منها) الذين يحدثنا عنهم التاريخ قيس الهيثم وعبدالله بن خازم، وكلاهما من سليم إحدى قبائل قيس^(٢).

ولقد كان للاضطرابات التي أعقبت مقتل عثمان صداها في أقصى المشرق من الدولة، فقد استطاع "ماهويه" مرزبان مرو، وكان هو الذي خان آخر شاهنشاه في فارس أن يحصل من علي بن أبي طالب على الموافقة على أن يؤدي الدهاقنة والأساورة إليه الجزية^(٣)

وبعد موت معاوية ازدادت الحالة سوءا، وكثرت الفتن والصراعات في غرب وشرق الدولة الإسلامية فجاء زياد بن أبيه واليا على البصرة سنة (٤٥هـ / ٦٦٥م) وضمت إليه ولاية خراسان وسجستان، فصار هو الذي يعين العمال عليها، فقسّم^(٤) خراسان إلى أربعة أقسام، ولكنه جمعها سنة (٥٤٧ / ٦٦٧م) تحت إمرة الحكم بن

(١) فلهوزن نفس المرجع، ص ٣٩٥ .

(٢) فلهوزن نتاريخ الدولة العربية ص ٣٩٥ .

(٣) البلاذري فتوح البلدان ج ٢ ص ٤٠٩ .

(٤) انظر جغرافية المشرق الفصل الاول



عمرو الغفاري^(١) الذي توفي سنة (٥٠ هـ / ٦٧٠ م)، فجاء بعده الربيع بن زياد الحارثي^(٢) وكان آدم أصهب أخوه هو الذي فتح سجستان^(٣) وأرغم المزاربة على طلب الصلح فاستقبلهم في ميدان القتال، حيث جلس هو ومن معه من العرب على أجساد القتلى هادئين .

ويقول البغدادي^(٤): إن الخوارج استغلوا الوضع السيء في المشرق، ومن كثرة ما عاث حمزة فسادًا في سجستان وما حولها أصبح قتله من مفاخر نيساب وأهلها .

وإذا كانت هذه آراء البغدادي، فإننا نضيف إليها أن زعماء الخوارج قد أدركوا ما يدور على هذه الأرض من صراعات وفتن وسوء إدارة، فاستغلوها أسوأ استغلالٍ .

لكنهم -أي الخوارج- سرعان ما أدركوا أن المشرق قد ضاق بهم وبدعوتهم، وأن الدولة الأموية كادت تقضى على معظمهم، وفي هذا يقول ابن خلدون: "ولما فشا دينُ الخارجية في العرب وغلهم الخلفاء في المشرق واستحلوهم نزحوا إلى القاصية، وصاروا يبثون بها دينهم بين البربر في المغرب"^(٥) .

(١) الحكم بن عمرو الغفاري يعرف بالأفزع صحب النبي ﷺ حتى قبض، ثم نزل البصرة فولاه زياد بن أبي سفيان خراسان، فخرج إليها، وسكن مرو، وتوفي بها واليا عليها سنة خمسين، وقيل خمس وأربعين، ودفن مع بريدة الأسلمي بجنبه ينظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم، (٢/ ٧٠٨).

(٢) الربيع بن زياد الحارثي وكان عامل زياد على خراسان، فبقي سنتين وأشهرًا، ومات. وكان الربيع قد خرج يوم الجمعة، فقال: أيها الناس، قد ملكت الحياة وأنا داع فأمنوا، ثم رفع يديه بعد الصلاة، وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك عاجلا، فأمن الناس، فخرج فسقط وحمل إلى بيته، واستخلف ابنه. ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (٥/ ٢٦١) وفي رواية: استخلف خليد بن عبد الله الحنفي وأقره زياد.

(٣) البلاذري نفس المصدر ج ٢ ص ٤٨٨

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٠٠ . عبد القاهر البغدادي (٤٢٩ هـ) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور: عالم متفنن، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره. ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور. وفارقها على أثر فتنة التركمال (قال السبكي: ومن حسرات نيسابور اضطرار مثله إلى مفارقتها!) ومات في اسفرائين. كان يدرس في سبعة عشر فنًا. وكان ذا ثروة. من تصانيفه «أصول الدين» و«الناسخ والمنسوخ» و«تفسير أسماء الله الحسنى» و«فضائح القدرية» ينظر: الأعلام للزركلي

(٥) ابن خلدون التاريخ ج ٧ ص ٢٣



ثالثاً : هجرة الخوارج من العراق إلى المشرق

(١) العراق مركز التنظيم السري:

هناك ما يشبه الإجماع بين المؤرخين القدامى والمحدثين على أن الدوافع التي حركت الخوارج على مسرح التاريخ كانت في أول أمرها سياسية^(١) بحتة، ثم تطورت فاختلط فيها الجانب السياسي بالجانب العقائدي المتطرف، إلى أن كانت "موقعة النهروان"، وفي ذلك يصفهم فلهوزن بقوله إنهم: "... كانوا حزباً ثورياً يعتصم بالتقوى، ولم ينشأوا عن عصبية العروبة، بل عن الإسلام، وهم القراء الذين كانوا يجاهدون في سبيل الله وحده فهو يصف الخوارج وسياستهم بأنها غير سياسية..

تبني الخوارج سياسة الاستعراض^(٢) في أول أمرهم، فكانت وبالاعلمهم إذ تعرضوا لحملة إبادة بدأت من معركة النهروان سنة (٣٨هـ / ٦٥٨م)^(٣)

(١) فلهوزن الخوارج والشيعة ص ٤١

(٢) الاستعراض مصطلح تاريخي اقترن بالفرق المتطرفة من الخوارج ودانت به الازارقة بصورة خاصة

(المبرد الكامل ج ٣ ص ٢٩٢ .

(٣) الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ٨٥ .



فلم ينج منهم إلا عدد لم يبلغ العشرة وما قتل من جيش علي إلا أقل من عشرة^(١) ومن الناجين عروة بن أديّة صاحب أول سيف سلّ من الخوارج^(٢) وتفرق الذين نجوا من المعركة، فذهب اثنان إلى عُمّان، واثنان إلى كرمان، واثنان إلى سجستان واثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى اليمن^(٣)، وهناك انضم إليهم جمهور الساخطين.

ولقد ظلّ الخوارج يتذكرون ما حلّ بإخوانهم في النهروان^(٤)، فتشتد حماسهم وتتأجج أحقادهم، فلم يكن لهم هناك أمل في عودتهم إلى صفوف الإمام علي، أو إلى صفوف الجماعة على العموم؛ لذا كانوا كلما لقي بعضهم بعضاً يتذكرون إخوانهم وما حلّ بهم في النهروان، ويرون أن في السكون والإقامة الغبن، وأن في الجهاد الفضل والأجر^(٥) فقامت جماعات منهم بثورات متعددة ضد السلطة القائمة في الكوفة والبصرة، وقد حملهم شديد إيمانهم على أن ينتهزوا كل فرصة للدعوة إلى مبادئهم

(١) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٥٩ الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨ هـ) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: من فلاسفة الإسلام. كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل. ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ، فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده، وتوفي بها. قال ياقوت في وصفه: (الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرته مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الإمام). من كتبه (الملل والنحل) ثلاثة أجزاء.

(٢) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٥٩، عروة بن حدير بن عامر التميمي. أبو بلال. ويُعرف أيضاً باسم عروة بن أديّة (وأديّة هي جدته)، ويُنسب إليها أحياناً مع أخيه مرداس بن حدير. كان من أهل النهروان ضد علي بن أبي طالب، وقيل أنه أول من قال: «لا حكم إلا لله». وهو من أوائل من سلّ سيفه رفضاً للتحكيم بين علي ومعاوية بن أبي سفيان. قابل زياد بن أبيه، والي البصرة وسبّ أمامه معاوية أيام خلافته، وسأله عن نفسه فأغلظ له. ثم تولى عبيد الله بن زياد بن أبيه العراق فقتله، وقيل أن سبب القتل أن بن زياد خرج في رهان له، وأثناء انتظاره للخيل قال له عروة بين الناس الآية القرآنية: «أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ١٢٩ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠» [الشعراء: ١٢٨-١٣٠]، فظن ابن زياد أن وراءه جماعة تنصره، فقال للناس لعروة: «ليقتلنك». فهرب وأتى الكوفة، فقبض عليه ابن زياد وقطع يديه، ورجليه، فقال له: «كيف ترى؟»، فرد عروة: «أرى أنك أفسدت دنياي، وأفسدت آخرتك»، فقتله وقتل ابنه معه. وكان ذلك سنة ٥٨ هـ (حوالي ٦٧٨ م). ينظر: د. عبد السلام الترماني، "أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين: الجزء الأول من سنة ١ هـ إلى سنة ٢٥٠ هـ"، المجلد الأول (من سنة ١ هـ إلى سنة ١٣١ هـ) دار طلاس، دمشق.

(٣) الشهرستاني الملل والنحل ص ١٥٩

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٧/١٥٩

(٥) الطبرى الرسل والملوك ج ٥ ص ١٧٢



جهرًا، فأرسلوا الرسل إلى خلفاء بني أمية يدعونهم، ولم يضمنوا بأي نوعٍ من أنواع التضحية فتاريخهم مملوء بالشجاعة النادرة^(١).

ولم يستمر نشاط (الخوارج في الكوفة) طويلاً، فلم يأت عام (٥٩ هـ / ٦٧٨ م)، حتى كانوا قد قضى عليهم، وباءت حركاتهم هناك بالفشل، وتعود أسباب ذلك إلى أن الكوفة كانت تميل إلى التشييع لآل البيت، فلم يجد الخوارجُ مساعدةً تذكر من سكانها يضاف إلى ذلك أن عدد أتباعهم محدودٌ كما أنهم يفتقرون إلى التنظيم والتخطيط، مما ساعد ولاة الكوفة على القضاء عليهم.

أما (خوارج البصرة) فلم يكونوا أحسن حظاً من إخوانهم في الكوفة فقد قاموا بثورات بين عامي (٤١، و٦١ هـ / ٦٦١ - ٦٨٣ م)^(٢)، ولكن النجاح لم يحالفهم ويرجع ذلك - فيما يبدو - إلى سوء التنظيم، وعدم الوحدة، ولتطرف أتباعهم، مما أثار عليهم أهل البصرة، كما يرجع ذلك إلى سياسة التشديد التي اتبعتها الولاة في البصرة ضدهم، وخاصة ابن زياد المتشدد الذي قتل أميرهم أبا بلال مرداس بن أديبة^(٣) وتجرد لاستئصالهم وهلاكهم^(٤) فقام بدور فعال وأساسي في إحباط جهودهم، وعدم إتاحة الفرصة لنجاح حركتهم، ظلت الصعاب تلاحق الخوارج، فحل بهم البطش والاضطهاد في العصر الأموي على أيدي ولاة العراق من أمثال: عبيد الله بن زياد الذي تولى سنة ٦٥٥ هـ / ٦٧٤ م^(٥) أمر العراق ولم يدخر جهداً في استعمال القسوة والعنت ضد جميع الخوارج المتطرفين والمعتدلين على السواء، ويذكر لنا المبرد أن عبيد الله بن زياد كان لا يلبث الخوارج بحبسهم تارة، ويقتلهم تارة أخرى، وأكثر ذلك يقتلهم، ولا يتغافل عن أحد منهم^(٦)، وجاء الحجاج عام (٧٥ هـ / ٦٩٤ م)، فكان أشد قسوةً وتنكيلاً

(١) احمد امين فجر الاسلام ص ٢٦٣

(٢) الطبري نفس الكتاب والجزء ص ٥٦٣ / ٥٦٤. وينظر: خليات نشأة الحركة الأباضية، ص ٦٤

(٣) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٥٧

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ٥٦٤.

(٥) ابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥٠١.

(٦) الكامل ج ٣ ص ٢٦٠.

(٧) النويري الاخبار الطوال ص ٢٧٥.



بالخوارج، إذ كان يقتلهم "بالتهمة والظننة^(١) وكان يبعث الجيوش تقتفي آثارهم من بلدٍ إلى بلدٍ، وتوقعهم وقعةً بوقعةٍ حتى استؤصلت فِرْقٌ من الخوارج بأكملها، واختفت من المسرح السياسي إلى الأبد^(٢) .

أمام هذه الصعاب اضطر الخوارج إلى تبني التنظيم السري، ولكننا لا نعلم متى بدأ بالضبط، وإن كانت بعض المصادر المتوفرة لدينا تشير إلى أن الجماعة المعتدلة من المحكّمة الأولى لجأت إلى هذا الأسلوب نتيجة لحملة الإبادة التي تلاحق الخوارج في البصرة وغيرها منذ عهد زياد بن أبيه، وابنه عبيد الله لاسيما وأن هذه الحملة شملت من كان يدين بالاستعراض، ومن كان سمته الاعتدال، كأبي بلال مرداس^(٣) لذلك كله كان من الصعب على الخوارج مواصلة نشاطهم السياسي بصورة علنية، فكان لا بد لهم من تغيير هذا الأسلوب في كفاحهم، وأن يتبعوا أسلوب الدعوة السرية المستورة التي سبقتهم إليها الشيعة وتنظيم العمل السري والانتقال إلى مرحلة جديدة من النضال^(٤) .

لكن دراسة هذه المرحلة الجديدة في نضال الخوارج في غاية الصعوبة؛ لطبيعة العمل السري وما يرتبط به من صعوبة العثور على المعلومات الخاصة بتنظيم أجهزته، ودعاته، وخططه، إضافة إلى أن الإبادة التي تعرّض لها الخوارج كانت تشمل دواوينهم وكتبهم ومكتباتهم^(٥) التي كانت تزرخ بآلاف المدونات والمصنفات فأحرقت جميعاً، ولم يبقَ منها سوى النذر اليسير من تراثهم؛ لذا كان لا بد من الاعتماد على الإشارات المتفرقة والمتناثرة في كتب الفقه والفتاوى والطبقات والأدب، ولقد أسعدنا الخط بفضل جهود الباحثين الذين سبقونا في البحث عن الخوارج بالعثور على وثيقة

(١) الدنيوري الاخبار الطوال ص ٢٧٥ .

(٢) محمود اسماعيل الحركات السرية ف الاسلام ص ١٧ .

(٣) الشهرستاني نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٤) انظر الجاحظ البيان والتبيين ج ٢ ص ١٢٤ و الاصفهاني الاغاني ج ٢ ص ١٠٧ و فلهوزن الخوارج والشيعة ص ٢٥١ وابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٤٥٩ وابن عبد ربة العقد الفريد ج ٤ ص ١٤٤

(٥) المبرد الكامل ج ٣ ص ١١٧ .



في هذا الصددِ ضمن مجموعة من الفتاوى الفقهية، وتوضح لنا هذه الوثيقة أهمية مركز الدعوة وعلاقته بالدعاة في مختلف الأمصار، كما أنها تقدم لنا الدليل القاطع على قيام الدعوة السريّة .

والوثيقة عبارة عن رسالة بعث بها شيخ الدعوة في البصرة أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (١) إلى دعائه في المغرب في أوائل القرن الثاني الهجري.

إليك جزء منها كما ورد فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، أتاني كتابكم تذكرون فيه ما منّ الله به عليكم من جمع كلمتكم، وائتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف، ولعمري ما أكثرتهم وإن كثروا بأكثر مما كان قبلهم على ما كان قبلكم من سلفكم، فافتدوا بهم عليك أكثرتهم على أخلافكم، نسأل الله العون والتوفيق في جميع أموركم، ولن يكفيننا وإياكم بأسهم، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم، ويشفي صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم، فلعمري لقد أسرني ما انتهيتم إليه من أمركم، وإن كان ذلك لم يخفَ عنا غير أنا نظن الذي كتبتم به إليّ، والله يستتم لكم الخير كله بعونه وتوفيق... إلخ) (٢).

إذن فقد لجأ الخوارج إلى أسلوب الكتمان، والكتمان بحاجة إلى طريقة أو أسلوب في العمل، وخاصة بالنسبة لجماعة لها أهداف ونظرات في السياسة والحكم؛ لذا نحاول بقدر الإمكان أن نكوّن صورةً واضحةً المعالم للنشاط السري للخوارج في مدينة البصرة التي انطلقوا منها إلى الجهات الأخرى.

لقد كان الخوارج مبعثرين في العراق (٣) وكان لقسوة الولاة وخاصة: زياد وعبيد الله والحجاج الأثر الكبير في هجرة هؤلاء إلى المناطق الداخلية والشرقية؛ ليكونوا

(١) ابو زكريا ، السيرة واخبار الامة ، ورقة ٥ أ والدرجيني طبقات الاباضية ج ١ ورقة ٩ ب . ومحمود اسماعيل الخوارج ص ٣١١

(٢) ابن أبي كريمة رسالة في احكام الزكاة ورقة ١١٤ .

مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢١٥٨٢ ب . وانظر محمود اسماعيل الخوارج ص ٣١١

(٣) بيوري يعقوب بن ليث الصفار ص ٣٨



بعيدين عن قبضة هؤلاء الولاة -فسار بعضهم إلى المشرق، والتحموا هناك بإخوانهم الخوارج الذين أظهروا التمرد، وعدم الرضى ومعارضة الحكام العرب الذين كانوا يعينون من قبل الخليفة، فتعاون هؤلاء مع إخوانهم الخوارج الفارين من الظلم في العراق، والهايريين من قسوة الحجاج وأمثاله من السابقين عليه(١).

ولقد كانت البصرة مركزا للدعوة، ومنها كان الدعاة الذين عرفوا بجملة العلم، وكانوا يتوجهون إلى الأمصار بعد تلقيهم أصول الدعوة على أيدي فقهاء المذهب، وشيوخ الذين كانوا يمارسون مهامهم في طيّ الكتمان والسرية التامة، فكانت وفودهم تخرج إلى مختلف الأمصار، ولاشك في أنه كان هناك حملة للعلم اتجهوا إلى المشرق، وذلك لازدياد الخوارج هناك، ولكن المصادر لم تسعفنا بأسماء واحد منهم(٢)، وإن كان بعضها قد أتى بأسماء بعض هؤلاء في المغرب .

ومن مظاهر السرية التامة عند الخوارج أنهم كانوا يمارسون مهامهم في سراديب تحت الأرض، وكانوا يأتون مجالسهم متشبهين بالنساء، لدفع الريبة عنهم وهم في طريقهم إلى مكان الاجتماع، كما كانوا أحيانا ينتحلون صفة التجار والباعة المتجولين حتى يصلوا مقصدهم(٣) وإمعانا في التخفي كان يجلس أمام باب مقر الاجتماع رجل يعمل القفاف(٤) وعلى فمه سلسلة يحركها إذا ما رأى شخصا مقبلا؛ لينبه من بالداخل إلى التزام الصمت ريثما يمر من يشتهه في أمره(٥) وغالبا ما كانت مجالسهم تقام في بيوت النسوة العجائز منعًا للشبهة، وعن ذلك يقول أبو سفيان محبوب بن الرحيل(٦): "وما بلغنا أنهم إلا أنهم كانوا ذات مرة في عهد زياد وابنه أتاها الخبر بأن الخيل تريدهم فخرجوا مسرعين، وتركوا نعالهم على باب البيت الذي كانوا فيه فجاءت الشرطة، فنظروا إلى النعال فقالوا: للعجوز صاحبة البيت: ما هذه النعال؟

(١) مجهول تاريخ سيبستان ص ١٠٩ / ١١٠ . والشماخي السير ، ص ٩٨ .

(٢) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧

(٣) الدرجيني طبقات الأباضية مخطوط بدار الكتب المصرية ج ١ ورقة ١٠٥ [٦٧٠ ٦٠٠هـ]

(٤) وقد لقب أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة الداهية السياسي بالقفاف.

(٥) الشماخي مقدمة التوحيد وقة ١٦ ب

(٦) الشماخي السير ص ٢٤



فقالت: مكاتب لنا يسأل الناس فيعطى النعال وغيرها فقالوا: بالله ما ذلك كما ذكرته، فإن هذا موضوع ريبة. قال: فقال بعضهم قد ذكرت العجوز ما ذكرت فلا تعرضوها للبلاء فلعلها أن تكون صادقة قال: فعافاها الله منهم.

ويتضح هنا أن لهذه المجالس رقياء وعيون تحرسها، ولذا خرجوا قبل مدهامة الشرطة لهم.

وفي عهد أبي جعفر المنصور ورد نصٌ فيما يتعلق بمجالس النساء السرية، إذ كانت سعيدة^(١) قد اتخذت للمسلمين سرًّا في دارها يجتمعون فيه بالليل^(٢)، وقد كشف هذا السرب لأبي جعفر.

ويطلق على هذه المجالس اسم الحلقة^(٣) وفيها يتلقى الاتباع الأصول والفروع، والسير، والتوحيد، والشريعة، وآراء الفرق، إلى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات^(٤)، هذا فضلا عن تبصيرهم بفنون الحرب، والثورة والأساليب السياسية، وإعدادهم لتقليد المناصب، والاضطلاع بأعبائها في مرحلة الظهور، وتلقيهم المهارات في كسب الاتباع، وترغيبهم في اعتناق المذهب.

كان لابد وأن يكون لهذه المجالس السرية وهي على هذا القدر من القوة والكتمان مسئول عنها، وأن يكون من العلماء العظام الموثوق فيهم.

وتشير بعض المصادر إلى أن الفضل في تنظيم أسلوب الدعوة الأباضية يعود إلى جابر بن زيد^(٥)، الذي حظي بمنزلة عالية عند الأباضية، حتى اعتبره بعضهم أول

(١) سعيدة هذه نرجح انها احدى نساء الخوارج اللاتي اتخذن من منازلهن للدعوه السرية ولم تسعفنا المصادر بمعلومات وافية عنها

(٢) الشاخي طبقات الاباضية ج ١ ورقة ١٠٧ والسير ص ١٠٨ / ١٠٩

(٣) البرادي الجواهر المنقاه مخطوط بدار الكتب المصرية برقن ٨٤٥٦ خ ورقة ١٠٦

(٤) محمود إسماعيل الخوارخ ص ٥٣

(٥) هو أبو الشعثاء جابر بن زيد اليمحدي الأزدي البصري محدث وفقهه، وإمام في التفسير والحديث وهو من أخص تلاميذ ابن عباس، وممن روى الحديث عن أم المؤمنين عائشة، يرجع إليه، حسب أتباعه وبعض المؤرخين، المذهب السني. وأما ما اشتهر عند المؤرخين من نسبة الإباضية إليه فغير صحيح. وأما مسألة ارتباطه بعبد الله بن إباض الذي عاش في زمن عبد الملك بن مروان فهذه بعيدة تماما، لأنه أعلن عن ابعاضه أنه بريء من الأباضية وأفكارهم. وهذا هو المشهور بين تلاميذه وأقرانه عن عَزْرَةَ الْكُوفِيِّ قَالَ: دَعَانِي عَلَى



الأئمة^(١)، ومما يؤكد لنا أن جابر بن زيد كان المسئول عن التنظيم السري الأباضي . النص الذي رواه أبوسفيان عندما اعتقل أحد مشايخ الدعوة الأباضية والمسعى: (أباسفيان قنبر) وكان شيخًا كبيرًا، أخذ وجُلِدَ أربعمئة سوط على أن يدل على أحد من المسلمين "الخوارج" فلم يفعل، وقال جابر بن زيد وكنت قريباً منه، وما كنت انتظر إلا أن يقول هذا فعصمه الله^(٢) الشهرستاني^(٣) فقد عده من علماء الخوارج المتقدمين .

حقاً إنها صلابة وقوة وإرادة في مواجهة السلطة الأموية، تلك التي أبداها دعاة المجالس السرية للخوارج، وأنها لحيقة بالغلة وحذر شديد حول مجالسهم . ولا شلد أن هذا كله قد مكن التنظيم من النمو والانتساع خارج المركز الأم البصرة، وإذا كانت البصرة هي مركز الدعوة السرية للخوارج خاصة الأباضية منهم ، فإن الجزيرة (شمال العراق) كانت مركز التنظيم الصغرى^(٤) .

جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ فَقُلْتُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَنْتَجِلُونَكَ. فَقَالَ: أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٧/١٣٤) ط دار الكتب العلمية، بيروت.

(١) السيابي ازالة الوعاء ص ٣٣ سالم بن حمود بن شامس السيابي(ت: ١٤١٢ هـ) يعتبر من أعلام علماء عمان في العصر الحديث، إذ جمع بين الفقه، والتاريخ، والأدب، والشعر. من مواليد بلدة غلا من أعمال بوشر سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. درس عند أجلة من مشايخ عصره، مثل الشيخ خلفان بن جميل السيابي، وساعدته عصامية جادة فترقى في درجات العلم، فبلغ مبلغاً عظيماً. لازم الإمام الشيخ محمد بن عبد الله الخليلي، وكان من قضائه وولائه. تولى القضاء في عدة ولايات من عمان، مثل بوشر التي أقام بها طويلاً، ثم انتقل إلى سمائل موطن أهله وعشيرته، وفي نخل معيناً من طرف الإمام محمد الخليلي، ثم في ولاية جعلان أيضاً، وكان يدرس اللغة العربية إلى جانب ذلك. عينه السلطان سعيد قاضياً في المحكمة الشرعية بمسقط في عهد النهضة انتقل من القضاء إلى وزارة التراث القومي والثقافة، مؤلفاً ومحققاً وباحثاً. يعد من أهم المؤرخين العمانيين بعد الشيخ السالمي. له حوالي خمسين مؤلفاً في الفقه، والقضاء، والتاريخ، والأنساب، والسير. ومن مؤلفاته المشهورة "عمان عبر التاريخ"، "أصدق المناهج في تمييز الإباضية عن الخوارج"، "إرشاد الأنام في الأديان والأحكام" وهو رجز في مائة ألف بيت، "العقود المفصلة في الأحكام المؤصلة" ثلاثون ألف بيت، "معالم الإسلام في الأديان والأحكام"، "العنوان في تاريخ عمان"، الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز"، وغير ذلك من الأراجيز الطويلة الكبيرة. توفي بمدينة مسقط، بعد عمر طويل في العلم والبحث والإصلاح سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م. وترك ذرية بررة يتولون مناصب علمية وحكومية معتبرة من أبرزهم الشاعر السفير، الشاب الظريف هلال بن سالم بن حمود السيابي. المصادر: شقائق النعمان، (١/٧٥).

(٢) الشماخي السير ص ٩٣

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٨٥

(٤) الشماخي شرح مقدمة التوحيد ورقة ١٦ ب والباروني الازمار الرياضية ج ٢ ص والعموي انساب

ورقة ٩٣ ب/١٠٢



وثمة إشارة إلى أنه كان هناك تعاون وثيق بين التنظيمين في البصرة وشمال العراق في بداية الأمر، وبدل على ذلك وصول داعيّي الأباضية والصفيرية إلى المغرب على ظهر بعير واحد^(١) والداعيتان هما داعية الأباضية سلمة بن سعيد الحضرمي^(٢)، وهو أول شخصية تذكرها المصادر الأباضية مقرونة بالدعوة الأباضية في شمال أفريقيا، وكان مبعوثاً من أبي عبيدة مسلمة بن أبي كريمة التميمي^(٣) إمام الأباضية في البصرة، أما الثاني فهو الداعية الصفيرية عكرمة مولى ابن عباس^(٤) وقد توفي عكرمة هذا في الفترة الواقعة بين عامي (١٠٠ هـ / ٧١٨م)، (١١٠ هـ / ٧٢٨م)، والأرجح عام (١٠٥ هـ / ٧٢٣م)^(٥).

لقد وجد داعيتا الخوارج في المغرب حقلاً خصباً لبذر بذور الدعوة؛ لأن المغرب كان ممهداً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً لتقبل الدعوة، ولا مجال هذا لسرد دور الدعاة في المغرب أو نجاح الدعوة هناك أو مجالسهم السرية، ولم يقتصر التنظيم السري للخوارج على المغرب بل شمل أقاليم الجنوب والمشرق، ذلك أنه قد اتخذ في

(١) محمود إسماعيل الخوارج ص ٢١

(٢) أول من أدخل المذهب الإباضي إلى إفريقية و هو الداعية سلمة بن سعد بن علي بن أسيد الحضرمي و ذلك سنة ١٠١ للهجرة و كان سلمة مخلصاً في دعوته. وطاف سلمة جميع بلاد المغرب لنشر دعوته. ارتحل إلى شمال أفريقيا بعد عام ٩٥هـ / ٧١٣م و استقر في جبل نفوسة بطرابلس وأخذ يدعو قبائل هوارة البربرية (٣) يعتبر «أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة» الإمام الثاني للإباضية، وقد أصبح مرجع الإباضية دون خلاف بعد جابر بن زيد. ولد في حوالي ٤٥ هجرية. كان مولى لعروة بن أديّة التميمي (أخو أبو بلال مرداس بن حدير). ويكنى «أبو عبيدة» بابنته «عبيدة» التي أخذت العلم عن والدها فزويت عنها آثار في كتب الفقه «الإباضي» فيما يتعلق بأخبار النساء، أما والد «أبي عبيدة» وهو «أبو كريمة» فقد كان معاصراً للإمام جابر بن زيد. عاش «أبو عبيدة» في البصرة واشتهر بالتقوى والزهد والورع وكان له جهد كبير في تنظيم الدعوة والدعاة كما كان له الفضل في انتشار الإباضية في مختلف الأمصار، وهو أشهر علماء الإباضية في تلك المرحلة من مراحل تاريخ الإباضية والتي كانت تعرف بالكتمان. يصفه بدر الدين أحمد بن سعيد الشماخي في كتاب السير فيقول عنه. تعلم العلوم وعلمها، ورتب روايات الحديث وأحكمها، وهو الذي يشار إليه بالأصابع بين أقرانه ويزدحم لاستماع ما يقرع الأسماع من زواجر وعظه وقد اعترف له بحوز قصب السبق في العلوم واعترف مع ذلك بضيق الباع مع ما هو عليه من الاتساع. توفي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة سنة ١٥٠ هـ في عهد أبي جعفر المنصور، وتولى الربيع بن حبيب إمامة الإباضية من بعده في البصرة. يروى أن أبو جعفر المنصور قال عندما سمع بموت «أبي عبيدة»: ذهبت الإباضية. وقد عمر «أبو عبيدة» عمراً طويلاً حتى رأى آثار جهده وتربيته الذي نتج عنه إمامتين واحدة بالمشرق وأخرى بالمغرب (راجع الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفقهه للشيخ الدكتور مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي).

(٤) انظر الوردجاني السيرة واخبار الامة ص ٨٣

(٥) ابل خياط تاريخ ص ٢٨٠



البصرة شكلا دقيقا عن التنظيم المبني على أسس مدروسة تمثلت في الحملات السليمة المتوجهة من البصرة إلى الأمصار الإسلامية المختلفة.

وبلغ التنظيم أوج نشاطه حين تبلورت تنظيماته على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة^(١) الداهية السياسي الذي يعتبر أحد الشخصيات اللامعة في مجال التنظيمات السرية، في تلك الحقبة من تاريخ الأمة الإسلامية أما عن الدعاة في المشرق الإسلامي فلم تسعفنا المصادر بالوقوف على أسمائهم، كما أشار إلى ذلك الشهرستاني نفسه^(٢).

وربما يرجع ذلك إلى أن الخوارج في المشرق منذ دخولهم هذه الأقاليم أعلنوها ثورة علنية وليست سرية، وذلك لشعورهم بالأمان وهم بعيدون من الخلافة والسلطة، ولكثرة عددهم، وتعاطف السكان الأصليين معهم، ويشير الدكتور محمود إسماعيل^(٣) إلى ذلك، فيقول: إن فشل الدعاة في خراسان، وإخفاقهم في مهمتهم يرجع إلى تشجيع أهلها، ولأن أعدادهم كانت محدودة لا تفي بإمامة الظهور، وقد جازفوا بالثورة.

أما كون التنظيم السري عاملا من عوامل هجرة الخوارج من البصرة والأقاليم المجاورة إلى المشرق فهذا لا اختلاف فيه، حيث إن كل من اقتنع بدعاة المذهب وانضم إلى الخوارج سواء كانوا أفرادا أو جماعات عندما كانوا يشعرون بالخطر من اكتشاف أمرهم، لم يجدوا أمامهم إلا الفرار إلى المشرق، حيث البعد الذي يجدون فيه الأمان، وحيث إخوان لهم هناك في قوة وبسالة وجماعة كثيرة هذا فريق.

(١) الوردجاني السيرة وأخبار الأئمة (ص ٩٣) أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوردجاني: ينتمي إلى شيوخ الطبقة العاشرة حسب الدرجيني أي أنه عاش في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة/١م، هو إخباري وأحد شيوخ المذهب الإباضي. له أجوبة وفتاوي في علم الكلام، ورسائل في الفقه، يبدو أنها فقدت. عاش في وارجلان بالجنوب الجزائري وإلى هذه المدينة ينسب. أما دراسته فقد تلقاها بوادي أريغ.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧

(٣) الحركات السرية في الإسلام ص ٣١



أما الفريق الآخر ممن ترسخت الفكرة والمذهب في عقله وذهنه، فوهب نفسه لله وللمذهب، فكان لا بد عليه من الجهاد، وهو يعلم أن له إخوانا في المشرق يشاركون في معارك ضروس، وحروب متعددة مع السلطة، فكان لزاما عليه التوجه إلى المشرق للانضمام إلى إخوانه في الجهاد، كما كان لا بد للدعاة، وحملة العلم من الخوارج، وخاصة كبار السن الذين سقط عنهم الجهاد بالسيف من حث شبابهم في مختلف الأقاليم على التوجه إلى المشرق، وذلك لنصرة إخوانهم ومذهبهم هناك، وسوف نلاحظ أثناء حديثنا عن معارك الخوارج أنهم سرعان ما يعيدون تجمعاتهم بعد كل معركة.

إذن لقد كان التنظيم السري سواء كان في البصرة أو في المغرب، كان بمثابة المعين الذي يمد المشرق بالطاقات البشرية وبفضله زادت أعداد الخوارج في المشرق.

ب: الهجرة إلى المشرق ودور الولاة:

الخوارج في أصلهم عرب نزحوا أو لاذوا بالأمصار الإسلامية عسى أن يجدوا فيها أرضا لدعوتهم (١). فعندما سقط المشرق في أيدي العرب الغازين في سبيل الله، وبدأت القيادات المحلية في هذه البلاد تتولى المناصب الإدارية في ولاياتها كسلطات مستقلة غير تابعة للدولة المنصرمة سواء أكانت الدولة الساسانية، أو غيرها وعندما استشعرت هذه القيادات الفتح الإسلامي لبلادها، نهضت تعارض الخضوع لحكم العرب بشدة، وبدأت تكون جيهاة عسكرية للوقوف أمام جيش المسلمين فوجد الخوارج في ذلك فرصة لهم لنشر مذهبهم وتجمعهم فاندفعوا إلى المشرق.

وربما كان لطبيعة المشرق الجغرافية عامة، وسجستان (سيستان) خاصة الأثر الكبير في لجوء الخوارج إليها والتحصن بها حيث امتازت سيستان منذ تاريخها القديم بالقلاع العديدة التي أقامها ملوك إيران الأقدمون على مراحل عصورها المختلفة وحتى

(١) حسن محمود الإسلام في اسيا الوسطي بين الفتحي العربي والتركي ص ٥٧ .



الإسكندر المقدوني كان له نصيب في إقامة واحدة منها وكان يقال لهذه القلعة قلعة ذي القرنين، وغير هذه القلاع هناك الينابيع الطبيعية للمياه^(١) منها البارد، ومنها الحار^(٢). وكان للولاة الذين تم نديهم إلى المشرق في أول الفتح الإسلامي الدور الكبير في انحياز الخوارج إلى المشرق، لما أظهره هؤلاء كأمثال عبدالرحمن ابن سمرة الذي تولى سجستان سنة (٣٣هـ / ٦٥٣م)^(٣) من الأثر الطيب في أهلها مما ساعد على استقرار الفتوحات كما أنه توخى العدل والإنصاف وهو الجو الملائم للخوارج، كما عملت قسوة ولاة الأمويين والعباسيين تجاه الخوارج على فرارهم إلى المشرق الإسلامي، واستقرارهم هناك وهذه القسوة هي التي ساعدت هؤلاء الخوارج على استقطاب أعداد كبيرة من المسلمين الذين لم يكونوا راضين عن الحكومة^(٤).

ويضيف د. فتحي أبوسيف سبباً آخر للجوء الخوارج إلى المشرق، فيقول: "ثم أدت الحروب التي خاضها هؤلاء الخوارج إلى التجاء زعمائهم للمناطق النائية، أو المناطق التي تعاني من القحط الاقتصادي، حيث يسهل التأثير على سكانها في اعتناق المذهب الخارجي، بعيداً عن رقابة السلطة^(٥)".

ويخبرنا البغدادي أن استقرار الخوارج في المشرق بدأ مبكراً، وتم في عهد علي بن أبي طالب عليه السلام نفسه بعد حروبهم معه مما يدل على رسوخ المذهب الخارجي هناك منذ بداية ظهوره كما يدل على قوة، ونشاط الدعوة للمذهب^(٦).

فهناك في المشرق الإسلامي عوامل كثيرة دفعت بالخوارج إلى التطلع إلى هذه الأقاليم لنشر مذهبهم هناك، وإعلان ثورتهم على الخلافة.

(١) مجهول تاريخ سيستان ص ١٠ - ١١ .

(٢) البغدادي الفرق بين الفرق ص ٧٤ وانظر تاريخ سيستان ص ١٣ .

(٣) مجهول المصدر السابق ص ١٣٩ - ١٤٠ .

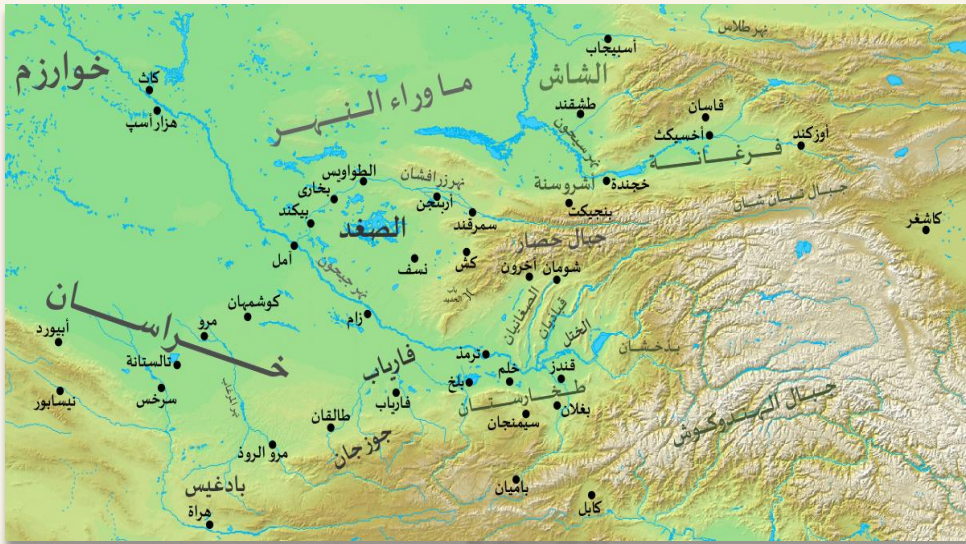
(٤) انظر بريزي يعقوب بن الليث الصفار ترجمة فتحي الريس ص ٣٩

(٥) أبو سيف خراسان ص ٣٦ .

(٦) البغدادي الفرق بين الفرق ص ٦١ وينظر: أبو سيف خراسان ص ٣٦



ومن الناحية الجغرافية كان المشرق الإسلامي يمتاز بكثرة أنهاره وجباله التي كانت تمثل عائقا يحول دون مدهمة الخلافة لهم وكذلك كان لبعد هذه الأقاليم عن مركز الخلافة الأثر الكبير في عدم إرسال الجيوش بالسرعة المناسبة والقدرة الكافية لمحاربة الخوارج إضافة إلى ذلك أن الاختلاف العنصري بين سكان هذه الأقاليم كان عاملا هاما أغرى الخوارج بالتطلع إلى المشرق الإسلامي ثم إن ضعف عمال الخلافة



على هذه الولايات يمثل أهم العوامل التي مهدت الطريق أمام الخوارج أو غيرهم للوصول إلى السيطرة والثورة في هذه المناطق الشرقية .

وكان نظام الحكم المركزي سواء في الدولة الأموية أو العباسية مع هذا الاتساع الكبير لأملاك الخلافة عاملا مساعدا على ظهور الحركات المعارضة التي منها الخوارج .

ولم يكن المشرق بموقعة الجغرافي المتميز معقلا للعصابات غير العربية كالتركية والفارسية (١) .

(١) البيهقي دلائل النبوة تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان المدينة المنورة ١٦٩٧ ج ١ ص ١٠٣ البيهقي (٤٨٨ هـ) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد (مصر) في



ومن العوامل التي دفعت بالخوارج إلى المشرق، والانتشار في مدنه وأقاليمه -تلك الحروب الشرسة التي قام بها ولاة الأمويين للفتك بهم.

وعلى الرغم من تعدد فرق الخوارج إلى حد وصولها إلى عشرين فرقة، فإن ما اشتهر منها في المشرق الإسلامي، هي النجدات (اتباع نجدة) (١)، والصفيرية (اتباع زياد بن الأصفر) (٢) والأزارقة (اتباع نافع بن الأزرق) (٣)، والأباضية (اتباع ابن إباض) (٤).

وكانت البصرة هي مركز نشاط الخوارج منذ عهد علي بن أبي طالب الذي اغتالته الخوارج (٥).

بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده بيهق. قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرته مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه. وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف. ينظر: الأعلام، للزركلي، (١١٦/١).

(١) نجدة بن عامر الحنفي هو أحد قادة الخوارج في عهد الدولة الاموية، ولد عام ٣٦ هـ، وبويع في سنة ٦٦ هـ. استولى على اليمامة، والبحرين بعد حروب طويلة وامتد نفوذه حتى اليمن، واتخذ من القطيف قاعدة له. ثم ولي مكانه أبو فديك أحد أنصاره السابقين وهو من الخوارج أيضاً. استمر في حكمه حتى أرسل له عبد الملك بن مروان جيشاً قضى عليه عام ٧٣ هـ. ينظر: تاريخ العالم الإسلامي. ص ٦٦

(٢) (رأس الصفيرية) زياد بن الأصفر رأس الصفيرية ويقال لهم الزبائية كمذهب الأزارقة في تكفير الصحابة وخالفوهم في تكفير القعدة عن القتال ولم يسقطوا رجم الزاني المحصن وجوزوا التقية والعمل وكفروا تارك الصلاة دون الزاني والسارق والقاذف وكان رأس القعدة من الصفيرية عمران بن حطان الوافي بالوفيات (٥/١٥)

(٣) نافع بن الأزرق توفي- ٦٥ هـ - وهو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي، البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم. كان أمير قومه وفقههم. من أهل البصرة. صحب في أول أمره عبد الله بن عباس. وله (أسئلة) رواها عنه، وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على (عثمان) ووالوا عليا، إلى أن كانت قضية (التحكيم) بين علي ومعاوية، فاجتمعوا في (حروراء) وهي قرية من ضواحي الكوفة، ونادوا بالخروج على علي، وعرفوا لذلك، هم ومن تبع رأيهم، بالخوارج وقتل يوم (دولاب) على مقربة من الأهواز. ينظر: الأعلام للزركلي (٧/٣٥٢)

(٤) عبد الله بن إباض (توفي - ٨٦ هـ) عبد الله بن إباض المقعسي المري التميمي، من بني مرة بن عبيد بن مقعس: رأس الإباضية، وإليه نسبتهم. اضطرب المؤرخون في سيرته وتأريخ وفاته. وكان معاصرا لمعاوية، وعاش إلى أواخر أيام عبد الملك بن مروان. عده الشماخي في التابعين وقال: " كان على ما حفظت ممن خرج إلى مكة لمنع حرم الله من مسلم (بن عقبة المري) ينظر: الأعلام للزركلي (٤/٦٢) .

(٥) ابن كثير البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٢٠ ابن كثير القرشي (٧٠٠ - ٧٧٤ هـ). عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير. ولد بالبصرة، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة ٧٠٦ هـ بعد وفاة أبيه. سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الأمدي وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها. كان ابن كثير من بيت علم وأدب، وكان له نصيب كبير علماء عصره، فنشأ عالماً محققاً ثقة متقناً، وكان غزير العلم واسع الاطلاع إماماً في التفسير والحديث



فلما جاء معاوية إلى الحكم وكانت حركات الخوارج شغله الشاغل وأحداث البصرة همه الكبير، ولّى زياد بن أبيه البصرة، وذلك سنة (٤٥هـ / ٦٦٥م) (١) فتوجه زياد إلى ولايته حيث كان عاملاً لعلي بن أبي طالب على فارس منذ (٣٩هـ / ٦٥٩م) (٢) ويبدو أن معاوية كان يعرف تمام المعرفة قدر شخصية زياد، لشهرته بالفصاحة والرأي، فأراد أن يجذبه إلى جانبه، فأرسل إليه المغيرة بن شعبة والي الكوفة الذي أقنعه بالحضور إلى معاوية ومبايعته (٣).

ووصل زياد بن أبي سفيان (ابن أبيه) (٤) إلى البصرة في آخر ربيع الآخر سنة (٤٥هـ / ٦٦٥م)، فوجدها تعج بالفساد (٥) ولما توفي المغيرة بن شعبة في عام (٥٠هـ / ٦٧٠م) لم يجد معاوية خيراً من زياد، فاستعمله على الكوفة والبصرة معاً - وهما

والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها البداية والنهاية في التاريخ وكتاب تفسير القرآن العظيم، وهو من أفضل كتب التفسير لما امتاز به من عناية بالمأثور وتجنب للأقوال الباطلة والروايات المنكرة. توفي ابن كثير بعد أن كُفّ بصره، ودفن في دمشق. ينظر: الموسوعة العربية العالمية

- (١) الدينوري الأخبار الطوال ص ٢١٩ .
- (٢) ابن كثير نفس المصدر السابق ، واليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ٢١٨
- (٣) ابن الأثير اسد الغابة ج ٢ ص ٢١٥ ابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) هو علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير: المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل وتجول في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها، من تصانيفه: «الكامل» اثنا عشر مجلداً، مرتب على السنين، بلغ فيه عام (٦٢٩هـ)، أكثر من جاء بعده من المؤرخين عيال على كتابه هذا، و «أسد الغابة في معرفة الصحابة» خمس مجلدات كبيرة، مرتب على الحروف، و«اللباب» اختصر به أنساب السمعاني وزاد فيه، و«تاريخ الدولة الأتابكية» و«الجامع الكبير» في البلاغة، و«تاريخ الموصل» لم يتمه. ينظر: الأعلام للزركلي (٤ / ٣٣١) .
- (٤) زياد بن أبيه (١ - ٥٣ هـ) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة. من أهل الطائف. اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان. ولدته أمه سمية (جارية الحارث بن كعدة الثقفي) في الطائف، وتبناه عبيد الثقفي (مولى الحارث بن كعدة) وأدرك النبي ﷺ ولم يره، وأسلم في عهد أبي بكر. وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة، ثم ل أبي موسى الأشعري أيام إمرته على البصرة. ثم ولاه على بن أبي طالب إمرة فارس. ولما توفي عليّ امتنع زياد على معاوية، وتحصن في قلاع فارس. وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه (أبي سفيان) فكتب إليه بذلك، فقدم زياد عليه، وألحقه معاوية بنسيه سنة ٤٤ هـ فكان عضده الأقوى. وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي. قال الشعبي: ما رأيت أحداً أخطب من زياد. وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت أخصب نادياً ولا أكرم مجلساً ولا أشبه سريرة بعلانية من زياد. وقال الأصمعي: إن أول من ضرب الدنانير والدرهم ونقش عليها اسم (الله) ومحا عنها اسم الروم ونفوشهم زياد. وقال العتبي: إن زيادا أول من ابتدع ترك السلام على القادم بحضرة السلطان. وقال الشعبي: أول من جمع له العراقيان وخراسان وسجستان والبحران وغمان، زياد. وهو أول من عزّف العرفاء ورتب النقباء وربّع الأرباع بالكوفة والبصرة، وأول من جلس الناس بين يديه على الكراسي من أمراء العرب، وأول من اتخذ العسس والحرس في الإسلام. ينظر: الأعلام للزركلي (٣ / ٥٣)
- (٥) ابن الأثير الكامل ف التاريخ ج ٣ ص ٤٤٧



معقلا الخوارج آنذاك- فكان أول من جمعنا له^(١) لكن الأمن كان في الكوفة أكثر استقرارا من البصرة، كما كانت الخوارج أقوى شكيمة وأشد مراسًا في الكوفة^(٢).

وحين تولى زياد بن أبيه البصرة والكوفة خافه سهم بن غالب من كبار الخوارج، فخرج إلى الأهواز^(٣) ودعا إلى الثورة هناك، ويقول بعض المؤرخين إنه - أي سهم بن غالب - قتل مسلمًا لم ينكر إيمانه، بينما أخلى سبيل يهود صرحوا بيهوديتهم فأدركه زياد، وقتله وصلبه على بابه، وذلك سنة (٤٦ هـ / ٦٦٦ م)^(٤).

لقد أصبح زياد بن أبيه في مواجهة الخوارج خلال ولايته هذه، فتمكّن من أن يقضى على خطرهم الثوري، فكان يستقصى أمورهم، ويتبع أفرادهم حيث يكونون، ويأخذ من قدّر عليه منهم بالشبهة، ويقتلهم بالظنة^(٥)، ولكن أفكارهم وعقيدتهم كانت تلقى قبولا من كثير من أهل البصرة - من الرجال والنساء- فكان يحبس الرجال ويقتل المعلن منهم، ويستعين بقبائل البصرة على دفع خطرهم، والقضاء عليهم وعلى نساءهم^(٦).

(١) ابن قتيبة الامامة والسياسة ص ٣٤٩ وانظر بن الاثير الكامل ج ٣ ص ٤٦١

(٢) الخربوطلي تاريخ العراق ص ٩٢ علي حسني الخربوطلي علي حسني الخربوطلي المؤلف كتاب تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي والمؤلف لـ ٨ كتب أخرى. علي حسني الخربوطلي (١٣٠٩-١٣٧٦ هـ/عالم بالتاريخ الإسلامي، من كبار المؤرخين والباحثين المصريين، عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، أستاذ جامعي، وكان عميداً لكلية الآداب في جامعة الإسكندرية من ١٩٤٢-١٩٥٢. يعد من جيل الأوائل الذين أسسوا الجامعة المصرية وأسهموا في الحياة الجامعية على أسس قوية متينة. ولد في الإسكندرية.

(٣) انظر جغرافيا المشرق الاسلامي في الفصل الأول

(٤) انظر الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ٢٢٨ وابن الاثير الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤٥٤

(٥) طه حسين الفتنة الكبرى ج ٢ ص ٢٢٨

(٦) المبرد الكامل ج ٣ ص ٢٤٦ أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمُبرّد ينتهي نسبه بثمالة، وهو عوف بن أسلم من الأزد. (ولد ١٠ ذو الحجة ٢١٠ هـ/٨٢٥ م، وتوفي عام ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م)، أحد العلماء الجهادية في علوم البلاغة والنحو والنقد، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). ولد المبرد بالبصرة، ولقب بالمبرد قيل: لحسن وجهه، وقيل: لدقته وحسن جوابه، ونسبه بعضهم إلى البردة تهكما، وذلك غيرة وحسدا. تلقى العلم في البصرة على يد عدد كبير من أعلام عصره في اللغة والأدب والنحو وصفه المازني «المبرد» بأنه كان «أعلم الناس بالنحو بعد سيبويه»، كما تردد على الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، وسمع منه وروى عنه حتى عد من شيوخه، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني من كبار علماء عصره في اللغة والشعر والنحو.



فتمكن زياد بدهائه وشدته أن ينشر الأمن والاستقرار خلال ولايته في طول البلاد وعرضها، ووصل به الأمر إلى أن يتباهى بفضله على معاوية حين كتب إليه يقول : يا أمير المؤمنين دوخت لك العراق وجبت لك برها وبحرها وغثها وسمينها وحملت إليك لها وقشورها " (١).

وبعد وفاة زياد بن أبيه، وجد معاوية أنخبر من يخلفه ابنه عبيد الله، فاستعمله في سنة (٥٥ هـ / ٦٧٤ م) وظل عاملاً له على البصرة طول حياته (٢) لم يكن عبيد الله بن زياد أرحم من أبيه في معاملته مع الخوارج، بل كان أشد منه في الفتك بهم، فتجرد لاستئصالهم وهلاكهم (٣)، وازداد بطش ابن زياد بالخوارج، فامتدت يده إلى امرأة كانت تسمى البلجاء (٤)، وكانت من المجتهدات في الخوارج، وهي من بني تميم وكانت فصيحة اللسان، قوية فقبض عليها ثم قطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق.

التأثير الناشئ عندما تخطب ضده وإذا بهذا العمل يشعل الثورة في نفوس الخوارج، وغير الخوارج، فالطغيان والجبروت والاستبداد من أهم عوامل الثورة على مدى التاريخ.

لقد مرّ أبو بلال مرداس (٥) والناس مجتمعون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: البلجاء فخرج إليها، فنظر ثم عض لحيته، وقال لنفسه: لهذه أطيّب نفساً عن بقية الدنيا منك يا مرداس (٦)، ثم قال لأصحابه: والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانين للعدل، مفارقين للفضل، والله إن الصبر على هذا لعظيم، وإن

(١) الجهشباري كتاب الوزراء ص ٢٧ . الجَهْشَبَارِي (ت: ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م) هو مؤرخ وأديب، من أهل الكوفة. هو أبو عبد الله محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي الجهشباري. أتت نسبته «الجَهْشَبَارِي» من أن أباه كان يخدم «أبا الحسن علي بن جَهْشَبَارٍ». نشأ في الكوفة، وعمل في دواوين بغداد ، وخدم الوزير علي بن عيسى والخليفة المقتدر.

(٢) الطبري نفس المصدر السابق ج ٥ ص ٥٦٤

(٣) الطبري الرسل والملوك ح ٥ ص ٥٦٤

(٤) هي امرأة من بني حزام بن يربوع بن حنظلة التميمي (بن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ج ٥ ص ٨٢ . (٥) هو أبو بلال مرداس بن حدير احد بني ربيعة بن حنظلة ويقال مرداس بن اديه واديه جدة له جاهليه وقيل مه وهو اخو عروة بن حدير وانظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٥٤ وما بعدها . والبغدادى الفرق بين الفرق ص ٩٢ .

(٦) المبرد، الكامل ج ٢ ص ١٥٥ .



تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم، ولكننا ننبذ عنهم، ولا نجرد سيفاً ولا نقاتل إلا من قاتلنا^(١). ولعل أبا بلال هو أول من شعر بالخطر من البقاء في البصرة مع هذه الشدة والقسوة فخرج منها متجها نحو المشرق (نحو الأهواز وأرض فارس)، وخرج معه ثلاثون رجلاً من أصحابه^(٢)، ثم لحق بهم عشرة، فصاروا أربعين رجلاً^(٣) ومضوا في طريقهم فلقيتهم أموال قد جاءت إلى ابن زياد من خراسان، فأخذ أبو بلال هذه الأموال نصيبه ونصيب جماعته لكي يستعين بها على الحياة والثورة وأمن الرسل على أنفسهم وعلى ما يحملون وخلق بينهم وبين الطريق إلى البصرة^(٤) فهو لم يكن يستعرض الناس أو يعتدي على حقوق الآخرين، ولما عاتبه بعض أصحابه عن ترك هذه الأموال، لم يخرج الأمويين من دائرة الإسلام إلى الكفر، بل قال: إنهم يقسمون هذا الفياء، كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم^(٥) وليس من المستبعد أن يكون خروج أبي بلال، وهذا النفر معه هو خروج يائسين فرّوا من الدنيا بعد أن ضاقوا بها ذرعاً.

ولما علم ابن زياد بخروج أبي بلال وأصحابه، تبعهم بجيش من الفياء مقاتل يقوده أسلم بن زرعة الكلابي، فلمّا وصل أسلم إلى أبي بلال قال له أبو بلال: اتق الله يا أسلم، فإننا لا نريد قتالاً ولا نحتجن فيئاً فما^(٦) الذي تريده؟

قال: أريد أن أردّكم إلى ابن زياد

قال: وان قتلنا

قال أبو بلال: إذن يقتلنا.

قال أبو بلال: تشرکه في دمائنا.

قال: إني أدين بأنه محق، وأنكم مبطلون.

(١) ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ١٤٦ .

(٢) الرقيشي مصباح الظلام ورقة ٢ أ وابن الأثير الكامل نفس المصدر والصفحة

(٣) طه حسين الفتنة الكبرى ج ٢ ص ٢٣٠ .

(٤) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٥٠ .

(٥) ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ١٥١ . وفي الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ٤٧١ .

(٦) أي لا نحتسب مالا ولا أرض ليس من حقنا



لقد أدرك أبو بلال أنه لا محالة من المعركة، فالمعركة هنا مفروضة عليه وأصحابه.

وبالفعل دارت معركة غريبة فريدة من نوعها: أُلْفان تحت قيادة أسلم مستعدون للقتال مجهزون بما يحتاجون إليه ، مقابل أربعين نفرا لا غير تحت قيادة أبي بلال رافضين للقتال زاهدين في الحياة، ولكن سرعان ما تخبرنا المصادر أن هؤلاء الأربعين حملوا حملة قوية على الألفين، فإذا هم يولون الأدبار، وهكذا كانت عظمة الصديق سلاحًا حتى أن هذه المعركة جرت على ألسنة الخوارج يباهون بها ويتحدثون عنها في أشعارهم . وقتل أبو بلال في هذه المعركة سنة (٦١هـ / ٦٨٠م) وهي معركة أسك^(١) الشهيرة، وجرى برأسه - رحمه الله- إلى دمشق^(٢)، ويظن المؤرخ (لاوست) أن هذه الحملة على الخوارج قد فشلت لأن قائد الحملة كان يحمل العطف على أبي بلال وأصحابه^(٣)

ولم ينس الخوارج أبا بلال وصحبه بل كانوا . كلما مضى بهم الزمن - يرجعون إلى الماضي، ويستمدون من زعامتهم روحًا معنوية قاهرة يندفعون بها إلى أعدائهم لا يهابون موتا، ولا يحرصون على مال أو جاه.

وفي البصرة . وعلى هدى من تعاليم أبي بلال مرادس تزعم الخوارج نافع ابن الأزرق، وكان من حسن حظّه أن انتّه ظروف ساعدته على أن ينهض بالخوارج من أسى وحسرة، كذلك ما كان يحدث من خلاف واضطراب بين القبائل التي كانت تسكن البصرة مما أدى في بعض الأحيان إلى قتال عنيف، ثم أخيرًا لباقه نافع بن الأزرق وروعة منطقه كل ذلك ساعده على أن يقود الخوارج.

(١) أسك : بلد نواحي الاهواز قرب ارجان وكانت بها واقعة الخوارج وفيها قيل شعر يعبر عن الصلابة والفداء في سبيل العقيدة التي كانت سر إحصارات الخوارج علي الجيوش الاموية . وكانت هذه الواقعة نموذج لبقية الوقائع وفيها يقول الشاعر الخارجي : الفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلهم بأسك أربعون. ينظر: الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص يقوت معجم البلدان ج ١ ص ٦١ ٣١٤

(٢) المبرد الكامل ج ٣ ص ٢٥١ وابن الاثير الكامل ج ٤ ص ٩٤

(٣) louast les shismesdis I. ISLAM p 37



لقد تزامنت قيادة نافع بن الأزرق للخوارج مع شدة ابن زياد عليهم في البصرة كما تزامنت مع ثورة ابن الزبير على بني أمية في مكة " فرأى الخوارج مناصرة ابن الزبير ضد الأمويين، فالمصالح السياسية هي التي تتحكم في تحريك الأحداث التاريخية.

وابن الزبير في ضوء ما أورده ابن كثير والمسعودي كان في حكم خليفة (بالبيعة) وهذا ما كان يذهب إليه الخوارج ويدعونه في موضوع الخلافة بل إنه بويع بالخلافة فعلا في مكة^(١) لكنهم لما رأوا أن أمر الخلافة يوشك أن يستقر في يده وهم قوة عسكرية أساسية في مسانده فجروا قضية تكفيرهم لعثمان ومن ولاة، ويتنبه ابن كثير إلى هذا الموقف فيقول: "وقد كان التف على عبدالله بن الزبير جماعة من الخوارج يدافعون عنه منهم نافع بن الأزرق وعبدالله بن أباض، وجماعة من رؤوسهم، فلما استقر أمره في الخلافة قالوا فيما بينهم: إنكم قد أخطأتم لأنكم قاتلتم مع هذا الرجل ولم تعلموا رأيه في عثمان بن عفان وكانوا ينتقصون عثمان فاجتمعوا، فأجابهم فيه بما يسوؤهم^(٢).

فما كان منهم بعد أن سمعوا رأيه في عثمان بن عفان إلا أن فكروا في قتل ولكنهم لم يجدوا سبيلا إلى ذلك، فقد احتاط الرجل واستعد، فتركوه لعدوه الذي قام بهذه المهمة فيما بعد^(٣).

نورد هنا ما قاله عبدالله بن إمام قادة الخوارج الذين كان من بينهم نافع بن الأزرق، وعبيد الله وعبدالله بن أباض، قال^(٤) بعد أن حمد الله وأثنى عليه ردًا على قول عبيد الله بن هلال: أما بعد فقد فهمت ما ذكرت به عثمان بن عفان رحمه الله، وإني لا أعلم مكان أحد من خلق الله أعلم بابن عفان وأمره مني كنت معه حيث نقم القوم عليه، واستعتبوه، فلم يدع شيئًا استعته القوم فيه إلا أعتهم منه ثم إنهم رجعوا إليه بكتاب لهم يزعمون أنه كتبه فيهم يأمر فيه بقتلهم، فقال: ما كنت، فإن

(١) البيهقي تاريخ البيهقي ج ٢ ص ٢٥٥

(٢) ابن خلكان وفيات الأعيان ج ٣ ص ٧١

(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٣٩

(٤) طالب هاشم الحركة الأباضية في المشرق العربي ص ٤٩ .



شئتم فهاتوا بينتكم، فإن لم تكن حلفت لكم، فوالله ما جاءوا بينة ولا استحلفوه ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعت ما عيَّبوه به، فليس كذلك، بل هو لكل خير أهل وأنا أشهدكم ومن حضر" عبارة ابن الأثير^(١) أشهدكم ومن حضرني"، أني ولي لابن عفان في الدنيا والآخرة، وولي أوليائه وعدو أعدائه، ورد عليه الخوارج، فبريء الله منك يا عدو الله فقال لهم: فبريء الله منكم يا أعداء الله^(٢).

وبعد أن اختلف الخوارج مع ابن الزبير، انقسموا على أنفسهم، فسار نافع ابن الأزرق، وابن صفار، وابن أباض وابن الماحوز: عبدالله وعبيد الله وأتوا البصرة في حين انطلق أبو طالوت، وأبو فريك وعطية بن الأسود اليشكري إلى اليمامة فاختاروا أبا طالوت خليفة عليهم^(٣) وعندما أقبل نافع بن الأزرق الحنفي وعبدالله بن صفار وعبدالله بن أباض وحنظلة بن بهيس وكلهم من تميم إلى البصرة أمروا نافعاً عليهم^(٤)، واستقرار رأيهم حين مات يزيد وبإيع أهل البصرة ابن زياد على أن يخرجوا إلى الأهواز^(٥).

وفي البصرة . وقبل خروجهم إلى الأهواز اختلف نافع بن الأزرق مع ابن صفار وابن أباض اللذين قالوا: برىء الله من ابن الأزرق^(٦) أما سبب هذا الخلاف فيشير إليه فلهوزن ويقول: " كان لغلو نافع بن الأزرق، وربما أيضا الحسد منه نقطة ابتداء الخلافات الناشئة بينهم ويلوح أنه كان ذا تأثير عظيم جدا في عصره، وأنه لم يبلغ الذروة قبل سنة (٦٤هـ / ٦٨٣م) ^(٧) ثم انقضى سنة (١٥هـ / ٦٨٤م) .

وهكذا انقسم الخوارج على أنفسهم فكان لهذا الانقسام الأثر الكبير في مجرى تاريخ حروبهم مع الأمويين والعباسيين، وله الأثر الأكبر في فشلهم ونهائيتهم. لقد خرج

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٦٧ .

(٢) الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ٥٦٦ .

(٣) نفسه ص ٥٦٨

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ٥٦٦ .

(٥) وفي بن الأثير الكامل ج ٤ ص ١٦٨ (واقام بالاهواريجي الخراج ويتقوي به)

(٦) ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ١٢٣ والطبري المصدر السابق ص ٥٦٨ .

(٧) فلهوزن الخوارج والشيعه ص ٧٣ .



نافع بن الأزرق مع من اتبعه من أصحابه وكانوا ثلاثمائة رجل^(١) إلى الأهواز، ولحق بها في شوال سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م)^(٢) ظنا منه بأنه ابتعد عن قبضة عبيد الله بن زياد الحديدية فأقام بالأهواز^(٣). ظل نافع بالأهواز يعترض الناس، ويطردهم عمال السلطان، وجبي الخراج وفشا عماله في السواد فارتاع لذلك أهل البصرة، وهرعوا إلى الأحنف بن قيس، وكتبوا إلى ابن الزبير يعلمونه أن لا إمام لهم وهنا نقول: إنه لو خرج عبدالله بن الزبير من الحجاز لنال البيعة له في البصرة بل والشام، ولتغير مجرى التاريخ لكنه. أي ابن الزبير تباطأ وتخاذل، ووجه إليهم الحارث المخزومي الذي أتى البصرة والتحم مع نافع بن الأزرق، واقتتلوا قتالا شديدا حتى قتل نافع في جمادى الآخرة سنة (٧٥هـ/ ٦٨٤م)^(٤).

بعد مقتل نافع بن الأزرق أدرك الخوارج قرب نهايتهم على يد عمال الخلافة فكان لا بد لهم من التوغل شرقاً، فساروا إلى فارس وكرمان، بل وتجاوزوا ذلك محاولة منهم في الابتعاد عن قبضة الخلافة، لكن مسرح أعمالهم خلال هذه الفترة في غالب الأحيان كان العراق وبلاد فارس وكرمان والأهواز مع ملاحظة أنهم كانوا يشنون حروبهم على ولاية البصرة بصفتها المركز الأم.

اشتد خطر الأزارقة، وفزع أهل البصرة إلى المهلب الذي اشترط على أهلها وخاصة تجارها إمداده بالمال، لكي يستعين به على تجهيز الجيوش وتمكن المهلب بما أوتي من عبقرية في القيادة وشجاعة وبسالة من أن يبعدهم عن البصرة، ويدفعهم ثانية إلى الأهواز، ثم إلى فارس وكرمان.

وفي ولاية مصعب بن الزبير، سهّل على الخوارج أن يتوغلوا في أرض السواد، وتقدموا نحو المدائن وقتلوا عاملها وعاثوا في الأرض، فقتلوا وكسروا الخراج فاضطر

(١) المصنف المجهول ص ٧٩

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٦٦

(٣) الطبري المصدر السابق ج ٥ ص ٥٦٨

(٤) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ١٩٥.



الحارث بن أبي ربيعة أمير الكوفة للخروج إليهم، تحت إلهام زعماء البصرة (١) فتمكن من إخراجهم من المدائن واضطربهم إلى الاتجاه شرقاً نحو أصبهان .

ثم كَرَّ الحارث عائداً إلى الكوفة، لكن الخوارج اشتبكوا في أصبهان منع عاملها عتاب بن ورقاء الخزاعي الذي تمكن من قتل زعيمهم الزبير بن الماحوز، فولى الخوارج قطري بن الفجاءة، فترجع أصحابه إلى كرمان (٢) .

والخوارج - كما ذكرنا آنفاً - لاذوا بالأمصار الإسلامية عسى أن يجدوا أرضاً وأفراداً لدعوتهم ، فكانت أرض المشرق الإسلامي في هذه الفترة أرضاً خصبة تماماً لبنات فكرهم وعقيدتهم .

لقد كان المشرق وخاصة منطقة سيستان وما حولها من المقار التي اختارها الخوارج منذ عهد علي بن أبي طالب عليه السلام، وانطلقوا منها إلى سلسلة من الحركات الثورية المصحوبة بحروب ضارية وجهت إلى الدولتين الأموية وأولا ثم العباسية من بعدها وأصبحت خراسان شوكة في ظهر الدولة الإسلامية في زمن الأمويين والعباسيين، فهي من بؤر الخوارج ومن مناطق الصراع بين القبائل العربية التي استوطنتها منذ بداية الفتح الإسلامي، وعلى الأخص قبائل بني تميم (٣) وبني بكر بن وائل (٤) مضافاً

(١) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ١٦٦ .

(٢) مجهول تاريخ سيستان ص ٩ .

(٣) بنو تميم قبيلة عربية كانت في الجاهلية وصدر الإسلام تسكن في الدهناء وشمال إقليم نجد واليمامة في السعودية وهي موطنها الأصلي، كما تتواجد في العراق والكويت وقطر والبحرين. وتعد جمجمة من جماجم العرب الكبرى، وكانوا قبل الإسلام أهل بادية كثيري الحروب وكانت لهم معارك كثيرة معظمها ضد قبيلة بكر بن وائل وكذلك ضد قبائل هوازن ومذحج وغطفان وغيره نهاية الأرب في معرفة الأنساب القلقشندي ص ١٤٧ .

(٤) بنو بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، من أشهر قبائل ربيعة على الإطلاق في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وفي عصور الخلافة الأموية والعباسية، وتعد من أكبر القبائل العربية عدداً وعدة. وهم أبناء عمومة تغلب وأحد طرفي حرب البسوس، نقل الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب "وديار بكر بن وائل من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كازمة إلى البحر فأطراف سواد العراق فالأبله فهيت"، وقد خرج معظمها إلى بلاد العراق، ذكر محمد ابن اسحاق، إجلاء بكر وتغلب من تهامة أن قحطان قصدت لها فأجلتها إلى العراق وسكنت مكانها حكم ابن سعد العشيرة ابن مذحج ولها في ذلك أشعار وروايات، وبلغت في نجعتها إلى ديار بكر (في جنوب تركيا حالياً)، وبعدها دخل الكثير من رجال قبيلة بكر مع الجيوش الإسلامية واشتركت في الفتوحات ومنهم قادة عظام.



إلى ذلك ما احتوته من بقايا مجوسية وما تتاخمت فيه من جوار مع قبائل الترك وحكومة الزنابلة في كابل .

وهكذا تمكن الخوارج من التوغل في مناطق وأقاليم المشرق ولم يكن نجاحهم في المشرق واستقطابهم لهذه الأعداد الكبيرة راجعا إلى تعصب أهل هذه الناحية. فقد رأوا افعالا تحدث من المسلمين والعرب عامة وحتى من الخلفاء لم يروا لها سندا أو مبررا أو حجة في الكتاب أو السنة، مثل قتل عثمان بن عفان، وحرب الجمل، وقتل طلحة والزبير، وحرب صفين، وخديعة عمرو بن العاص، وعزل الحسن بن علي وجميع أولاده، وجزرأس الحسين بن علي .. إلخ.

كل هذه الأحداث جعلت جماعة من أصحاب المصطفى يقولون: "إن الدنيا لم تعد تليق بالدين" فكان لها الأثر الكبير في النفس، وخاصة عند الملتزمين ، فاندفع الخوارج في كل مكان وانضم إليهم الناس خاصتهم وعامتهم(١) .

وهكذا يتضح لنا أن وراء هجرة الخوارج إلى المشرق عوامل سياسية واقتصادية وعقائدية واجتماعية ساعدتهم على أن يكون لهم دورهم المهم في أرض المشرق النائية(٢) .

هذه الأسباب دفعت بالخوارج إلى التطلع إلى المشرق لنشر مذهبهم هناك، وإعلان ثورتهم على الخلافة وذلك لتمييز المشرق بطبيعته الجغرافية، فالأنهار الكثيرة والجبال العالية والرمال الممتدة . كل ذلك ممثّل أكبر عائق يحول دون مداهمة الخلافة لهم كما

منهم علماء وهي واحدة من جماجم العرب الكبرى. أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني (١٨٨٣). كتاب صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل. (ص. ١٦٩). ومحمد ابن إسحاق، النص ١١١. كتاب بكر وتغلب ابني وائل.

(١) مجهول تاريخ سستان ص ١٠٩ باريزي يعقوب بن الليث الصفار ص ٣٨ / ٣٩.
(٢) لقد حاولت القوة المعارضة في المشرق الإسلامي لما ادركت قوة الخوارج هناك ان تجرى اتصالات ودية مع زعماء الخوارج في انحاء المشرق واخبرنا صاحب تاريخ سستان ص ٢٠٣ عن رسالة ودية مع زعماء الخوارج في انحاء المشرق أرسلها يعقوب الصفار الي عمار الخارجي زعيم الخوارج في سجستان آنذاك فتحى أبو يوسف خراسان ص ٤٥ لكسب ودجاء فيها ما ترجمته لعلك تعلم ان حمزه بن عبد الله الخارجي لم يقصد اطلاقا الاضرار بسجستان وأهلها وانما كان خروجه علي الخلافة عمالها والآن وقد تغير الوضع لنضمن سلامتنا وامنا سويا فانهض مع جيشك وضع يدك في يدنا نص الرسالة بالفارسية في تاريخ سستان ص ٢٣ ص ٤٥ وفي تاريخ خراسان الدكتور فتحى أبو سيف ص ٤٥ .



كان بعد هذه الأقاليم عن مركز الخلافة عائقاً كبيراً أمام إرسال الجيوش بسرعة وكفاءة لمحاربة الخوارج، إضافة إلى ذلك كان الاختلاف العنصري لسكان هذه الأقاليم من العوامل الهامة التي أغرت الخوارج بالتطلع إلى المشرق .

والخلاصة أن المشرق لم يكن بالنسبة للخوارج منطلقاً لابتكار نظرياتهم المذهبية أو السياسية بقدر ما كان قاعدة يشنون منها حروبهم المضادة، فقد ارتحلوا إلى المشرق بفكرهم ونظرياتهم كملجأ بعيد عن مقر الخلافة سواء الأموية أو العباسية .



الفصل الثالث:

المشرق معقل الخوارج

- الخوارج في عهد معاوية رضي الله عنه.
- المهلب وأزارقة المشرق.
- قطري بن الفجاءة والإمارة في المشرق.
- الحجاج والخوارج.



أولاً: الخوارج في عهد معاوية ؓ:

كان معاوية ؓ . في نظر الخوارج أولى بالقتل من علي بن أبي طالب ؓ لأنه وصل إلى مقام الخلافة الإسلامية بالقهر والدهاء والاستبداد، لا بالشورى وإبداء الآراء الحرة، وهذا يضاد نظريتهم في أمر الخلافة .

من أجل ذلك ثاروا على معاوية وناصروا الأمويين العداء رجاء أن ينتزعوا هذا الأمر "الخلافة" من مغتصبه، ثم يكون الأمر شورى بين المسلمين^(١) (يولون عليهم بالانتخاب وبمحض اختيارهم . من شاءوا من عامة المسلمين إذ لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى^(٢))، وإذا كان علي بن أبي طالب ؓ قد تمكن من الفتك بهم في أقصر وقت مع تمرد أهل العراق عليه، فإنه لاشك في أن أمرهم على معاوية ؓ يكون أهون وإخضاعهم، بل وإفناؤهم عليه أيسر؛ لأنه في جندٍ أطوع، وخاصة أنه قد أضعف بني هاشم فهل تمكن معاوية من ذلك؟ وهل استطاع الأمويون القضاء على الخوارج بسهولة؟

لقد تناول بعض المؤرخين القدماء مسألة تنازل الحسن بن علي ؓ لمعاوية ؓ^(٣) فأكثروا في التأويل والاجتهاد، وحاولوا إيجاد المبررات الموجبة لتلك الخطوة الخطيرة؛ فمنهم من اتفق على أن تخاذل العراقيين وعدم اطمئنان الحسن لهم كانا من أهم العوامل التي دفعت الحسن للإقدام على المبايعة لمعاوية، ثم الركون إلى حياة المسالمة والهدوء^(٤) وأيدهم في ذلك بعض المحدثين، فقد وصفه الذهبي بقوله: (هو سيد يميل إلى الوداعة، ولا يرى سفك الدماء)^(٥) أما المسعودي فيرى أن الحسن أعطى المثل الأول والمبادرة التي لم يسبق إليها أحد في الاستقالة من منصبه وتسليم الأمر إلى

(١) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٥-١٥٦

(٢) لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض - :
إلا بالتقوى ، النَّاسُ من آدم ، وادم من ترابٍ رواه : الألباني صحيح

(٣) المسعودي التنبيه والاشراف ج ٣ ص ٨ والمسعودي مروج الذهب ص ٢٦٠

(٤) ابن الاثير الكامل ج ٣ ص ٤٠٧

(٥) الذهبي والعيبر ج ١ ص ٤١



غيره (١) أصرّ عثمان بن عفان على الاحتفاظ بحقه في الإمامة حتى الموت (٢) بينما يرى بعض الباحثين المحدثين أن عدم استقرار العراقيين وتغلب أهوائهم كان العامل الذي خيّب آمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أولاً وحمل ابنه الحسن على الاستقالة من الخلافة فيما بعد ويوافقهم ميور (muir)؛ إذ يذكر ان الحسن بن علي لم يأسف لفراق أهل العراق لأنهم لم يستقروا علي رأي واحد (٣). أما بروكلمن (Brockelman) فيرى أن الحسن بن علي لم يكن ذلك القائد الذي تنتظره الدولة حينذاك (٤) إذ لم يكن ميالا إلى الحرب ضد معاوية (٥).

ولعل هناك أسبابا حقيقية أخرى هي التي دفعت بالحسن بن علي إلى التنازل عن الخلافة، فربما عمل بتوجيه جده الرسول " صلى الله عليه وسلم أنه قال للحسن: ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (٦). لقد كان كل من الحسن بن علي وأخيه الحسين مخلصين لعهدهما، فقد ذكر الدنيوري (٧) أن حجر بن عدي (٨) أشعر الحسن بالندم على ما فعل، ثم جاء إلى أخيه الحسين ﷺ يحثه على الحرب والقتال ، فأبى الأخذ بتحريضه له وقال: " إننا قد بايعنا وعاهدنا ولا سبيل في نقض بيعتنا كما أن معاوية ﷺ كان وفيا لعهد مع الحسن والحسين ﷺ فلم ير

(١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ص ٢٦٠

(٢) فلهوزن الدولة العربية ص ٤٤

(٣) امير علي مختصر تاريخ العرب ص ٦١

(٤) muir the caliphate p 307

(٥) بروكلمن تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٢١

(٦) الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ١٥٩ و ابن العربي العواصم من القواسم ص ١٧٠ روى البخاري في "

صحيحه " (حديث رقم/٢٧٠٤) عَنْ أَبِي مُوسَى

(٧) الدنيوري الاخبار الطوال ص ٢٢٠

(٨) حجر بن عدي (ت: ٥١ هـ) هو: حجر بن عدي بن جبلة الكندي، ويسمى حجر الخير: صح أبي شجاع، من

المقدمين. وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد القادسية. ثم كان من أصحاب علي وشهد معه وقعتي

الجمال وصفين. وسكن الكوفة إلى أن قدم زياد بن أبي سفيان واليا عليها فدعا به زياد، فجاءه، فحذره زياد من

الخروج على بني أمية، فما لبث ان عرفت عنه الدعوة إلى مناواتهم والاشتغال في السر بالقيام عليهم، فجئ به

إلى دمشق فأمر معاوية بقتله في مرج عذراء من قرى دمشق مع أصحاب له، وخبره طويل. ينظر

للزركلي (٢/ ١٦٩).



أحد منهما طول حياة معاوية منه سوءًا في نفسيهما ولا مكروها ولا قطع عنهما شيئًا
كان قد شرطه لهما (١)

هكذا وصل معاوية بن أبي سفيان إلى الخلافة ومن وجهة نظرنا أنه كان بها
جديرًا، وكان لها فارسا، حتى ألحقه بعض المؤرخين بالخلفاء الراشدين (٢) ورآه
البعض الآخر رجلا سياسيا بارعا في جيلته (٣)

ولما تسلّم معاوية الأمر من الحسن بن علي، قال الخوارج: قد جاء الآن ما لاشك
فيه فساروا حتى نزلوا بالنخيلة وكان معاوية بالكوفة فكتب إلى الحسن وقد سار إلى
المدينة ، يدعوه إلى قتال الخوارج "وكانوا وقتها بقيادة فروة بن نوفل الأشجعي (٤) الذي
ترك قتال علي والحسن واعتزل في خمسمائة في شهرزور (٥)



(١) الدنبيوري، الاخبار الطوال ص ٢٢٥

(٢) انظر بن خلدون التاريخ ج ٢ ص ٢٤١

(٣) macdonald :der of muslim theology p 22

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٧، ص ١٠ فروة بن نوفل بن شريك الأشجعي: ثائر، من زعماء المحكمة في صدر الإسلام. كان رئيس الشراة. اعتزل عليا بعد التحكيم، في خمسمائة، وكره أن يقاتله، فأقام في شهرزور إلى أن نزل الحسن عن الأمر لمعاوية، فزحف فروة بمن معه وأراد الهجوم على الكوفة، فانتدب معاوية الناس لصدّه واستعان عليه بمن أطاعه من بني أشجع، فأمسكوا فروة عندهم، ففارقهم، وعاد إلى الثورة فقتل في شهرزور. وكان شاعرا. وسماه المبرد " فروة بن شريك " وقال العسقلاني: " فروة بن مالك، وقيل فيه: فروة بن نوفل " -الاعلام للزركلي-

(٥) شهر الرور او بلدروز في الشمال الشرقي من بلدة نهروان كي لسترنج بلدان الخلافة ص ٨٦ .



لكن الحسن بن علي لم يرجع ، بل كتب إلى معاوية : لو آثرت أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأت بقتالك فإني تركتك لصالح الأمة وحقن دماؤها ، فأرسل معاوية إلى الخوارج جمعاً من أهل الشام فقاتلوهم، فانهزم أهل الشام فقال معاوية لأهل الكوفة والله لا أمان لكم عند حتى تكفوهم فقاتلوهم، فقالت الخوارج: أليس معاوية عدونا وعدوكم دعونا حتى نقاتله فإن أصبناه، كنا قد كفييناكم عدوكم، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا، فقالوا: لا بد لنا من قتالكم، فأخذ فروة قهراً إلى الكوفة واستعمل بقية الخوارج عليهم رجلا من طيء هو عبدالله ابن أبي الحوساء الطائي واستأنفوا القتال حتى قتلوا عن آخرهم وذلك في ربيع الأول سنة ٤١ هـ تموز سنة ٦٦١ م (١)

ثم ولي الخوارج عليهم بعد مقتل أبي الحوساء، حوثة بن وداع بن مسعود الأسدي (٢) فدعا أصحابه وكانوا مائة وخمسين رجلا إلى القتال . وسار بهم من براز الروز إلى النخيلة، فبعث إليه عبدالله بن عوف الأحمر في ألفين وتمكن بن عوف من طعن حوثة فقتله وتفرق أصحابه وذلك في جمادي الثاني سنة ٤١ هـ تشرين أول ٦٦١ م (٣).

بينما يرى ابن أبي الحديد أن معاوية أرسل إلى حوثة جيئاً من أهل الكوفة، فلما رأهم.. حوثة، قال لهم: يا أعداء الله أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه وأنتم اليوم تقاتلون معه، لتشدوا سلطانه (٤).

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٢) حوثة بن وداع (ت ٤١ هـ) هو: حوثة بن وداع بن مسعود الأسدي: ثائر، من الشجعان الأشداء الزعماء. كان من شيعة علي بن أبي طالب، في بدء عهده، وشهد معه كثيرا من الوقائع. وفارقه بعد التحكيم، فقتنح في مكان يسمى البندنجين (قرب النهروان - من أعمال بغداد) ولما قتل علي تحالف حوثة مع حابس الطائي على قتال معاوية بن أبي سفيان فجمعا أصحابهما في النخيلة (قرب الكوفة) ومعاوية يومئذ في الكوفة، فعلم بأمرهم ووجه إليهم جيشاً أكثره من أهل الكوفة، فكانت بين الفريقين وقائع قتل فيها حوثة: قتله رجل من طيء فرأى أثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله. ينظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢٨٨).

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ص ٤١٠ - ٤١١ .

(٤) ابن أبي الحديد ، الشرح ج ٤ ص ١٣٤ - ١٣٥ . ابن أبي الحديد (٥٨٦ - ٦٥٦ هـ) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين: عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ. ولد في المدائن، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظيا عند الوزير ابن العلقمي. له (شرح نهج البلاغة - ط) و (الفلك الدائر على المثل السائر - ط) و (شرح الأبيات فصيح ثلعب - خ) و (القوائد السبع العلويات - ط) و (العبقري الحسان) في الأدب، و (شرح الأبيات السبع)



ظلت صعاب الخوارج تلاحق معاوية منذ أول عهده بالخلافة، فخرج عليه شبيب بن بجرة الأشجعي، صاحب عبدالرحمن بن ملجم (١) حين اغتال عليا وشبيب هذا سبق له محاولة التقرب من معاوية، فدخل عليه الكوفة، وقال متباهيا في حضرته: "أنا وابن ملجم قتلنا عليا" فقال له معاوية: لا أراك أن تراني فخرج شبيب من الكوفة فتبعه المغيرة بن شعبة، والتقى معه في مكان قريب فقتل شبيب وأصحابه (٢). رغم هذه الهزائم التي أصابت صفوف الخوارج في هذه الفترة، فإنه سرعان ما استفحل خطرهم في الكوفة فخرج حيان بن ظبيان السلمي بعد أن شفى من جراحه التي ألمت به أثناء هروبه في النهروان، فخرج في بضعة عشر رجلا (٣) من وفي أصحابه ولحق بالري (٤).

للفخر الرازي - خ) رأيته في الاسكوريال (المجموعة ٣٣) و (الاعتبار) على كتاب الذريعة للمرزباني، ثلاثة أجزاء، و (ديوان شعر). توفي ببغداد
 نقلا عن: الأعلام للزركلي
 (١) عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدولي الحميري: فانتك ثائر، من أشداء الفرسان. أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر، وقرأ على معاذ بن جبل فكان من القراء وأهل الفقه والعبادة. ثم شهد فتح مصر وسكنها فكان فيها فارس بني تدؤل. وكان من شيعة علي بن أبي طالب (رض) وشهد معه صفين. ثم خرج عليه، فاتفق مع (البرك) و (عمرو بن بكر) على قتل علي، ومعاوية، وعمرو بن العاص، في ليلة واحدة (١٧ رمضان) وتعهده البرك بقتل معاوية، وعمرو بن بكر بقتل عمرو ابن العاص، وتعهده ابن ملجم بقتل علي، فقصد الكوفة واستعان برجل يدعى شبيبا الأشجعي، فلما كانت ليلة ١٧ رمضان كمنّا خلف الباب الذي يخرج منه علي لصلاة الفجر، فلما خرج ضربه شبيب فأخطأه، فضربه ابن ملجم فأصاب مقدم رأسه، فنهض من في المسجد، فحمل عليهم بسيفه فأفرجوا له، وتلقاه المغيرة بن نوفل بفطيفة رمى بها عليه وحمله وضرب به الأرض وقعد على صدره. وفر شبيب. وتوفي علي (رض) من أثر الجرح. وفي آخر اليوم الثالث لوفاته أحضر ابن ملجم بين يدي الحسن فقال له: والله لأضربنك ضربة تؤديك إلى النار. فقال ابن ملجم: لو علمت أن هذا في يدك ما اتخذت إليها غيرك! ثم قطعوا يديه ورجليه، وهو لا ينفك عن ذكر الله. فلما عمدوا إلى لسانه شق ذلك عليه، وقال: وددت أن لا يزال فمي بذكر الله رطبا. فأجهزوا عليه، وذلك في الكوفة. وقيل: أحرق بعد قتله (سنة ٤٠) ينظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٣٩).

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٢٢١

(٣) الطبري، الرسل والملوك ج ٥ ص ١٧٣ .

(٤) الري مدينة مشهورة من امهات البلاد واعلام المدن ف فارس . انظر الفصل الاول من الرسالة "القسم الجغرافي" . الري هي مدينة تاريخية أصبحت اليوم جزءاً من الجنوب الشرقي لمدينة طهران في إيران. وهي عاصمة مقاطعة ري، وقد تم استيعابها الآن في المنطقة الحضرية لطهران الكبرى باعتبارها المنطقة العشرين من البلدية، طهران فتحت الري في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وذلك بقيادة نعيم بن مقرن، ويقال أن زرادشت قد خرج منها. كما ينسب إليها عدد من علماء المسلمين ومنهم فخر الدين الرازي. تفسير مفاتيح الغيب، والكيميائي محمد بن زكريا الرازي والفلكي عبد الرحمن الصوفي.



الري دعا حيان أصحابه إلى الخروج للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فساروا إلى الكوفة، وأقاموا فيها وأخذوا يتجمعون ويتذاكرون إخوانهم الذين قتلوا يوم النهروان، فاتخذوا من قتلهم دافعاً إلى التضحية، واتفقوا على الخروج طلباً للأجر والثواب (١).

ثم إن الخوارج اتفقوا على ثلاثة نفر منهم، وهم: المستورد بن علقمة التميمي من تميم رباب، ومعاذ بن جوين بن حصين السنبسي الطائي، وهو ابن عم زيد بن الحصين الطائي أحد زعماء الخوارج والذي قتل يوم النهروان (٢)، وحيان بن طبيان السلمي ثم بايعوا المستورد أميراً للمؤمنين لأنه أسن الثلاثة، واستعدوا للخروج في غرة شعبان سنة (٤٤٣هـ / ٦٦٣م) (٣) فلما علم المغيرة بن شعبة والى الكوفة بعزمهم على الخروج أرسل إليهم صاحب شرطته فاعتقلهم وألقى بهم السجن، فقضوا فيه زهاء عام من الزمن (٤) أما المستورد فقد أفلت وسار حتى نزل داراً في الحيرة (٥) بعيداً عن أعين الناس والحرس خاصة ولكن سرعان ما انكشف أمره لما أخذت وفود الخوارج تفد عليه ، ثم سار إلى دار صهره سليم بن مخدوع العبدي الذي كان لا يرى رأي الخوارج .

وحين أدرك المغيرة بن شعبة خطورة تحرك الخوارج هذا فجمع روساء القبائل، وأندرهم وخطبهم ، فقال فليكنفي كل امرئ من الروساء قومه، وإلا فوالذي لا إله

(١) الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ١٧٣ .

(٢) وانظر بن الاثير الكامل ج ٣ ص ٤٣١ .

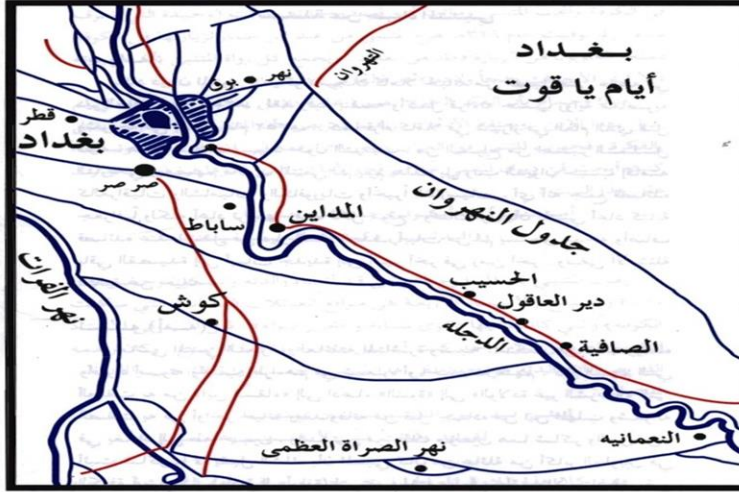
(٣) ابن ابي الحديد نفس المصدر ص ١٣٤ .

(٤) الطبري نفس المصدر ج ٥ ص ١٧٥ - ١٧٨ .

(٥) والحيرة مدينة علي بعد ثلاثة اميال من الكوفة تقع مدينة الحيرة في العراق وتحديداً من الناحية الجنوبية لوسط العراق، وتعتبر مدينة الحيرة من المدن التاريخية القديمة فقد كانت عاصمة لمملكة المناذرة وقاعدة لملوكهم، وما زالت أنقاض المدينة القديمة موجودة حتى الآن تقع بالقرب من مدينة النجف والكوفة، تمتد الناحية من مطار النجف الدولي إلى ناحية الحرية وتعتبر الناحية جزءاً من المدينة القديمة للحيرة والمأهول بالسكان وتشهد المدينة حالياً نمواً وتطوراً كبيراً ملحوظاً.



غيره لأتحولنَّ عما كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعما تحبون إلى ما تكرهون، فلا يُلْمُ لائم إلا نفسه وقد أَعذر من أُنذر(١).



(١) الطبري نفس المصدر ص ١٨٤ .



ولما علم المستورد بتهديد المغيرة لروساء القبائل، أمر أصحابه بالرحيل عن ديار أصهاره عبد القيس، تجنباً لإحراجهم، فساروا إلى الصراة (١)، ومنها إلى بهرسير (٢) ثم خرج إلى جوفاً، ومن جوفاً سار حتى بلغ المذار (٣) ونزل هناك أصحابه. لكن المغيرة أخذ يتعقب هؤلاء الخوارج فبعث إليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف رجل، وعلى رأسهم معقل بن قيس الرياحي التميمي وألف فارس (٤) فلحقهم حتى أدركهم وهم لا يزالون في أرض المذار فالتقى بهم ودارت المعركة التي انهزم فيها أصحاب معقل ولم يثبت سوى معقل، والروائح الشاكري، في نحو مائتين من الفرسان. ثم نادى المستورد معقلاً دعاه للمبارزة فحاول أصحابه منعه من ذلك، فأبى وخرج إليه معقل فاختلفا ضربتين، فقتل كل واحد منهما صاحبه، فأخذ راية أهل الكوفة عمرو ابن محرز بن شهاب التميمي بعد مقتل معقل، وحمل على الخوارج فقتلوهم ولم ينج منهم إلا بضعة رجال فروا من أرض المعركة (٥). أما الخوارج الذين اعتقلهم صاحب شرطة المغيرة

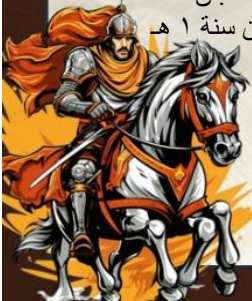
(١) وهما نهران ببغداد الصراء الكبرى والصراء الصغرى (ياقوت معجم البلدان) نهر الصراة هو أحد أنهار بغداد القديمة، يتفرع من نهر عيسى، يصب ماؤه في الجانب الغربي من بغداد، فيسقي بساكنيهم وضياعهم، ويدخل المدينة فينتفع به ويشرب منه. ونهر عيسى تجري فيه السفن من الفرات إلى بغداد، وليس به سد ولا حاجز، وأما نهر الصراة فلا تقدر السفن على ركوبه لكثرة أسداد الأرحاء المتخذة عليه.

(٢) من نواحي سواد بغداد بالجانب الشرقي (ياقوت معجم البلدان) بهرسير: بالفتح ثم الضم، وفتح الراء، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة، وراء: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن، ويقال بهرسير الرومقان، وقال حمزة: بهرسير إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن، وهي معربة من ده أردشير، وقال في موضع آخر: معربة من به أردشير، كأن معناه خير مدينة أردشير، وهي في غربي دجلة، وقد خربت مدائن كسرى ولم يبق ما فيه عمارة غيرها، وهي تجاه الإيوان لأن الإيوان في شرقي دجلة وهي في غربيه، رأيتها غير مرة، وبالقرب منها من جهة الجنوب زيربان ومن جهة الغرب صرصر، لما فرغ سعد بن أبي وقاص من القادسية سار حتى نزل بهرسير ففتحها وأقام عليها تسعة أشهر، وقيل ثمانية، حتى أكلوا الرطب مرتين، ثم عبر دجلة فهرب منهم يزدجرد، وذلك في سنة خمس عشرة وست عشرة. ينظر: معجم البلدان، الحموي، ياقوت، (ج ١ ص ٥١٥).

(٣) مدينة بين واسط والبصرة

(٤) الطبرى الرسل والملوك ج ٥ ص ١٩٠. معقل بن قيس (أو عبد قيس) الرياحي من بني يربوع من تميم. قائد عسكري أدرك عصر النبوة. أرسله عمار بن ياسر ميثراً لعمر بن الخطاب بفتح تستر. وكان صاحب شرطة علي بن أبي طالب يوم الجمل. أرسله المغيرة بن شعبة والي الكوفة إلى قتال المستورد بن علفة قائد الخوارج، فنشبت بينهما معركة على شاطئ دجلة قتل فيها كلاهما. ورأى البعض في هذا دليل على دهاء المغيرة الذي سلط معقل الشيعي على المستورد الخارجي. قيل أن قتل المستورد (أي تاريخ تلك المعركة) كان سنة ٤٢ هـ، أو سنة ٣٩ هـ وقيل أن مبايعة المستورد بامارة الخوارج (وكانت قبل المعركة) كانت في غرة شعبان سنة (٤٣ هـ). ينظر: عبد السلام الترماني، "أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين: الجزء الأول من سنة ١ هـ إلى سنة ٢٥٠ هـ"، المجلد الأول (من سنة ١ هـ إلى سنة ١٣١ هـ) دار طلاس، دمشق.

(٥) ابل الاثير الكامل ج ٣ ص ٤٢٧ انظر الطبرى نفس المصدر ج ٥ ص ١٩٢.



فقد أفرج عنهم بعد موت المغيرة وسرعان ما عادوا للخروج على والي الكوفة عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان ابن الثقفي ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان^(١) فجمع حيان بن ظبيان السلمي أصحابه وخطب فيهم يحثهم على الجهاد، فاستجابوا له وبإيعوه، وفي مقدمتهم معاذ بن جوبن الطائي الذي أشار عليهم بالخروج إلى حلوان^(٢). لكن رأى حيان كان الخروج إلى الكوفة، أو زيارة أو الحيرة فعارضه أصحابه لأن في ذلك هلاكهم جميعاً، لكن حيان أصر على رأيه فما كان من رفاقه إلا الموافقة فخرجوا إلى بانقيا^(٣). لم يلبث حيان ورفاقه في بانقيا إلا قليلاً حتى داهمه الجيش الأموي فقتلهم عن آخرهم، وذلك في ربيع الأول (٥٩هـ / كانون أول ٦٧٨م)^(٤) وكان رأى فلهوزن أنه بمقتل هذه الجماعة كانت نهاية الخوارج في الكوفة^(٥).

بداية نهاية خوارج البصرة:

أما في البصرة وهي مركز نشاط الخوارج منذ عهد علي بن أبي طالب^(٦) فيأتي دور الخوارج في مناهضتهم الأمويين وتهديدهم للبصرة، ولما تولى معاوية الخلافة استعمل عبدالله بن عامر والياً عليها في أواخر ٤١هـ / نيسان ٦٦٢م ثم ضم إليه خراسان وسجستان^(٧)، وكان عبدالله بن عامر هذا رجلاً يميل إلى اللين والتسامح، ولا

(١) عبد الرحمن بن أم الحكم هو: عبد الرحمن بن أم الحكم. له ذكر في قصة معاوية ووائل بن حجر، وأمه أم الحكم التي ينسب إليها هي بنت أبي سفيان بن حرب، أخت معاوية. وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قسي وهو تقيف وقيل: عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عقيل أبو سليمان، وقيل: أبو مطرف. وهو مشهور بأمه أم الحكم، روى عن النبي ﷺ مرسلًا. وقيل: إنه له صحبة. وصلى خلف عثمان، رضي الله عنه روى عنه إسماعيل بن عبيد الله، والعزيز بن حريث، ويعقوب بن عثمان. واستعمله خاله معاوية على الكوفة سنة سبع وخمسين، ثم عزله واستعمل النعمان بن بشير.

وكان قبيح السيرة في إمارته أسد الغابة تولى بن أم الحكم ولاية الكوفة عام ٥٨ / ٦٧٧م ينظر: (الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ٣١٥)

(٢) حلوان: أول بلدة في إقليم الجبال في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد (كي لسترنج) بلدان الخلافة الشرقية ص ٩٨ .. أ

(٣) ناحية من نواحي الكوفة يسكنها اليهود. ينظر: ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤ ص ٢٩

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ٣١١

(٥) فلهوزن الخوارج والشيعية ص ٥٩

(٦) انظر فصل هجرة الخوارج الي المشرق في الباب الثاني من الرسالة

(٧) الطبري المصدر السابق ج ٥ ص ١٧١



يرى اللجوء إلى الشدة والعنف ، فقد كان.. كما وصفه بعض المؤرخين: "لينا، سهلا، سهل الولاية، لا يعاقب في سلطانه، ولا يقطع لصا.

فلما عوتب في ذلك اللين، احتج بمحاولته تأليف الناس وزاد في دفاعه عن سلوكه هذا بقوله: " فكيف أنظر إلى رجل قد قطعت أباه وأخاه".^(١)

أدت سياسة ابن عامر السهلة اللينة هذه إلى فسادِ البصرة في أيام عمله لمعاوية، مما دفع الأخير إلى أن يفتش عن رجل شديد يستخلفه على البصرة لقمع ما حدث من سلوك مناهض وفساد منتشر، فعزل عبدالله بن عامر في أوائل (٤٥هـ / آذار ٦٦٥م) ^(٢) ، وولّى أخاه زيادا الذي استلحقه بنسبه ^(٣).

سار زياد إلى البصرة لقمع الخوارج هناك، وتشتيت شملهم، وإخراجهم منها، فخرج سهم بن غالب إلى الأهواز، وحكم فيها، وخرج "الحطيم الباهلي" إلى البحرين فأدرکه زياد، وقتله، وألقى به في عشيرته ^(٤).

ازدادت قوة "زياد"، وقسوته على الخوارج بعد موت المغيرة بن شعبة سنة (٥٠هـ / ٦٧٠م) حيث جمعت له الكوفة والبصرة معاً ^(٥)، فكان يقيم ستة شهور في البصرة ومثلها في الكوفة، وأثناء غيابه في الكوفة، خرج في البصرة كل من قريب بن مرة الأزدي وزحاف الطائي، في سبعين رجلاً فاستعرضوا الناس، وقتلوا من وجدوا في طريقهم ^(٦)، ويشير اليعقوبي إلى أنهم دخلوا، واغتالوا عدداً كبيراً من الشرطة وصاروا إلى المسجد الجامع، فقتلوا خلقاً من الناس، ومالوا إلى القبائل ففعلوا مثل ذلك، وزياد

(١) الطبري المصدر السابق ج ٥ ص ١٧١

(٢) الطبري ، الرسل والملوك ج ٥ ص ٢١٢

(٣) وكان لاستلحاق ابن زياد حكاية ذكرها ابن الاثير ، فقال : "كانت سمية ام زياد مولاة للحارث بن كilde النفقى الطيب ثم ان ابا سفيان قد ذهب الى الطائف في بعض حاجاته ، واصحاب سمية ببعض انكحة الجاهلية فولدت زيادا ونسبته الى ابي سفيان واقر لها به ، الا انه كان يخفيه . وظل الأمر كذلك حتى استلحقه معاوية فصار زياد بن ابي سفيان (ابن الأثير، أسد الغابة ج ٢ ص ٢١٥)

(٤) الطبري نفس المصدر ج ٥ ص ٢٨٨

(٥) ابن قتيبة المعارف ، ص ٢٤٩ ، وابن الاثير نفس المصدر السابق ص ٤٦٣ .

(٦) العبد، الكامل ج ٣ ص ٢٤٤ وابن الاثير المصدر السابق ص ٤٦٣ .



في الكوفة، ولما علم زيادٌ أُقبل على البصرة فصار إلى دار الإمارة، وخطب في الناس قائلاً: "يا أهل البصرة ما هذا الذي قد اشمتمت عليه؟ إني أعطي الله عهدًا لا يخرج عليّ خارجيٌ بعدها فأدعُ من حيّه وقبيلته أحدًا، فاكفوني بوائقكم، فقام خطباء البصرة، فتكلموا واعتذروا. (١)

كان زياد بهذا قد أشرك القبائل في مسئولية ما حدث من الخوارج، فقام خطباء البصرة فتكلموا واعتذروا (٢) ثم اجتمعت القبائل بعد ذلك وخرجت إلى الخوارج، فقتلواهم عن آخرهم (٣) وقتلوا قريبًا وزحافًا أيضًا (٤) أما أبو بلال مرادس بن أديّة وهو زعيم الخوارج آنذاك فقد استنكر خروج صاحبيه، فقال: "قريب لا قرّبه الله، والله لأن أقع من السماء أحب إليّ من أبدأ اصنع ما صنع الاستعراض" وزحاف لا عفا الله عنه ركبها عشواء، فكان يستنكر ما حدث منهما من استعراض الناس وقتل الأبرياء (٥).

استمد زياد بن أبيه قوته وشدته من استعراض قريبٍ وزحافٍ للناس، وسخط القبائل على الخوارج فكان خروج هؤلاء شؤمًا ونقمة على الخوارج فأخذ يلاحقهم بكل قسوة، عازمًا على هلاكهم دون رحمة، وطلب من أهل البصرة قتلهم والقضاء عليهم فاستطاع بهذه الشدة القضاء (٥) على خطرهم، بل وهابه الناس جميعًا هيبة لم يهابوها أحدًا قبله.

ولقد اختلف بعض المؤرخين في آرائهم تجاه زياد بن أبيه وسياسته فنجد المبرد يورد عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال فيه: "قاتل الله زيادًا جمع لهم كما تجمع الذرة، وحاطهم كما تحوط الأم البرة، وأصلح العراق بأهل العراق، وترك الشام في شامهم" (٦).

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٣) المبرد الكامل ج ٣ ص ٢٤٥ .

(٤) ابن أبي الحديد، الشرح ج ٤ ص ١٣٥ .

(٥) المبرد نفس المصدر والجزء والصفحة وانظر الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ٢٣٨

(٦) المبرد المصدر السابق ج ٣ ص ٢٦١



أما المؤرخ الفرنسي ميو (muir) فقد امتدحه ورآه ألمع شخصية في عصره، وأقدر رجل عرفه العراق في تلك الحقبة من الزمن^(١)، وامتدحه كذلك الطقطقي، فقال: "وكان زياد أحد الدهاة عظيم السياسة، قوى الهيبة، صحيح العقل، سديداً شهماً فطناً بليغاً"^(٢)، أما فلهوزن فيرى أنه إنما كان يقوم بما يتطلب منصبه، وما تفرضه تعاليم القرآن^(٣)، ونوافق فلهوزن في سببه الأول، بينما يعتقد خودا بخشي (Khuda) أن شدة زياد مع الخوارج جعلتهم يترددون في القيام بالثورة، وتعكير صفو الأمن^(٤).

ونرى أنه نتيجة لهذه السياسة سياسة الشدة والعنف والقسوة التي اتبعها زياد بن أبيه مع الخوارج سارعوا إلى المشرق الإسلامي ليجدوا مكاناً آمناً من قبضة زياد وأعوانه، ورجالا هناك أعانوهم على الثورة، وانخرطوا معهم فكان ذلك وبالاً على الأمويين والعباسيين من بعدهم.

وبعد وفاة زياد بن أبي سفيان، لم يجد معاوية رضي الله عنه خير من يخلفه غير ابنه "عبيد الله بن زياد"، فاستعمله على البصرة (٥٥ هـ / ٦٧٤ م) وظل بها طوال حياته^(٥) فكان ابن زياد أشد قسوة من أبيه على الخوارج فكان زياد يأخذ المعلن ويتسامح عن غيره، فإن عبيد الله قتل الخوارج بالظن والريبة، فكان يسجنهم ويعرض عليهم قتل بعضهم بعضاً، فيطلق سراح القاتل، مما ترك أكبر الأثر السيء في نفوسهم^(٦)، وقد

(١) muir: thecalephate p 312

(٢) ابن الطقطقي الفخري في الأدب السلطانية ط الرحمانية القاهرة ١٣٨١ هـ / ١٩٤٩ م ص ٨٣. ابن الطقطقي (٦٦٠ - ٧٠٩ هـ) هو: محمد بن علي بن محمد ابن طباطبا العلوي، أبو جعفر، المعروف بابن الطقطقي: مؤرخ بحاث ناقد. من أهل الموصل. خلف أباه (سنة ٦٧٢ هـ) في نقابة العلويين بالحلة والنجف وكربلاء، وتزوج بفارسية من خراسان. وزار مراغة (سنة ٦٩٦) وعاد إلى الموصل، فألف فيها (سنة ٧٠١) كتابه (الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية) وقدمه إلى واليها (فخر الدين عيسى بن إبراهيم). ولعله توفي بها. ينظر: الأعلام للزركلي).

(٣) فلهوزن الخوارج والشيعة ص ٦٢

(٤) ف (٤) khoda baksh : cant to the hist of civil vol.p 176

(٥) ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ٤٩٨ / ٥٠١

(٦) نفسه ص ٥١٦



أسرف في قتلهم بلا هوادة أو رحمة، فلما كلم في بعضهم أبي بإصرار، وقال: أقمع قبل أن ينجم لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع^(١).

وهكذا نستطيع القول: إن عبيد الله بن زياد نجح في نشر الأمن والهدوء في البصرة، كما نجح أبوه من قبل، وإن الخوارج لم يشكلوا خطرًا كبيرًا في عهد معاوية ابن أبي سفيان بفضل ولاية زياد ابن أبيه في البصرة والكوفة رغم أن الخوارج نذروا أنفسهم للموت في سبيل قضية ملكت مشاعرهم، فكانت كلما مات أمير لهم سرعان ما يلتفون حول أمير آخر دلالة على استمرارهم وبقاءهم كتله واحدة .

وكان لتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان أثرًا بالغًا في تقليل خطر الخوارج على الخليفة الأموي كما أدى إلى حماسة الشيعة في محاربة الخوارج، وفي ذلك يقرر الشهرستاني^(٢) أن الخوارج والشيعة متقابلان بالتضاد ولاشك في أن دور ولاية العراق . أصحاب الشدة والعنف والحكمة والحزم قد حال دون تصاعد أمر الخوارج طوال عهد معاوية .



ثانيًا: المهلب بن أبي صفرة وأزارقة المشرق :

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كانت الخلافة معقودة ليزيد ابن معاوية في الوقت الذي كان فيه الخوارج في المشرق يعملون على توطين أنفسهم بعيدًا عن جيروت الولاة، وطغيانهم وشدتهم في تعقبهم وهو ما أدى بهم إلى اللجوء إلى المشرق ، فأقاموا في المشرق -لا يهيجون أحدًا، ويناظرهم الناس^(١) حتى انخرطوا الكثير من سكان الأهواز الفارين من الظلم والنابذين له أو الحاقدين على التفرقة والسلطة في صفوفهم .

ولما تولى يزيد بن معاوية الخلافة، كان أول الخارجين عليه بعد وفاة أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب ذلك أن شيعة الكوفة اجتمعوا وكتبوا إليه يستقدمونه إليها ليسلموا الإصر-أي العهد- له^(٢) لكن ابن عباس منعه من ذلك، ونصحه بالألأ يثق بهم، وبدعوتهم وقال له: يا ابن عمي لا تقرب أهل الكوفة فإنهم قوم غدره^(٣)، لكن الحسين بن علي لم يعمل بالنصيحة فتوجه إلى الكوفة، وهناك حدثت الفاجعة: "فاجعة كربلاء التي استشهد فيها الحسين وأهل بيته^(٤)."

كان استشهاد الحسين وأهل بيته فرصة سانحة أمام ابن الزبير لخلع يزيد بن معاوية، وإظهار البيعة له وفعلا أظهر البيعة لنفسه من داخل الحرم^(٥) مما جعل يزيد بن معاوية يضطر إلى إرسال جيش بقيادة مسلم بن عقبة لإخضاعه فتمكن مسلم من إخضاع المدينة أولًا^(٦) ثم سار إلى مكة لغزو ابن الزبير في عقر داره، لكنه مات قبل ذلك.

(١)الميرد الكامل ج ٣ ص ٢٨٣.

(٢) ابن الأثير اسد الغابة ج ٢ ص ٢٠.

(٣) الدنيورى الاخبار ص ٢٤٤ والمسعودى مروج الذهب ج ٣ ص ٤ الطوال

(٤) يرى ارنولدArnold ان استشهاد الحسين في كربلاء ادي الي انتشار التشيع بين الفرس حيث انهم اصهار الحسين بن علي الذي كان قد تزوج بنت يز دجرد اخر ملوك الاسرة الساسانية ارنولد الدعوة الي الاسلام ص

١٨١

(٥) الطبرى الرسل والملوك ج ٥ ص ٣٥١

(٦) ابل الأثير الكامل، ج ٤ ص ١٢٣، والطبرى الرسل والملوك ج ٥ ص ٤٨٣



وتولى القيادة بعده الحصين بن نمير السكوني، الذي حاصر مكة حصاراً شديداً، ولم ينفك عنها حتى جاءه نعي يزيد بن معاوية في ربيع الآخر سنة (٦٤ هـ / ٦٨٣ م)^(١) والسؤال هنا: اين الخوارج من كل هذه الأحداث؟ هل استفادوا منها؟ وهم الأعداء ليزيد؟ وإلى أين وصلوا؟

رأى الخوارج في أول الأمر أن يقفوا بجانب ابن الزبير، مدافعين عن مكة ضد جيش بني أمية، وبعد حصار مكة عليهم أن يسألوا ابن الزبير فإن كان على رأيهم، فقد دافعوا عنه، وإن لم يكن على رأيهم، فقد دافعوا عن البيت الحرام، فأرادوا التثبت من ذلك، فسألوا ابن الزبير عن رأيه في أبي بكر وعمر، ثم في عثمان، وعلي ولم يعجبهم حين قال: إن عثمان لكل خير أهل، وأنا أشهدكم ومن حضرني ولي لابن عفان في الدنيا والآخرة، وولي أوليائه، وعدو أعدائه قالوا: فبرئ الله منك يا عدو الله، قال: فبرئ الله منكم يا أعداء الله (٢).

وحيث تركوا ابن الزبير وانقسموا على أنفسهم، فسار ابن الأزرق، وابن صفار وابن أباض إلى البصرة (٣) وأبو طالوت وأبو فديك إلى اليمامة، ثم خرج ابن الأزرق من البصرة على رأس ثلاثمائة رجل إلى الأهواز (٤) استولت هذه الفرقة على الأهواز وفارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير (٥) فاشتدت شوكة نافع بن الأزرق، وكثرت جموعه فاستغل هذه الظروف وأقبل نحو البصرة يهددها حتى دنا من الجسر (٦) وكان والي

(١) ابن الأثير نفس المصدر، ج ٤ ص ١٢٤، والطبري نفس المصدر ج ٥ ص ٤٩٩

(٢) ابن الأثير نفس المصدر، ج ٤ ص ١٢٤، والطبري نفس المصدر ج ٥ ص ٤٩٩

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل ج ١ ص ١٦١، وينظر: الزين تاريخ الفرق الإسلامية ص ١٠٠

(٤) الطبري، الرسل والملوك، ج ٥ ص ٥٦٧ ويروى الكامل لابن الأثير: أن سبب خروجهم إلى الأهواز هو أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد، وكان في السجن يومئذ أربعمئة رجل من الخوارج وضعف مر ابن زياد. فكلم فيهم فاطفهم، فأفسدوا البيعة عليه، ومشوا في الناس يدعون إلى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه حتى اضطرب على ابن زياد أمره فتحول عن دار الإمارة إلى الأزدي، ونشأت الحرب بسببه بين الأزدي وربيعة وبني تميم، فاعتزلهم الخوارج (ج ٤ ص ١٦٧).

(٥) ابن الأثير، الكامل ج ٤ ص ١٩٤، الزين تاريخ الفرق الإسلامية ص ١٠٠.

(٦) والمراد به الجسر الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس، قرب الحيرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بل كان الجسر قديماً هناك ليعبروا عليه إلى ضياعهم. (الرسل والملوك ج ٥ ص ٥٦٩)



البصرة وقتها "عبدالله بن الحارث"، فبعث إلى ابن الأزرق مسلم بن عيسى^(١) في جيش قوي، فأخذ مسلم يحوزه عن البصرة أو يرفعه عن أرضها حتى بلغ مكانا من الأرض في الأهواز يقال له دولاب^(٢) وفي هذا المكان تهيأ الناس لبعضهم البعض، وتزاحموا واقتتلوا قتالا لم يُرقتالا قط أشد منه فقتل مسلم بن عيسى أمير أهل البصرة، وقتل نافع بن الأزرق أمير الخوارج، وذلك في جمادى الثانية سنة (٦٥هـ / كانون الثاني سنة ٦٨٢ م)^(٣) فتولى أمر أهل البصرة الحجاج بن رباب الحميري^(٤)، وأمرت الأزارقة عليهم عبيد الله ابن الماحوز^(٥). ثم عادوا واقتتلوا حتى أمسوا، وقد كره بعضهم بعضًا طوا القتال حتى جاءت سرية للخوارج جامعة لم تكن شهدت القتال، فحملت على أهل البصرة وهزمتهم وقتل ربيعة الأجزم التميمي^(٦)، وأخذ الراية حارثة بن بدر الغدائي، فقاتل ساعة ثم ذهب الناس حتى نزل بهم منزلا بالأهواز، وكان الخوارج يتبعونهم، فألقوا بأنفسهم إلى دجيل^(٧) ومعهم خلق كثير وسلمت بقيتهم وفي ذلك قال شاعر الأزارقة :

شيوخ الأزرق طافية لحاها

يرى من جاء ينظر من دجيل

(١) الشهرستاني، الملل والنحل ج ١ ص ١٦٢

(٢) ينظر القسم الجغرافي، من الفصل الأول من البحث .

(٣) المبرد الكامل ج ٣ ص ٢٩٤، وينظر ابن الأثير المصدر السابق ج ٤ ص ١٩٤

(٤) الحجاج الحميري الحجاج بن باب الحميري: شجاع، من أصحاب عبد الله بن الزبير. كان من سكان البصرة. ولما خرج نافع بن الأزرق كان صاحب الترجمة في جيش مسلم بن عبيس (أمير البصرة) وقاتل معه الأزارقة، ولما قتل مسلم أمره أهل البصرة عليهم، وذلك في الوقعة المعروفة بيوم دولاب (على مقربة من الأهواز) فقاتل وقتل فيها

(٥) ابن الماحوز هو عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي التميمي. رئيس الخوارج الأزارقة في الأهواز، وما حولها. كان مع نافع بن الأزرق ثم خلفه بعد مقتله عام ٦٥ هـ (حوالي ٦٨٥ م). اشتبك في معارك مع قادة عبد الله بن الزبير، وهم عمر بن عبيد الله بن معمر، والمهلب بن أبي صفرة، وقتل أخيراً على يد جيش المهلب.

(٦) في الكامل: الربيع بن عمر الاجزم الفداني وهو من بني يربوع وعبيد الله بن الماحوز أيضا من بني يربوع أي ان كل منهما من بني تميم وكثيرا ما كان القائد من بني تميم مع اختلاف كل منهما في مبادئه وفي دوافع جهاده (ج ٣ ص ٣٠٤ - ٣٠٦). وقاتل امير البصرة ربيعه الاجزم التميمي، وقتل، وأخذ راية أهل البصرة بعده حارثة بن بدر الغدائي، فقاتل ساعة وقد ذهب الناس عنه، وكان في معركة دولاب معركة حدثت بين الخوارج بقيادة نافع بن الأزرق ضد أهل البصرة بقيادة مسلم بن عبيس، وكانت البصرة تحت حكم عبد الله بن الزبير.

(٧) ودجيل هذا نهر الأهواز حفره ازديشير بن بابك احد ملوك الفرس ومخرجه من ارض اصبهان ومصبه في بحر فارس وكانت عند دجيل هذا وقائع كثيرة للخوارج. وهو القسم الاسفل من نهر السدرة (كي بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٧٧).



تلك هي معركة دولاب التي انتصر فيها الخوارج انتصارا لا مثيل له، في حروبهم حيث ذاق الطرفان أهل البصرة والخوارج ضراوة القتال.

وكانت معركة دولاب هذه تدل على النظام وحسن الاستعداد والتضحية والنية المبيتة لغزو البصرة، ولولا قيادة حارثة بن بدر لتم غزو البصرة، وكان حارثة يدافع عن غير ولاية ويقول: ما غدرنا عند إخواننا من أهل البصرة أن وصل الخوارج إليهم ونحن دونهم (١).

ومن مشاهير الخوارج في معركة دولاب هذه قطري بن الفجاءة، الذي سجل اشتراكه في قصيدة رواها لنا المبرد (٢) ونسبها إليه ولم ينسبها إلى غيره وروى الطبري (٣) منها أبياتاً دون أن ينسبها إلى احد، وفيها يقول :

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقُ أُمَّ حَكِيمٍ (٤)
 مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يَرِ مِثْلُهَا شِفَاءً لِيذِي بَيْتٍ وَلَا لِسَقِيمٍ
 لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ طِعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ طِعَانَ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
 غَدَاةَ طَفَّتَ عَ الْمَاءِ بَكَرْبُنْ وَائِلِ وَالْأَقْفَمَا مِنْ جَمِيرٍ وَسَلِيمِ
 وَمَالَ الْحِجَازِيِّونَ نَحْوَ بِلَادِهِمْ وَعُجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمِ
 وَكَانَ لِعَبْدِ الْقَيْسِ أَوَّلُ جِدِّهَا وَوَلَّتْ شُيُوخُ الْأَرْدِ فَيْهِيَ تَعُومُ
 فَلَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا يَمُجُّ دَمًا مِنْ فَائِظٍ وَكَلِيمِ
 وَضَارِبَةٍ خَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى أَغَرَّ نَجِيبُ الْأُمَّهَاتِ كَرِيمِ
 أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ وَدِيرَ حَمِيمِ

(١) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ص ٣٠٦

(٢) نفسه ص ٢٩٧

(٣) الرسل والملوك ج ٥ ص ٦١٤ .

(٤) وام حكيم امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة وكانت من اجمل النساء وجها وأحسنهن بدينهن تمسكا وكانت تحمل علي الناس وتقول: أجمل راسا قد سئمت حمله * وقد مللت دهنه وغسله * الا فقهنا علي ثقله. ينظر: المبرد: الكامل ج ٣ ص ٢٩٧.



فَلَوْ شَهِدْتَنَا يَوْمَ ذَاكَ وَحَيْلُنَا تُبَيِّحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلَّ حَرِيمٍ
رَأَيْتُ فِتْيَةً بَاعُوا إِلَهَهُمْ بِجَنَاتٍ عَدِنِ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ

هكذا كانت حروب الأزارقة عزيمة وثباتا وتضحية في سبيل المبدأ كما ذكرنا، ولولا دفاع حارثة بن بدر عن البصرة لوصل الأزارقة إليها في سهولة ولكن حارثة أخذ يناوش الخوارج ويعوق تقدمهم (١). وصلت أنباء هذه المعركة فتوجه الأزارقة نحو البصرة، فأصاب أهلها الفزع والخوف ورحل أكثرهم عنها وولى عمر أخاه عثمان- محاربه الأزارقة، فخرج في اثني ألفاً (٢)، ولقيه حارثة بن بدر فيمن كان معه، وعبيدالله بن الماحوز أمير الأزارقة بسوق الأهواز (٣) عبر عثمان بجيشه نهر دجيل إلى الخوارج فحاربهم يومه حتى غابت الشمس، وانتهت المعركة وبلغ قتل (٤) عثمان أهل البصرة، فخاف الناس الخوارج خوفاً شديداً، وفزعوا إلى الأحنف بن قيس لتدبير الأمر، فجاء الأحنف إلى الحارث بن عبدالله عامل البصرة لعبدالله بن الزبير، فتداولوا فيمن يولونه حرب الأزارقة فوقع اختيارهم على المهلب بن أبي صفرة ليكون قائد جيش البصرة في محاربتهم (٥).

لقد كان المهلب من أعظم قواد العرب، فهو صاحبُ فكرٍ في وضع الخطة الحربية من أولها إلى آخرها، لا تضي عليه حماسته، ولا يخونه عقله، وكان بعيد النظر يرى من المستقبل ما يراه قلة من أمثاله، وسنرى من هو المهلب؟!.

كانت وجهة المهلب في تلك الفترة إلى خراسان؛ حيث ولّاه ابن الزبير عليها فجاءه القباع ووجهاء أهل البصرة، وحثوه على قبول عرضهم فأبى، فكلمة الحارث بن أبي ربيعة، فاعتذر بعهده علي خراسان فيكتب الحارث وأهل البصرة إليه، عن ابن الزبير

(١) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٠٦

(٢) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٠٦

(٣) نفس المصدر ص ٣٠٧

(٤) الطبرى الرسل والملوك ج ٥ ص ٦١٥.

(٥) الطبرى الرسل والملوك ج ٥ ص ٦١٥، وانظر ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ١٩٦



يأمره بقتال الخوارج فأتى بذلك الكتاب فلما قرأه قال: "فإني والله لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لي ما غلبت عليه، وتعطوني من بيت المال ما أقوى به، ومن معي" (١).

ومن خلال شروط المهلب نستنتج مدى قوة الخوارج في المشرق، وهم لا يزالون في بداية أمرهم، ونستنتج كذلك مدى خطورة الموقف والتهديد للبصرة، كل ذلك دفع أهل البصرة، والوالي عليها للموافقة على هذه الشروط، وكان أول عمل قام به المهلب هو أنه أعد خطة للعبور شرقاً، نفذها، وأشرف عليها وعلى نجاحها، فأعد سفناً، وأمر الجنود بالعبور، وجعل ابنه المغيرة أميراً عليهم فلما قاربوا الشاطئ، خاضت إليهم الخوارج، فحاربهم المغيرة ونصحهم بالسهم، حتى تنحوا فصار هو وأصحابه على الشاطئ، فحاربوهم فكفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر.

حينذاك عبر الخوارج نهر "مرن" فنهى الناس عن اتباعهم وأقام أربعين يوماً يجبي الخراج (٢) ثم نهض إلى الخوارج على نهر تيرى (٣) فتنحوا عنه إلى الأهواز، ومرة ثانية قام المهلب يجبي ما حوله من الكور، وقد دسَّ الجواسيس إلى الخوارج (٤)، ليعرف أخبارهم وتحركاتهم وظل مقيماً حتى صار جيشه عشرين ألفاً فاستخلص أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر "تيرى" ثم مضى يؤم سوق الأهواز فاحتلها (٥) لكن عبيد الله بن الماخوز أرسل خمسين فارساً فمهم صالح بن مخراق إلى نهر تيرى فنمى الخبر إلى

(١) الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ٦١٥، وانظر ابن الاثير الكامل ج ٤ ص ١٩٦، وعند المبرد: "قال المهلب علي شروط أشرطها قال الأحنف قل قال: علي أن أنتخب من أحببت قال: ذلك لك. قال: ولي مرة كل بلد أغلب عليه. قال: وذلك لك، وقال ولي في كل بلد أظفر به إلخ (المبرد الكامل ج ٣ ص ٣١١_٣١٢).

(٢) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣١٣

(٣) نهر تيرى يقع غرب مدينة الأهواز وفي شرق نهر دجلة قديماً يعرف هذا المكان بميسان أو الحميدية والخفاجية والحويزة والبسينين الحالية. قال الحموي نهر تيرى بكسر التاء المثناة من فوقها وياء ساكنة وراء مفتوحة مقصور: بينما يذهب الكثير من الباحثين منهم الدكتور مصطفى عبد اللطيف أستاذ تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام إن أسماء هؤلاء الملوك قد تكون صيغاً يونانية معدلة من أعلام عربية قديمة. فمثلاً: تيرى أو تيرابوس قد يكون (طير إياس) أو (ثور إياس) العربي. ينظر: منذر عبد الكريم ص ٢٦.

(٤) نفس المصدر ص ٣١٤

(٥) نفس المصدر ص ٥١٦



وفي سولاف بعد أن دخلها المهلب والخوارج بها . كان لابد من أن تدور المعركة وفعلا دارت معركة كبيرة هزم فيها جيش المهلب هزيمة نكراء، ويقال: لقد حاصَ المهلب يومئذ حيصة ومع ذلك أبلى يومذاك ابنه المغيرة البلاء الحسن (١).

وكان الخوارج وقد بدت لهم بارقة النصر الأولى، بعد هزائمهم المتلاحقة، فقال شاعرهم (٢)

وكان تركنا يوم سولاف منهم أسارى وقتلى في الجحيم مصيرها

لقد ثبت المهلب في أرض المعركة بعد الهزيمة بمن رجع إليه من المنهزمين، فصار في أربعة آلاف، فأخذ يتعرف أخبار الخوارج فإذا بهم قد ارتحلوا الى مكان يسمى (سلى وسلبري) (٣) في خندق بجوارهم (٤)، وفي اليوم التالي التقى المهلب بالخوارج وحدث قتال مريع، وقتل الكثيرون من الجانبين كما قتل قائد الخوارج عبيدالله بن الماحوز وذلك في شوال سنة (٦٦هـ / أيار ٦٨٦م) (٥)

(١) حاص المهلب : اي جال جولة يطلب بالفرات (المبرد)، الكامل ج ٣ ص ٣١٧

(٢) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ١٩٧ والمبرد الكامل ج ٣ ص ٣١٧

(٣) وهما موقعان الاهواز . المبرد، الكامل (ج ٣ ص ٣٢٢). وسلى وسلبري (٦٦هـ - ٦٨٦م) هي معركة وقعت بين الأزارقة الخوارج بقيادة عبيدالله بن بشير التميمي وبين الأزدي بقيادة المهلب بن أبي صفرة الأزدي والي خراسان. موضع من نواحي خوزستان قرب جنديسابور في الاهواز النتيجة انتصار الأزدي بقيادة المهلب بن أبي صفرة الأزدي ومقتل عبيدالله بن بشير التميمي واخوه عثمان بن بشير التميمي.

(٤) ابن الأثير نفس المصدر ج ٤ ص ١٩٨

(٥) المصنف (المجهول) ص ١٠٥ والمبرد الكامل (ج ٣ ص ٣٧٢).





فاستخلف الخوارج بعده الزبير بن علي بن الماحوز، وهو من بني سليط بن بربوع^(١)، وعن هذا يقول ابن الأثير: "استخلف الخوارج الزبير ابن الماحوز في سنة (١٧هـ) ^(٢) ثم ارتحلوا من الأهواز وهم ثلاثة آلاف، وقتل منهم في هذه الموقعة سبعة آلاف^(٣)، لكننا - كما نعلم - سرعان ما تعودت جمعات الخوارج بسرعة فائقة، وكان الهزائم تزيدهم إصراراً وقوة وتجمعاً فخطب الزبير فيهم ^(٤)، وقد جمع جموعاً فوجد المهلب مستعداً أخذاً بأفواه الطرق وحثهم على القتال، ولكنه يئس، فضرب إلى ناحية أصبهان ثم كرجاجاً إلى أرجان^(٥).

(١) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٢٠٠ ابن الماحوز هو عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطي اليربوعي التميمي. قائد الخوارج الأزارقة في الأهواز، وما حولها. كان مع نافع بن الأزرق ثم خلفه بعد مقتله عام ٦٥ هـ (حوالي ٦٨٥ م). دخل في معارك مع قادة عبد الله بن الزبير، وهم عمر بن عبيد الله بن معمر، والمهلب بن أبي صفرة، وقتل أخيراً على يد جيش المهلب.

(٢) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٢٠٠

(٣) الطبري الرسل والملوك ج ٥ ص ٦٢٢

(٤) راجع الخطبة في الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣٣٠.

(٥) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٣١. أرجان هي مدينة تاريخية مندثرة، تقع بين الأحواز وفارس، وتسمى أحياناً في بعض المصادر بمدينة برمقباد أو بزمقباد أو أبزقباد. بناها الملك الساساني قباد بن فيروز. وقد فتحت برمقباد أو أرجان على يد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وكان على مقدمته عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه وذلك في سنة ٢٧ في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إذ تذكر المصادر أن عثمان بن أبي العاص مع أبي موسى الأشعري اجتمعاً لفتحها، حيث سار لها الأول من جهة سابور الثاني ففتح لها الثاني من جهة البصرة، فتمكنا من فتحها صلحاً على الجزية والخراج سنة (٢٧ هـ / ٦٤٧ م). وقد فتح عثمان



استمر المهلب في قتال الخوارج بالمشرق في ولاية الحارث القباع، ثم عزل الحارث، ووَلَّى مصعب بن الزبير، فكتب إليه أن أقدم وولاه إمارة الموصل، واستخلف مكانه ابنه المغيرة^(١) ثم شاور مصعب الناس من يستكفي أمر الخوارج؟ فقال قوم وُلِّ عبيد الله بن أبي بكرة، وقال قوم: ليس لهم إلا المهلب، أُرِده إلهم^(٢).

بلغت المشورة الخوارج، فأداروا الأمر بينهم فقال: أحدهم - هو قطري بن الفجاءة^(٣) - إن جاءكم عمر بن عبد الله بن أبي بكرة أتاكم سيد سمح جواد كريم مطيع لعسكره، وإن جاءكم عمر بن عبيد الله، أتاكم شجاع بطل فارس جاء يقاتل لدينه وملكه وبطبيعة ليس مثلها لأحد، فقد شهدته في وقائع فما نودي في القوم لحرب إلا كان أول فارس يطلع^(٤)، وإن جاءكم المهلب بن أبي صفرة فهو قد عرفتموه، إن أخذتم بطرف ثوبٍ، أخذ بطرفه الآخر، ويمده إذا أرسلتموه، ويرسله إذا مددتموه، لا يبدؤكم إلا أن تبدؤوه، ولا يرى فرصة إلا انتهزها فهو الليث المبرد، والشعلب المِراوغ، والبلاء المقيم .

هذا هو رأي قطري بن الفجاءة في المهلب، يوضح لنا عظمته في الحرب وقيادته وسياسته وهو في قوله^(٥): "إن أخذتم بطرف ثوبه... إلخ" يذكرنا بنفس سياسة معاوية

المدينة في المائة الثامنة للهجرة وقام مقامها مدينة بهبهان القائمة لليوم وتقع في إقليم الأحواز (الأهواز) الواقع على ساحل الخليج العربي ويسمى أيضاً بعربستان وخوزستان، والثابت أنه حتى عهد قريب (قبل الاحتلال الفارسي لها في عام ١٩٢٥م) كانت الأحواز إحدى الإمارات العربية المطلة على الخليج العربي. الموقع مدينة أركان التاريخية، ما تزال آثارها قائمة على ضفاف نهر مارون، وعلى بُعد ٨ إلى ١٢ كيلومترات شمال مدينة بهبهان (الحالية) بمساحة أربعة كيلومترات مربعة.

(١) نفس المصدر ج ٣ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣) وهو خارجي أزرق من بني تميم وهو من أكبر زعماء الخوارج وأعظمهم أثراً وذكراً بدا يظهر سياسي من أكبر زعماء الخوارج يقف جنباً إلى جنب مع أبي بلال مرداس يناديه ، ونافع بن الأزرق ونجده بن عامر ويقول ابن حزم عن قطري: " الخارجى الأزرق الذى سلم عليه الخلافة عشرين سنة، والفجاءة لقب قومه لأنه غاب إلى اليمن ثم أتاه قومه فجاءه واسمه جعونة بن يزيد بن زياد بن جبر بن كافي بن حرقوس بن مازن بن مالك من بني تميم (جمهرة أنساب العرب، ص ٢٠١).

(٤) المبرد المصدر السابق ج ٣ ص ٣٣٥ وانظر بن الأثير الكامل ج ٤ ص ٢٨٢ .

(٥) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٣٥ وابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٢٨٣ .



بن أبي سفيان إذ يقول، لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت. إذا جذبوها أرخيتها وإن أرخوها جذبتها، وهذا القول دليل على حسن السياسة.

وجاء "عمر بن عبيد الله بن معمر" واليا على البصرة ثم على فارس (١)، والخوارج بأرجان، وعليهم الزبير بن علي السليطي، فشخص إليهم عمر بن عبيدالله فألح عليهم حتى أخرجهم عنها إلى أصبهان (٢) ثم إلى سابور ومنها إلى أرجان حتى أتوا الأهواز، فلحقهم عمر بن عبيد الله مسرعًا ليدركهم قبل دخولهم العراق، ثم إن مصعبًا عسكر بجنده في الجهة الأخرى عند الجسر الأكبر، وهنا نصح الزبير بن الماحوز أتباعه من الخوارج ألا يقفوا بين القوتين - فسار بهم إلى أرض جوشي ثم أتى المدائن من أرض العراق بأصحابه يريدون الكوفة (٣).

شعر الكوفيون بالخطر فجاءوا إلى أميرهم القباع الذي طارد الخوارج حتى المدائن ثم لاحقهم إلى أصبهان، وإلى الري وهناك قاتلهم والمها يزيد بن الحارث الشيباني حتى قتل.

ولما فرغ الخوارج من الري اتجهوا إلى أصبهان مرة ثانية، فأطبقوا عليها وكان والمها عتاب بن ورقاء التميمي الرياحي (٤) وطلال حصارهم لأصبهان يستثيره عاطفة القرابة بينهم لكن الزبير لم يستجب له، بل رد عليه قائلاً: إن أدنى الفاسقين وأبعدهم عن الحق سواء اضطر عتاب إلى أن يخرج لقتال ابن عمه، فجمع الناس وجاء إلى الخوارج على حين غمرة، وهم آمنون فهزمهم (٥).

(١) الطبري ج ٦ ص ١١٧ والمصنف المجهول ص ١١٠ - ١١١.

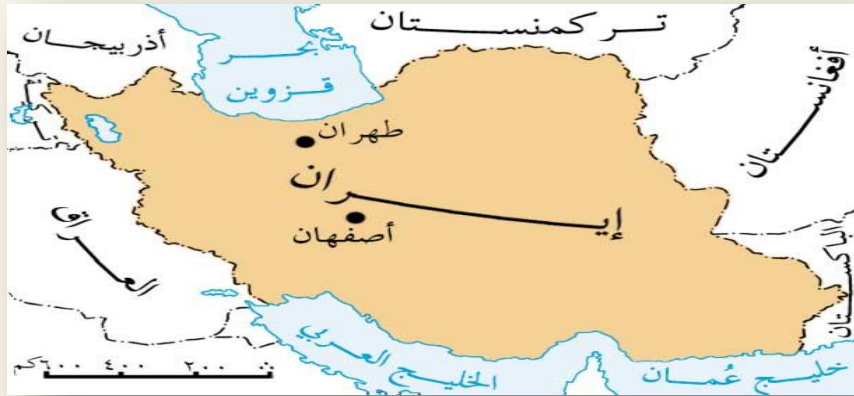
(٢) المبرد نفس المصدر والصفحة

(٣) الطبري نفس المصدر السابق ص ١١٨

(٤) البلاذري فتوح البلدان ج ٢ ص ٣٥١. عتاب بن ورقاء بن الحارث بن عمرو الرياحي البربوعي التميمي. أبو ورقاء. قائد عسكري. ولأه مصعب بن الزبير (أمير العراق لأخيه عبد الله بن الزبير الخليفة في الحجاز) إمارة أصبهان، وانتدبه لقمع ثورة في الري، ففتحها، ومهد أمورها، ثم أصبح من أمراء جيش المهلب بن أبي صفرة. كلفه الحجاج بن يوسف الثقفي (والي العراق للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان) مع جند من أهل الشام والعراق، لقتال شبيب الخارجي، فقتله عامر بن عمير التغلبي (أحد أصحاب شبيب) في المعركة التي دارت بينهما، وعرفت بيوم عتاب عام ٧٧ هـ (حوالي ٦٩٦ م)

(٥) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٢٨٦





وقتل قائدهم الزبير بن علي بن الماحوز فعزم الخوارج على اختيار عبيدة بين هلال اليشكري زعيمًا لهم لكن عبيدة قال لهم هل أدلكم على من هو خير مني، ونصحهم بالمبايعة لقطري بن الفجاءة التميمي، فأقبل الخوارج عليه، وباعوه وذلك سنة (٧١هـ / ٦٩١م) (١) وسموه أمير المؤمنين (٢).

ثالثا: قطري بن الفجاءة والإمارة في المشرق

قطري بن الفجاءة خارجي أزرق من بني تميم، وهو أكبر زعماء الخوارج وأعظمهم أثرًا وذكرًا (٣)، فهو واحد من هؤلاء الأبطال قائد، شاعر، خطيب، داهية سياسي من

(١) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٤٣

(٢) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٦٤.

(٣) يقول التبريزي عنه: "فارس مذكور، وشاعر إسلامي مجيد سلموا عليه بالخلافة ثلاث عشر سنة، وكانت له امرأة تسمى أم حكيم وكانت من أجمل النساء وجهًا وأحسنهم بدينهم تمسكا، وكان قطري يحبها حبًا شديدًا، وفيها شعر جيد حسن (ديوان الحماسة) ج ١ ص ٢٤.



أكبر زعماء الخوارج يقف جنباً إلى جنبٍ مع أبي بلال مرداس بن أدبه (١) ونافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر. (٢)

وإذا كان أبو بلال مرداس هو الشخصية الروحية الرائدة عند الخوارج (٣) وإذا كان نافع بن الأزرق هو الفقيه الواعي والمؤسس لجماعة الأزارقة (٤) وإذا كان نجدة بن عامر قد أسس ملكاً في البحرين (٥)، وكاد يمتد سلطانه على الجزيرة العربية (٦)، فإن قطري بن الفجاءة قد جمع صفات هؤلاء جميعاً، أن فيه من صفات أبي بلال التقوى، والورع والتأثير على من حوله، وفيه من صفات نافع فقهه وجدله ووعيه، وفيه من نجدة طموحه بل هو أعظم من نجدة في ذلك.

بويغ له بالخلافة بعد موت نافع بن الأزرق، وسموه أمير المؤمنين (٧)، واستمرت خلافته للخوارج في أقل الروايات عشر سنوات، وفي بعضها عشرين سنة، يقول ابن حزم عن قطري: الخارجي الأزرق الذي سلّم عليه بالخلافة عشرين سنة (٨)، و"الفجاءة" لقب أبيه لأنه غاب إلى اليمن، ثم أتاه قومه فجأة (٩)، واسمه: جعونة بن يزيد بن زياد بن جبر بن كافية بن حرقوص بن مازن بن مالك من بني تميم (١٠).

(١) هو أخو عروة بن أدية (انظر الفصل الاول من البحث) وهو رجل على جانب عظيم من الفضل والخلق وتدعيه الفرق المختلفة ، واخوه عروة هو أول من قال بين صفوف أهل الشام وأهل العراق في صفين: (لا حكم إلا لله) الشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ ص ١٦٢ والمسعودي ، مروج الذهب ج ٣ ص ١٤٣ .

(٢) نجدة بن عامر الحنفي هو أحد قادة الخوارج في عهد الدولة الاموية، ولد عام ٣٦ هـ، وبويغ في سنة ٦٦ هـ. استولى على اليمامة، والبحرين بعد حروب طويلة وامتد نفوذه حتى اليمن، واتخذ من القطيف قاعدة له. ثم ولي مكانه أبو فديك أحد أنصاره السابقين وهو من الخوارج أيضاً. استمر في حكمه حتى أرسل له عبد الملك بن مروان جيشاً قضى عليه عام ٧٣ هـ.

(٣) فلهوزن ، الخوارج والشيعية ص ١٠٩ .

(٤) الشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ ص ١٦٣ .

(٥) سيأتي ذكر ذلك في آخر الفصل الثالث من البحث .

(٦) انفصل عن نافع وأسس النخدية في اليمامة والبحرين ، وفرض سلطانه على اقاليم واسعة من الجزيرة العربية

(فلهوزن، الخوارج والشيعية ص ٧٩_ ٨١)

(٧) انظر الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٦٣ وانظر الدنيوري، الاخبار الطوال ص ٢٧٥

(٨) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٤٧

(٩) هكذا وردت العبارة في جمهرة انساب العرب ص ٢٠١

(١٠) جمهرة انساب العرب ص ٢٠١، والجاحظ البيان والتبيين ج ، ص ٢٦٤.



ويقول ابن خلكان في "وفيات الأعيان" عند الحديث عن قطري: "وقد قيل إن قولهم (قطري) ليس باسم له، ولكنه نسب إلى موضع بين البحرين وعمان، وهو اسم بلد كان فيه أبو نعامة المذكور فنُسب إليه(١) .

ولعلك ترى معنا في قول ابن حزم اسمه جعونة "أنه يعود إلى "قطري أي أن اسم قطري جعونة، واسم أبيه يزيد، فإذا كان ابن حزم يقول اسمه: "جعونة"، وابن خلكان يقول: "قطري" ليس باسم له، ولكنه نسب إلى موضع بين البحرين وعمان، فإن كلا من القولين يتمم الآخر، وننتهي منهما إلى أن قطريا منسوب إلى قطر.

أما المسعودي فيرى - دون تعليل ودون أن يسوق دليلا يستريح القارئ له- أن الفجاءة اسم أمه، وكانت من بني شيبان(٢) .

لقد سلطت الأضواء على قطري بن الفجاءة بعد أن قتل نافع بن الأزرق في معركة دولاب(٣). وعلى الرغم من أنه لم يكن أول خليفة لنافع بن الأزرق، فإنه كان المستشار الأول في الحرب والسياسة منذ قتل نافع .

وكان قطري أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وشأنه في ذلك شأن كثير من الناس حوله، وقد ساعدته أميته على تنشيط ذاكرته وعلى دقة ملاحظته، إذ كلما كانت الذاكرة نشطة، وهي مرجع للإنسان في معلوماته، كانت يقظة واعية، والدليل على الطبيعة البدوية لقطري تلك الرسائل التي كانت بينه وبين الحجاج، والتي رواها أبو العباس المبرد في الكامل، والجاحظ في البيان والتبيين،، وغيرهما من المؤرخين يدلنا على كثير، فتدلنا أول ما تدلنا على أن قطريا بدوي أعرابي أمي.

(١) وفي الأعيان ج ٣ ص ٢٥٦ وقد كان قطري يلقب في الحرب بابي نعامه وفي السلم بابي محمد وكما ورد في حياة الحيوان الكبرى للدميري ج ٢ ص ٥٠٣ ، ط صبح القاهرة .

(٢) المسعودي ومروج الذهب ج ٣ ص ١٤٣ وانظر الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ١٢٦ والمبرد الكامل ج ٣ ص ٣٤٧

(٣) دولاب : قرية من عمل الاهواز بينها وبين الاهواز اربعة فراسخ وفيها دارت المعركة التي سميت بالدولاب بين الازارقة وجيوش بن الزبير الاغاني ج ٦ ص ١٢٦ .



ومما رواه المبرد في كتاب الحجاج "أما بعد، فإنك كنت أعرابياً.. بدوياً تستطعم الكسرة وتخف إلى التمرة.." (١)، ومما رواه الجاحظ في نفس الرسالة: "غير أنك أعرابي جلف، أمي تستطعم الكسرة، وتستقى بالتمر.." (٢)، ولقد وصفه الحجاج بأنه أعرابي بدوي أمي، ولو لم يكن قطري أمياً بدوياً لرد على الحجاج، وكذبه فيما زعمه، ولكنه قال في رده الذي رواه المبرد ذكرت في كتابك أني كنت بدوياً أستطعم الكسرة وأبدر إلى التمرة، وبالله لقد قلت زوراً، بل الله يبصرني من دينه ما أعماك عنه، إذ أنت سائح في الضلالة غرق في غمرات الكفر (٣).

ولعل رده في رواية الجاحظ أوضح في دلالته على أنه نشأ بدوياً أمياً، حيث يقول: " كتبت إليّ تذكر أني أعرابي جلف أمي أستطعم الكسرة، وأشتفي بالتمر، ولعمري يا ابن أم الحجاج إنك لميت في جبلتك مطلعهم في طرقتك وآه في وثيقتك فهو هنا لا ينفي أن يكون أمياً بدوياً، ولكنه يعيب على الحجاج ذلك الطبع الشرس، والخلق الجاف الذي اتصف به.

وإذا كان ابن الأزرقي في بداية تاريخ الأزارقة هو الذي وضع الأسس العامة لهم، فإن قارياً كان القوة الحامية. بل إن قطريا هو الرجل العملي الذي جعل من الأزارقة رجال عمل لرجال نظر (٤) فقد تولى أمر الخوارج، وظل في خلافته إلى أن قتل سنة (٧٧هـ) (٥). وتولى قطري أمر الخوارج في الوقت الذي كانت فيه هزيمة الخوارج على يد عتاب بن ورقاء في أصبهان (٦) جرحاً مؤلماً، وكان على قطري أن يداوي هذا الجرح،

(١) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٤٨. الكسرة: المقصود بها كسرة الخبز ويريد أن يقول له كنت تبحث عن كسرة من الخبز تسد بها جوعك وتخف: تسرع... والمراد بها تفرح لأنك لن تجدها.

(٢) الجلف، الجافي الجاحظ: البيان والتبيين ص ٢٦٤.

(٣) المراد ترضي وتهدا بالقليل الذي لا يذكر.

(٤) وأبدر إلى التمرة أي: أسرع إلى التمرة غمرات الكفر: كثرت وشدته. ينظر: الجاحظ البيان والتبيين ج ٢ ص ١٦٥.

(٥) فلهو وزن الخوارج والشيعية ص ١٠٩.

(٦) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٠٩ وبعد ان سرد سبب موت قطري قال: ويقال ان قطريا مات سنة ٢٨ هـ.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان ج ٢ ص ٣٥١ وابن الاثير الكامل (ج ٤ ص ٢٨٦). عتاب بن ورقاء بن العاص بن الربيع عمرو الرياحي البربوعي التميمي. أبو ورقاء. قائد عسكري مسلم. ولأه مصعب بن الزبير (أميها) بن الربيع.



حتى لا يكون له الأثر السيء على مستقبل الخوارج في المشرق. من أجل هذا كله كان أول عمل قام به قطري هو التحرك في أترعتاب ابن ورقاء، كأنه يريد أن يقاتله وهو لا يريد^(١). ذلك لأن الخوارج كان فيهم جرح لا يزال يتزف، وفيهم ضعف من قسوة الهجوم وشدة القتال. في الوقت نفس كان قطري يخشى أن يطمع عتاب فيعيد الكرة على الخوارج؛ لذلك اتبع قطري أسلوب المناورة، بل استطاع أن يخدع عتابا، ومن معه، وأن ينسحب انسحاباً مأموناً لأن الانسحاب هو أفضل عمل حربي عقب هزيمة لا يزال الجنود يثنون منها^(٢)، هكذا استطاع قطري . بحسن تفكيره وتدييره - أن يخرج من مأزق الهزيمة الذي رأى فيه هو أن تباطؤ . قضاء على الأزارقة .

يقول الطبري: ذهب قطري من أصبهان حتى أتى ناحية كرمان، وأقام بها، واجتمعت له جموع كثيرة، وأخذ المال وقوى به ثم أقبل حتى نزل بأرض أصبهان وخرج منها إلى الأهواز وقام بها. علم والي البصرة الحارث بن أبي ربيعة^(٣) بذلك فكتب إلى مصعب بن الزبير يخبره أن الخوارج قد تحددت إلى الأهواز، وأنه ليس لهم إلا المهلب^(٤) .

لأخيه عبد الله بن الزبير الخليفة في الحجاز) إمارة أصبهان، وانتدبه لقمع ثورة في الري، ففتحها، ومهد أمورها، ثم أصبح من أمراء جيش المهلب بن أبي صفرة. كلفه الحجاج بن يوسف الثقفي (والي العراق للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان) مع جند من أهل الشام والعراق، لقتال شبيب الخارجي، فقتله عامر بن عمير التغلبي (أحد أصحاب شبيب) في المعركة التي دارت بينهما، وعرفت بيوم عتاب عام ٧٧ هـ (حوالي ٦٩٦م)

(١) الطبري المصدر السابق ج ٦ ص ١٢٧

(٢) ابن الاثير الكامل ج ٤ ص ٢٨٦ - ٢٨٧

(٣) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ١٢٧ وانظر الدنيوري الأخبار الطوال ص ٢٧٧

(٤) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٤٧ ، ص ٣٥٠ والطبري المصدر السابق ج ٦ ص ١٢٧





من عبارة الطبري السابقة نستنتج أن قطري بن الفجاءة له منهج في إعداد قوته وتنشيط دعوته، فكان يختار المكان الأكثر أمنا، والبعيد عن الكوفة والبصرة، والبعيد عن ميادين القتال العنيف ليعيش في هدنة، يستجمع فيها قوته، ويسلم نفسه ويدرب فيها جنوده، حتى إذا تم له ذلك، قطع الهدنة في الوقت الذي يراه مناسبًا، لا الوقت الذي يفرضه عليه خصومه، كان هدف قطري بن الفجاءة هو جمع أكبر قوة ضاربة من الخوارج الأزارقة في المشرق وقد تم له ذلك فانضم إليه عدد كبير من الموالي^(١)



لأنهم رأوا أنفسهم مظلومين لم ينالوا كثيراً من حقوقهم التي نص عليها الإسلام^(١) تحت حكم بني أمية في الوقت الذي رأوا فيه أن الخوارج تنادي بمبدأ المساواة، أو ربما استطاع قطري بن الفجاءة أن يقنعهم بمنطقه، وأن يحييهم في عقيدته وفي نصرتها والدفاع عنها. لذلك انضموا إلى الخوارج واعتنقوا مذهبهم. وكانوا في عهد قطري بن الفجاءة أشد الناس دفاعاً عنه بل كانوا جنود احتياط كثيرين بجندهم عند الخطر^(٢)

وقد قال الرواة: إن قطرياً قد استعد للمهلب، وصار جنوده في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم، بكثرة السلاح، وكثرة الدواب، وحصانة الجند^(٣).

وهنا نتعجب لقدرة هذا الرجل وندساء: كيف استطاع أن يجمع له جيشاً يفوق جيش خصومه، مع أن في يدهم أمر الدولة ويبسطون نفوذهم وسلطانهم على أعظم مناطقها وعلى ذخيراتها وأموالها؟

وقطري ببسط نفوذه على منطقة محدودة من فارس وأصبهان وكرمان^(٤) ولا يستقر فيها، ولا يطمئن إليها ثم تكون جيوشه أعظم عدة وسلاحاً. لا بد أنه كان على درجة عالية من التنظيم والإدارة والسياسة والقيادة، ولو لم يكن كذلك، لما استطاع أن يعيد قوته بتلك الصورة التي يحدثنا عنها الرواة. ذكرنا أنه ترك كرمان وأقبل على أرض أصبهان^(٥) ثم تركها حتى أقام بالأهواز قريباً من البصرة^(٦) فانزعج واليها الحارث بن أبي^(٧) وأشار على المصعب لقتال ابن الزبير بالمهلب الخوارج.

(١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ٦٤ ص

(٢) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ٦٤ ص

(٣) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٤٨

(٤) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٦٢ والطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ١٢٧ وابن الأثير الكامل ج ٦ ص ١٩٤ والزين تاريخ الفرق الإسلامية ص ١٠٠.

(٥) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٦٢ والطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ١٢٧.

(٦) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٦٢ والطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ١٢٧.

(٧) القيوري الاخبار الطوال ص ٢٧٧ والطبري، المصدر السابق ج ٦ ص ١١٩.



لقد استطاع قطري بن الفجاءة أن يعيد للخوارج قوتهم ووضعهم الذي كانوا عليه سنة (٦٥ هـ) في معركة دولاب^(١) فاستولوا على الأهواز كلها وتقدموا في مواجهة البصرة، ولكن المهلب أو الساحر المتازوني (المزوني)^(٢) كما كانوا يسمونه قد تولى حربهم، وسبق أن هزمهم من قبل في سلى وسليرى، وذلك قبل أن يتولى قطري خلافتهم. لقد سبق أن رأينا كيف شهد قطري بن الفجاءة للمهلب بالعظمة في علاج الشدائد والتغلب عليها، ووضعها في صفوف الساسة العظماء، ثم وصفه باليقظة والحذر؛ فلا فرصة تسنح له ثم يتركها دون أن ينتهزها أنه أسد مهلك، وثعلب ماكر، وهو امتحان وابتلاء؛ ولهذا بدأ قطري يدرس موقفه فرأى أن لا يكون ميدان المعركة في مواجهة البصرة أو قريبا منها لأن خصومه سيكونون دائما أقوياء، حيث تمدهم البصرة بالرجال والمال والسلاح، لكنه أثار أن ينسحب إلى الأهواز^(٣) وفي الأهواز قرّر قطري أن يتراجع إلى فارس، فترك الأهواز إلى "رامهرمز" ثم إلى فارس، والمهلب يسير وراءه، حتى تمكّن المهلب من الاستيلاء على "رامهرمز"، وتحصن فيها^(٤)، وظل بها شهرا حتى أتاه خبر موت بشر بن مروان^(٥) فاضطرب الجند، وبدأ أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الأهواز^(٦) وأراد أهل البصرة الانسلاخ من المهلب، فخطبهم فقال: إنكم لستم كأهل الكوفة إنما تذودون عن مصيركم وأموالكم وحرملكم، فأقام منهم قوم، وتسلّل منهم ناس كثير^(٧).

(١) الأصفهاني الاغانى ج ٦ ص ١٤٢ والطبرى نفس المصدر السابق ج ٦ ص ١٢٦.
(٢) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٩٧ وكانت الخوارج تسمى المهلب الساحر، لأنهم كانوا يدبرون الأمر فيجدونه قد سبق إلى نقض تدبيرهم.

(٣) المبرد نفس المصدر ج ٣ ص ٣٦٥

(٤) الطبرى الرسل والملوك ج ٦ ص ١٢٧

(٥) بشر بن مروان بن الحكم الأموي. ثالث أبناء الخليفة مروان بن الحكم، بعد عبد الملك، وعبد العزيز، وأمير العراقين، الكوفة والبصرة، اهتم بالشعراء، ومدحوه لكرمه، ومنهم الأخطل، وسراقة البارقي، والفرزدق، وجريز، وكثير عزة، وغيرهم. ولأه أخوه عبد الملك حين كان خليفة الكوفة سنة ٧١ هـ (حوالي ٦٩٠م)، وضم إليها البصرة سنة ٧٣ هـ (حوالي ٦٩٢م)، ومات فيها، وصار بعده الحجاج والياً، وقيل إن عبد الملك عزل أخاه بشراً بعد سنتين، وولّى الحجاج بن يوسف الثقفي مكانه

(٦) نفسه، والذنيورى الاخبار الطوال ص ٢٧٣

(٧) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٦٥



كان من الممكن لقطرى أن ينتهز فرصة هذا الخلاف بين المهلب وجنوده لكنه رأى أنه من الخير له أن يريح نفسه وجندَه من عناء القتال. وكان تقديره لذلك صواباً، ذلك لأن العراق كان قد وصل إلى درجةٍ من الفوضى، فجنود المهلب يتركون ميدان القتال، وهناك نفور دائم من الكوفة والبصرة، وخلاف وعراك بين القبائل التي تسكن البصرة فلا أمان، ولا استقرار، لكن قطريا لم يقدر أن العراق سيكون بعد قليلٍ على النقيض تماماً من حالته هذه إذ ولى الحجاج العراق أوائل سنة (٧٥ هـ) (١)! أثار فنزل عليه بقوته وجبروته، فجعل منه شيئاً جديداً .

رابعاً: الحجاج والخوارج:

ظل الخوارج يثورون على الأمويين كلما أتيحت لهم الفرصة حتى اشتدت وطأتهم في عهد عبدالمكك بن مروان، ومن جاء بعده، وصاروا يرحبون بكل من ينضم إليهم ليعينهم على تحقيق أغراضهم (٢) فتكاثر عددهم بعد أن كانت قلة العدد طابع جيوشهم، وفي الوقت الذي كانت فيه جيوش المهلب بن أبي صفرة تخوض الحرب ضد الخوارج في أرض فارس وطبرستان كانت هناك جيوش أموية أخرى بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي تحاول القضاء على سلطان ابن الزبير في الحجاز معقله، وظلت الحرب بين الحجاج وابن الزبير ستة شهور وسبع عشرة ليلة استطاع بعدها الحجاج أن يقهر عساكر ابن الزبير وأن يدخل عرينه (٣) مكة ويقتله في سنة (٧٣ هـ / ٦٩٢ م) (٤).

تمكن الحجاج من أن يعيد سيطرة الأمويين على أعظم الأجزاء الإسلامية وهي الحجاز، وأن يبسط سلطتهم على الأقطار الإسلامية دون منازع لهم غير الخوارج فكافأه

(١) الطبري المصدر السابق ج ٦ ص ٢٠٢ المبرد الكامل ص ٣٦٦

(٢) فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص ٣٧٣

(٣) ابن سعد الطبقات ج ٥ ص ٢٢٨ - ٢٢٩

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ١٨٧



عبد الملك بن مروان بأن ولّاه على مكة والمدينة واليمن واليمامة ثلاث سنين (١) أظهر الحجاج خلالهما تمرسه في الحكم، وشدته ورجولته (٢).

وسرعان ما أدرك عبد الملك بن مروان أنه لابد للعراق من رجلٍ حازمٍ وقويّ يلم شعث أبنائه، ويُرَد عنه خطر الخارجين "الخوارج"، وأن هذا الرجل هو الحجاج ابن يوسف الثقفي، فولّاه العراق في أوائل (٧٥هـ / أوائل أيار ٦٩٤م) (٣).

تولى الحجاج أمر العراق وهو يعلم علم اليقين أنه قادم على بلد له ماضيه في الخلافات السياسية والانقسامات القبلية والمذهبية وأن أهله أهل مراوغة، وليسوا أهل عهد ووفاء، فقرّر أن يتخذ من الشدة أسلوباً للحكم، ومن الحزم سلوكاً لضبط الأمور فسار إلى الكوفة فدخلها وخطب بها خطبته المشهورة (٤) التي شملت الوعد والوعيد بالتهديد وأنه لا رجعة، ولا تهاون فقال: "ولكن ليس لهم عندي إلا السيف" (٥).

لقد واجهت الحجاج بن يوسف الثقفي عند توليه أمر العراق صعاباً خطيرة فالأزارقة في المشرق يخوضون حرباً لا هوادة فيها ضد جيوش المهلب، ويهددون سلطان الأمويين محاولين السيطرة على البصرة، وأهل الكوفة متمردون ضد قائدهم عبدالرحمن بن أبي مختف، كارهون حرب الأزارقة.

ولم يكن الأزارقة وحدهم هم الذين أقلقوا الحجاج بل كان هناك وبالقرب منه تائر خارجي صفري يهدده في مستقر حكمه في الكوفة ألا وهو: "شبيب بن يزيد الخارجي"

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ٩ ص ٢ والمسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ١٢٢
(٢) ويروى ابن كثير أيضاً أن عبد الملك ولي الحجاج لسلطنته وقهره وشهامته (البداية والنهاية ج ٩ ص ٧). وفي موضع آخر يمتدحه ويقول "كان الحجاج حافظاً للقرآن يقرأ كل ليلة وكان عقله يرجح علي عقول الناس (البداية والنهاية ج ٩ ص ١١٩ غير أن فلهوزن Wellhausen يرى "أن الحجاج أراد أن يتشبه بزياد فأخطأ مرتين أخطأ أولاً لأن زياد أحسن الي الموالى وتزوج منهم في حين أن الحجاج حظ من شأنهم وأخطأ ثانياً: إذ أن زياد أحسن سياسة القبائل هناك وعرف كيف يمسك زمامها بينما الحجاج اعتمد علي جند الشام لإخضاع العراق وتأكيد سلطة الأمويين (الدولة العربية ص ٢٠٧).

(٣) المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٦٦ الطبرى الرسل والملوك ج ٦ ص ٢٠٢

(٤) الطبرى المصدر السابق من ٢٠٢ _ ٢٠٣ وابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٥ ص ١٧ وما بعدها

(٥) المبرد نفس الكتاب والصفحة



الذي كان يمثل أقوى زعيم وثنائ خارجي خرج في العراق وهدّد سلطان الأمويين وأضحّ مضاجع العراقيين، ونشر الفزع، والرعب فيهم، فمن هو شبيب الخارجي؟

هو شبيب بن يزيد بن نعيم ولد سنة (٢٥ هـ) (١) من أبٍ عربي، وأم رومية، ولدته وهي مسلمة، وكان خروج شبيب هذا أول الأمر تحت إمرة صالح بن مسرح التميمي (٢) وقد ذكر أن صالحا هذا كان أول من خرج من الصفرية (٣) وكان خروجه في العام الذي تولى فيه الحجاج ولاية العراق أوائل (٧٥ هـ/ أيار ٦٩٤ م) ، فقد خرج صالح بن مسرح التميمي لأداء فريضة الحج وكان صالح هذا رجلا عابدا صالحا وكان يرى رأي الصفرية، ومعه شبيب بن يزيد الشيباني (٤) وسويد بن سليم الهندي من بني شيبان وأشباهم (٥)، وحج في هذه السنة عبدالمكك بن مروان، فهم شبيب بالفتك به لكن عبدالمكك بلغه ذلك فكتب إلى الحجاج يأمره بطليهم (٦) وكان صالحا يقيم بدار من أرض الموصل لكنه يأتي الكوفة ليلتقي بأصحابه الذين يقرئهم القرآن، ويفقههم في

(١) البغدادي الفرق بين الفرق ص ١٠٩ _ ١١٠. شبيب الخارجي. ولد سنة ٢٦ هـ - أحد كبار الثائرين على بني أمية. هو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني، أبو الضحاك. خرج في الموصل مع صالح بن مسرح على الحجاج الثقفي، فقتل صالح فنأدى بالخلافة لنفسه فباعه حوالي ١٢٠ شخصا. كاد شبيب أن يهزم الحجاج لولا أن تدخل عبد الملك من الشام بجيش بقيادة سفيان بن الأبرد الكلابي. فر شبيب ولكنه مات، قيل غرق سنة ٧٧ هـ زوجته غزالة، وكانت أيضا شديدة البأس تقاتل قتالا شديدا يعجز عنه الأبطال من الرجال، وكان «الحجاج» يخاف منها أشد خوف حتى قال فيه بعض الشعراء:

أسد علي وفي الحروب نعمة فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى "غزالة" في الوغا بل كان قلبك في جناحي طائر.

(٢) صالح بن مسرح التميمي. مؤسس الخوارج الصفرية، والصفرية نسبة إلى صفرة وجهه، وكذلك يتصف أصحابه بصفرة الوجه من طول العبادة، وكثرة الصوم. سكن دارا في الجزيرة العربية، وتقل بين الموصل، ونصيبين. دعا أصحابه إلى الخروج على الظلم، فوافق أصحابه، ووفد عليه شبيب الشيباني، وأصبح قائد جيشه. اشتبك مع أمير الجزيرة مروان بن محمد الأموي في معارك. بعث إليه الحجاج بن يوسف الحارث بن عميرة على رأس ٣٠٠٠ مقاتل، فسار إليهم في أرض الموصل وليس مع صالح إلا ٩٠ رجلا وحصلت بينهم وقعت عظيمة صبر فيها الخوارج صبورا شديداً وقتل صالح بن مسرح في هذه الواقعة وذلك في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٧٦ هـ، ثم خلفه شبيب على الخوارج فهزم الحارث بن عميرة ومن معه كان رأس الصفرية فلما دنت وفاته بالموصل سنة ٧٦ هـ أوصي الي شبيب بن يزيد وقبر صالح بالموصل لا يخرج إليه احد من الصفرية إلا حلق رأسه عنده.

(٣) ابن كثير البداية والنهاية ج ٩ ص ١١٠ المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٦٦

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٢٢١.

(٥) ابن الاثير الكامل ج ٤ ص ٣٩١ وابن قتيبة : المعارف ص ٤١٠.

(٦) ابن الاثير نفس المصدر والصفحة .



أمور الدين ويحرضهم على الخروج على السلطان الجائر فمن قوله: وما أدري ما تنتظرون وحتى متى أنتم مقيمون على الجور، وقد فشا، وهذا العدل وقد عفا ولا تزداد هذه الولاية على الناس إلا غلوا وعتوا تتباعدها عن الحق وجرأة على الرب^(١) ولما كان الخوارج يجاهدون في سبيل الله وحده^(٢) فقد لبوا نداءه فأجابوه، وجاءه كتاب من شبيب بن يزيد الشيباني يحثه على الخروج فكتب إليه أنه لم يمنعني من الخروج إلا انتظارك فأقبل إلى فانك ممن لا يستغنى عن رأيه ولا تقضى الأمور دونه، تسلم شبيب هذه الرسالة فخرج في نفر من أصحابه ولقي صالحاً بـ"دارا"^(٣)، فقال له: أخرج بنا رحمك الله، وواعدهم هلال صفر سنة (٧٦هـ) فأجابوه، واجتمعوا عنده في الميعاد^(٤).

خرج صالح بن مسرح وشبيب بن يزيد الشيباني في صغر بناحية الجزيرة، فوجّه "محمد بن مروان بن الحكم" عديّ بن عمير الكندي، فانهزم عدي فغضب محمد بن مروان على عدي لهزيمته، ودعا "خالد بن جزء السلي" فبعثه في ألف، وأعد جيشاً آخر قوامه ألف وخمسمائة، وأعطى قيادته الحارث بن جعونة العامري، وقال: أخرجنا هذه المارقة، فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه.

وكان صالح قد خرج إلى آمد^(٥) فقصده فوجّه صالح "شبيباً" إلى الحارث بن جعونة في حين توجه هو إلى خالد السلي، والتحمت الجيوش حتى المساء، وكثرت الجراح، وقتل من أصحاب صالح ثلاثون رجلاً، ومن أصحاب محمد أكثر من سبعين، وفي الليل اتفق صالح أصحابه على الخروج في ليلتهم، فقطعوا أرض الجزيرة وأرض

(١) الطبري: المصدر السابق ص ٢١٨ س

(٢) فلهوزن الخوارج والشيعه ص ٤١

(٣) دارا: بلدة بالجزيرة في لف جبل ماردين ومكانها اليوم بتركيا، فتحها عياض بن غيثم الفهري صلحا سنة

١٩هـ، البلاذري فتوح البلدان القسم الاول ص ٢٠٨.

(٤) ابن الاثير الكامل ج ٤ ص ٣٩٥ الذهبي تاريخ الاسلام ج ٣ ص ٣٩٥_٣٩٦

(٥) آمد كانت قصبة ديار بكر علي يمين دجلة وهيا في تركيا اليوم وفتحها عياض الفهري سنة ١٩هـ

البلاذري فتوح البلدان ص ٢٠٨



الموصل، وانتهوا إلى الدسكرة^(١) فلما بلغ ذلك الحجاج بن يوسف سرح إليهم ثلاثة آلاف من أهل الكوفة، فسار الحارث بن عمير حتى دنا من الدسكرة، وما بين الموصل وجوخي وصالح في تسعي رجلا، والتقى الجيشان وذلك في (١٧ جمادى الأولى سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م)^(٢). وعند ياقوت معجم البلدان "دارا" بلدة بين نصيبين وماردن في بلاد الجزيرة في شمال سوريا.

فانهزم الخوارج وقتل صالح، ودخل الباقون حصنًا بالقرب منهم، وأحاط الحارث بالحصن، وأحرق عليهم الباب حتى لا يخرجون من الحصن فصاح شبيب^(٣) في قومه بايعوا من شئتم من أصحابكم، وأخرجوا بنا إليهم فبايعوه، وألقوا باللبود فبلوها وجعلوها على جمر الباب، وأخرجوا فلم يشعر الحارث إلا وشبيب وأصحابه يحاربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم فصرع الحارث فحملة أصحابه، وانهزموا نحو المدائن^(٤).

سار شبيب في خيله نحو راذان ثم ارتحل إلى^(٥) أرض الموصل فكتب الحجاج إلى قائده سفيان بن أبي العالية للخلي، وكان قد أرسله في خيل وجيش إلى طبرستان.

(١) الدسكرة: غربي بغداد مدينة صغيرة تمتاز بالخيل والزروع الكثيرة وبخارجها حصن قوي بناه المسلمون " بن حوقل صورة الأرض ج ١ ص ٢٤٦.

(٢) ابن الأثير المصدر السابق ج ٤ ص ٣٩٥ - ٣٩٦، وينظر: خليفة بن خياط، تاريخ ج ١ ص ٢٧٢
(٣) هو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت الشيباني الخارجي خرج أول الأمر بالموصل فبعث إليه الحجاج خمسة قواد قتلهم الواحد بعد الواحد سار إلى الكوفة، وقتل الحجاج وحاصره حتى غرق في دجيل سنة (٧٧هـ) كاد شبيب أن يهزم الحجاج لولا أن تدخل عبد الملك من الشام بجيش بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبى، وفرّ شبيب ولكنه مات، قيل غرقا وهو زوج غزاة الخارجية ذكر ابن خلكان: أنها كانت أيضا شديدة البأس فتقاتل قتالا شديدا يعجز عنه الأبطال من الرجال، وكان الحجاج يخاف منها أشد خوف حتى قال فيه بعض الشعراء:

أسد علي وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صغير الصافر

هلا برزت إلى "غزاة" في الوغا * بل كان قلبك في جناحي طائر

البغدادي: الفرق بين الفرق، (٣/ ١٠٩ - ١١٠)، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي

(٤) الطبرى: الرسل والملوك ج ٦ ص ٢٢٣ وابن الأثير: الكامل ج ٤ ص ٢٧٩.

(٥) الراذان هي السواحل حول المدائن والممتدة شرقا من دجلة إلى النهروان وكان يعرف بالردان الأعلى

وقد سرد ياقوت أسماء قرى عديدة فيه. كى لسترنج الخلافة ص ٥٤.



إن صالح -صاحب طبرستان- أرجع لملاقاة شبيب فأقبل راجعًا في نحو من ألف فارس ونزل الدسكرة^(١)، واجتمع معه جيش الحارث بن عميرة الهمداني، فسار فيطلب شبيب فلحقه بخانقين^(٢). لكن شبيب ارتفع في سفح الجبل

كأنه يكره القتال فتبعه سفيان فرجع عليه شبيب، كما خرج أخوه مصاد بن يزيد^(٣) من مكمته فانهزم الناس بغير قتال، وثبت سفيان في نحو مائتي رجل، فاشتد القتال، وهرب سفيان إلى بابل مهروز^(٤)، فاستطاع شبيب أن يجمع من الخوارج معه مقدار ألف رجل، واستولى بهم على ما بين كسكر والمدائن^(٥)، فدخل المدائن، وأخذ منها الدواب وقتل من ظهر له ثم سار إلى النهروان^(٦)، فصلوا وترحموا على أصحابهم، وكأنه يريد بذلك تذكير أصحابه الذين معه بما حلّ بأهلهم حتى يزدادوا قسوة وقوة للأخذ بثأرهم.

علم الحجاج بذلك فدعا عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، وأعطاه قيادة سنة آلاف فارس، وطلب منه قائلًا: اطلب شبيبًا، واسلك في أثره أين سلك حتى تحركه فتقتله أو تنفيه^(٧)، وكتب الحجاج إليه وإلى أصحابه بتهديدهم بالقتل والتنكيل أن انهزموا^(٨).

(١) الطبري، مصدر سابق، ج ٦ ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) خانقين: مدينة خانقين أشار إليها المقدسي على أنها مدينة على حادة حلوان وذكرها ابن رسته فقال: بها واد عظيم قد بنيت عليه قنطرة عظيمة بحصن وأجر ذكرها المستوفي بأنها قد آلت إلى الخراب فلا تعدو قرية كبيرة إلا أن ناحيتها بثت وافرة الغلات. أما ياقوت فقال: بلدة من نواحي السواد في طريق همدان وأما خانقين اليوم فإنها بلدة عامرة وهي مركز قضاء خانقين، وبها سكة حديد ممتدة من بغداد وبها بصر الطريق من بغداد إلى إيران. ينظر: كي لسترنج، بلدان الخلافة في المشرق، ص ٨٧.

(٣) مصاد بن يزيد مصاد بن يزيد بن نعيم الشيباني: ثائر، من الأبطال. وهو أخو شبيب الخارجي. شهد معه أكثر حروبه، وكان ثقته في الكروب ومعوانه الأكبر على الملاحم. قتله خالد بن عتاب الرياحي على أبواب الكوفة قبيل مقتل شبيب. دار العلم للملايين - بيروت ط ١٥ (٢٠٠٢)، ج: ٧ - ص: ٢٢٧.

(٤) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٤٠٠.

(٥) البغدادي الفرق بين الفرق ص ١١١.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٤٠٠.

(٧) نفس المصدر، ج ٤/ ص ٤١٣.

(٨) ابن الأثير نفس المصدر، ج ٤ ص ٤١٤.



خرج عبدالرحمن يقتضى أثر شبيب مارا علي خانقين وجولولا، وسامرا ثم أقبل إلى البت، وهي من قُرى الموصل، فنزل شبيب راذان إلا على، وأرسل إلى عبدالرحمن يطلب منه المواعدة حتى تمضى هذه الأيام؟ وكان يعنى أيام عيد الأضحى المبارك فأجابه عبدالرحمن إلى ذلك ، فغضب الحجاج عندما علم بذلك وعزل عبدالرحمن وأعطى قيادة الجيش إلى عثمان بن فطن^(١)، فسار عثمان إلى الكوفة، وعسكرَ بها، وكان ذلك عشية الثلاثاء، يوم التروية وكان شبيب في بيعة البت لكن أهلها استعطفوه في الخروج من القرية حتى لا يؤاخذهم جيش الحجاج فخرج شبيب ونزل بجانب القرية^(٢) .

وفي اليوم التالي استقبلت جيوش الحجاج - ربح شديدة غيره شديدة أجلت اللقاء إلى اليوم التالي الخميس حيث خرج عثمان فعمل الناس وجعل على الميمنة خالد بن نهيك بن^(٣) ، وعلى الميسرة عقيل بن شداد السلولي^(٤) فناداهما عثمان وقال لهما! "اقفا مواقفكما التي كنتما بها"^(٥) ونزل هو في الرحالة وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة واحد وثمانين رجلا^(٦) ، فوقف هو في الميمنة وجعل أخاه مصادا في القلب، وجعل سويد بن سليم في الميسرة وزحف بعضهم إلى بعض^(٧) ، فحمل شبيب على ميسرة عثمان فهزمها، وقتل عقيل بن شداد مالك بن عبدالله الهمداني ودخل عسكرهم وحمل سويد على ميمنة عثمان فهزمها وقتل خالد بن نهيك^(٨) ، وتقدم، عثمان نحو القلب وكان فيه أخو شبيب مصاد بن زيد في نحو من ستين رجلا^(٩) ، فشد عليهم عثمان لكن شبيب جاب الخيل من ورائهم فما شعر عثمان ومن معه إلا والرماج في اكتافهم تكبهم

(١) البغدادي، نفس المصدر ص ١١١

(٢) الطبرى، الرسل والملوك ج ٦ ص ٢٥٢ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٤١٥ .

(٤) نفسه .

(٥) الطبرى الرسل والملوك ج ٦ ص ٢٥٣ .

(٦) ابن الأثير المصدر السابق ج ٤ ص ٤١٥ .

(٧) نفسه .

(٨) الطبرى ، المصدر السابق ج ٦ ص ٢٣٥ .

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ص ٤١٥ .



على وجوههم، فضربه مصاد ضربة بالسيف استدار لها، وقال : وكان أمر الله مفعولاً^(١).

أمر شبيب أصحابه فرفعوا السيف عن الناس، ودعاهم إلى البيعة فبايعوه، وقتل يومئذ من كندة مائة وعشرين، وقتل معظم العرفاء^(٢)، أما عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فقد نجا، وبات بدير اليعار^(٣)، وهو على ما يبدو يحمل البغض والكراهية للحجاج، ويذكر لنا ابن الأثير: أنه أثناء وجود عبدالرحمن في دير اليعاراتان فارسان فصعدا إليه فخلا أحدهما بعبدالرحمن طويلاً ثم نزلا فتبين أن ذلك الرجل كان شيبياً^(٤)، إن صحت هذه الرواية فنستنتج منها أن عبدالرحمن أصبح يتعاطف مع الخوارج إماً انتقاماً من الحجاج أو طمعاً السلطة.

بعث الحجاج إلى شبيب عبيد بن أبي المخارق المتنبي في ألف فارس فوجّه إليه عتاب بن ورقاء التميمي فقتله شبيب، وما زال كذلك حتى هزم للحجاج عشرين جيشاً^(٥) في مدة سنتين .

بعد هذه الانتصارات التي حققها شبيب على جيوش الحجاج ظل يتنقل فيما بين السواد، والجبل فظن الناس أن شيبياً قد عدل عن دخول الكوفة، وكذلك الحجاج اطمئن لذلك، فسار إلى البصرة بعد أن استخلف على الكوفة عروة بن المغيرة ابن شعبة^(٦)، لكن يبدو أن شيبياً كان قد عقد العزم على دخول الكوفة فعاد ثانية وسار نحوها وتمكن من دخول الكوفة ليلاً ووقف على باب الحجاج في القصر، فضرب بابه بالعمود وقال: اخرج إلينا يا ابن أبي دغال^(٧)، وكان مع شبيب ألف من الخوارج

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) الطبري المصدر السابق ج ٤ ص ٢٥٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل ج ٤ ص ٤١٦.

(٥) لبغدادى الفرق بين الفرق ص ١١١.

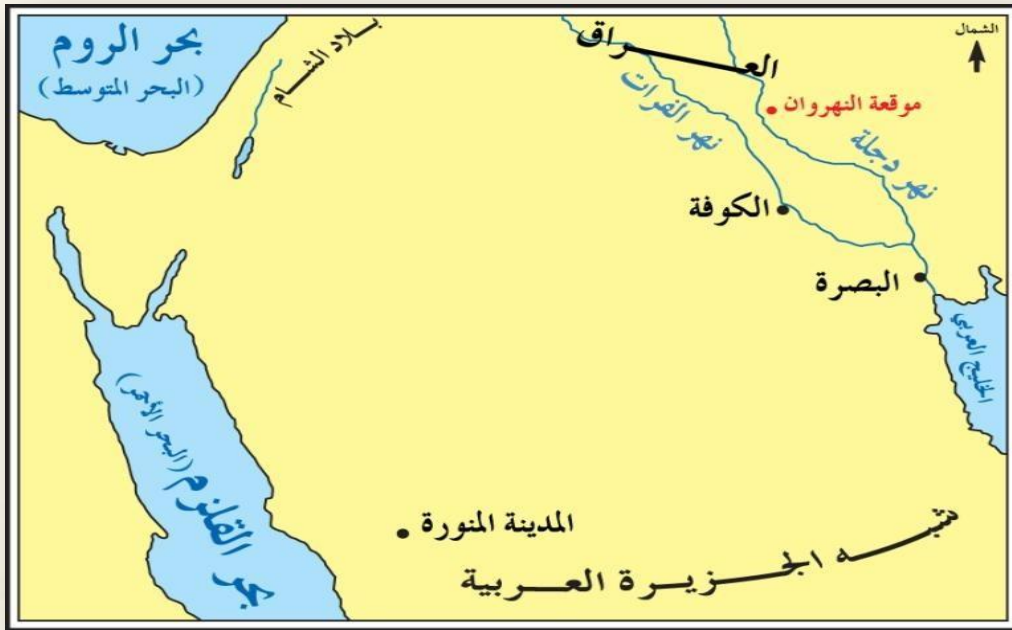
(٦) ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ٤٠٤ _ ٤٠٦.

(٧) البيهقي : تاريخ البيهقي ص ١١١ _ ١١٢، وانظر ابن الأثير المصدر السابق ج ٤ ص ٣٩٨.



ومعه أمه غزالة، وامراته جهنيزه في مائتين من نساء الخوارج^(١) (٥). وقد اعتقلن الرماح وتقلدن السيوف فدخل شبيب الجامع، وصلى بأصحابه وقرأ سورتي البقرة وآل عمران^(٢).

ويرى لنا المسعودي : أن غزالة زوجة شبيب حققت نذرها بدخول الكوفة فصلت ركعتين أطالت فيهما قراءة القرآن ، ويشهد على وفائها لنذرها قول أحدهم^(٣).



وفت الغزالة نذرها * يارب لا تغفر لها

خرج الحجاج لقتال شبيب فقاتله في سوق الكوفة^(٤) أشد قتال انهزم فيه شبيب وسار إلى الأنبار^(١) مع من بقي من أصحابه^(٢) ، وكان الحجاج قد وعد من جاء منهم

(١) البغدادي المصدر السابق ص ١١٢ ، وانظر ابن الأثير المصدر السابق ص ١١٢ .

(٢) البغدادي المصدر السابق ص ١١٢ ، واليعقوبي المصدر السابق ص ٣٧٥ .

(٣) المسعودي مروج الذهب ، ج ٣ ص ١٤٧ ، والبغدادي الفرق بين الفرق ص ٩٢ .

(٤) اليعقوبي ، التاريخ ص ٢٧٥ .



بالأمان " من أصحاب شبيب" لذلك تفرق عن شبيب كثير من أصحابه لذلك تمكن الحجاج من إعداد جيش قوامه ثلاثة آلاف لطلب شبيب، وأعطى قيادته هذه المرة إلى سفيان بن الأبرد الكلبي^(٣).



سار سفيان يقود جيش الحجاج، ونزل على شط الدجيل في حين ركب شبيب جسر الدجيل ليعبر إليه ثم واصل سيره إلى الأهواز ومن الأهواز إلى فارس، وارتفع إلى كرمان، وأقام بها ليستريح من عناء الحروب المتواصلة^(٤)، فاستراح هو وأصحابه أقفل راجعاً^(٥). ونعتقد مما لا شك فيه أنه أثناء وجود شبيب في المشرق في الأهواز وفارس وكرمان... لا بد أنه استطاع أن يستميل إليه بعض العناصر من السكان

من هذه الأقاليم أولاً لعداء هؤلاء السكان للخلافة الأموية والخلفاء وبغضهم الشديد للولادة الذين أساءوا المعاملة مع هذه العناصر، وخاصة الفارسية منها، ومن ثم

(١) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٢٧٧ وابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٤٢٧_٤٢٨، وخليفة بن الخياط تاريخ ج ٢ ص ٢٧٤.

(٢) لا شك أن من تفرق عن شبيب هم أولئك الذين انضموا إليه بعد انتصاره وكان انضمامهم إما عن خوف أو طمع

(٣) البغدادي المصدر السابق ص ١١٢، وانظر اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ٢٧٥.

(٤) الطبري المصدر السابق ج ٦ ص ٢٧٩.

(٥) اليعقوبي نفس المصدر ج ٢ ص ٢٧٥.



لعلمهم أي هؤلاء السكان المنضمون إلى شبيب لعلمهم يجدون الخير والعدالة على يده فنعتقد أنه انضم إلى جيش شبيب عدد كبير من العناصر الفارسية خاصة .

عاد شبيب والتقى مع جيوش سفیان بجسر دجيل^(١) فنزل سفیان على شط الدجيل وركب شبيب الجسر ليعبر إليه^(٢) ، فأقبل شبيب على سفیان واقتتلوا أشد قتال حتى رجع شبيب إلى المكان الذي كان فيه فتبعه سين وأصحابه وحملوا عليهم أكثر من ثلاثين حملة لكن شبيب استطاع أن يوقع بأهل الشام من الضرب والطعن سالم يروا مثله^(٣) .

أدرك سفیان عجزه عن شبيب، وأتباعه فأمر الرماة من جنده أن يرموا شبيبًا عند الماء، لكن شبيبًا حمل على الرماة، وقتل منهم أكثر من ثلاثين رجلاً^(٤) ثم عطف على سفیان ومن معه، فقاتلهم حتى اختلطت الظلام، ثم انصرف ثانية إلى الجسر سير شبيب وأصحابه على الجسر أمر سفیان أصحابه بقطع حبال الجسر فاستدار الجسر وغرق شبيب مع فرسه^(٥) فكبر سفیان وكبر أصحابه في حين بايع من بقي من أصحاب شبيب في الجانب الآخر أمه غزاله . لكن سفیان عبر إليهم مع جنده، وقتل أكثرهم وقتل غزاله أم شبيب وامراته جهيزة^(٦) ، وأسر الباقين من أتباع شبيب، أما شبيب فقد استخرجوه من الماء فشقوا جوفه ، وأخرجوا قلبه وكان صلبا كأنه صخرة وأخذوا رأسه، وأنفذوه إلى الحجاج مع الأسرى^(٧) وكان ذلك في غرة سنة (٧٨ هـ)^(٨) .

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٤ ، ص ٤٨٨، وانظر ، تاريخ ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٢) البغدادي الفرق بين الفرق ص ١١٢ .

(٣) ابن الأثير، الكامل ج ٤ ص ٤٣١ .

(٤) نفسه .

(٥) البغدادي مصدر سابق، ص ١١٢، الذهبي دول الإسلام، ج ١، ص ٥٩، واليعقوبي مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٧٥ ، وعند ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٤١٣ عبروا أمامه وتخلف في آخرهم وجاء ليعبر وهو علي حصانه وكانت بين يديه فرس أنثى فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الحجر تحته ونزل حافر غرسه فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء فلما سقط قال: ليقضى الله أمرا كان مفعولا، وانغمس في الماء وغرق. ويشترك مع ابن الأثير في هذه الرواية، الطبري ج ٦ ص ٢٨٠ .

(٦) اليعقوبي التاريخ ج ٢ ص ٢٧٥ .

(٧) البغدادي الفرق بين الفرق، ص ١١٢-١١٣ .

(٨) خليفة بن الخياط تاريخ ج ١ ص ٢٧٤ .



كانت انتصارات شبيب العديدة هذه وعجز جيوش الحجاج عن إيقافه تثير العجب فكيف يستطيع شبيب تحقيق كل هذه الانتصارات الباهرة رغم قلة عدد جنده، وقد يخفى هذا العجب، ويبقى الإعجاب إذا ما أضفنا إلى شجاعته^(١) وجرأته، لكننا في الحقيقة نرى أن هناك مبالغة في التقليل عن عدد جند شبيب ولعل ذلك يعود إلى أن كتاب التاريخ العباسي لهم موقف من الحجاج وخلفاء الأمويين كما نرى أن هناك أمورًا لا بد أن يكون لها الدور الكبير في انتصارات شبيب منها:

أولاً: إن أهل الكوفة مركز القتال لم يكونوا مخلصين في قتالهم، يفرون عند أول لقاء يرون فيه الضرب والفتك من الخوارج.

ثانيًا: إن أهل الكوفة أدركوا أن هذه الحروب ليست فيها المكاسب المادية المشجعة على الاستمرار في القتال.

ثالثًا: إنهم أي أهل الكوفة لم يكونوا راغبين في معاونة الحجاج لتثبيت سلطانه وسلطان الأمويين؟

وليس معنى هذه الانتصارات التي حققها الحجاج أنه قد استطاع استئصال الخوارج والقضاء عليهم تمامًا، فبالرغم من هذه الانتصارات نرى أن الخوارج الأباضية في العراق وحول العراق بدأوا يعملون لإيجاد معاقل لهم، فانتقلت جموعهم إلى جنوب البصرة، وانضم إليهم بنو عبد القيس سكان هذه المناطق بل وساهموا مساهمة فعالة معهم في حركاتهم ضد الحجاج وجيوشه وكان لانضمام عبدالقيس هذا مع الخوارج له الأثر الكبير في إرهاب الحجاج مما حمله على أخذ جماعة من زعمائهم خيك وعاقبهم بشدة إما يقطع أعضائهم أو سجنهم^(٢).

في سنة (٥٧٨هـ / ٦٩٧م) ثار بالبحرين على الحجاج بنو محارب بن عمرو بن وديعة بن عبدالقيس، وقد طلب محمد بن صعصعة الكلابي والي البحرين من قبل الحجاج



(١) الذهبي دول الإسلام ج ١ ص ٥٥.
(٢) اللادري أنساب الأشراف ج ٦ ص ٤٢.

طلب المساعدة من الحجاج حيث كانت قواته من مقاتلي البصرة والكوفة مشغولة في محاربة الأزارقة تحت قيادة المهلب بن أبي صفرة فأمدّه الحجاج بإبراهيم بن عربي والي اليمامة لمحاربة الخوارج فتقدم إبراهيم وهزم الثوار ورجع إلى اليمامة^(١) ويعتقد ماجد أن أغلبية الخوارج كانوا من بدو تميم باليمامة^(٢).



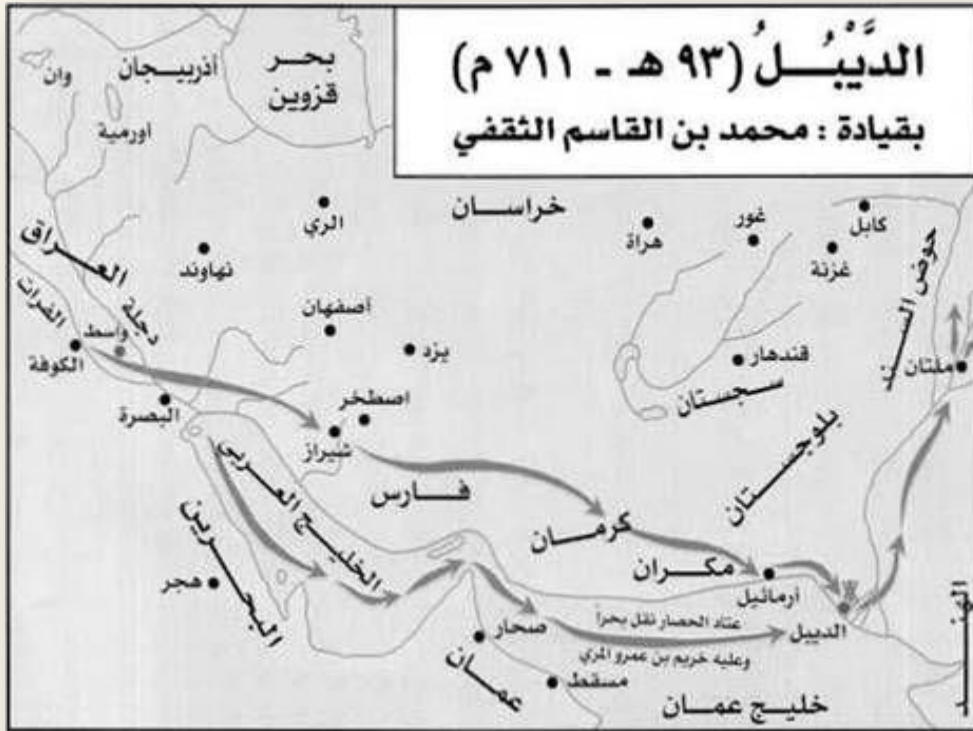
كانت بداية هذه الثورة عندما أرسل الحجاج عبيد الله بن أبي بكره على رأس جيش كبير لمحاربة الترك، وملكهم رتبيل ملك سجستان معقل الخوارج، وذلك في سنة (٧٩هـ / ٦٩٨م)، وتمكن عبيدالله من التوغل داخل سجستان في أول أمره ثم لما سار في توغله هذا بعيدا أطبق عليه جندر تبيل وقبضوا عليه وقتل كثيرًا من جيشه فلم ينج إلا القليل^(٣).

(١) نفسه ، واليمامة من أقاليم نجد، وياقوت معجم البلدان .

(٢) ماجد التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ١٣٥ .

(٣) الطبرى الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٢٤ .





ولما جاءت الأخبار إلى عبد الملك بن مروان بهذه النكبة، تأثرت نفسه كثيراً وكذلك الحال في نفس الحجاج الذي صمم على الانتقام من رتبيل فجهز جيشاً عظيماً عدده أربعون ألفاً، عشرون ألفاً من فرسان الكوفة وعشرون من أهل البصرة واختار أهل الغنى والشجاعة وأنجدهم بالخيل الرائعة والسلاح الكامل^(١) وقد أطلق على هذا الجيش جيش الطواويس^(٢) وأعطى قيادته لعمر بن عطاء^(٣) ثم استدعى عبدالرحمن

(١) ابن الأثير الكامل، ج ٤ ص ٤٥٤.

(٢) المسعودي التنبيه والإشراف ص ٢٧١، وابن الأثير، الكامل ج ٤ ص ٤٥٦

(٣) الخولي، سجستان بين العرب والفرس ص ٦٨، ويذكر لنا الطبري بأنه عطار بن عمر التميمي

الرسول والملوك ج ٦ ص ٣٢٨.



الأشعث، وولاه سجستان وقيادة هذا الجيش^(١) (الذي أنفق عليه ألفي ألف. وصل عبدالرحمن إلى سجستان عام (٨٠ هـ / ٦٩٩ م)^(٢) ووجد الخوارج فيها قد استوطنواها، بل وكثروا فيها بزعامة همام بن عدي السدوسي^(٣) فقاتلهم عبدالرحمن وانتصر عليهم وبعث برؤوسهم إلى الحجاج^(٤)، فدخل سجستان وقرأها شيئاً فشيئاً، وبعث عماله عليها، فأمر على بست عياض ابن هميان البكري وعلى زرنج عبدالله ابن عامر التميمي^(٥).

لكن إصرار الخوارج في سجستان وفي المشرق الإسلامي على البقاء كان هو شأنهم فبالرغم من هزيمتهم هذه فإنهم عادوا وظهروا ثانية أكثر عدداً وأقوى مما أذى بعبدالرحمن إلى أن يبعث إلى المهلب يستنجد به قائلاً: " أرسل برجل محنك على رأس جيش حتى لا يضعف أمري هنا فقد كثر الخوارج واشتدوا"^(٦)

من خلال هذه الرسالة يتضح لنا أن الخوارج يمثلون قوة كبيرة في سجستان والمشرق ولا بد لهم من التعامل مع عبدالرحمن بن الأشعث سواء كان هذا التعامل بالجفاء، أو بالتقارب، وهذا ما سنراه بعد قليل .

وصل رسول عبدالرحمن بن الأشعث إلى المهلب فبعث المهلب وكيعاً بن وائل^(٧) وعندما سمع أعيان سجستان بدخول عبدالرحمن لها اجتمعوا برياسة عبدالله بن عامر المجاشعي وهو من كبار أعيان سجستان حيث كان أبوه قائداً لسجستان وكان هذا يحسن إلى الناس وله^(٨) الأثر الطيب في نفوسهم، وأن أهل سجستان كلهم شيعة

(١) الطبري ، الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٢٨ ، واليعقوبي ، تاريخ ج ٢ ص ٢٧٧ ، والمسعودي ، في مروج الذهب ، ج ٣ ص ١٣٨ ، يقول: استعمل الحجاج عبدالرحمن بن محمد الأشعث على سجستان وبست الرخج.

(٢) الطبري ، نفس الكتاب ج ٦ ص ٣٢٨ ، وفي المسعودي التنبيه والإشراف ص ٢٧١ فيقول سنة ٨١ هـ.

(٣) ويذكره الطبري بهميان بن عدي السدوسي الذي كان الحجاج قد وجهه الى سجستان، ثم انقلب عليه وانضم الى الخوارج ، ج ٦ ص ٣٢٩.

(٤) الخوالي ، سجستان بين العرب والفرس ص ٦١.

(٥) الطبري ، نفس الكتاب ، ج ٦ ص ٣٣٦ .

(٦) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٤٥٤ .

(٧) الخولي ، وسجستان بين العرب والفرس.

(٨) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٤٥٤ .



له وكان عبدالرحمن بن الأشعث على ما يبدو يعلم ذلك عن عبدالله بن عامر. فلما أقبل عليه عبدالله أحسنَ عبدالرحمن وفادته، وأكرم إقامته بل وكان كلما هم يعمل استشاره فيه حتى اتخذه مستشاراً له^(١).

أما رتبيل لما علم بتقدم الجيوش كتب إلى عبدالرحمن بن محمد يعتذر إليه مما أصاب المسلمين مع عبيد الله بن أبي بكره ويخبره أنه كان كارهاً لذلك كما سأله الصلح.. وعرض عليه أن يقبلَ الخراج^(٢) لكن عبدالرحمن بن الأشعث أصم أذنيه عن سماع رابيل الذي كان يخشى على نفسه من جيش عبدالرحمن (الطواويس) لوقف الحرب والدخول في صلح والاعتذار، بل سار يتقدم في بلاد التراب، فكما احتل بلدنا وضع العمال ووصله بالبريد وكان عبدالرحمن يرى التريث، أن كان يقول لأصحابه: نكتفى بما أصبناه هذا العام حتى نجيبها، ونعرفها، ويجرؤ المسلمون على طرقها

ثم نتعاطي في العام المقبل ما وراءها، ثم لم نزل نتبعهم في كل عام طائفة من أرضهم^(٣). لم يكن هذا التريث من عبدالرحمن عبثاً بل كان كما نعتقد نابغاً من حكمة وحنكة سياسية فهو رأس هذا الجيش الكبير وعليه رجال من العلماء والقراء أمثال سعيد بن جبير وعبدالرحمن بن أبي ليلى وعامر الشعبي وأن عبدالرحمن دخل سجستان فحارب من حارب من الخوارج وصالح الباقي لما علموا بأنه ينوي التخلص من الحجاج وعبدالملك،

(١) نفسه وانظر الخولي : نفس المرجع والصفحة.

(٢) الطبرى الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٢٨.

(٣) الطبرى الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٢٩.





كما أن أهل سجستان أعانوه، ودخلوا معه بعد أن اتخذ من كبيرهم عبدالله بن عامر ابن كريز مستشارا له فكيف بعد كل هذا يوقف الحرب مع رتبيل^(١) الذي هو أصلا بعث لاستئصاله

الجواب هنا . أنه لا بد أن عبدالرحمن أراد أن يبدأ بالحجاج أولاً، فكان الهدف من الموادعة والتريث استمالة الخوارج خاصة من أهل سجستان الثائرون على الوضع ومن أهل المشرق الذين ينتظرون الثورة على الدولة فأراد عبدالرحمن من هؤلاء أن يكونوا عوناً له^(٢) في زحفه على البصرة حيث كان قد عقد العزم على ذلك من قبل .

لما وصل كتاب عبدالرحمن إلى الحجاج يخبره فيه بما فتح الله عليه من بلاده الأعداء، وبما صنع الله للمسلمين، وبهذا الرأي الذي رآه لهم ... سخط الحجاج على الطريقة التي اتبعها ابن الأشعث، وكان يرغب في أن يسرع ابن الأشعث؛ لينتقم من رتبيل لما ألحقه بالمسلمين، فكتب إليه يأمره بالمضي في التوغل في أرض رتبيل وهدم

(١) اليعقوبي التاريخ ج ٢ ص ٢٧٨ .
(٢) الطبري : المصدر السابق ص ٣٣٥ .



الحصون وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم^(١) ثم أعاد الكتابة الى عبدالرحمن يهدده فيه ويتوعده ويطلب منه غزو السند والهند وتسليم عبدالله بن عامر إليه، وإلا سوف يخلعه، ويولي أخاه إسحاق بن محمد^(٢)

فكتب عبدالرحمن إلى الحجاج قائلاً: " أني سأغزوا الهند والسند ولكن لن أأخذ باطلا، ولن أريق دما بغير حق، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والسلام"^(٣)



مما لاشك فيه أن يكون لهذا الكتاب من عبدالرحمن والموجه إلى الحجاج أكبر الأثر في نفوس الخوارج هنا في المشرق حيث يتفق أولاً مع مبادئهم العادلة في عدم أخذ الباطل وإراقة الدماء بغير حق، ومن ثم يشفي غليلهم في الأخذ بالثأر من الحجاج^(٤) ودولته، فلا بد أن ينضم الخوارج بل وبأعداد كبيرة الى صفوف المعارضة الجديدة التي يقودها عبدالرحمن بن الأشعث .

أعاد الحجاج الكتابة إلى عبدالرحمن يوبخه ويأمره بالمضي لما أمره، ويهدده ويتوعده، ثم نهض عبدالرحمن إلى كابل حيث كان من المفروض أن يحارب أهل كابل،

(١) نفس المصدر ص ٣٣٥ .

(٢) اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ٢٢٧ ، وفهوزن تاريخ الدولة العربية ص ٢٢٥ .

(٣) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٣٥ .

(٤) الطبري ، نفسه .



ويهدم حصونهم، ويقتل مقاتليهم، ويسبي ذراريهم كما طلب منه الحجاج لكنه صالح رتبيل كابل، وأحسن إلى أهل سجستان، وبست فدانت له هذه النواحي كابل والهند والسند وجميع مواطنها^(١).

لقد وجد ابن الأشتع الفرصة سامحة له لإظهار الخلاف على الحجاج مستغلا كراهية العراقيين فجمع الناس، وأخذ الكتاب بيده، فحمد الله وأثنى عليه، وقال لهم: "لو ما جاء في الكتاب حتى قال: إنما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتم، وآتي إذا آتيتم فثار الناس جميعاً"^(٢) وقالوا: لا بل نأبى على عدو الله لا نسمع، ولا نطيع للحجاج، وتكلم أبو طفيل عامر من وائلة الكناني^(٣)، وله صحبة فقال: اخلعوا عدو الله الحجاج، وبايعوا الأمير عبدالرحمن^(٤) فتنادى الناس من كل جانب فعلنا ولم يذكروا عبدالملك، وفي رواية ابن قتيبة "قال: لأصحابه ما ترون؟ فقالوا: نحن معك فاخلع عدو الله، وعدو رسوله فإن خلع من أفضل أعمال البر"^(٥).



(١) الخولي، سجستان بين العرب والفرس ص ٦١_٦٢.

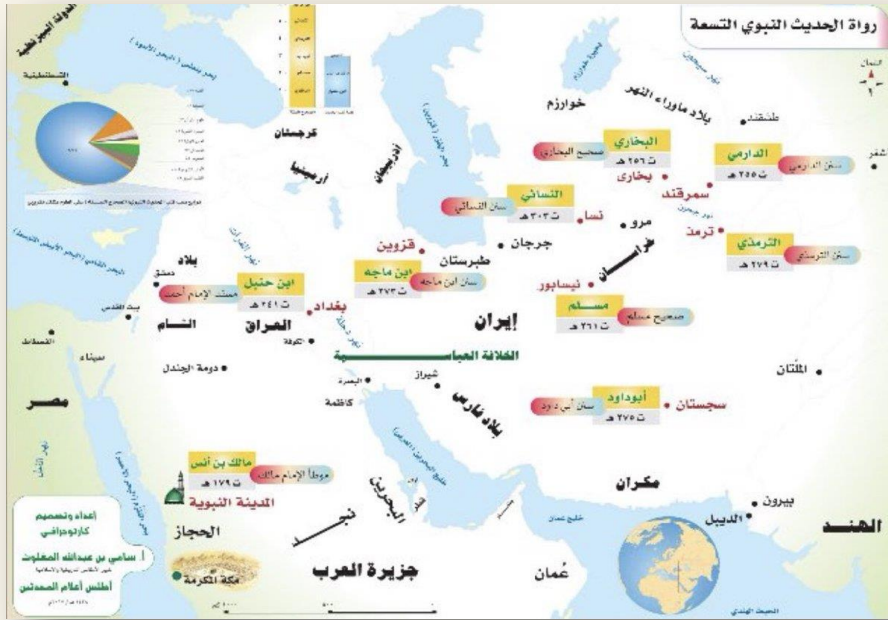
(٢) الطبري، نفس الكتاب.

(٣) نفسه

(٤) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٤٦٢، اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ٢٧٧.

(٥) ابن قتيبة الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٢٦.





وهكذا أعلن عبدالرحمن ثورته على الحجاج علانية وأكد ذلك المعنى في رسالته إلى المهلب بن أبي صفرة والي خراسان عندما قال : "وأنت ترى وتسمع عن سوء تصرفاته واعتقاده السيئ، وتلك الأشياء التي ابتدئها في الإسلام^(١)، ولما استقر عبدالرحمن بسجستان خلع الحجاج وخرج وبايعه خلق عظيم^(٢)."

كان للفقهاء الذين كانوا مع الجيش، أمثال سعيد بن جبير وعبدالرحمن بن أبي ليلى، وعامر، وحسن البصري، وعامر بن شراحيل الشعبي، وإبراهيم النخعي، ويذكر تاريخ سجستان: أن منهم يزيد بن طلحة بن عبدالله الطلحات، ونصر بن أنس بن مالك وعبدالله بن فضاله الزهراني^(٣) أثر كبير في مبايعة عبدالرحمن بن الأشعث كما كان للشاعر همدان أثره هو الآخر، ولما تمت البيعة لعبد الرحمن صالح رتبيل على أن ظهر

(١) الخولي : سجستان بين العرب والفرس ص ٦٢.

(٢) الذهبي، دول الإسلام ج ١ ص ٥٧.

(٣) مجهول، تاريخ سستان ص ١٧٤-١٧٥، والطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٥٠، واليعقوبي، تاريخ

ص ٢٧٨-٢٧٩.



فلا خراج عليه أبدا ما بقي، وإن هزم وأراده ألجأه عنده فوافق رتبيل على تلك الشروط وأمن عبدالرحمن من ناحيته ثم اتجه ابن الأشعث سنة (٨٢ هـ / ٧٠١ م) نحو العراق منتصراً على كل قوة أرسلها الحجاج يدفع جيشه الحماس والشوق إلى الوطن، ولقاء عدو الله الحجاج فإنهم كما يقول فلهوزن لم يكن ابن الأشعث بحاجة إلى أن يسوق الأمور بل كان هو مساقاً إليها بالرغم عنه حتى لو أراد لما استطاع أن يقضى على الحماسة التي لقيها فيهم مثل السيل المنحدر من أعلى ليس شيء يردده" (١).

كان لانتصارات ابن الأشعث وحماس الناس إليه وتأيدهم له ثم تقدمه السريع نحو العراق أن داخله الغرور فأعلن خلع عبدالملك بن مروان؛ لأن الحجاج في نظره ليس شيئاً، إنما هو يريد عبدالملك نفسه (٢) لأنه يريد الخلافة وحدد بيعة الناس له وكانت بيعته: "تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه وخلق أئمة الضلالة، وجهاد المحليين فإذا قالوا نعم بايع (٣) ذلك بإصطخر بفارس، وسمى نفسه ناصر المؤمنين. فلما بلغ الحجاج خلعه زعر ذعراً شديداً وكتب إلى عبدالملك يعلمه خبر عبدالرحمن والعراقيين واتفقهم على خلعه، ويلج في طلب الجند، ولم يكن عبد الملك أقل ذعراً من واليه الحجاج وهو الذي لم تدعره حوادث الماضي الجسم، واهتم للأمر اهتماماً كبيراً في إرسال الجنود إلى الحجاج .

كان عبدالرحمن يسير نحو العراق وأقبل حتى صار إلى قرب الأهواز فخرج إليه الحجاج في جيش حتى صار إلى الأهواز والتقى بعبدالرحمن فقاتله قتالاً شديداً، فهزمه (٤) ، ورجع الحجاج إلى البصرة، ولحقه ابن الأشعث فقاتله بالبصرة (٥) فانهزم ابن الأشعث وعاد إلى الكوفة ، فلحقه الحجاج بالكوفة (٦) قال الحجاج: العجب العجب ،

(١) فلهوزن الدولة العربية سقوطها ص ١٩١ .

(٢) الطبرى الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٣٨ .

(٣) المسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٢٧٢ .

(٤) الطبرى نفس المصدر ج ٦ ص ٣٤١ .

(٥) البيهقي ، تاريخ ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٦) الطبرى ، مصدر سابق، ج ٦ ص ٣٤٣ .



وما هو أعجب من العير الأبتى، أنى وجهته ومن معه من المنافقين فانطلقوا نحو العدو، ثم أقبلوا على راياتهم لقتال أهل الإسلام^(١)

نزل الحجاج قريبا من عبدالرحمن بن الأشعث واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة على ابن الأشعث فاخرجوا جند الشام من الكوفة ولم يبق من أهل الكوفة من وجوههم وقرائهم إلا من خرج مع عبدالرحمن لثقل وطأة الحجاج عليهم^(٢) كما اشتركت النساء مع الرجال في هذه الثورة^(٣) فكان التفاف الناس حول ابن الأشعث عظيما وأصبح جيش الشام كالمحصور في قلعة من المون، والزاد وخرج العراق من يد الحجاج بينما كان جيش ابن الأشعث في وفرة من الموءن تاتيه من اطراف العراق كما انضمت الى عبدالرحمن البعوث الكوفية التي جاءت من خراسان والشرق عظم امر ذلك على عبدالملك فارسل ابنه عبدالله وأخاه محمد الى أهل العراق يحملون شروطا لايقاف القتال منها نزع الحجاج وتولية محمد بن مروان امر العراق وان تجرى عليهم اعطائهم كما تجرى على أهل الشام وان ينزل ابن الأشعث اي بلد شاء ويكون عليها اميرا ما دام حيا فانهم ان قبلوا بذلك عزل عنهم الحجاج وكان محمد بن مروان اميرا للعراق^(٤) وان ابوا أن يقبلوا فالحجاج امير جماعة أهل الشام^(٥).

استاء الحجاج من هذا العرض وود أن لا يقبل به أهل العراق وأرسل إلى عبدالملك يرجوه أن يعدل عن هذه المفاوضات والمساومة حتى لا يقع فيما وقع فيه الخليفة عثمان بن عفان، حينما طلب أهل الكوفة نزع سعيد بن العاص فلما وافق على نزعه تجروا عليه وقتلوه، ومن المحتمل أن يعودوا في هذه المرة إلى ما فعلوه في المرة السابقة^(٦).

(١) ابن تيمية، الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٣١ .

(٢) الأصفهاني، الأغاني ج ٦ ص ٣٤٥ .

(٣) الطبرى الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٤٤، ٣٧٣ .

(٤) الطبرى نفس المصدر ج ٦ ص ٣٤٧ .

(٥) فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص ٢٢٩ .

(٦) الطبرى مصدر سابق، ص ٣٤٨ .



لكن عبد الملك بن مروان رفض رأي الحجاج وعرض هذه الشروط على أهل العراق فقام عبدالرحمن بن الأشعث خطيبا طالبا قبول هذه التي تجعله أميرا مدى الحياة ولكن العراقيين رفضوا طلب عبدالرحمن وحددوا خلع عبد الملك، وقالوا لعبد الرحمن إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في حالة من الذل والضنك والمجاعة والقلّة والذل، ونحن ذوو العدد الكثير والسعر الرفيع والمادة القريبة لا والله لا نقبل^(١).

علم الحجاج برفض أهل العراق لهذه الشروط فسّر سرورًا عظيمًا، وجدد أهل العراق بيعتهم لعبد الرحمن وكانوا في هذه المرة أكثر حماسا، وإجماعا وانبرى الفقهاء يحرضون أهل العراق على القتال للتخلص من الظلم فكان عبدالرحمن بن أبي ليلى يقول: قاتلوا هؤلاء المحليين والمحدثين والمبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه" وقال: أبو البختري: أيها الناس قاتلوهم وديناكم فوالله لئن ظهروا ليفسدن عليكم دينكم وليغلبن على دينكم"^(٢).



معركة دير الجماجم 83 هـ

أما الحجاج فقد جاء من البصرة إلى ابن الأشعث ونزل قريبا منه فخرج ابن الأشعث لما علم بقدوم الحجاج، إلى دير الجماجم ونزل فيه^(٣) وجعلت خيلهما تروح

(١) الطبرى الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٤٩ ، وفلهوزن تاريخ الدولة العربية ص ٢٣٠ .

(٢) الطبرى المصدر السابق ج ٦ ص ٣٥٧ .

(٣) الأدهبي دول الإسلام ج ١ ص ٥٨ ، وابن اعثم ، ختوم ج ٢ ص ٣٤٧ ، وفلهوزن نفس المصدر ص ٢٤٣ .



وتعدوا للقتال وأهل الكوفة يستعلون على خيل الحجاج وهمزومهم في كل يوم فاشتد على الحجاج ما رأى من ذلك فكتب إلى عبد الملك يقول: "ياغوثة، ثم ياغوثة، فلما قرأ عبد الملك الكتاب رد عليه "أما بعد: فيا لبيك ثم يا لبيك ثم يا لبيك، ثم وجه بجيش بعد جيش، وكانت وقائعهم كثيرة، وشديدة وأخرها وقعة مسكن هزمه فيها. الحجاج سنة (٨٣ هـ / ٧٠٢ م)^(١) لكن يذكر لنا فلهوزن أنها في جمادى الآخر سنة (٨٢ هـ / آخر يولية سنة ٧٠١ م)^(٢) ومضى عبدالرحمن منهزما حتى صار إلى سجستان، فأتى مدينة زرنج فمنعه عبدالله بن عامر عامله دخلوها، فضى إلى بست وعليها عياض بن عمرو^(٣) فأدخله المدينة ودبر أن يقدره ويتقرب به إلى الحجاج .



انتظر عياض حتى غفل أصحاب عبدالرحمن وتفرقوا عنه، فوثب عليه فوثقه وأراد أن يأمن به عند الحجاج^(٤) ولما علم رتبيل بمقدم عبدالرحمن جاء حتى أحاط

(١) البيهقي تاريخ ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) فلهوزن نفس المرجع ص ٢٣٠ .

(٣) وذكره لنا: ابن الأثير: الطبري على أنه عياض بن حمان بن هشام الدوسي الشيباني. ينظر: ابن الأثير: الكامل

ج ٤ ص ٤٨٥، والطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(٤) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٤٨٥ .



ببست ثم نزل وبعث إلى عياض يقول: والله لئن أذيته بما يقذي عينه أو ضررته ببيعض الضرر أو أخذت منه ولو حبلاً من شعر لا أبرح حتى استنزلك وأقتلك وجميع من معك وأسبي ذراريكم، وأغنم أموالكم فاستأمنه عياض، وأطلق عبدالرحمن، وأراد عبدالرحمن قتل عياض لكن منعه رتبيل عن القتل وسمح له بالضرب والتعزير^(١) ثم سار مع رتبيل حتى دخل بلاده فأنزله رتبيل وأكرمه وعظّمه، أما بقية أصحاب عبدالرحمن بن الأشعث فقد بقيت في هرات وعليهم عبدالرحمن بن العباس الهاشمي^(٢) الذي كان من أعوان عبدالرحمن بن الأشعث، كما كان كثير من المنهزمين من أصحاب ابن الأشعث من الرؤوس والقاده الذين لم يقبلوا أمان الحجاج وقد تبعوا عبدالرحمن فبلغوا معه في سجستان نحو ستين ألفاً^(٣).

وفي رواية الطبري: فقد ذكر أن معه من قبل كثير دون تحديد للعدد^(٤) ونزلوا على زريج وحاصروها وكتبوا إلى عبدالرحمن بن الأشعث يستقدمونه وأخبروه أنهم في اتجاه خراسان لحماية أهلهم وعشائهم هناك، فأتاهم عبدالرحمن لكنه سرعان ما نهاهم عن قصدهم مخافة أن يسطو عليهم يزيد بن المهلب، وأن يجتمع عليهم أهل خراسان، فأبوا وقالوا: بل يكثرها تابعينا، فسار معهم إلى هرات ثم إلى خراسان، فأمره ابن المهلب بالرحيل من البلاد، فقال: عبدالرحمن إنما نزلنا لنستريح ونرتحل^(٥).

لكنه سار في الجباية فسار إليه ابن المهلب، والتقوا فافترق أصحاب عبدالرحمن عنه، وصبرت معه طائفة قليلة، ثم انهزموا، وأمر يزيد ابن المهلب أصحابه بالكف عنهم وغنم ما في عسكرهم، وأسر جماعة منهم ولحق عبدالرحمن بهرات، وانصرف

(١) نفسه، والطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٦٩.

(٢) اليعقوبي، تاريخ ج ٢ ص ٢٧٩، والمسعودي، التنبيه والإشراف ص ٢٧٢.

(٣) ابن الأثير نفس الكتاب والصفحة

(٤) الرسل والملوك ج ٦ ص ٤٨٦.

(٥) نفس المصدر السابق، وفي رواية الطبري، ثم نشخص إن شاء الله ص ٣٧١.



عنه المهلب إلى مرو، وبعث بالأسرى إلى الحجاج ووفدوا عليه بمكان واسط قبل بنائها (١)، فقتل كثيرا من زعمائهم (٢).

لقد ظل القتال بين الحجاج وعبدالرحمن بن الأشعث إحدى وثمانون مرة هزم الحجاج في ثمانين منها وفي الأخيرة هزمه الحجاج (٣)

بعد أن تمكن عبد الرحمن من بسط نفوذه على سجستان وكرمان وفارس والبصرة (٤).



انصرف ابن الأشعث بعد هزيمته الأخيرة هذه إلى هرات واتجه إلى صاحب سجستان يطلب الأمن والأمان ، والحجاج يتابع الكتب والرسل إلى رتبيل ، حتى أرسل إليه عمارة بن تميم القيسي برسالة فيها من التهديد والوعيد ما فيها أن رفض تسليم عبدالرحمن واتباعه وفيها يرغبه إن فعل ذلك في مال جزيل ورفع الإتاوة عنه (٥).

(١) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٨٨-٤٩٣ ، وانظر مناظرة الحجاج مع الاسرى في هذه الصفحات.
 (٢) خليفة بن خياط ، تاريخ ج ١ ص ٢٨٦-٢٨٧ ذكر أسماء هؤلاء القراء الخوارج الذين خرجوا مع ابن الأشعث كما هلك مع ابن الأشعث: الفقيه عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي من كبار علماء وقته وقد ولي القضاء الذهبي دول الإسلام، ج ١، ص ٥٩.
 (٣) المسعودي التنبيه والأشراف ص ٢٧٢.
 (٤) ابن الأثير ، نفس الكتاب ج ٤ ص ٤٦٦.
 (٥) المسعودي نفس الكتاب ص ٢٧٣ ، واليعقوبي ، تاريخ ج ٢ ص ٢٧٩.



فلم يزل الحجاج يهرب رتبيل مرة ويرغبه مرة أخرى ، حتى أجابه إلى اخذ ابن الأشعث ، وقيده وجماعة معه وأخاه^(١) وحملهم معه إلى الحجاج، فلما صاروا بالرخج رمى ابن الأشعث بنفسه من على سطح القصر، وكان معه في الطرف الآخر من السلسلة التي قيد بها رجل يقال له عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي من كبار علماء وقته وقد ولى القضاء^(٢) (٢) فماتا جميعاً^(٣).

وأخذت رأسه وسير بها إلى الحجاج وذلك سنة (٨٤ هـ / ٧٠٣ م)^(٤) وفي رواية الطبري^(٥) فأتى به وبالأسرى وضربت أعناقهم، وأرسل برأس ابن الأشعث وبرؤوس أهله وبأمراته إلى الحجاج سنة (٨٥ هـ / ٧٠٤ م)، فقال ذلك بعض الشعراء:

هيات موضع جثة من رأسها رأس بمصر وجثة بالرخج.

وكان الحجاج قد أرسل بالرأس إلى عبد الملك وأرسله عبد الملك إلى عبدالعزيز وهو بمصر^(٦) وهكذا انتهت حياة عبدالرحمن بن الأشعث ، وانتهت ثورته التي أزعجت عبد الملك . والحجاج وأرهقت أهل العراق والكوفة ويبقى لنا أن نسأل لماذا فشلت هذه الثورة؟

نستنتج من سرد الأحداث التي مرت بنا خلال حديثنا عن هذه الثورة أن أسباب الفشل نستطيع أن نلخصها في الآتي:

أولاً : إن حماس أهل العراق لم يكن مستمرا، بل كان يزداد مرة وينطفئ مرة أخرى، وتتفق مع فلهوزن حينما قال: "إن حماسهم يعوزه ميزة الاستمرار التي كان يتسم بها نظام خصومهم^(٧) فإنهم ما كادوا يصلون إلى وطنهم.

(١) البعقوبي ، تاريخ ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٢) الذهبي دول الاسلام ، ج ١ ص ٥٩ .

(٣) نفسه .

(٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ص ٢٧٣ .

(٥) الرسل والملوك ج ٦ ص ٧٩١ .

(٦) نفسه .

(٧) فلهوزن ، الدولة العربية وسقوطها ص ١٩٤ .



ويشمون أولادهم حتى خفت عندهم حدة حماسهم التي كانت تسيطر عليهم فهم كما صورهم المهلب بن أبي صفرة حينما بعث إلى الحجاج ينصحه بان يترث في قتال العراقيين فكتب إليه قائلاً: " إن لأهل العراق شرة في أول مخرجهم وصبابه إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا إلى أهلهم، ويشموا أولادهم ثم واقفهم عندها فإن الله ناصرك عليهم إن شاء الله^(١) .

ثانيًا: قلة الثقة؛ إن قلة الثقة في نفوس العراقيين لما لحقهم من الهزائم العديدة أمام أهل الشام قبل ذلك ، والثقة الراسخة في نفوس أهل الشام في إمكانهم القضاء على كل ثورة عراقية .

ثالثًا: وإن القضاء والقدر لعب في النهاية التي انتهت إليها تلك الثورة " فقد قال عبدالرحمن بن الأشعث يصف نفسه بعد أن اتهم بالجبن "والله ما جبنت، والله لقد دلفت الرجال بالرجال ولفقت الخيل بالخيل، ولقد قاتلت فارسًا وقاتلت راجلا وما انهزمت ولا تركت الفرصة للقوم في موطن حتى لا أجد مقاتلا ولا أرى معى مقاتلا ولكن زاولت ملكا مؤجلا" .

رابعًا: لم تكن أهداف عبدالرحمن من خلال ثورته هي نصرة العراقيين وإنما كان هدفه الوصول إلى السلطة ويتضح لنا ذلك جليا، حينما وافق على عرض عبدالملك له بإقاف القتال مقابل خلع الحجاج ويكون عبدالرحمن أميرا مدى الحياة على أي بلد شاء، فنجد عبدالرحمن يوافق على ذلك في حين رفض ذلك العراقيون .

أما نتائج هذه الثورة فهي الآتي :

أولًا: غدى جيش الطواويس جموع الخوارج في المشرق بعلماء وقرءاء وفقهاء^(٢) ممن كان مع هذا الجيش فانضموا إلى الخوارج وأصبحوا دعاة فكر وعلماء مبدأ أعانوا

(١) (١) الطبري الرسل والملوك ج٦ ص ٣٣٩ ، وابن الخياط تاريخ ، ج١ ص ١٨٦ _ ٢٨٧

(٢) (٢) وهم : سليم بن بسار المزني مولي ابي بكر ويقال مولي عثمان بن عفان، عقبة بن عبد الغفار العوزي قتل في المعركة، وعقبة بن وساج البرساني قتل في المعركة، وعبد الله بن غالب الجهضي قتل في المعركة ، النضر بن انس بن مالك وأبو الجوزاء، قتل في المعركة عمران بن عصام الضبيعي قتل صبيرا. و مالك بن



الخوارج في المشرق على استقطاب أعداد كبيرة ممن كانوا مضطهدين كالموالي وغيرهم^(١) إلى صفوفهم فعاد الخوارج إلى المشرق في هذه المرة وهم أكثر عدداً وعتاداً وعدداً من ذي قبل ومالت حركتهم إلى أن تصبح قوة سياسية أكثر منها دينية .

ثانياً: كلف تجهيز جيش الطواويس الدولة الأموية الكثير^(٢) فكان له مردود سيء في أرزاق الأهالي وخاصة في العراق مما كان له الأثر في تأييد الثورة والخروج عن الأمويين .

ثالثاً: انشغال الجيوش الأموية بالثورة هذه أتاح الفرصة للخوارج في المناطق الأخرى كعمان والمغرب إلى تثبيت قوتهم وترسيخ مبادئهم هناك .

رابعاً: أرهقت ثورة عبدالرحمن بن الأشعث الدولة الأموية مادياً ومعنوياً فهبط الخراج بل وتعطل وانكسر في معظم أقاليم المشرق الإسلامي فاختلف بذلك بيت المال^(٣)

خامساً: تعطلت الفتوحات الإسلامية في المشرق تلك الفتوحات التي جهز لها هذا الجيش " الطواويس " وهي فتح الهند والسند وسجستان إلى حدود الصين .

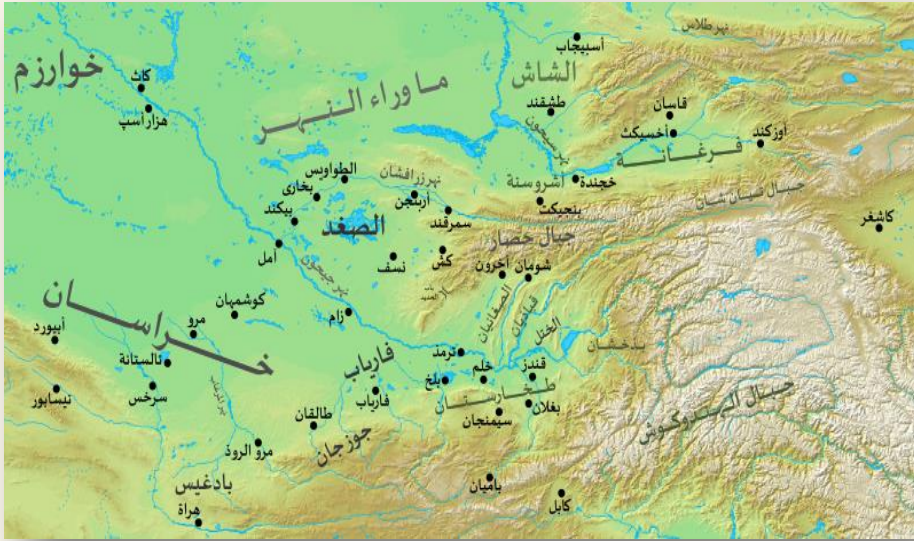
دنيار سيار بن سلامة أبو المنهال الرياحي ومرة بن دياب الهراوي من الأزدي . وأبو نجيد الجهضي ، وأبو شيخ الحناتي والحسن بن أبي الحسن . ينظر : ابن خياط ، تاريخ ج ١ ص ٢٨٧ _ ٢٨٧ .

(١) فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ص ٤٢٦ .

(٢) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٢٨ .

(٣) السعدي مروج الذهب ج ٣ ، ص ١٣٨ .





سادساً: ساعد أهل سجستان بزعامة عبدالله بن عامر، عبدالرحمن بن الأشعث في ثورته وانضموا اليه وكان أغلبهم من الخوارج^(١).

سابعاً: بانضمام الخوارج إلى عبدالرحمن بن الأشعث أصبح واضحاً التغيير في أسلوب ثورة الخوارج فانتقلوا إلى الأسلوب السياسي وأصبحت ثورتهم مملوءة بالمحاولات العسكرية لإسقاط حكم بني أمية والاستيلاء على السلطة، فأصبحت ثورتهم سياسية أكثر منها دينية، وأقر ذلك الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور حين أسند إمارة سجستان إلى عبدالله بن العلاء الخارجي سنة (١٥٨ هـ / ٧٧٤ م)^(٢).

أما وفاة الحجاج فقد اختلف المؤرخون في موته فقد ذكر لنا الطبري^(٣) أن الحجاج مات في شوال سنة (٩٥ هـ) وهو ابن ثلاث وخمسون سنة. ثم يعود ويقول: إنه مات في هذه السنة لخمس ليالي بقين من رمضان في حين يخبرنا المسعودي^(٤) في كتابه،

(١) الطبري نفس الكتاب والجزء والصفحة ، وابن الاثير الكامل ج ٤ ص ٤٥٤ .

(٢) مجهول ، تاريخ سيستان ص ٧٩ .

(٣) الرسل والملوك ج ٦ ص ٤٩٣ .

(٤) التبيه والإشراف ص ٢٧٤ .



التنبية والإشراف أن وفاة الحجاج في شهر رمضان سنة (٩٥هـ / ٧١٤م) أما اليعقوبي (١) فقد ذكر لنا أن موت الحجاج في سنة (٩٥هـ) وهو يومئذ ابن أربع وخمسون سنة، وبموت الحجاج أقرت العيون كما يبدو من أقرب الناس إليه فقد نظرت إليه هند ابنة أسماء بنت خارجة الفزاري إلى الحجاج مسجى ، وكانت امراته فطلقها فقالت:

ألا أيها الجسد المسجي لقد قرت بمصرعك العيون
وكنت قرين شيطان رجيم فلما مت سلمك القرين (٢).



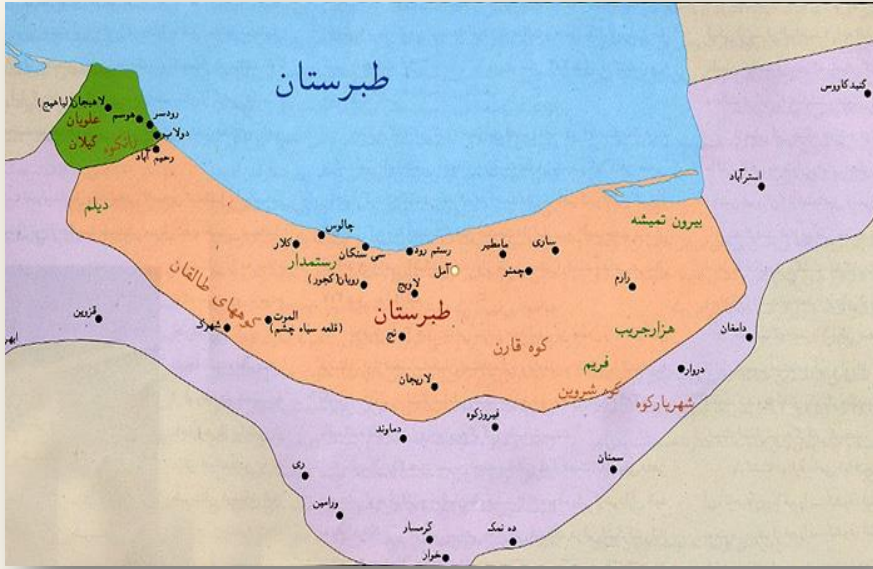
الفصل الرابع:

فشل الخوارج في المشرق

- ١- نكبة الأزارقة في طهرستان.
- ٢- جهود النجدات والإباضية في تثبيت كيانهم.
- ٣- دور الخلفاء العباسيين في إضعاف الخوارج الصفرية.
- ٤- ضعف الخوارج وعوامل فشلهم.



أولاً: نكبة الأزارقة في طبرستان:



لقد كان الحجاج يعرف قطريا ويعرف أنه هو الخطر الأول الذي يهدد سلطته ونجاحه في ضبط العراق، لذلك اهتم بالقضاء عليه أولاً وفي سبيل ذلك كان يقتل من يهرب من القتال دون مسائلة في ذلك يقول ابن الزبير الأسيدي .

أقول لعبدالله يوم لقيته أرى الأمر أمسى منصبا متشعبا
 فما أن أرى الحجاج يغمد سيفه يد الدهر حتى يترك الطفل اشيباً^(١)
 حشد الحجاج الجنود وساقها إلى المهلب بن أبي صفرة، لكن المهلب استبطأ في
 استئصال الخوارج^(٢) وظن الحجاج أن المهلب يهوى مطاولتهم فبعث إليه برسالة^(٣)

(١) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٦٧ ، والطبري ، الرسل والملوك ج ٦ ، ص ١٠٩ .

(٢) الذبيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٧٥ .

(٣) المبرد ، الكامل ص ٣٦٨ ، والطبري ، الرسل والملوك ج ٦ ص ٢١١ .



وذلك يوم الاثنين لعشر بقين من شعبان سنة (خمس وسبعين) يحثه على مناجرة القوم وترك مطاولتهم^(١)

لقد تغير الموقف أمام قطري إذ عاد إلى المهلب جنوده وكثرت جموع فازدادت قوته.

وكان لابد لقطري أن يتصرف سريعا ولذلك أمر جنوده بالتوجه إلى السردان، والسردان ليست مدينة وإنما هي جبال محدقة منيعة.

خرج المهلب في آثار الأزارقة وهو يظن أنهم قد تحصنوا بالسردان ولكنه .

لم يجد بها أحدا ، فقد لجأ قطري إلى التعمية والتضليل حتى يتمكن من تنظيم نفسه تنظيما يكافئ تلك القوة الجديدة فأخذ يتنقل من مكان إلى آخر حتى نزل كازرون^(٢).



سار المهلب إلى الخوارج في كازرون وخذق على نفسه وطلب من عبد الرحمن ابن مخنف وهو قائد جنود الكوفة أن يخذق على نفسه، ولكنه قال: "خنادقنا سيوفنا"^(١)

(١) الدنيوري، الأخبار الطوال، ص ٢٧٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل ج ٤، ص ٣٨٨، والدنيوري، الأخبار الطوال، ج ٣، ص ٣٧٦، والمبرد،

ص ٣٦٩.



جاء عتاب بن ورقاء سنة ٧٦ هـ وهو^(١) مؤملاً أن يدرك من فطرى ما أدركه الأزارقة من الزبير بن على في أصبهان ولكن يظهر أنه لم يكن يعلم ويقدر أن الخوارج الأزارقة في عهد قطري قد صاروا قوة جديدة، وأنهم - أي الخوارج- في عهد قطري أيضا صاروا أصحاب الجد والحد.

لم يمكث عتاب بن ورقاء أمام فطرى أكثر من ثمانية أشهر لقد أثار عتاب فتنة بين جنود الكوفة وجنود البصرة وبين تميم وبين الأزد قوم المهلب، فرأى الحجاج ذلك فطلبه فعاد إلى البصرة^(٢).

لقد كان الحجاج بن يوسف عدوًا لدودا وخصما عنيدا لقطري هو رجل لا يهيمه " أن يحقق المهلب نصرا عاجلا وهاهو ذا قد خول المهلب كل السلطان، وأمدّه بجند كثيف فنجده بعد أن استقدم عتاب بن ورقاء إلى البصرة وجه البراء ابن قبيصة^(٣) إلى المهلب يستحثه في مناجزة قطرى ورفاقه وكتب إليه .. أنك لتحب بقاؤهم لتأكل بهم^(٤).

عزّ على المهلب أن يكتب الحجاج إليه بذلك، فما كان منه إلا أن أخذ بن قبيصه إلى ميدان القتال فشاهد - معركة استمات فيها الخوارج حتى لقد حفر كل واحد معهم بنفسه حفرة وأثبت قدمه فيها، فإذا مات واحد منهم جاء آخر فاجتره ووقف مكانه^(٥).

فرجع ابن قبيصة إلى الحجاج فقال له : لقد رأيت لا يعين عليهم إلا الله^(٦) وكان معه كتاب من المهلب إلى الحجاج جاء فيه: إني منتظر بهم إحدى ثلاث: موت ذريع. أو جوع مضر، أو اختلاف من أهوائهم^(١).

(١) المبرد ، المصدر السابق ص ، ٣٧٩.

(٢) ابن الأثير ، الكامل ج ٤ ، ص ٣٩. والمبرد الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٨.

(٣) المبرد ، المصدر السابق ، ص ٣٧٣. وابن الأثير، المصدر السابق ج ٤ ، ص ٤٣٧.

(٤) المبرد ، الكامل ج ٣ ، ص ٣٧٣.

(٥) نفسه، وابن الأثير ج ٤ ، ص ٤٣٨ / ٣٧٣.

(٦) المبرد ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٧٤.



ثم وجه الحجاج الجراح بن عبدالله أبي المهلب يستبطنه في مناجزة القوم، وكتب إليه أما بعد،، فإنك جبيت الخراج بالعلل...^(١).

فقال المهلب المجراح: يا أبا عقبة، والله ما وجدت حيلة إلا احتلتها، ولا مكيدة إلا أعملتها، وما العجب من إبطاء النصر وتراخي الظفر، ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره... فقال له الجراح: "لقد أعذرت"^(٢)

من خلال تلك الرسائل والمواقف يتجلى لنا موضوع مدى ما كان عليه الأزارقة من صمود وصبر فاستطاع قطري بن الفجاءة أن يدوخ خصومه ويتغلب على قادتهم جميعاً، ولم يصمد أمامه سوى المهلب .

لقد كان القائدان المهلب وقطري بن الفجاءة لقوتين لم يستطع أحدهما أن يحقق نصراً على الآخر، لكن لا بد من نهاية .

لقد نفذت حيل المهلب، وضاعت مكايده سدى، ولم يبق أمامه إلا أن يجد فرصه تكون خارجة عن قدرة قطري فينتهزها، وذكرنا أنه كتب إلى الحجاج قائلاً: إني منتظر بهم إحدى ثلاث؛ موت ذريع، أو جوع مضر، أو اختلاف من أهوائهم^(٣)

جاءت الثالثة فاستغل المهلب طبيعة الخوارج. تلك الطبيعة التي تحدثنا عنها في الفصل الأول، والتي تظهر واضحة في أنهم لا يستطيعون احتمال طوال السلطة عليهم، وقطري قد مضى في خلافته عليهم أكثر من عشر سنوات وهي أكبر مدة قضاها زعيم خارجي رئيساً لجماعة من الخوارج كما استغل المهلب أيضاً ما فيهم من بساطة في التفكير وما فيهم من تمسك بظاهر النصوص دون محاولة لتأويلها^(٤)

(١) نفسه.

(٢) الميرد ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٧٦ .

(٣) نفسه.

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٦٣ .

(٥) نفسه.



بدأ المهلب يثير الفتن والخلاف بين الخوارج الأزارقة ويعمل على تشتيت شملهم وتفريق صفوفهم لإحلال النكبة بهم

وهذا المبرد في الكامل يروي بعض المؤامرات التي قام بها المهلب لتحقيق أهداف ومن ذلك أن رجلا من الأزارقة كان يعمل سيوفا مسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب^(١) فرفع ذلك إلى المهلب فقال: أنا أكفيكموه إن شاء الله، وجّه رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطرى وقال له: ألق هذا الكتاب في عسكر قطرى واحذر على نفسك، وكان الحداد يقال له: أيزي مضى الرسول، وكان في الكتاب: أما بعد فإن نصالك قد وصلت، وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال"، ورفع الكتاب والدراهم إلى قطرى فدعا بايزى وقال له:

ما هذا الكتاب؟

قال: لا أدري.

قال: فهذه الدراهم؟

قال: ما أعلم علمها .

فامر قطرى به فقتل^(٢) .

وما كان النبأ ينتشر بين صفوف الأزارقة حتى جاء زعيم من زعمائهم وهو عبد ربه الصغير^(٣)

فقال القطري^(٤) .

أقتلت رجلا على غير ثقة ولا تبين؟

(١) ابن الأثير، الكامل ج ٤ ص ٤٣٨. والمبرد، الكامل، ج ٣، ص ٣٨٢ .

(٢) نفسه. ابن الأثير، المصدر السابق نفس الجزء . والصفحة

(٣) عبد ربه الصغير أحد موالي قيس بن ثعلبة . لما اختلفت الخوارج على قطري بايعه جمع كثير

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٦، ص ٣٠٣. وابن الأثير المصدر السابق ج ٤، ص ٤٣٨، والمبرد، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٨٢ .



فقال له قطرى: م احوال هذه الدراهم .

قال : يجوز أن يكون أمرها كذبا، ويجوز أن يكون حقا

قال فطرى: قتل رجل في صلاح الناس غير منكر، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحا، وليس للرعية أن تعترض عليه^(١) فتنكر له عبد ربه في جماعة معه^(٢) .

لم يكتف المهلب بهذه الخدعة لتفتيت شمل الأزارقة بل دس رجلا نصرانيا إلى قطرى وقال له: إذا رأيت قطريا فاسجد له فإذا نهاك، فقل: إنما سجدت لك^(٣) ففعل النصراني فقال له قطرى إنما السجود لله، فقال النصراني: ما سجدت إلا لك فقال بعض الأزارقة لقطرى قد عبدك من دون الله، فزادت شقة الخلاف بينهم وتفرق الجمع. خرج قطرى إلى حدود إصطخر فأقام شهرا والقوم في اختلافهم^(٤) ثم خرج بعد ذلك بمن اتبعه نحو طبرستان^(٥) وبايع الباقون عبدربه الكبير^(٦)



(١) المصادر السابقة.

(٢) أفاد المبرد هنا أن جماعة فطرى تنكروا له ولم يفارقوه ص ٣٨٢ في حين أن الطبري وابن الأثير: اتفقا على مفارقة عبد ربه وجماعته لقطرى بن الفجاءة وانقسام الأزارقة الطبري ج ٦، ص ٣٠٣ . وابن الأثير : الكامل ج ٤ ، ص ٤٣٨ .

(٣) المبرد ، الكامل ج ٣ ، ٣٨٣ . وابن الأثير ج ٤ ص ٤٣٨

(٤) المبرد ، المصدر السابق ج ٣ ص ٣٨٣

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٣٩

(٦) الطبري ، الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٣٠٣ . وابن الأثير ، المصدر السابق ج ٤ ، ص ٤٣٩ .



وهكذا تمكن المهلب بن أبي صفرة من أن يمزق قوة الأزارقة في المشرق، وأن تحل بهم نكبة لا يستطيعون التغلب عليها فالخلاف كثيرا ما أوهى قوة الخوارج، ولولا الخلاف لما استطاعت قوة بني أمية أن تقضي عليهم، ولكن لهم في التاريخ شأن آخر.

أدرك صالح بن مخراق وهو من زعماء الخوارج الأزارقة، أدرك خطورة هذا الانقسام في صفوف إخوانهم الأزارقة فأسرع إليهم وقال لهم: يا قوم إنكم قد قررتم أعين عدوكم وأطعمتوهم لكم^(١) بما ظهر من اختلافكم فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة .

تفرق الأزارقة بعد الخلاف فسار قطرى إلى طبرستان، وأقام عبدربه الكبير بكرمان^(٢) فأتاحت بذلك أعظم فرصة للمهلب كان ينتظرها ، فانفرد أولا بعبد ربه .

الكبير في كرمان حيث أرسل إليه ابنه المغيرة بن المهلب^(٣) فقاتلهم قتالا شديدا فخرجوا من كرمان وتحصنوا في مدينة "جيرفت فخرج خلفهم وحاصرهم في تلك المدينة : حتى أكلوا خيلهم^(٤) .

أمر المهلب ابنه يزيد أن يقيم عليهم أياما ، ثم يخلى لهم عن الباب، فإذا خرجوا تبعهم فأقام يزيد عليهم أياما ثم خلى لهم عن الباب فخرجوا فتابعهم يزيد بن المهلب فوقفوا له^(٥) واقتتلوا قتالا شديدا فناداهم عبد ربه عبد ربه : "يا معشر المهاجرين روحوا بنا إلى الجنة فإن القوم رائحون إلى النار^(٦) .

(١) المبرد ، مصدر سابق، ج ٣ ، ص ٣٨٣ .

(٢) الطبري ، مصدر سابق، ج ٦ ، ص ٣٠٤ . وابن الأثير مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٤٣٩ .

(٣) المبرد ، الكامل ج ٣ ، ص ٣٨٤ .

(٤) الذنبيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٧٨ . وابن الأثير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٣٩ .

(٥) الذنبيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٧٩ .

(٦) المبرد ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٤٠١ . والذنبيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٧٩ . وابن الأثير ، الكامل ، ص ٤٤٠ .



التقى الطرفان في معركة كبيرة واشتد القتال وعظم الخطب حتى قال المهلب: ما مر بي مثل هذا^(١) فأخلت جولتهم عن هزيمة الخوارج فقتل عبدربه وجميع أبطاله^(٢) وكان عدد القتلى أربعة آلاف قتيل^(٣) وجرحى كثير من الخوارج - واستولى المهلب على عسكرهم ثم مضى إلى جرفت وذلك سنة (٧٧هـ / ٦٩٥ م)^(٤). ولم يبق إلا ضعفاؤهم ، فدخلوا في عسكر المهلب وانضم كل رجل إلى عشيرته من أصحاب المهلب^(٥) كتب المهلب إلى الحجاج يبشره بالفتح^(٦) فلما وصل الكتاب إلى الحجاج وجه به إلى عبدالمملك ، وكتب الحجاج إلى المهلب يأمره بالقدوم عليه^(٧).

سار المهلب حتى قدم على الحجاج، فاستقبله وأظهر بره وإكرامه، وأمر له بالجوائز والصلوات، وأمر لأولاده وكانوا سبعة - المغيرة ، وحبیب ، ويزید ، والمفضل ، ومدرك ، ومحمد ، وعبد الملك ، عبدالله ، وأكرم أصحاب المهلب^(٨) وطلب من المهلب أن يستعمل على كرمان من يراها فولى المهلب ابنه يزيد على كرمان^(٩).

(١) ابن الأثير ، نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٤٤٠ . والذنيوري ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .

(٢) المبرد ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٠٢ .

(٣) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٤٤٠ .

(٤) الطبري ، الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٣١٨ .

(٥) الذنيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٧٨ . وانظر تفصيل المعارك عند المبرد في الكامل الجزء ٣ من ص

٤٠٠ - ٤٠٥ .

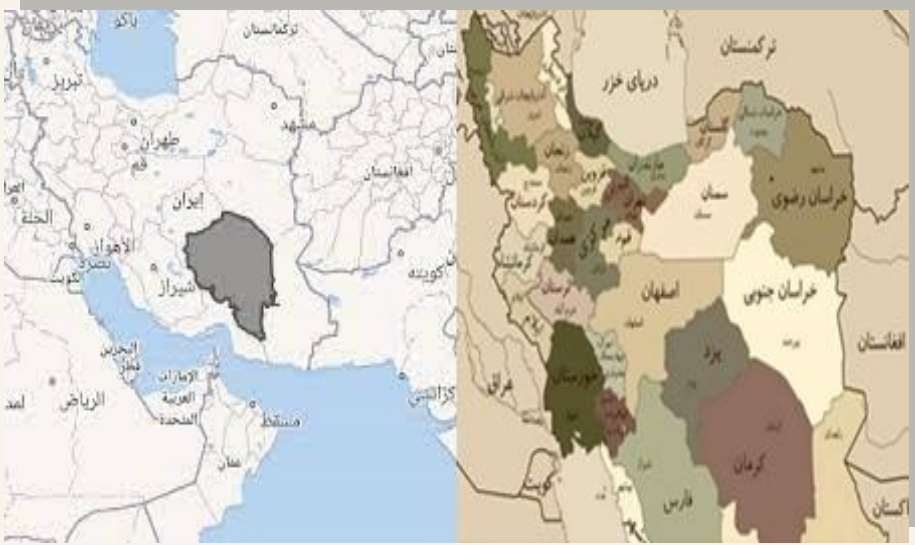
(٦) إلى الكتاب عند المبرد الكامل ج ٣ ، ص ٤٠٤ .

(٧) الذنيوري المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .

(٨) نفسه .

(٩) المبرد ، المصدر السابق ، ص ٤٠٥ ، وابن الأثير ص ٤٤١ .





وبدأت قوة الأزارقة في المشرق الإسلامي تضعف ورأى أهالي بعض مدن المشرق ومنها أهل اصطخر ما عليه الأزارقة من خلاف فأخذوا يكتبون المهلب بأخبار قطري وأحسن قطري ذلك فاستعمل القوة مع أهلها حتى أن المبرد يروى أنه قد هدمها (٦) (١)

ارتحل قطري بن الفجاءة عن اصطخر بعد أن هدمها وسار إلى كرمان ثم إلى جرفت، وفي جيرفت زادت حدة الخلاف بين الأزارقة وأصبحت الهوة تتسع بين صفوف الخوارج، فقد اتهموا عبيدة بين هلال اليشكري بأنه يدخل دار رجل بغير إذن (٢)

فأتوا فطري وذكروا ذلك له وذكروا ذلك له، فقال لهم: إن عبيدة من الدين بحيث علمتم، ومن الجهاد بحيث رأيتم، ثم بعث إلى عبيدة فأخبره فقراً عبيدة قوله تعالى: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم..} الآيات (٣) فكبر الخوارج وقاموا إليه فاعتنقوه، وقالوا: استغفر لنا، ولكن عبد ربه

(١) المبرد، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٩٠.

(٢) نفسه.

(٣) سورة النور، آية رقم: ١١ وما بعدها.



الصغير قال: والله لقد خدعكم فقاموا إلى عبد ربه الصغير، وبايعه منهم ناس كثير، وقالوا لقطري لقد خلعتك وولينا عبد ربه الصغير^(١).

تلاحقت الأحداث مسرعة، وكأنها كالسيل يجرف أمامه كل ما شيده الأزارقة في المشرق، وسرعان ما دبت الحرب بينهم أنفسهم فقد انحاز إلى عبد ربه عدد غير قليل، ولقي مع قطري عدد آخر وانحاز كل قوم إلى صاحبهم واقتتلوا قتالا شديدا، وأجلت الحرب بينهم عن ألفي قتيل^(٢) وفي اليوم التالي دارت بينهم معركة أخرى أسفرت عن إخراج قطري من جيرفت^(٣).

أدرك المهلب بغيته، فها هم الخوارج الأزارقة يقتتلون فيما بينهم وهذه قوتهم تنهار بأيديهم، ويدرك قطري الآخر خطورة الموقف فيخرج من جيرفت، ويخندق على نفسه خارج المدينة عند الباب، وهذا الحجاج يبعث رسوله إلى المهلب يستحثه على قتالهم .

وهم في تمزق وخلاف ويقول للمهلب: أصلح الله الأمير، عاجلهم قبل أن يصطلحوا فيقول المهلب: إنهم لن يصطلحوا، ولكن دعهم فإنهم سيصيرون إلى حال لا يفلحون معها^(٤).

كان الموقع الذي اتخذته قطري بن الفجاءة على باب مدينة جيرفت موقعا متميزا يقع بين المهلب وعبدربه.

ويروى المبرد: أن المهلب قد دس، رجلا من أصحابه وقال له: أنت عسكر قطري، فقل إنني لم أزل أرى قطريا يصيب الرأي حتى نزل هذا المنزل فبان خطؤه، أقيم بين

(١) المبرد، الكامل، ج ٣، ص ٣٩١. الشهرستاني الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٢. راجع قصة أخرى لوقوع الفتنة بين الأزارقة في الطبري ١٠٠٦/٢ ج ٦ من ص ٣٠٢، ومؤداها أن رجلا يدعى المقعطر قد قتل رجلا من الخوارج ذا بأس فاختلفوا مع قطري، وطالبوه أن يدفع المقعطر إليهم ليقتلوه ولكنه لم يوافق. ولاحظنا أن الفصص التي تروي حول الاختلاف تشير جميعها إلى مؤامرات قام بها خصوم الخوارج، وكلها أيضا تشير إلى سطحية التفكير الناشئ، عند أكثر الخوارج عن الالتزام بالنصوص وعدم تاويلها أو فهمها في وعى وعمق.

(٢) المبرد، الكامل، ج ٣، ص ٣٩٣.

(٣) نفس المصدر، والجزء، ص ٣٩٤.

(٤) ابل الأثير، الكامل ج ٤، ص ١٦٩ - ١٧٠.



المهلب وعبدربه، يقاد به هذا القتال، ويراوحه هذا فنى الكلام إلى قطرى فقال: صدق، تنحوا .

بناء عن هذا الوضع فإن اتبعنا المهلب قاتلناه، وإن أقام على عبدربه رأيتم فيه ما تحبون^(١) .

من الواضح أن المهلب لم يتوقف عن مؤمراته في تفتيت قوة الخوارج وخلق الخلافات بينهم، فقد أراد بكلامه هذا أن يخدع قطريا، والواقع أنه لم يخدعه ذلك لأن كلا منهما نظر إلى الموقع من جانب، مصلحته فالمهلب أراد ان يبعد قطرى عن الموقع حتى يتمكن من عبدربه أولا .

وكذلك الحال بقطري فقد نظر إلى الموقع أيضًا من جانب مصلحته فقد رأى أنه إن أقام خارج مدينة جيرفت، وعبدربه داخلها فإن عبد ربه سيكون في موقع حصين يستطيع منه أن يهاجم قطريا وإذا هاجم من الممكن أن يستغل المهلب هذه الفرصة فهاجم قطريا من جانبه، ومع ذلك عزَّ على رجل يسمى الصلب به مرة.

أن بري قطريا برحل فقال له: يا أمير المؤمنين إن كنت إنما تريد الله فأقيدم على القوم، وإن كنت إنما تريد الدنيا فاعلم أصحابك حتى يستأمنوا^(٢)

ما كاد المهلب يعلم بارتحال قطرى عن جيرفت حتى قال لأصحابه: إن الله عز وجل أراحكم من أقران أربعة: قطرى بن الفجاءة، وصالح بن مخراق، وعبيدة بن هلال، وسعد الطلائع^(٣)

(١) المبرد ، الكامل ج ، ص ٣٩٤ .

(٢) المبرد الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٩٤ .

(٣) نفسه .





ثم قال: وإنما إمامكم وبين أيديكم عبدربه في خشار من خشار^(١) (٣) ثم كتب إلى الحجاج قائلاً: أما بعد فإن الله قد ألقى بأس الخوارج بينهم، فخلع معظمهم قطرياً وبايعوا عبد ربه ...^(٢) فرد عليه الحجاج في شوق ولهفة بحثه على مناهضتهم وهم على حال اختلافهم وافتراقهم قبل أن يجتمعوا^(٣).

لقد وصل المهلب إلى الغاية التي طالما تطلع إليها .. كان يتطلع إلى أن يرحلوا أو يموتوا موتاً ذريعاً أو يختلفوا اختلافاً شديداً، وقد كتب بذلك إلى الحجاج حينما تباطأ في حربهم، وهاهم الآن قد اختلفوا، وما عاد ممكناً أن يتحدوا .

استعد المهلب لبداية النهاية للأزارقة فحشد من جنوده ثلاثين ألفاً^(٤). وسار يتبع الخوارج حتى نزل على بعد أربعة فراسخ من جيرفت وهناك دارت معارك عنيفة استبسل فيها الخوارج وكذلك رجال المهلب وكان لبراعة المهلب في إدارة المعركة أثر كبير

(١) الخشار: الرديء من كل شيء (المبرد الكامل ج ٣ ص ٣٩٥)

(٢) الطبري، الرسل والملوك، ج ٦، ص ٣٠٣ .

(٣) الطبري، الرسل والملوك ج ٦، ص ٣٠٣ .

(٤) المبرد، الكامل، ج ٣، ص ٤٠٠ .



في نصره فقد أسفرت هذه الحرب عن أربعة آلاف قتيل، وجرح كثير من الخوارج، وكان
عبدربه ضمن القتلى (١)

بهذه المعركة حقق المهلب أول نصر حاسم على الأزارقة بعد أن ساعدته الفتنة
التي شبت بينهم، وهكذا استطاع المهلب أن ينفرد بعبد ربه لغياب قطرى . وليبق أمام
المهلب بعد ذلك إلا أن يسير وراء قطرى بن الفجاءة لينهى بذلك طاحنة مع الخوارج
الأزارقة في المشرق .

لقد كانت معركة جيرفت هذه آخر معركة للمهلب، بل وآخر أعمال المهلب
الحربية مع الأزارقة تلك الحروب التي استمرت تسع عشرة سنة (٢)، أما قطري بن
الفجاءة فقد سار بمن اتبعه إلى طبرستان (٣) حيث كانت نهاية البطل هناك.

سأل الحجاج رسول المهلب عن كيفية إفلات قطرى؟ فاجاب الرسول: إن المهلب
فضّل القضاء على عبد ربه على أن يتبع قطريا، ويخرج وراءه .

ولما علم الحجاج بإفلات قطرى ولجؤته إلى طبرستان جهز جيشاً من أهل الشام
وأعطى قيادته إلى سفيان بن الأبرد الكلبى (٤) ثم كتب الحجاج إلى إسحاق بن محمد
الأشعث (٥) وهو على جيش أهل الكوفة بطبرستان: " أن أسمع وأطع لسفيان (٦) وأقبل
سفيان وسار معه إسحاق في طلب قطرى.

(١) نفسه.

(٢) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٣) الطبرى الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٣٠٤ . وابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٣٩ . والمبرد ، الكامل ج
٣ ، ص ٣٩٤ .

(٤) الذميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ج ١ ، ص ٥٠٣ ، واليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٥) هو اسحاق بن محمد الأشعث اخو عبدالرحمن بن الأشعث ساعد سفيان ابن الأبر على القضاء على شعيب عند
نهر دجيل سنة ٧٧ هـ . وكان على رأس جيش من أهل الكوفة بطبرستان لما جاء كتاب الحجاج فهلوزن ،
الخوارج والشعية ص ٨٨ .

(٦) الطبرى ، الرسل والملوك ، ج ٦ ، ص ٣٠٩ .



وهنا نتساءل: لماذا وجَّه الحجاج جيشاً من أهل الشام؟ والمهلب بجيوشه من أهل الكوفة والبصرة قريبا من طبرستان. إننا حين نتحدث عن الحجاج نرى أن الحجاج اختار القواد الذين وقفوا أمام

الخوارج في دهاء وذكاء وبسالة، ونرى المهلب بن أبي صفرة أعظمهم ذكاء وشدهم دهاء وأكثرهم نصرا. ولكن أعمال المهلب الحربية مع الأزارقة كما مرّ بنا تنتهي فجأة بانتصاره على عبد ربه ويعود بعد هذا النصر ليجد من الحجاج كل الحفاوة والتكريم والترحيب وليثني عليه ويبالغ في الثناء حتى يقول: يا أهل العراق: أنتم عبيد المهلب^(١).

انتصر المهلب وحقّق للحجاج ما أراد فما بال الحجاج يرسل سفيان في جيش من أهل الشام؛ ليحارب قطريا، ولا يأمر المهلب بذلك وهو أعلم بقطري وأساليبه؟

نعقد هنا جازمين أن طبيعة الحجاج الحقودة والحسودة^(٢) قد نحت أهل العراق عامة والمطلب خاصة عن آخر معركة حتى يمتن الحجاج إذا شاء على أهل العراق، ويقول بأن أهل الشام لهم الفضل في القضاء على أعدائهم الخوارج وحتى لا يترك المهلب يتربع على قمة مجد الانتصار التي لا يدانها مجد عند عبد الملك بن مروان

سار سفيان بن الأبرد الكلبى ومعه إسحاق بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي^(٣) ولحقوا قطريا في شعب من شعاب طبرستان فقاتلوه، وكان قطري - على ما يبدو - ولم يتمكن بعد من استعادة قوته، ولم يتمكن من تحصين قواته، وأن كثرة الترحل وربما قلة الزاد قد أثرت فيمن معه لذلك انجلت المعركة كما يقول الطبري عن

(١) المبرد، الكامل ج ٣ ص ٢٦٥، وانظر الكامل لابن الأثير ج ٣.

(٢) راجع العقد الفريد. فقد أمره عبد الملك ان يذكر عيوب نفسه فقال: يا أمير المؤمنين أنا الحسود الحقود فقال عبد الملك ما في إبليس أشر من هذا.

(٣) الطبري، الرسل والملوك، ج ٦، ص ٣٠٩.



تفرق أصحاب قطرى عنه^(١) وظل فطرى يقاتل حتى عثر جواده فسقط عنه^(٢) وخر إلى أسفل الشعب^(٣) وجاء إليه عليج^(٤) من أهل البلد حذر عليه حجرا عظيما من فوق.

فأصاب إحدى وركيه فأوهنه^(٥) وصاح العليج بالناس فأقبلوا نحوه، وهو حينئذ لا يعرف قطريا غير أن هذا العليج ظن أنه من أشرف الخوارج لحسن هيئته وكمال سلاحه فدفع إليه نفر من أهل الكوفة كان منهم الصباح به محمد بن الأشعث أخو عبدالرحمن بن الأشعث الذي سوف نتحدث عنه بعد قليل^(٦) فابتدروه وقتلوه وكل واحد منهم يدعى قتله وأخذه أبو الجهم بن كنانة الكلى فجز رأسه وقدم به على الحجاج^(٧).

نستطيع أن نقول إنه بنهاية قطرى بن الفجاءة في طبرستان لم نعد نسمع بعد هذه المعركة عن قوة سياسية أو عسكرية للأزارقة في المشرق الإسلامي ، ولعل تشدد هؤلاء الأزارقة في مبادئهم وعقيدتهم التي يرون فيها إما النصر أو الشهادة كانت السبب في الفتك بهم ونكبتهم .

ثانيا: جهود النجدات والأباضية في تثبيت كيانهم :

يشير فلهوزن إلى أن أبا فديك مؤسس جماعة النجدات كان يعمل، وهو متفاهم مع قطرى بن الفجاءة^(٨) وذلك لضعف قوة الخلافة في المشرق التي وجهت إلى القضاء على الأزارقة، وتدلنا هذه الإشارة إلى إشارة فلهوزن على تمتع "قطرى بثقة حلفائه هذا على الرغم من أن أبا فديك كان رئيس النجدات من الخوارج وهم الذين انشقوا عن

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) الشعب طريق في الجبل.

(٤) الواحد من كفار العجم والجمع عليج.

(٥) الطبري، الرسل والملوك ج ٦، ص ٣١٠. وانظر فلهوزن، الخوارج والشيعة، ص ٨٨.

(٦) الطبري، المصدر السابق، ج ٦، ص ٣١٠.

(٧) البيهقي، تاريخ ج ٢، ص ٢٧٦.

(٨) فلهوزن، الخوارج والشيعة، ص ١٠٠.



تواجههم في اليمامة، مما حمل الخوارج على إخضاع سكان هذا الإقليم بالقوة لأن هذه المنطقة لم تساهم في الحركة في مراحلها الأولى في اليمامة،



حيث كانت قبيلة عبد القيس - وهي أكبر قبائل المنطقة في ذلك الوقت- على ما يبدو معادية للخوارج .

من هنا نستطيع القول: إن أفكار الخوارج تطورت، فبعد أن كانت طائفة خارجة على علي بن أبي طالب لقبوله التحكيم صارت لهم مبادئ تشهد بأنهم خارجون على الدولة. ولقد كانت الظروف الموضوعية في اليمامة مواتية تماماً لنمو وترعرع حركة الخوارج بها في تلك الفترة، حيث ولد الاستغلال الأموي بكافة أشكاله خط في نفوس الأهليين إذ قام الأمويون باقتطاع مساحات شاسعة من أرض اليمامة التي اشتهرت منذ القدم بخصوبة تربتها وعذوبة مائها وحولوها إلى صوافي لهم يقوم بشأن إدارتها



وكلاء عنهم^(١). في هذه الظروف جاء نجدة بن عامر الحنفي إلى اليمامة^(٢) بعد أن فارق وكان زعيم الخوارج فيها أبو طالوت، لكن سرعان ما تقبل الخوارج آراء نجدة، وبايعوه كما بايعه أبو طالوت وذلك سنة (١٧هـ / ٦٨٤م)^(٣). أقام نجده بعد مبايعته باليمامة أشهرًا كثر خلالها أتباعه من بكر بن وائل وحنيفة لكونهما القبيلتين اللتين تكونان أكثر سكان اليمامة وقتها.

ومن اليمامة وجّه نجدة بن عامر إلى شرق الجزيرة حملة بقيادة نصر بن مالك الحنفي^(٤) مع ثلاثمائة رجل وكان بهذه المنطقة الأزدي و عبد القيس^(٥)، لكن عاملها سعيد بن الحارث الأنصاري صد هجومهم، فوجّه نجدة حملة أخرى مع قدامة ابن المنذر بن النعمان في ثلاثمائة رجل^(٦)، ولكن سرعان ما عدل نجدة عن مهاجمة الإحساء بسبب هجوم بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة على سوق ذي المجاز بالقرب من عرفة ونهبهم إياه فكتب إلى قدامة بن المنذر ومن معه يطلب منه التوجه لقتال بني كعب بن ربيعة وهم بذي المجاز، ثم تبعهم نجدة بن عامر في أربعمائة رجل^(٧) فالتفوا هناك فهزمهم نجدة، وقتل منهم عددًا كبيرًا، ثم عادوا إلى اليمامة وفي الطريق انضم إليهم عدد كبير من الناس فكثرت أتباعه حتى بلغ عددهم ثلاثة آلاف^(٨).

وفي عام (٦٧هـ / ٦٨٥م) تقدم نجدة بن عامر إلى الأحساء، وما جاورها مرة أخرى وفي هذه المرة رحب به الأزدي، وقالوا: "نجدة أحب إلينا من ولاتنا فانضموا إليه فأما عبد القيس فلم يذعنوا له وصبروا على محاربتة والتقوا به في القطيف لكنهم انهزموا، وقتل الكثير منهم، وسبى نجدة من قدر عليه من أهل القطيف^(٩) وأقام في

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٤٠١.

(٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٠١.

(٣) نفسه، محمد أبو زهرة كتاب المذاهب الإسلامية ص ٧٥ دار الفكر العربي.

(٤) البلاذري أنساب الأشراف ج ٦ ورقة ١٥ ب.

(٥) نفسه.

(٦) البلاذري نفس المصدر ج ٦ ص ورقة ١٥ ب.

(٧) البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٦ ورقة ١٥ ب.

(٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٩) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٥.



القطيف في حين وجّه ابنه المطرح^(١) ليتعقب فلول المنهزمين من عبدالقيس، واتباعهم فالتقيهم في الثوير^(٢) ولكن المطرح قتل وجماعة من أصحابه^(٣).

كان لابن لنجدة بن عامر أن يستمر في محاولته السيطرة على ساحل شرق الجزيرة، فأرسل سرية إلى (مدينة الخط) بقيادة داوود الفكلي فظفر بأهله^(٤).

ويتبين لنا مما سبق أن أهل هذا الإقليم لم يكونوا من الخوارج أو مؤيديهم مما حمل نجدة على إخضاعهم بالقوة وبالتالي نرى أن شرق الجزيرة من البصرة شمالاً إلى عمان جنوباً لم يساهم في الحركة في مراحلها الأولى عندما كانت في اليمامة، كذلك أن عبدالقيس في هذا الوقت كانت معادية للخوارج، في حين أن اعتماد الخوارج كان على بني بكر وبني حنيفة^(٥). وكذلك الأزدي في هذه المرحلة مدعين إنكار نجدة^(٦) للظلم.

وقد يظهر لنا أيضاً من هذا التشكيل القبلي صورة مكبرة من التحالف بين ربيعة واليمانية، ونجدة الذي ظهر واضحاً في خراسان في العصر الأموي ولا بد أن هذا كان بسبب الروح القبلية والرغبة في تحقيق مصالحهم، وتقوية مركزهم، إذ كانوا أقلية في شرق الجزيرة، وأدى الأمر إلى سيطرة النجدات على شرق الجزيرة العربية مستفيدة تماماً من ظروف الفتنة الثانية في غرب الدولة بين خلافة عبدالله بن الزبير بالحجاز الخلافة الأموية في بني مروان بالشام.

(١) نفسه.

(٢) ابن الأثير: نفس المصدر، ص ٢٠٢ - ٢٠٥.

(٣) أنساب الأشراف، ج ١ ورقة ١٥ ب، وانظر: ابن الأثير الكامل ج ٤، ص ٢٠٢.

(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ٤٨٠.

(٥) فلهووزن الخوارخ والشيعية ص ٧٥.

(٦) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٠٢.



حروب ابن الزبير مع خوارج شرق الجزيرة :



كان لنمو حركة نجدة بن عامر وقوته في شرق الجزيرة الأثر الكبير في تهديد سلطة عبدالله بن الزبير، لذلك حاول والي البصرة آنذاك، وهو: حمزة بن عبد الله بن الزبير أن يخرج نجدة من إقليم شرق الجزيرة، فأرسل إليه جيشًا كبيرًا مكونًا من أربعة عشر ألف مقاتل من أهل البصرة سنة (٦٧هـ / ٦٨٥م) بقيادة عبدالله بن عمير الليثي^(١)، ولما اقترب من جيش نجدة اعتزل داوود الفكلي وجماعته من الخوارج القتال وثبت نجدة مع من بقي معه وهاجم معسكر ابن عصير على حين غرة، فقاتلهم طويلا ثم افترقوا وأصبح ابن عمير فهاله ما رأى في عسكره من القتل والجرحي، فتشاغل

(١) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ١١٧. أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ولأبيه عمير بن قتادة صُحبة. كان عبيد بن عمير أول من جلس لوعظ الناس بالقصص على عهد عمر بن الخطاب، وكان عبد الله بن عمر من بين من يحضرون مجلسه. كان عبيد بن عمير من أكثر الناس بلاغة، وكان ينخرط في خطبهم ويكفي حتى يبلى الحصى بدموعه توفي عبيد بن عمير سنة ٧٢ هـ، قبل ابن عمر بأيام يسيرة.



ومن في عسكره بموتاهم وجرحاهم، فباغتهم نجدة، وانقض عليهم وغنم ما في معسكرهم^(١)، وبذلك اتسع نطاق سلطانه وازدادت قوته .

زادت ثقة نجدة بن عامر في نفسه وجيشه، واتباعه فعمد إلى إرسال جيش إلى شمال شرق الجزيرة العربية لإخضاع كاظمة (الكويت) واطراف العراق،



(١) نفسه ، وانظر البيهقي تاريخ ج ٢ ص ٢٤٤ .



ففي عام (٦٨ هـ / ٦٨٦ م) قاتل هذا الجيش بني تميم سكان كاظمة، وطويلع،^(١) وأجبرهم على أن يودوا له الصدقة، وبذلك امتد سلطان الخوارج إلى أطراف العراق^(٢)، وفي هذه السنة ٦٨ هـ / م ٦٨٦ م ذهب نجدة مع ما يقرب من ألف من أتباعه إلى مكة للحج^(٣)، ثم توجه إلى المدينة، فاستعد أهلها لقتاله وكان من بينهم عبدالله ابن عمر، فلما كان بنجل^(٤)، أخبر باستعداد عبدالله بن عمر بن الخطاب لقتاله ولمقاومته فرجع أدراجه^(٥)؛ لأنه أدرك أن خروج عبدالله بن عمر يدل على أنه سيلقى مقاومة من المتدينين وذوى المكانة عند المسلمين، وفي هذا خطر كبير عليه لأنه سيؤدي إلى إثارة المسلمين ضد الخوارج^(٦).

- (١) ماء لبني تميم بالشَّاجِنَة نَاجِيَة الصَّمَّانِ || قال الأزهري: طُوَيْلِعٌ: رَكْبَةٌ عَادِيَةٌ بِنَاحِيَةِ الشَّوَّاجِنِ عَذْبَةُ المَاءِ قَرِيبَةَ الرَّشَاءِ؛ قال ضمرة ابن ضمرة: و أَيَّ فَتَى وَدَعْتُ يَوْمَ طُوَيْلِعِ ، عَشِيَّةً سَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَيَا جَازِي الفَتَيَّانِ بِالنَّعْمِ اجْزَه بِنُعْمَاهُ نُعْمَى، وَ اعْفُفْ إِنْ كَانَ مُجْرِمًا (لسان العرب ، ج ٨ ، ص ٢٣٩)
- (٢) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٠٣.
- (٣) نفسه ، وانظر ابن الكثير البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٩٤.
- (٤) نخل " منزل من منازل ثعلبة من المدينة علي مرحلتين ياقوت ج ٤ ص ٧٦٨.
- (٥) ابن الأثير نفس المصدر ج ٤ ص ٢٠٣-٢٠٤.
- (٦) يرى فلهوزن أن سبب تراجع نجده أمام عبدالله بن عمر ابن الخطاب لتوفير الخوارج لعمر بن الخطاب الله عنه. ينظر: فلهوزن، الخوارج والشيعة ص ٨٠.





عاد نجدة بن عامر إلى مقره باليمامة يشرق الجزيرة وقد عين الجارود الحنفي على الطائف والسراة كما وجه حاجب بن خيصة لجمع صدقات بني هلال وعنبر، مما يدل على اتساع نفوذه إلى تلك الجهات^(١)، ورغم الانتصارات واتساع النفوذ للخوارج النجدات على يد نجدة بن عامر في شرق الجزيرة العربية إلا فإنه سرعان ما دبَّ الخلاف بين نجدة وأتباعه، رغم هذا النجاح وامتداد السلطان. فقد كانت هناك تيارات لهدم سلطانه ويرجع خلاف النجدات إلى عوامل عدة منها:

أولاً: عدم المساواة في توزيع الفياء والغنائم بين أتباعه (نجدة) فخالفه عطية ابن الأسود^(٢)، فركب البحر. وأتى كرمان وضرب بها دراهم سماها العطوية^(٣)، وأقام

(١) البلاذري، أنساب الأشراف ج ٦ ورقة ١٦.

(٢) البغدادي الفرق بين الفرق ص ٨٨.

(٣) ابل الأثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٠٣.



بكرمان فأرسل إليه المهلب جيشاً، فهرب إلى سجستان ثم إلى السند وتمكن هناك خيل المهلب من قتله^(١).

ثانيًا: المراسلة بين نجدة بن عامر وعبد الملك بن مروان كان لها الأثر في الخلاف مع عطية^(٢).

ثالثًا: إرجاعه ابنه لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فنقم عليه أتباعه^(٣).

رابعًا: كثيرا من الاتهامات الفردية التي وجهت إلى نجدة بن عامر كانت عاملا في هدم سلطته والتخلص منه^(٤).

وقد أدت الخلافات بين نجده وأتباعه إلى خلعه، وولوا أمرهم أحد الموالي وهو "ثابت التمار، ولكن سرعان ما انتصرت العصبية القبلية على العقيدة الخارجية فأدركوا أنه لا بد لمن يكون أميرهم أن يكون عربيا خالصا فطلبوا من "ثابت التمار" أن يختار لهم خليفة، فاخترت زوج أخته أبا فديك عبدالله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة فنال البيعة^(٥). أدرك أبو فديك ضرورة التخلص من نجدة بن عامر الذي اختفى في إحدى قرى هجر^(٦).

أبو فديك بأباض فأخذ يعمل على التخلص من نجدة وقتله؛ لأن بقاءه أصبح مصدر خطر عليه فأرسل جماعة من أتباعه في طلب نجدة كما رصد، جائزة مالية قدرها عشرة آلاف درهم لمن يدلهم عليه، كما أن أي مملوك يدلهم على نجدة فهو حر^(٧). ففر نجده إلى أخواله بني تميم واختفى عندهم ولكنه قتل سنة (٧٢٢هـ / ٦٩٠ م) وتولى قتله جماعة من أصحاب أبي فديك وكان فيهم أبو طالوت وثابت التمار^(٨). آثار

(١) نفسه.

(٢) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٦٦ وابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٢٠٥.

(٣) نفسه.

(٤) الشهرستاني نفس المصدر.

(٥) اليعقوبي المصدر السابق ص ٢٧٣.

(٦) ابن الأثير نفس المصدر ج ٤ ص ٢٠٦.

(٧) البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٩٠.

(٨) البغدادي نفس المصدر ج ١ ص ١٦٦.



قتل نجدة جماعة من أصحاب أبي فديك ففارقوه، ثم طعنه أحد أتباعه وهو مسلم بن جبير بسكين، ولكنه برىء، وقد قتل المعتدى^(١).

ولقد كان لازدياد قوة الخوارج في شرق الجزيرة العربية بعد أن خرج إليها أبو فديك وأتباعه من اليمامة كما كان لخلافة الخوارج وانقسامهم وقتل نجده ابن عامر أثر كبير في نفس مصعب بن الزبير، الذي كان يلي العراق لأخيه عبدالله بن الزبير فأراد أن يستفيد من هذا الخلاف، وأن يضع حدا لهذه القوة، فأعد جيشا من أهل البصرة لكن أبا فديك هزم هذا الجيش^(٢) ثم هزم جيشا آخر أرسله مصعب من أهل البصرة وجنوبها بقيادة زياد بن القريشي^(٣). ولما قتل مصعب واستعاد الأمويون سيطرتهم على العراق اهتموا بأمر الخوارج وعملوا على القضاء على حركاتهم. وفي سنة (٧٣هـ/ ٦٩١ م) أرسل والي البصرة خالد بن عبدالله بن أسيد جيشا بقيادة أخيه أمية بن عبدالله قوامه ١٢٠٠٠ اثنا عشر ألفا لمحاربة أبي فديك الذي كان أتباعه ٧٠٠ رجل فقط، ولكنهم استطاعوا أن يوقعوا جيش أمية في كمين فشتوهم^(٤).

ثم أرسل عبد الملك بن مروان حملة أخرى إلى أبي فديك من أهل الشام يقودها عمر بن عبدالله بن معمر^(٥) وضم إليهم من أهل الكوفة حوالي ثمانية آلاف رجل (٨٠٠٠) ووضعهم تحت قيادة محمد بن موسى بن طلحة وأمرهم بالتوجه إلى

(١) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٠٦.

(٢) البلاذري أنساب الأشراف ج ٦ ورقة ٧٣ ب.

(٣) نفسه.

(٤) ابن الأثير نفس المصدر ج ٤ ص ٣٦٣.

(٥) الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ١٩٣، وابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٣٦٢. عمر بن عبيد الله ابن معمر، الأمير أبو حفص التيمي، من أشراف قريش، كان جوادا ممدحا، شجاعا، كبير الشأن، له فتوحات مشهودة، ولي البصرة لابن الزبير وحدث عن ابن عمر، وجابر. وعنه عطاء بن أبي رباح، وابن عون.

وولي إمرة فارس، ثم وفد على عبد الملك، وتوفي بدمشق، وكان مرافقا عند مقتل عثمان، وكان يقال له: أحمر قريش، يضرب بشجاعته المثل، وقد بعث مرة بألف دينار إلى ابن عمر فقبلها، وقال: وصلته رحم. وقيل: إنه اشترى مرة جارية بمائة ألف، فتوجعت لفراق سيدها، فقال له: خذها وثمنها قال المدائني: توفي سنة اثنتين وثمانين.

سنة اعلام النبلاء ج ٤ ص ١٧٣



البصرة^(١)، ثم تبعهم إلى البصرة في ثلاثة عشر ألف رجل تحت إمرة ابن أخيه عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر^(٢)، وجعل أهل الكوفة على الميمنة، وأهل البصرة على الميسرة، وخيله في القلب وتقدم نحو هجر، ونزل في خندق في جواثا في حين كان أبو فديك في المشقر مع اثني عشر ألفا من أتباعه منهم عدد كبير من الأعراب الذين جاءوا للحرب طمعاً في الغنائم، وانضموا إليه بعد هزيمة أمية بن خالد. اشتبك أبو فديك مع جيش عمر بن عبد الله في المشقر في معركة استمرت خمسة أيام كانت كفة أبي فديك راجحة في البداية ولكن شجاعة وخبرة عمر غيرت الموقف فقتل الموالي الفديك وأخذ رأسه إلى الخليفة، وطورد أتباعه وحوصورا في المشقر^(٣)، بينما أطلق العرب وذلك سنة (٧٤هـ / ٦٩٢ م) وبهذه المعركة انتهت سيطرة النجدات (الخوارج) على شرق الجزيرة العربية.

لقد ظلت ثورات الخوارج في شرق الجزيرة مستمرة وإن فقدوا السيطرة وازدادت هذه الثورات قوة بعد انضمام بني عبد القيس سكان المنطقة الأصليين إلى حركات الخوارج المتأخرة في شرق الجزيرة وساهموا فيها مساهمة فعالة، فجميع الثورات في تلك الفترة قام بها رجال من عبد القيس وتكررت هذه الثورات مما حملت الحجاج بن يوسف الثقفي على أخذ جماعة من زعمائهم حيث عاقبهم بشدة إما بقطع أعضائهم أو بسجنهم^(٤). ففي سنة (٧٨هـ / ٦٩٦ م) ثار في هجر بنو محارب بن عمرو بن وداعة بين لكيز بن أقصي بن عبد القيس وقد طلب محمد بن صعصعة الكلابي والي شرق الجزيرة المساعدة من الحجاج

(١) ابن الأثير نفس الكتاب ج ٦ ص ٣٦٢.

(٢) الطبري نفس الكتاب ج ٦ ص ١٩٣.

(٣) ابن الأثير نفس المصدر ج ٤ ص ٣٦٢، والطبري نفس المصدر ج ٦ ص ٢٠٠.

(٤) اللادري أنساب الأشراف ج ٦ ورقة ٤٢ أ.





وفي سنة (٧٩ هـ / ٦٩٧) ثار الريان النكري^(١) بقرية طاب من مدينة الخط جنوب الإحساء ثم انضم إليه ميمون الحروري^(٢) الذي جاء في أصحابه وربما يكونون من الأزديين جاءوا من عمان فنزلوا دارين ، فاستدعى محمد بن صعصعة والي الحجاج في شرق

(١) نسبة إلى نكرة بن اقصى بن عبد القيس نفس الفصل. سنة إحدى وثمانين، وفيها لقي يزيد بن أبي كبشة الريان النكري بالبحرين، ومع الريان امرأة من الأزديين يقال لها: جيداء، فالتقوا بمندان الزارة، فقتل الريان وجيداء وعمامة أصحاب الريان، المرجع: تاريخ خليفة بن خياط (٢) خليفة بن الخياط تاريخ ج ١ ص ٢٧٧.



الجزيرة أهل المنطقة لحرب الريان وجماعته ولكن عبدالقيس انضمت إلى الخوارج، وهي أغلب سكان المنطقة في هذه الفترة ورفضت طلب الوالي فأرسل محمد بن صعصعة جيشاً من الأزدي بقيادة عبدالله بن عبدالملك العوزي من الأزدي لمحاربة الخوارج لكنه هزم هذا الجيش وقتل الكثير منه، ولذلك ترك محمد بن صعصعة المنطقة وبعد أربعين يوماً من خروج محمد دبّ خلاف بين ميمون والريان أدى إلى ترك ميمون المنطقة وذهب إلى عمان في حين أقام الريان بالزارة حيث أرسل إليه الحجاج يزيد بن أبي كبشه^(١)، مع اثني عشر ألفاً من مقاتلة الشام . وقد التقى بالريان فقتل الريان مع عدد كبير من أتباعه سنة (٨٠ هـ / ٦٩٨ م)^(٢) ثم سار داوود بن محرز أحد بني عبدالقيس، واتخذ القطيف مركزاً له وقد أتاه أهالي المنطقة وطلبوا إنزال جثة الريان وأتباعه ودفنوه، ونجح في إلحاق الهزيمة بحيش أرسل ضده بقيادة أبي الهباء



صاحب شرطة القطيف كما ألحق الهزيمة بعبد الرحمن بن النعمان العوزي وكان لهذه الهزيمة أكبر الأثر في اتفاق الأزدي مع أهل القطيف ضد داود وعبد القيس وبهذه المخالفة هزم داود وأتباعه وقتلوا^(٣) . وفي عام (٨٦ هـ / ٧٠٤ م) ثار بالإحساء وما جاورها مسعود بن أبي زينب المحاربي فهرب عاملها (أي عامل شرق الجزيرة) وهو

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) خليفة بن الخياط التاريخ ج ١ ص ٢٧٨.



الأشعث ابن عبدالله بن الجارود وسيطر مسعود على كل المنطقة قرابة تتسمح عشرة سنة^(١). وقام بقتل زعماء الأزديين، ومنهم عبدالرحمن بن النعمان العوزي ومنصور بن أبي رجاء العوزي الأزدي، وقام بغزو اليمامة فخرج إليه والمها سفيان بن عمرو العقبلي مع بني حنيفة، فقاتلوا مسعود بالخضرمة^(٢) قتالا شديدة فقتل مسعود وقام بأمر الخوارج بعده هلال بن مدلج فحارب وقتل الكثير من الخوارج. وتفرقوا في نفر يسير فدخلوا في قصر فتحصنوا فيه، فصعد إليهم بنو حنيفة فقتل هلال واستأمن الباقون^(٣).

بعد مقتل مسعود ثار في هجر أخوه سعيد، ولكن خالفه عون بن بشير أحد بني الحارث بن عامر بن حنيفة وأحد أتباعه المشهورين فافترق أتباعه فرقتين فرقة مع سعيد بقيت في هجر^(٤)، والأخرى مع عون جعلت القطيف مركزا لها وقد انحاز العون عدد كبير من الخوارج مما أثار غضب سعيد عليه، فدبر اغتياله وتخلص منه وبقي هو في هجر إما عن جماعة عون فلم تتوفر لنا معلومات عما حل بهم بعد مقتل عون والظاهر أنه لا بد أن تكون العصبية القبلية سببا في الخلاف الذي نشب بين عون وسعيد الذي يبدو أن موقفه كان ضعيفا ولم يؤيده الخوارج.

وفي عهد عبدالملك امتد نفوذ ونشاط الخوارج من هجر والإحساء وما حولها إلى البصرة شمالا، ولا بد أن يكون هذا دليل على شعورهم بأن لهم في البصرة من يسندهم ويعطف عليهم كما أن الأوضاع في البصرة كانت تلائمهم كما أن للشعور القبلي أثرا كبيرا في ذلك، إذ إن البعض من عبدالقيس كانوا يقطنون البصرة، هذا فضلا عن قربها من هجر فقد قام عدد كبير منهم بإشعال الثورات الخارجية فيها

(١) البلاذري أنساب الأشراف ج ٨ ص ٣٢.

(٢) الخضرمة: بلد بأرض اليمامة ياقوت معجم البلدان ج ٢ ص ٤٥١ وانظر ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١١٩.

(٣) ابن الأثير نفس المصدر ص ١١٨-١١٩.

(٤) البلاذري أنساب الأشراف ج ٧ ورقة ٢٥ أ.



وأشهرها الثورة التي قام بها سنة (٧٨ هـ / ٦٩٦ م) خارجي من عبدالقيس يدعى المثني^(١)، وقد جاء من شرق الجزيرة واتخذ موقفاً لقرب البصرة غير أن صاحب الشرطة في البصرة في هذه الفترة الحكم ابن أيوب قضى عليه وشتت أصحابه^(٢). وكذلك قامت سنة (٨٦ هـ / ٧٠٤ م) ثورة بزعامة داود بن النعمان في البصرة^(٣) وقد قدم إليها من الجنوب وجعل جنوب البصرة مركزاً لثورته ثم جاء إلى البصرة مع أربعين رجلاً فانضم إليه عدد من خوارجها إلا أن الحكم بن أيوب استطاع التغلب عليه وقتله مع عدد من أتباعه بعد مقاومة عنيفة^(٤). يتبين لنا مما مر أن عبدالقيس انضمت إلى حركة الخوارج عندما انتقلت من اليمامة إلى هجر وأنهم (أي عبدالقيس) ساهموا مساهمة فعالة في حركات الخوارج المتأخرة وقاتلوا في صفوفهم إما دوافع انضمام عبدالقيس إلى الخوارج في هذه المرحلة فهي:

أولاً: كانت جماعة عبدالقيس جماعة بطبيعتها تستاء من الحكم المركزي في حين أن حركة الخوارج كانت تعطيهم الحرية في التصرف وتمنع عنهم الخضوع.

ثانياً: كانت جميع الفرق الإسلامية السياسية مصبوغة بصبغة دينية واحدة فلما ظهر

الخوارج وتمسكوا بالعقيدة الدينية انضم إليهم عدد كبير من عبدالقيس الساخطين على حكم بني أمية.

ثالثاً: كان لتدهور التجارة في منطقة الإحساء وهجر والقطيف بعد الفتح الإسلامي أثر كبير إذ لم تعد السفن، وبلغ الهند والشرق الأوسط تفرغ من موانئها حيث إن البصرة احتلت الأهمية وخاصة منذ عهد بني أمية اتضحت هذه الصورة جلية فأدى كل ذلك إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في المنطقة.

(١) في ياقوت أبو سعيد المثني الخارجي العبدي ج ٢ ص ٤٥٢.

(٢) خليفة بن الخياط تاريخ ج ١ ص ٢٩٤، اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ٢٧٥.

(٣) يذكر أن داود بن النعمان ثار سنة ٧٥ هـ وأنه قتل في خلافة الوليد سنة ٨٧ هـ.

(٤) اليعقوبي نفس المصدر السابق.



رابعاً: وكان لشعور عبدالقيس بالمخاطر التي تهددهم نتيجة لكساد تجارتهم، وتدهور أوضاعهم الاقتصادية وعدم حصولهم على العطاء أثر واضح ، حيث إن الأموال كانت ترسل إلى البصرة ومن هناك توزع على المقاتلين. كل ذلك جعل عبدالقيس تتماسك وتنضم إلى الخوارج للثورة على الحكم الأموي .

خامساً: ويبدو أن عدداً كبيراً من عبدالقيس انضموا إلى الحروب بجانب الخوارج بدافع الطمع في الحصول على الغنائم .

نستطيع أن نستخلص مما سبق أن شرق الجزيرة واليمامة ظلتا ردحا من الزمن خلال العصر الأموي غير خاضعة تماماً للسلطة الأموية بفضل نشاط الخوارج التوسعي. كان ضعف السلطة الأموية في عهد مروان بن محمد دافعا قويا لتطلع الخوارج وخاصة الأباضية إلى سيطرتهم على المراكز الإسلامية. وكان الحجاز هدفهم الأول فبدؤوا بنشر دعوتهم في مكة والمدينة في نطاق ضيق جداً، في أول الأمر، ويرجع سبب انحسار الدعوة في الحجاز إلى طبيعة التركيب الاجتماعي المعادي للحركة الخارجية بصورة ، إذ كانت طبقة الأشراف التي يتصل نسبها بقريش صاحبة التأثير الاجتماعي السياسي والاقتصادي في الحجاز، كما كان لبني أمية خاصة المركز القيادي في هذه الفترة بالذات^(١).

ولعل وجود الخوارج في الحجاز يعود لتردد أئمتها على مكة والمدينة لأداء فريضة الحج والدعوة لمبادئهم ، واعتقد أن هذه الدعوة تأخذ الطابع السري تماماً ، وكان الإمام الأباضي جابر بن زيد ممن يكثرون التردد على الحجاز^(٢) . ويذكر لنا الطبري أن أبا حمزة المختار بن عوف الأزدي كان يحج كل عام ليستغل هذا التجمع الإسلامي الكبير لغرض الدعوة للمذهب الأباضي، والخروج على السلطة الأموية^(٣) حتى اعتقله عامل معدن بنى سليم^(٤) ، كثير بن عبدالله وضربه سبعين سوطاً لتحريضه الناس

(١) الزبيرى ، نسب قريش ، ط القاهرة سنة ١٩٥٣ ج ٥ ص ١٦٦ .

(٢) الدجيني ، طبقات الأباضية ورقة ٩٠ ب .

(٣) الطبري الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٤٨ ، وانظر ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٢٩٧ .

(٤) معدن بنى سليم ذكره الإصطخري يقع بين مكة والمدينة. ينظر: الإصطخري، المسالك والممالك ص



على مروان الثاني . لكن بعض المصادر تشير لنا أن بدء ظهور تنظيم الخوارج السري في الحجاز كان برئاسة أبي الحر على بن الحصين . وكان كما يبدو أن الأباضية في مكة يرجعون إليه في أمرهم ، وكان يمارس التدريس بصورة سرية في يوم الاثنين والخميس ^(١) . وقد حذره بعض أتباعه لئلا ينكشف نشاطه ، وأمر الدعوة فقبل له: خشينا أن يظهر علينا، قال: أما سمعت أن الله يقول: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ^(٢) فكان يتخذ من بيته مركزا تجتمع فيه الأباضية في موسم الحج ^(٣) . لقد كان لنشاط على بن الحصين أثر كبير في غضب السلطة الأموية لذا حمله مروان بن محمد مسئولية هذا النشاط فاعتقل و قيد بالحديد ^(٤) ، وقصدوا به إلى الشام.

وفي الطريق تبعهم مجموعة من الخوارج في حدود الأربعة عشر رجلا استطاعوا إنقاذه من الجند الأموي ورجعوا به إلى مكة في شهر ذي الحجة سنة (١٢٩هـ / ٧٤٧م) ^(٥) . وكان لا بد للأباضية بعد انكشاف أمرهم، وازدياد أتباعهم، وبعد مقر الخلافة عنهم في الشام ان يبدؤوا بالسيطرة على الحجاز وخاصة وان التنسيق المنظم بين الخلايا السرية في الحركة الاباضية في الاقاليم المجاوره على ما يبدو على اتم وجه .

السيطرة على الحجاز ١٢٩هـ / ٧٤٦م :

أولاً: لقد كان من أهداف حركة الخوارج عامة في أول أمرها توحيد العالم الإسلامي ولما كان الطريق للوصول لهذه الغاية لا بد أن يمر بالقضاء على الأمويين أولاً ، فقد وجّه الخوارج حملة عسكرية سنة (١٢٩هـ / ٧٤٧م) خرجت من اليمن بزعامة عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) الهدف منها الاستيلاء على الحجاز وكان قائد

(١) الشماخي السير ص ١٠١ .

(٢) نفسه ص ١٠٨ .

(٣) الدرجيني طبقات الأباضية ورقة ١١٥ ب .

(٤) نفسه ورقة ١١٣ أ .

(٥) الشماخي ، نفس الكتاب ، ص ١٠٠ .



هذه الحملة أبي حمزة المختار بين عوف الذي كلف بأن يقيم في الحجاز ويوجه بلج بن عقبة الأزدي إلى الشام لمحاربة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية^(١).



ولابد لنا من الإشارة في هذا الصدد إلى اختلاف بعض المؤرخين المحدثين تقييمهم للدور الذي قام به أبو حمزة بن عوف في حركة الحجاز سنة (١٣٩ / ٧٤٦م) فقد أشار المؤلف الحجازي أحمد السباعي أن أبا حمزه المختار بن عوف من شيعة علي بن أبي طالب ، وأصله من حضرموت ، وعلى هذا تكون هذه الحركة علوية الاتجاه ، ولا تذكر لنا المصادر التاريخية المتقدمه والمتأخرة أي شيء من هذا القبيل^(٢) . أما أحمد الشايب فقد أكد على شخصية أبي حمزه المختار بن عوف

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ج ٨ ورقة ١١ ب.

(٢) السباعي تاريخ مكة ج ١ ٩٨ مكة ١٣٨٥ هـ (القاهرة ١٩٧٠م).



واعتبره الرائد الأول للحركة الخارجية الأباضية في حين أعطى لعبد الله بن يحيى الكندي دورا ثانويا فيها ويربان أبا حمزه هو الذي حمل عبدالله بن يحيى الكندي على قتال مروان الثاني (١). أما الدكتور حسن إبراهيم حسن فيرى أن سبب الثورة في الحجاز في عام (١٣٩ هـ / ٧٤٦ م) هو اللقاء الذي جمع بين طالب الحق وأبي حمزة المختار في الحجاز عام (١٢٨ هـ / ٧٤٥ م). ويرى كذلك أن أبا حمزة قال لطالب الحق: "اسمع كلاما حسنا أني أراك تدعو إلى الحق فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي" (٢)، وهذا النص جاء في رواية موسى بن كثير التي أوردها الطبري وأخذها عنه الأزدي في كتابه تاريخ الموصل (٣). أما خليفة بن الخياط والبلاذري يتفقان على أن طالب الحق وجه أبا حمزة المختار بن عوف بجيش إلى مكة، وأمره ان يقيم فيها (٤)، كما أمره أن يوجه بلج ابن عقبة إلى الشام بعد الاستيلاء على الحجاز، كما يؤكد المسعودي أن أبا حمزة المختار ابن عوف وبلج بن عقبة وهما فيمن معهما يدعون إلى عبدالله بن يحيى الكندي وكان قد سمى نفسه بطالب الحق وخطب بأمر المؤمنين وكان أباضى المذهب من رؤساء الخوارج ، وذلك سنة (١٢٩ هـ / ٧٤٧ م) (٥).

يتضح لنا مما سبق استعراضه من آراء بعض المؤرخين اهتمام هؤلاء بشخصية أبي حمزة المختار أكثر من غيرها ولعل السبب في ذلك شخصية أبي حمزة واسلوبه الخطابي، ولأنه قاد الخوارج التي استولت على الحجاز مع ما للحجاز من قدسية وأهمية من الناحية الروحية في نفوس المؤرخين .

(١) الشايب تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني ص ١٧٥.

(٢) حسن إبراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ١ ص ٢٨٧ القاهرة ١٩٦١.

(٣) الطبري الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٤٨ والأزدي، تاريخ الموصل ص ٧٧.

(٤) ابن الخياط تاريخ، ج ٢ ص ٤٠٦.

(٥) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٧ القاهرة ١٩٥٨.



الاستيلاء على مكة:



وصل الخوارج إلى مكة المكرمة في الثامن من شهر ذي الحجة سنة (١٢٨ هـ / ٧٤٦م) يقودهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي في جيش يتراوح تعداده ما بين سبعمائة إلى ألف ومائة في حين يقدره خليفة بن خياط بعشرة آلاف خارجي^(١)، وقد سلكوا طريق الطائف المؤدى إلى مكة^(٢)، ودخلوها من جبل عرفة في الوقت الذي كانت الناس مجمعة تؤدي الشعائر على جبل عرفات يوم النفر^(٣)، فنفر حمزة ودخل مكة وخطب على المنبر^(٤)، انظر ملحق الرسالة.

كان اختيار حمزة لهذا التوقيت في دخول مكة موفقا إذ مكنه من ناحية دعائية من نشر وعرض أفكار وأهداف الحركة السياسية التي انطلقت من البصرة لتقضى على الخلافة الأموية لاسيما وأن الحجاج قد اجتمعوا من كافة الأقاليم الإسلامية ومن

(١) الطبري الرسل والملوك ج ٣ ص ٢٥٧، وانظر الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٠٢.

(٢) ابن خياط تاريخ ج ٢ ص ٤٠٦.

(٣) الذبيرى كتاب نسب قريش ج ٥ ص ١٦٦.

(٤) ابن خياط نفس المصدر والصفحة.



ناحية أخرى فإنهم سوف لا يمكنون، وإلى الحجاز عبد الواحد بن سليمان من الاستعداد لحربهم إلا بعد الاستيلاء على مكة لهذا كان موقف والي الأمويين ضعيفا من الناحية العسكرية فاضطر لعقد اتفاقا مع أبي حمزة على أن يكف أبو حمزة عن الحرب حتى ينتهي موسم الحج^(١)، ويتركها عبد الواحد لأبي حمزة فقبل أبو حمزة هذا الاتفاق^(٢)، وتم ذلك فعلا بعد مناسك الحج فقد غادر عبد الواحد مكة في العاشر من ذي الحجة ليدخلها أبا حمزة بدون قتال يذكر^(٣). كان لابد لأبي حمزة بعد أن دخل مكة أن يستعرض عقائد الخوارج ونظراتهم في السياسة، والحكم الأموي القائم فحمد الله وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأعطى تقيما لحكومة الخلفاء الراشدين فقال بصحة خلافة أبي بكر وعمر وأكد صحة خلافة عثمان في الست السنوات الأولى من خلافته " ثم سار في الست الأواخر بما أحيط به الأوائل^(٤) أما تقيمه لحكم الإمام علي رضي الله عنه، فكان على سداد حتى حكم في كتاب الله، وشك في دينه^(٥). لكن ما هو موقف أهل مكة من أبي حمزة المختار؟ لقد وقف أهل مكة موقفا عدائيا من أبي حمزة^(٦) لكن بالرغم من هذا الموقف العدائي فلن سياسة أبي حمزة اتخذت موقفا وديا من أجل التقرب إليهم لكسب تأييدهم حتى لا يكون وجوده في الحجاز في موضع حرج .

(١) الزبيرى نفس المصدر.

(٢) البلاذري أنساب الأشراف ج ٨، ورقة ١١ ب .

(٣) البلاذري أنساب الأشراف ج ٨، ورقة ١١ ب ، وانظر الطبرى الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٧٥ .

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) ابل خياط تاريخ ج ٢ ص ٤٠٨ .



دخول المدينة :



بعد استيلاء أبي حمزة على مكة وخروج والي الأمويين منها إلى المدينة أخذ الوالي يعمل جادا في تجهيز حملة لصد أبي حمزة وأتباعه فدعا إلى تسجيل أسماء المقاتلة وزاد في إعطائهم؛ لتشجيعهم على مقاتلة الخوارج في مكة^(١) فجهز حملة عدد أفرادها حوالي ثمانية آلاف مقاتل، وأعطى قيادتها لعبد العزيز ابن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان^(٢)، ولما علموا حمزة بقدوم هذه

الحملة فضل ملاقاتهم خارج مكة فاستخلف عليها أبرهة بن شرحيل بن الصباح الحميري^(٣)، وسار لملاقاة الجيش الأموي القادم من المدينة وكان جيشه المؤلف

(١) البعقوبي تاريخ ج ٤ ص ٨٠.

(٢) الطبري المصدر السابق ج ٧ ص ٣٧٦.

(٣) ابل الخياط التاريخ ج ٢ ص ٤١٣، والطبري الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٩٥.



من خوارج من اليمن ومن الحجاز من قبيلة خزاعة التي انضم منها نحو أربعمائة خارجي معظمهم من الأباضية إلى جيش أبي حمزة^(١)، واشتركت مجموعة من خوارج الموصل في هذا الزحف^(٢) إضافة إلى مجموعة من القرشيين وعلهم أبو بكر محمد بن عبدالله بن عمر القريشي قائد من قواد أبي حمزة الذي ترأس إحدى المجموعات الثلاث لهذا الجيش^(٣)، في حين قاد الطائفة الثانية أبو حمزة نفسه، وترأس الثالثة بلج بن عقبة الأزدي^(٤) وفي تاريخ خليفة بن خياط يذكره ببلج بن عقبة السعدي^(٥).

وفي قرية قديد بين مكة والمدينة التقى الجيشان وقد وصلها أهل المدينة ليلاً، واستحوذوا على حياض المياه فيها، ولعلهم أرادوا بذلك منع الخوارج من الاستفادة من الماء وقطع المياه عنهم^(٦). أما قوات أبي حمزة فقد وصلت إلى قديد في صباح يوم الخميس التاسع من صفر لسنة (١٣٠ هـ / ٧٤٧ م)^(٧).

والخوارج كعادتهم في جميع معاركهم لا بد لهم من إرسال رسول يوضح لعدوهم الغاية من الحملة العسكرية وهذا شأنهم في جميع معاركهم. فأرسل أبو حمزة بلج ابن عقبة إلى أهل المدينة وبين لهم أن الهدف الأساسي هو إزالة السلطة الأموية في الشام^(٨)، لكن بلج بن عقبة لم يفلح في إقناعهم بالعدول عن الحرب رغم كل الحجج التي قدمها لهم^(٩)، فلم ينتظر أهل المدينة طويلاً فأرسلوا سهامهم إلى معسكر أبي حمزة ونشبت المعركة والتقى الجمعان في يوم الخميس ٩ من صفر سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م^(١٠)، في معركة عظيمة انجلت لصالح الخوارج بعد أن ترك أهل المدينة قائدهم صريعاً في

(١) الدرجيني طبقات الاباضية ورقة ١١٣ ب، ويؤكد البيهقي أن اتهام القرشيين لقبيلة خزاعة بالخيانة ج ٣ ص ٨٠.

(٢) الأزدي تاريخ الموصل ص ٨٠.

(٣) الزبيرى نسب قريش ص ٣٦٨، وانظر ابن حزم جمهرة أنساب العرب ج ١ ص ٥٠ القاهرة ١٩٧١.

(٤) البلاذري انساب العرب ورقة ١١ ب وفي ابن الخياط السعدي.

(٥) ابن الخياط نفس المصدر ج ٧ ص ٣٩٣.

(٦) الطبري نفس المصدر ج ٧ ص ٣٩٣.

(٧) ابن الخياط نفس المصدر ص ٤١٤.

(٨) الطبري الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٩٥.

(٩) نفسه.

(١٠) ابن الخياط التاريخ ج ٢ ص ٤١٤ وفي الطبري يوم الخميس ٧ صفر ١٣٠ هـ ج ٧ ص ٣٩٥.



ميدان المعركة ثلاثمائة قريشي وثمانين أنصاريا وألف وسبعمائة من القبائل والموالي (١)، كما انفرد خليفة بن خياط بتسمية من قتل بقديد من آل الزبير بن العوام (٢)، وقال: " ما سمع الناس بواكي أوجع للقلوب من بواكي قديد، وما بقى بالمدينة اهل بيت إلا وفهم بكي " وقالت نائحة تبكيهم (٣).

ما للزمان وماليه أفنى قديد رجاليه
فلأبكين سريرةً ولأبكين علانية
ولأبكين إذا شجيت مع الكلاب العاوية.

ونستطيع القول بأن طبيعة الصراع في هذه المعركة معركة قديد " ، كان بالدرجة الأولى بين السلطة الأموية في الحجاز ومن يواليها من القريشيين والرافضيين لسيطرة الخوارج على الحجاز جمعهم المصلحة السياسية والخوف من انتشار تعاليم وما بدى الخوارج التي تهدد نفوذهم بصورة عامة. لقد قررت معركة قديد مصير الحجاز لصالح الخوارج، وبانهيار الجيش الأموي في هذه المعركة سيطرت الخوارج على الحجاز سيطرة تامة. ولكن ما هو موقف السلطة الأموية في الشام من هذه المعركة؟

لقد حفزت هذه المعركة مروان بن محمد الثاني على إعداد قوة عسكرية كبيرة اختارها من خيرة فرسان بلاد الشام وألف من رابطة الجزيرة (٤)، وزودت هذه الحملة بما يلائم المناطق الصحراوية ومنح كل واحد من المقاتلين مائة دينار وفرسا عربية وبغلا لنقله، وبلغ تعداد هذه الحملة أربعة آلاف فارس من القبائل القيسية (٥)، وأعطى قيادة هذه الحملة لعبد الملك بن محمد بن عطية السعدي من القبائل القيسية (٦)، وسارت هذه الحملة إلى الحجاز وكان أبو حمزة قد وجّه قائده بلج بن عقبة على رأس

(١) أنساب الأشراف البلاذري ٨ ورقة ١١ ب وعند الطبري ذكر أعداد القتلى ٧٠٠ قتيل ج ٧ ص ٣٩٨.

(٢) ابن الخياط المصدر السابق ج ٢ ص ٤١٤.

(٣) نفسه، وانظر الطبري المصدر السابق ج ٧ ص ٣٩٧.

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٩٧.

(٥) الطبري نفس المصدر ج ٧ ص ٣٩٩ وانظر الاغانى لابي الفرج الاصفهاني ج ٢٣ ص ١٣٩.

(٦) ابن الخياط التاريخ ج ٢ ص ٤١٤ وفي الذهبي تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٣٨ ، وفي الطبري من سعد



جيش عدده ستمائة خارجي معظمهم من الأباضية^(١)، فالتقى الفريقان في منطقة وادي القرى في جمادى الأولى سنة (١٣٠ هـ / ٧٤٨م)^(٢)، وكما هي العادة وقبل بدأ المعركة جرت مناقشات بين الخوارج والأمويين دعاهم فيها بلج بن عقبة إلى العمل بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورد عليهم أهل الشام بالشتائم فما كان من القائد الخارجي إلا أن أمر جنوده بالهجوم وجرت المعركة واستمرت حتى المساء طلب الخوارج فيها إيقاف القتال فرفض القائد الأموي حتى انتهت المعركة بهزيمة الخوارج^(٣)، وقتل قائدهم بلج بن عقبة الأزدي وفر أبرهة من الصباح الحميري واعتصم بجبل من جبال المدينة ثلاثمائة خارجي فحاصروهم عبد الملك وقاتلهم ثلاثة أيام متتالية^(٤)، ثم استقل أبرهة ظلام الليل فعبر هذا الجبل حتى لحق بأبي حمزة في مكة .

معركة مكة (١٣٠ هـ / ٧٤٧م):

سار عبد الملك بن عطية الى مكة في إثر أبي حمزة واتباعه في الوقت نفسه كان أبو حمزة قد أعد جيشاً قوامه خمسة عشر ألف خارجي^(٥)، لملاقاة لملاقاة عبد الملك لكن القائد الأموي أظهر براعته العسكرية فوزع خيله بشكل أربك القوات الخارجية فاتهم الخيل من أسفل مكة وأخرى من منى وأتى القائد من أعلى الثنية، والتقى عبد الملك بن عطية وأبو حمزة في أسفل مكة، فانتهصر سلاح عبد الملك وقتل أبرهة بن الصباح عند بئر ميمون وقتلت معه زوجته وقتل أبا حمزة المختار^(٦)، ويرى الدكتور

(١) الأصفهاني الأغاني ج ٢٣ ص ١٤١ .

(٢) الطبري نفس المصدر ج ٥ ص ٣٩٩ - ٣٩٨ .

(٣) خليفة ابن الخياط تاريخ ج ٢ ص ٤١٦ ، وانظر مؤلف مجهول العيون والحدائق ج ٣ ص ١٧٢ .

(٤) ابن الخياط نفس الكتاب والصفحة .

(٥) نفسه. ظهر عبد الله بن يحيى الملقب طالب الحق في حضرموت قائد الاباضية والذي تسمي بأمرير المؤمنين وبعث ابوحزمة من حضرموت إلى الحجاز الذي وافى مكة في موسم الحج من عام ١٢٩ هـ وتمكن من الاستيلاء عليها بدون قتال أما أهل المدينة فقد رفضوا الاستجابة للوفد ابي حمزة ولما علم أبو حمزه برفض أهل المدينة وتوجه صوب المدينة، وبدأ القتال في عام ١٣٠ هـ وهزم أهل المدينة في قدير وقتل الكبير من قريش وصار مكة والمدينة تحت سيطرة الاباضية [الكامل في التاريخ لابن الاثير المجلد ٤]

(٦) نفسه وانظر الأغاني للأصفهاني ج ١٢ ص ١٠



أحمد رمضان أحمد أن ثورة أبا حمزة آخر ثورة في عهد الخلافة الأموية^(١). ونتيجة لهذه المعركة الحاسمة، فقد الخوارج الحجاز بعد أن سيطروا عليها زهاء السبعة أشهر ابتداء من دخولهم شهر ذى الحجة سنة (١٢٩هـ / ٧٤٧م) وحتى اندحارهم في معركة مكة في نهاية جمادى الثاني سنة (١٣٠هـ / ٧٤٨م) فمهدت انتصارات الحجاز للعباسيين ملاحقة الخوارج في أطراف الجزيرة العربية والمشرق.

ثالثاً: دور الخلفاء العباسيين اضعاف الخوارج الصفرية :

لقد وجدت الخوارج منذ عهد عمر بن عبدالعزيز (١٠٠-١٠١هـ / ٧١٨-٧١٩م) متنفساً لاستعادة نشاطهم الفكري وبسط آرائهم، حيث استمر عمر بن عبدالعزيز بسياسة التساهل مع الخوارج في عهد خلافته فقد ذكر لنا ابن الجوزي "أن أناساً منهم (الخوارج) دخلوا على عمر وهو أمير المؤمنين فأشار عليه بعض جلسائه أن يرعهم ويرمى الرهبة في نفوسهم فلم يأخذ برأيهم، بل رفق بهم ورزقهم، وقال لبعض أصحابه: "يا فلان إذا قدرت على دواء تشفى صاحبك دون الكي، فلا تكوينه أبداً"^(٢). من هذه السياسة للخليفة الأموي جعل الخوارج من أنفسهم حماة للضعفاء والمضطهدين وحرماً على ذوي السلطان المستبدين^(٣)، ولعلمهم أرادوا بذلك أن يقودوا حركة المعارضة حينذاك، وذلك بهدف تكتيل الناس حولهم استعداداً لجولات قادمة مع الأمويين ولما جاءت بداية النهاية للدولة الأموية، وأصبحت على وشك الانهيار من داخلها أولاً، وانتهزت الخوارج هذه الفرصة، فخرج سعيد بن بهدل الشيباني الحروري في مائتين

(١) أحمد رمضان أحمد حضارة الدولة العباسية ص ١٠.

(٢) (١) ابن الجوزي سيرة ص ٦٢

(٣) فلهوزن الدولة العربية ص ٧٢



رجل من أصحابه^(١)، قاصدا الكوفة لكنه مرض ومات بالطاعون دون تحقيق هدفه^(٢)، فتولى قيادة أصحابه الضحّاك بين قيس الشيباني^(٣).

كان لانقسام البيت الأموي على نفسه دافعا قويا شجّع الضحّاك على استئناف السير خصوصاً بعد أن اجتمعت عليه الصغرية حتى صار تحت رايته زهاء أربعة آلاف رجل^(٤)، فاتجه نحو الكوفة وكان واليها يومئذ "النضر بن سعيد الخرشي" ومعه المضرية، وبالحيرة عبدالله بن عمر في اليمانية وكانا على خلاف، ويتقاتلون فيما بينهما، ولما اقترب منهما الضحّاك اصططح ابن عمر والخرشي^(٥)، وقاتلا الضحّاك فصار معهما يومئذ ثلاثين ألفا من اهل الشام. لكن الضحّاك هزمهم أقبح هزيمة، واستولى على الكوفة وجبى أرض السواد^(٦)، وأقام بالكوفة وذلك في شعبان سنة (١٢٧ هـ / ٧٤٥ م)^(٧).



- (١) المصدر السابق. وينظر: ابن كثير البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٥ وابن الوردي تاريخ ص ٢٥٠.
 (٢) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٥ وابن الوردي تاريخ ص ٢٥٠.
 (٣) نفسه ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٣٣٥.
 (٤) ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٣٣٥، والطبري الرسل والملوك ج ٧ ص ٣١٧.
 (٥) نفسه.
 (٦) اليعقوبي تاريخ ج ٢ ص ٣٣٨.
 (٧) ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٣٤٨.



واستعمل عليها بعد ذلك ملحان الشيباني فسار منقضا في الشراة إلى واسط متتبعا لابن عمر والنضر حتى استقر أمر قواد الأمويين على مبيعة الضحاك حيث أشار عليهم منصور بن جمهور وهو قائد لابن عمر، حيث قال لابن عمر: (ما رأيت في الناس مثل هؤلاء قط - يعني الشراة - فلم تحاربهم وتشغلهم عن مروان؟ أعظم الرضاء واجعلهم بينك وبين مروان، فإنك إن أعطيتهم الرضا خلوا عنا ومضوا إلى مروان فكان حدهم وبأسهم عليه، وأنت مستريح بموضعك هذا فخرج إليهم منصور أولًا وبإيعهم، ثم خرج عبدالله بن عمر في آخر شوال فبايعهم^(١)، ولما علم سليمان ابن هشام بن عبد الملك بن مروان ذلك قدم على الضحاك في نصيبين وهو في أكثر من ثلاثة آلاف من أهل بيته ومواليه^(٢) فبايع للضحاك أيضا واصطاح معه على اقتسام أرض السواد، وكان الصلح على أن بيد الضحاك ما كان غلب عليه من الكوفة وسواها وبيد ابن عمر ما كان بيده من السكر، وميسان، ودستميسان، وكور دجلة، والأهواز وفارس^(٣)، كما طلب سليمان القرب من الضحاك وتزوج فيهم أخت شيبان الحروري الذي بايعوه بعد قتل الخيبري والذي سيأتي ذكره^(٤)، وفي ذلك قال شاعر من الخوارج^(٥).

ألم تر أن الله أظهر دينه فصلت قريش خلف بكر بن وائل

وهكذا غلب الضحاك على العراق ولم يتمكن أحد من الخوارج عليه قبله ولا بعده^(٦)، ولما عظم أمر الضحاك استدعاه أهل الموصل ليتمكنوا منها فقويت شوكته واجتمع إليه أكثر من مائة ألف رجل^(٧)، وأمام هذه الانتصارات للضحاك اضطر آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد أن يتوجه بنفسه لملاقاة الضحاك، فسار إليه والتقى به بين كفر قونا بأرض الجزيرة^(٨) فالتحم الجيشان وكانت هذه نهاية الضحاك حيث

(١) نفسه.

(٢) الطبري نفس الكتاب ج ٧ ص ٣٢٣.

(٣) نفس المصدر ص ٣٤٧.

(٤) الطبري الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٤٦ ابن الأثير، الكامل، ج ٥ ص ٣٥٢.

(٥) ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٣٤٨ والطبري الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٢٧.

(٦) المسعودي التنبيه والإشراف ص ٢٨٢.

(٧) ابن الأثير نفس الكتاب ج ٥، ص ٣٥٢.

(٨) الطبري نفس الكتاب ص ٣٢٧.



انتصر مروان بن محمد وهزمت الخوارج، وقتل الضحاك وكان ذلك سنة (١٢٨ هـ / ٧٤٥م)^(١)، وقبل سنة (١٢٧ هـ / ٧٤٤م)^(٢). ولم تكن ثورات الخوارج في عهد مروان بن محمد في العراق فحسب بل كان عليه أن يواجه خطر هؤلاء الخوارج .. مرة أخرى في أشد المواطن الإسلامية حساسية وأهمية حيث ظهرت له ثورة في أرض الإسلام الأولى في الحجاز في قلب الجزيرة العربية^(٣).

فكان لانشغال الخليفة الأموي ، كذلك الجيوش الأموية في إخماد هذه الثورة (في الحجاز) الأثر الكبير والفرصة العظيمة للخوارج في المشرق الإسلامي لإعادة تنظيم صفوفهم، واستعادة قوتهم وازدياد أتباعهم وأعاونهم وتثبيت سيطرتهم على تلك المناطق . وهكذا ظل تاريخ الخوارج طوال العصر الأموي مملوء بالمحاولات العسكرية لإسقاط حكم بني أمية والاستيلاء على الخلافة الإسلامية. وجاءت الدولة العباسية والخوارج كما نعلم في أخريات أيامهم ، فقد أنهكوا الدولة الأموية، وأنهكتهم ونالوا منها، ونالوا منهم، فكانوا عند قيام الدولة العباسية في حالة تشبه الاختضار وحركاتهم تشبه حركة المذبوح. ومع أن الخوارج في وقت الأمويين كانوا عشرين فرقة^(٤) في وقت العباسيين غير فرقتين فقط هما الأباضية^(٥)، والصفيرية^(٦)، ولعل السبب في ذلك أن الأمويين قضوا على الجزء الأكبر من فرق الخوارج الأخرى ولاسيما فرقتي الأزارقة والنجدية اللتين اشتهرتا في أيامهم. لكن الخوارج كما هو معلوم ومعروف عنهم أنهم لا يأبهون بالموت ولا يرعبهم سيل الدماء وجماعة كهؤلاء يرهقون أعداءهم ويقتلون من يتصدى لهم لا بد لهم من القيام فما لبثوا أن عادوا بشدة إلى مناهضتهم للخلافة العباسية لكون العباسيين أيضًا من قريش ولأنهم أي الخوارج كانوا ينظرون إلى خلفاء

(١) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ١٧٠ والتنبية والإشراف ص ٢٨٢ وابن الأثير نفس الكتاب ج ٥ ص ٣٤٩

(٢) اليعقوبي تاريخ ج ٥ ص ١٢٧

(٣) انظر في الفصل الثالث من الباب الثاني في الرسالة وانظر الي المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ١٧٢

والأصفهاني الأغاني ج ٢ ص ٩٩.

(٤) البغدادي الفرق بيت الفرق ص ٥٤.

(٥) البغدادي نفس الكتاب ص ٨٢-٨٣، وابن حزم الفصل والملل ج ٢ ص ١١٢، والعقد الفريد ج ١ ص ١٧٢

(٦) البهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٠٠، والرازي اعتقادات فرق المسلمين ص ٥١.



بني العباس كنظرتهم إلى خفاء بني أمية نظرة عداً وسخط وعمل على الزوال لكونهم مقتصبين" للسلطة والإمارة وإن جميعهم لا يصلح للخلافة ، إلا أن قوة الخوارج في العصر العباسي لم تكن كفوتهم في العصر الأموي ، ولكنهم مع ذلك حاربوا العباسيين في قوة وصلابة كحربهم للأمويين .

لم تكن الأمور قد استقرت بعد للخلافة العباسية فظهر الخوارج من جديد في جنوب شرق الجزيرة العربية في أول الأمر فقد ظهر رجل اسمه شبيب بن عبدالعزيز، ويكنى أبا الدلفا^(١)، فقد حاربه مروان بشدة آخر أيامه وطرده إلى خراسان التي كانت تموج بالحركات المعارضة وخاصة بالحركة العباسية ثم ظهر في ولاية فارس، ثم سار إلى جزيرة بروكاوان في الخليج العربي (وهي مركز الخوارج: فأرسل إليه أبو العباس قائده حازم بن خزيمة في أهل خراسان عام (١٣٤هـ / ٧٥١ م)^(٢)، سار حازم بن خزيمة إلى جزيرة بركاوان للقضاء على الخوارج الصفرية فيها الذين يقودهم شبيب بن عبدالعزيز اليشكري والذي انسحب إلى هذه الجزيرة من العراق عام (١٢٩هـ / ٧٤٦ م) بعد أن ضايقه القائد الأموي عامر بن ضبارة واضطره إلى الانسحاب إلى هذه الجزيرة الواقعة في البحرين^(٣). يظهر أن الخوارج الصفرية بلغوا درجة من الضعف في سنة (١٣٤هـ / ٧٥١ م) لدرجة أن حازم بعد خزيمة بعد أن أرسى سفنه في جزيرة بركاوان (كاوان) وجه خمسمائة رجل من جنوده بقيادة فضله بن نعيم النهشلي حيث استطاعوا أن يقضوا على جموع الصفرية من هذه الجزيرة بعد قتال شديد^(٤) اضطروا فيها أن يركبوا السفن إلى منطقة جلفار^(٥) الواقعة في شمال شرقي عمان.

(١) ابن خياط تاريخ ج ٢ ص ٣٩٥. شبيب بن عبد العزيز اليشكري شجاع من أمراء الحرورية (فرقة من الخوارج). ولوه إمارتهم بعد مقتل الضحاک الشيباني. قاتل الخليفة الأموي مروان بن محمد في جهات ماردين، فأرسل إليه مروان جيشاً بقيادة عامر بن ضبارة، فانتصر الأخير، وتراجع شيبان وأصحابه الحرورية إلى البصرة، ثم لجأ إلى عمان، وفيها قُتل سنة ١٣٤ هـ.

(٢) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ٣٤٣.
(٣) جزيرة كاوان هي جزيرة عامرة بالسكان تطل على الخليج العربي غرباً وتقع عمان والبحرين. ياقوت معجم البلدان

(٤) الرقيشي مصباح الظلام ورقة ٢٤ ب ومؤلف مجهول العيون والحدائق ج ٣ ص ١٦٣
(٥) إحدى بلدان عمان وصفها ياقوت بأنها عامرة كثيرة الغنم والجبن والسمن وتصدر إلى المناطق الشمالية الغربية من معجم البلدان ج ٢ ص ١٠٤.



وهناك التقت الأباضية بالصفيرية ورفضوا أن يحل الصفيرية في بلادهم. وبهذا عدا الصفيرية في موقف حرج جدا من الناحية العسكرية - فهم أولا غرباء على عمان ومن ناحية أخرى أصبحوا بين عدوين غير مشتركين خازم بن خزيمة في جزيرة بروكاوان وقوات الأباضية في عمان، وفي جلفار وقعت معركة كانت خاتمة الرحلة الطويلة للخوارج الصفيرية الذين حاربوا المنطقة الشرقية من الدولة الأموية وشرق الجزيرة العربية والتي بدأت منذ عام (١٢٧هـ / ٧٤٤م) بقيادة الضحاك بن قيس الخارجي، وانتهت بمقتل خليفته شبيبان بن عبدالعزيز اليشكري وأصحابه عام (١٣٤هـ / ٧٥١م)^(١) حيث أرسل أبوالعباس قائده خازم بن خزيمة في أهل خراسان في عام (١٣٤هـ / ٧٥٢م) ففر شيبان إلى عمان واتخذ خازم بن خزيمة البصرة قاعدة أمامية لقتال الخوارج ، مثلما كان يحدث في أيام الأمويين . وحاربهم حربا شديدة إلا أنه لم يتمكن من هزيمتهم إلا بعد أن أضرم النار في البيوت حتى شغل الخوارج على أولادهم. فقتل من الخوارج عشرة آلاف بعث برؤسهم إلى البصرة^(٢). نعتقد هنا أن المصادر امتازت بالمبالغة في الأرقام الحسابية والإحصائية في تلك الفترة إما إرضاء للسلطة أو نكاية بأعدائها فلاشك أنه من الصعوبة إرسال عشرة آلاف رأس آدمي من جلفار في عمان إلى البصرة، ثم كيف قطعت هذه الرؤوس؟ وكيف عبئت؟ .

فهنا يوصى الباحث أنه لا بد من المراجعة عدة مرات ومرات للأرقام. لم يكن دور الصفيرية في المشرق والجزيرة فقط بل كان لهم دورا كبيرا في المغرب العربي فقد روى لنا البلاذري قائلا: " إن أول حملة عباسية قوية ضد الخوارج أرسلت في أيام المنصور بقيادة محمد بن الأشعث واليه على مصر منذ عام سنة (١٤١هـ / ٧٥٨م) فسار إلى المغرب في العام الذي يليه مع جيش يتكون من عرب مصر وبرقة وأهل خراسان^(٣) ، ولا مجال لنا هنا في التحدث عن ذلك لكون المغرب خارج نطاق البحث "المكاني" لكننا

(١) الرقيشي مصباح الظلام ورقة ٢٥ أ ، والطبري الرسل والملوك ج٧ ص ٤٦٢ ، وابن الخياط تاريخ ج٢ ص ٤١٢

(٢) ابن الأثير الكامل والتاريخ ج٥ ص ٣٤٣ ، وابن كثير البداية والنهاية ج١٠ ص ٥٧ .

(٣) البلاذري فتوح البلدان ص ٢٧٥ .



نقول: إذا قدر للخوارج الصفرية بالانتهاء من المشرق فقد نشطوا في المغرب. وفي عام (١٣٧هـ / ٧٥٤م) خرج ملبد بن حرملة الشيباني^(١) فحكم بناحية الجزيرة في شمال العراق والتي كانت دائما وكرا للخوارج واستطاع ملبد هذا أن يتغلب على روابط الجزيرة والموصل وينتصر عليهم. ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبى فهزمه بعد قتال شديد، أما الواقدي فيقول: إن ذلك سنة (١٣٨هـ)^(٢). جد المنصور في طلب ملبد الشيباني فبعث إليه أعدادا من القواد المشهورين فكان يهزمهم الواحد بعد الآخر بما فيهم قواد معروفون من أهل خراسان منهم حميد بن قحطة^(٣) فلقيه ملبد الشيباني فهزمه فقدم إليه حميد عرض صلح بمائة ألف درهم على أن يكف عنه لكن ملبدا رفض^(٤).

وأخيرا كمن إليه قائدین من قواد المنصور هما: عبد الجبار عبد الرحمن وزياد بن مشكان، وهما من قواد حازم فخرجها عليه الكمبين فهزمه بعد قتل معظم أصحابه، وخرج ملبد من بقى معه وحازم وأصحابه يسايرونهم وكان حازم في ثمانية آلاف من المروية^(٥) فاقتتلوا وقتل ملبد وقتل ثمانمائة من أصحابه^(٦).

(١) ابن الأثير الكامل ج ٥ ص ٤٨٢ .

(٢) الطبرى الرسل والملوك ج ٧ ص ٤٩٥ .

(٣) ابن الأثير نفس الكتاب ج ٥ ص ٤٨٢ .

(٤) الطبرى نفس الكتاب ج ٧ ص ٤٩٨ .

(٥) نفسه.

(٦) الشامى الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، ص ٩٠ .





وظهر أثناء ذلك في الموصل رجل من الخوارج اسمه حسان أراد المنصور أن يفتك به وبأهل الموصل جميعا ، لكن الإمام أبا حنيفة النعمان رده عن رأيه فتخلى المنصور عن فكرته^(١) لكنه تمكن من إخراجه من الموصل بعد ذلك. ظل المشرق الإسلامي في خلافة أبو جعفر المنصور معقل للخوارج وخاصة سجستان، وخراسان وكرمان، لكنها جميعا كأنها وميض نار تحت الرماد، فقد أصاب هذه البلاد ما أصابها خلال فترة الحكم الأموي من أطباع الحكام الذين كانوا يعينون من قبل ديوان الخلافة وحدثت اضطرابات كثيرة دفعت الناس إلى الانضمام للمعارضين أي الخوارج جماعات^(٢)، فازدادت قوة الخوارج بفضل اضطرابات المشرق وكثر أعوانهم وقويت شوكتهم وظلوا منذ نكسة عبدالرحمن ابن الأشعث حتى قيام الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور ظلوا وكأنهم كالبركان الذي ينتظر الناس انفجاره وأخذها يتحينون

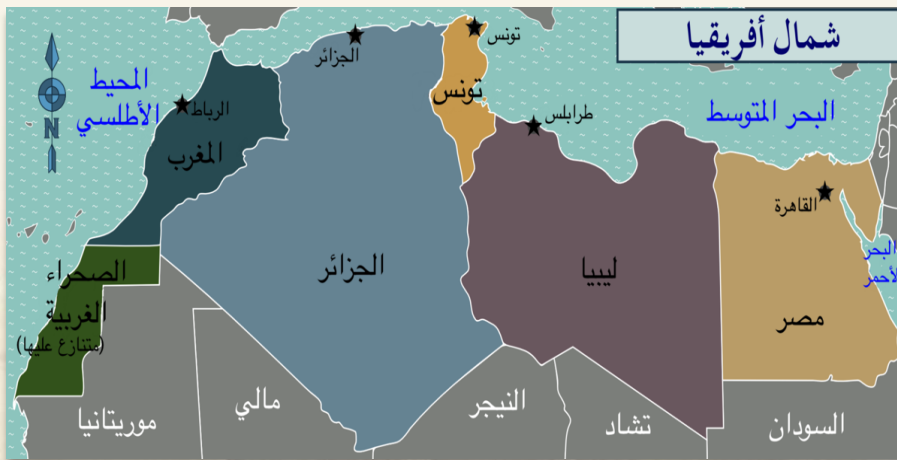
(١) الشامي الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول ص ٩٠ ط ١٩٨٦ الأنجلو

(٢) باريزي، يعقوب بن الليث ص ٤٠.



الفرصة، ويتربصون لزعيم خارجي كفو يعيد لهم مجدهم الثوري، ويعلن ثورتهم ويسير بهم إلى تحقيق أهدافهم وهي سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تابع المنصور أثناء خلافته أحوال المشرق الإسلامي والاضطرابات المتوالية فيه وأعطاهما كل اهتماماته لكون المشرق من أهم مناطق الدولة الإسلامية اقتصاديا وسياسيا.

وستحدث عن ذلك بالتفصيل في الباب الخامس الأحوال أو الأوضاع الاقتصادية والسياسية وأثرها في نشاط الخوارج وتأثير الخوارج فيها ولما كانت الاضطرابات والفوضى والحروب أوقفت أو كادت أن توقف إمداد الخلافة بالخراج فأراد المنصور أن يقضي أولا على تجمع الخوارج الذين يمثلون العدو الأول للسلطة والذين ازداد تجمعهم إلى حد أنه بات يهدد السلطة فعمل على فك هذا التجمع وذلك يتولىه عبدالله بن العلاء الخارجي سنة (١٥٨هـ / ٧٧٤) ^(١) وذلك قبل وفاة المنصور في رمضان بأيام لم تكن ثورات الخوارج في عهد المنصور مقتصره على المشرق فقط بل كانت



(١) مجهول تاريخ سيستان ص ٧٩، وهكذا تمكن الخوارج من الوصول إلى السلطة فأصبح أحد ولائه الثوريين الإسلامي منهم مما يدل على ازدياد قوتهم وتحقيق بعض مآربهم .



شمال أفريقيا مسرحاً لحركات الخوارج^(١). فقد عانى عمر بن حفصم والي هذه البلاد هو ورجاليه عننًاً كبيراً من الخوارج الأباضية خاصة كما لاقى السكان من حركات الخوارج الأباضية خاصة حيث استطاع أبو حاتم أن يحاصر القيروان حتى اشتدت الحال على أهلها فلم يبقَ بيت، وعند أهله شيء من طعام ودام الحصار أشهراً حتى أكلوا دوابهم وكلابهم وقتل عمر بن حفص في أحد معاركه مع الخوارج فلما علم المنصور ذلك أرسل يزيد بن حاتم في ستين ألف فارس^(٢). فالتقى بالخوارج، وكان معهم البربر فهزمهم هزيمة شاملة، وشتت شملهم وجمعهم وكان جند الخليفة يقتلون الخوارج وهم يصيحون بالثارات عمر بن حفص^(٣).

ويقول ماجد: "والخلاصة أن المنصور دال للخوارج في المشرق والمغرب ضربات قوية حتى ركبت ربحهم نهائياً في المشرق^(٤)، لكننا نختلف مع د. عبد المنعم ماجد في ذلك فنراهم - أي الخوارج - "أشد قوة وأعظم بأساً في عهد المهدي والهادي والرشيدي خاصة".

تولى المهدي بعد المنصور وصوّت الخوارج مرتفع فعزل عبدالله بن العلاء الخارجي عن سجستان وطلب من ولاته في المشرق أن يتعقبون الخوارج، ويلاحقونهم، ويحاربونهم حتى اشتد الأمر بين قائد العباسيين عثمان بن الطارلي ورئيس الخوارج نوح بن حمزة بن مالك، فأراد المهدي أن يسكتهم فأعاد تولية عبدالله بن العلاء الخارجي أميراً على سجستان، وضد الخوارج للأمر وهدأت الأحوال قليلاً^(٥).

وفي عهد المهدي أيضاً عاد الخوارج إلى الثورة مرة ثانية لكنهم في هذه المرة بعيداً عن سجستان فثار عبدالسلام بن هاشم اليشكري بالجزيرة^(٦) والواضح لنا هنا

(١) الطبرى الرسل والملوك ج ٨ ص ٤٢.
 (٢) سالم العصر العباسي الأول ص ١٨٩.
 (٣) الطبرى الرسل والملوك ج ٨ ص ٤٤.
 (٤) ماجد العصر العباسي الأول ص ١٣٨.
 (٥) مؤلف مجهول تاريخ سستان ص ٨٠.
 (٦) الطبرى نفس الكتاب والجزء ص ١٤٢.



أنه لابد أن يكون هناك تنسيق بين الخوارج في ثوراتهم والتنسيق الذي نقصده هو أين، ومتى تقوم الثورات؟

اشتدت ثورة عبد السلام بن هاشم اليشكري وكثر أتباعه، وهزم عسكر المهدي وقتل قائد العسكر فأعد المهدي له جيشاً كبيراً بقيادة شبيب بن واج، ومنح كل فارس في هذا الجيش معونة، وقد استطاع هذا الجيش أن يتغلب على الثائر عبدالسلام وقتله^(١). ثم ثار بالموصل خارجي اسمه: "ياسين" من بني تميم، فخرج إليه عسكر الموصل فهزموهم، وتغلب على أكثر ديار ربيعة بالجزيرة، فوجه إليه المهدي اباهريرة محمد بن فروخ وهرثمة بن اغبن فحارباه فصيبر لهما حتى قتل مع عدد من أصحابه، وانهمزم الباقون^(٢) كل هذه الثورات التي مرَّ ذكرها والتي حدثت في بداية الخلافة العباسية لم تكن إلا مجرد حركات بسيطة أو حركات ممهدة للثورة العارمة التي يتربص إليها الخوارج أنفسهم والدولة العباسية.

وبعد المهدي بوبع الهادي بالخلافة (١٦٩ - ١٧٠ هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦ هـ)، وهو مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان^(٣). ومما يؤخذ على الهادي تنكيله بالأمويين والخوارج وأخذهم أكثرهم على الظنة والريبة^(٤).

جاء عهد هارون الرشيد ١٤ ربيع أول سنة (١٧٠ هـ / ١٤ سبتمبر ٧٨٦م) جمادى الآخرة ١٩٤ هـ / ٢٤ مارس ٨٠٩ م)^(٥)، والمشرق الإسلامي فوضى لا حدود لها فاضطرب الأمر في خراسان وما حولها إلى حد كما قال فلهوزن wellhausen^(٦).

أنه لم يدم فيها سلام قط ولم يكن لها حدود ثابتة، ومن أشد عوامل الفوضى هناك التناحر والخصام بين القبائل العربية هناك التي تسابق في محاربة الخوارج^(٧).

(١) ابن الأثير الكامل ج ٦ ص ١٩ .

(٢) نفسه.

(٣) أحمد رمضان أحمد حضارة الدولة السياسي ص ٢٥ .

(٤) نفسه.

(٥) محمد الحضري الدولة العباسية دار المعارف بيروت ص ١٠٣ .

(٦) تاريخ الدولة العربية ص ٣٩٣ .

(٧) فلهوزن تاريخ الدولة العربية ص ٣٩٣ .



لقد مهد هارون الرشيد للثورة بأخطائه السياسية، فمن أخطائه أنه عزل " يحيى البرمكي" من ولاية خراسان عقابا له، وولى مكانه على بن عيسى ابن ماهان^(١)، وكان هذا الوالي متجاوزا في إرهاب الأهالي الذين يترقبون الانفجار فأرهبهم بدفع الأموال إليه فأخذ يجمع الأموال بدون حد من أهالي خراسان، وما وراء النهر، وبلاد الجبل وجرجان وطبرستان، وكرمان وسباهان، وخوارزم، وسبستان، وكلها تخضع لولاية خراسان الأكبر. فجر عليها الخراب بجمعه هذه الأموال دون حساب^(٢)، فحدث الاضطراب الاقتصادي عند الأهالي ولاشك أن الاضطراب الاقتصادي هو خالق للاضطرابات السياسية والاجتماعية .

بدأت في عهد الرشيد الثورات للخوارج ولكنها في أول الأمر ثورات محدودة أهمها:

أولاً: ثورة الوليد طريف الشاري الشيباني (١٧٨هـ / ٧٩٤م)^(٣)، كان الوليد رجلا ذا بأس شديد إعادة للخوارج عهدهم الزاهر في أيام بني أمية فهو الذي يقول عن نفسه:

أنا الوليد الشاري قسورة لا يصطلي بنارى

لقد ثار الوليد بالجزيرة، واشتدت بها شوكته وكثر أتباعه، وهزم عدة من جيوش الرشيد. فاتجهت للقضاء عليه عناية الخليفة، فاختار بطلا من رجاله يزيد بن مزيد وهو ابن أخي معن بن زائدة^(٤)، والوليد بن طريف ويزيد بن مزيد كلاهما من وائل، وكلاهما في الحرب ليث غاب وتولى يزيد

محاربة ابن عمه الوليد فقال فيها أحد الشعراء:

(١) الطبرى الرسل والموك ج ٨ ص ٢٠٧.

(٢) باريزى تاريخ الليث الصفار ص ٤٤-٤٥.

(٣) الطبرى نفس المصدر ج ٨ ص ٢٥٦-٢٦١.

(٤) تولى إمارة سجستان وخراسان وافد الأمر فيها بجمعه الأموال من الأهالي دون وجه حق إبراهيم بن يعقوب بن الليث ص ٤١.



وائل بعضهم يقتل بعض * لا يفل الحديد إلا الحديد^(١).

ظل يزيد يخاتل الوليد، ويمكر به دون أن يقضى عليه ودون أن يظهر له عنف القادة وقسوتهم، ولكن مسلم بن الوليد يلجأ هنا إلى تعليل هذا الموقف فيقول :

ينال بالرفق ما يعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتي على مهل

لقد كان لسياسة يزيد في حربه مع ابن عمه الوليد بن طريف أثر بالغ في نفس الرشيد فنضب الرشيد لهذا التواني من يزيد وكتب إليه " لو وجهت أحد الخدم لقام بأحسن مما تقوم به، ولكنك مداهن متعصب وأقسم بالله لو أخرت مناجزته لأوجِبَن إليك من يحمل رأسك " ويذكرنا الرشيد برسالته هذه بموقف الحجاج من عبدالرحمن بن الأشعث في سجستان. تسلم يزيد رسالة هارون الرشيد فاستعد للقاء الفاصل مع ابن عمه والتقى الجيشان، وفي وسط المعركة أحسَّ يزيد بعطش قاتل، ولكنه رمى بخاتمه في فمه وجعل يلوكه ويقول: اللهم إنها شدة شديدة فاسترها وكان له النصر، ويقال إن أسد بن يزيد كان شديد الشبه بأبيه لا يفصل بينهما إلا ضربه في وجهه (يزيد) فكان أسد يتمنى مثلها وقد تحققت أمنيته في تلك المعركة فأصابته ضربة كأنها خطت على ضربة أبيه وقتل ابن طريف في هذه المعركة^(٢)، فرثته أخته ليلي بقصيدة موثرة تقول فيما: ^(٣) (٣)

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف.

فتي لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا قنا وسيوف.

حليف الندي ما عاش برضى به الندي * فإن مات لا يرضى الندي بحليف

جاءت سنة (١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) ورفع فيها حمزة بن عبدالله الذي تولى زعامة

الخوارج راية العصيان، وكانت هذه المرة راية شديدة أتعبت هارون الرشيد .

(١) الطبري ، الرسل والملوك ، ج ٨ ص ٢٦١ .

(٢) نفسه .

(٣) ابل الأثير الكامل ج ٦ ص ٤٧_٤٨ وانظر الطبري : نفس الكتاب والصفحة .



كان حمزة بن عبدالله من أهل (اوق) إحدى قرى سيستان^(١) استولى على سجستان، وخراسان ومكران وقيستان وكرمان وهزم الجيوش الكثيرة^(٢)، وكان يعتبر نفسه من نسل زو بن طهماسب البطل الأسطوري الإيراني^(٣)، وكان ظهور حمزة في سجستان وخراسان أول الأمر وهو في الأصل من الخوارج التجارية الخازمية^(٤)، لكنه خالف الخازمية ووالي القعدة من الخوارج^(٥)، في حين يذكره ابن الاثير أنه حمزة ابن اترك السجستاني، وأنه ظهر عام (١٧٧هـ / ٧٩٣م)^(٦)، وأما البغدادي فيذكره باسم حمزة بن اكرك^(٧). خرج حمزة هذا من سجستان لأداء فريضة الحج، وهناك تمكن من الاتصال بكل مراكز الخوارج والتعرف على المعارضين للخلافة في بغداد، فاستطاع أن يعود إلى سجستان، ومعه عدد كبير من أتباعه، وبإيعه كذلك أكثر خوارج سيستان الذين كانت تجمعهم جمعيات سرية، والتفّ حوله نحو خمسة آلاف من الخوارج بإيعوه جميعاً^(٨).

استعد حمزة لنشر دعوته، وإعلان ثورته وفي الوقت نفسه استعدّ له عيسى بن على بن عيسى والي خراسان لمحاربته، فترك عيسى مكانه حفص بن عمر على سجستان، وبدأت الحرب ضد حمزة، في يوم الجمعة من شوال من العام الثاني والثمانين بعد المائة للهجرة^(٩) استبسل فيها الخوارج، وقتلوا كثيرا من جند عيسى الذي هرب عائدا إلى خراسان. أما حمزة فانه لما شعر بازدياد قوته إلى حد كبير أراد أن ينهي الأمر بينه وبين على بن عيسى، وأن ينهيه كما يريد، فخرج في أتباعه مغيرا على خراسان ونسابور فلما علم عيسى بن علي بن ماهان، وأنه والي سيستان من قبل والده بوصول

- (١) الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٥٦ .
- (٢) البغدادي الفرق بين الفرق ص ٩٨ .
- (٣) مؤلف مجهول، تاريخ سستان ص ٢١٨ .
- (٤) البغدادي المصدر السابق ص ٩٤-٩٥ .
- (٥) نفسه .
- (٦) ابن الأثير الكامل في التاريخ ج ٦ ص ٤٩ .
- (٧) البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٩٨ .
- (٨) باريزي يعقوب بن الليث ص ٤٣ .
- (٩) باريزي ، يعقوب بن الليث ، ص ٤٥ .



حمزة إلى خراسان ذهب خلفه إلى سيستان، وأخذ الخراج والضرائب من الأهالي ونزل قرب مدينة كركوي سنة (١٨٨ هـ / ٨٠٣ م)^(١)، فلما علم بذلك حمزة تقدم إليه والتقى الجمعان، وهزم حمزة واضطر إلى الرجوع إلى خراسان، فسار عيسى بن علي في إثره حتى التحم الفريقان ثانية في نيسابور ودارت بينهما حرب شديدة استعمل فيها حمزة أسلوب الكر والفر، متراجعا إلى سيستان عيسى فقد ظل مع والده في نيسابور^(٢). من نيسابور وجه على بن عيسى إلى هارون الرشيد رسالة شرح فيها خطر الخوارج وحالة المشرق : فقال: "لتعلم أن رجلا من خوارج سيستان قد ثار وهو يقوم بالإغارة على خراسان وكرمان وقتل عمال هذه النواحي الثلاث، فانقطع الدخل ولم يعد يصل إلينا درهم، ولا حبة من خراسان أو كرمان أو سيستان"^(٣)، كانت لهذه الرسالة آثارها البالغة في نفس هارون الرشيد فقد أيقظته من غفلته لكونها تحمل إليه وخامة الأوضاع في المشرق، فأراد أن يضع حداً لذلك فقرر أن يذهب بنفسه إلى خراسان

في الوقت الذي يستعد فيه هارون الرشيد للقدوم إلى خراسان كان حمزة الخارجي قد تمكن من أن يجمع من أصحابه ثلاثين ألف فارس^(٤)، فلما وصل هارون الرشيد إلى الري رأى لعدة أسباب أن ينثني عن عزمه ويعود من الري^(٥)، ولعل من هذه الأسباب أنباء عن احتمال هجوم الروم على الثغور الإسلامية، لكنه في عام (١٩٣ هـ / ٨٠٧ م) فكر في الذهاب إلى خراسان والتحدث إلى أهلها لترتيب أمورها فسار إليها، وفي أثناء الطريق كتب رسالة إلى حمزة بن عبدالله الخارجي^(٦) يأمره بالطاعة والمساعدة على استقرار الأمن^(٧)، لكن حمزة لم يقبل شروط الخليفة ورفض الصلح والطاعة^(٨)، وفي الوقت نفسه استعد لقتاله، وأعلن أن هذه آخر معركة لتحديد موقفه وموقف

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) مؤلف مجهول، تاريخ سيستان ص ٢٢٢.

(٤) (١) باستاني يعقوب بن الليث ص ٤٦.

(٥) (٢) مؤلف مجهول تاريخ سستان ص ١٦٠.

(٦) نص الرسالة تجدها في الملحق الخاص بالبحث.

(٧) مؤلف مجهول المصدر السابق ص ٢٣٠.

(٨) نفسه.



الخوارج من الخلافة العباسية في بغداد فطلب من أعوانه العون والمساعدة الكاملة ، فأجابوه إلى طلبه ولم يخيبوا رجاءه، وأقسموا على طلاق نساءهم إن لم ينصروه وكتبوا وصاياهم وليسوا أكفأهم والسلاح فوقها وبلغوا ثلاثين ألفا جميعهم من الزهاد وحفظة القرآن^(١) ، وكانوا ينشدون .

أظنّ هارون وأشياعه انا نبيع الحق بالباطل .. الخ^(٢)

زحف جيش حمزة إلى خراسان ووصلت أنباء حركته إلى نيسابور في نفس الوقت الذي وصل فيه خبر وفاة هارون الرشيد في طوس^(٣) ، ودفنه بها وذلك في جمادى الآخر سنة (١٩٢ هـ / ٨٠٧ م) فلما جاء نعي هارون إلى حمزة توجه إلى أصحابه، قائلاً: "وكفى الله المومنين القتال".

لقد كانت الفرصة ذهبية وسانحة جدا لحمزة الخارجي لاحتلال خراسان بل ونيسابور ، والحقيقة أن حمزة خسر أحسن الفرص المواتية لنجاح أهدافه ومقاصده الوطنية، لكن الذي حدث عكس ذلك تماما فقَدَ حمزة سياسته ضد الخلافة، ولا نعلم بالسبب الحقيقي لهذا التغير الفكري الذي سيطر عليه وأدى بدوره أيضا إلى اضمحلال تنظيمات الخوارج في المشرق، فلعل النخوة العربية، أو لعل الزهد والورع والتدين الذي لا يعرف حدا عنده هو الذي دفعه إلى كف يده عن حرب المسلمين وقتالهم فأراد أن يعوّض ذلك بغزو الكفار ومهما يكن السبب فإنه غير رأيه منذ ذلك اليوم الذي سمع فيه بموت هارون الرشيد فقال: واجبنا الآن أن نغزو عبدة الأصنام في السند والهند والصين والتركستان والروم والزنج"^(٤).

المدهش هنا أن أعوان حمزة أيده في هذا الاتجاه الجديد في تحويل الجيوش إلى فتوحات إسلامية جديدة تاركين أعدائهم داخل فلم يعترض عليه أحد منهم بل قالوا

(١) مؤلف مجهول نفس المصدر السابق.

(٢) نفسه.

(٣) باستاني نفس المصدر ص ٤٧.

(٤) مؤلف مجهول ، تاريخ سيستان ص ٢٣١.



جميعاً: قولة رجل واحد " إننا معك فيما يأمرك به الله. ولعل هذا التصرف في رأينا من حمزة وأتباعه إن دل على شيء فإنما يدل على أن الخوارج فعلاً أصحاب بساطة وعدم عمق في فهم الأمور، وعدم تقدير لنتائج ما يقدمون عليه.

وبعد هارون الرشيد تمكن المأمون من الخلافة فكتب إلى حمزة الخارجي كتاباً استدعاه فيه إلى الطاعة فما زاده ذلك إلا اعتوا في أمره^(١) فبعث المأمون بطاهر بن الحسين لقتال حمزة فدارت بين طاهر وحمزة حروب قتل فيها من الفريقين

ثلاثين ألفاً أكثرهم من أتباع حمزة ووصل حمزة إلى كرمان^(٢). ولما استدعى المأمون طاهر بن الحسين من خراسان طمع حمزة في خراسان، فأقبل عليها مع جيشه من كرمان فخرج إليه عبدالرحمن النيسابوري في عشرين ألف رجل من غزاة نيسابور ونواحيها وهزموا حمزة وقتل الألو ف من أصحابه^(٣)، فضعف بذلك شأن الخوارج في المشرق الإسلامي .

رابعاً: ضعف الخوارج وعوامل فشلهم:

اختار الخوارج أطراف العالم الإسلامي ميداناً لنشاطهم بعد أن تعرضوا للمطاردة والاضطهاد^(٤)، فكانت أحوال المشرق ملائمة للخوارج سواء الأحوال السياسية أو الاجتماعية^(٥)، فقد تقبل بعض أهل المشرق هذا المذهب، وكانوا عوناً للخوارج على أعدائهم^(٦).

ولكن هل نجح الخوارج في المشرق في استقرار دائم وتثبيت دولة لهم هناك؟ وما هو دور أهل المشرق في نجاح أو فشل الخوارج؟ لقد كانت نظرة أهل المشرق للخوارج تتسم بنقطتي ضعف من ناحية الروح الوطنية؛ الأولى: أن فرق الخوارج كانت تتكون

(١) البغدادي الفرق بين الفرق ص ٩٩.

(٢) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٠٠.

(٣) نفسه.

(٤) الشماخي السير ص ٩٨.

(٥) البغدادي الفرق بين الفرق ص ٧٤.

(٦) ابل الجوزي تلبيس إبليس ص ٩٦.



من رجال متدينين.. ومتعصبين وكانت الناحية الدينية لديهم تفوق الناحية الوطنية الشعبية^(١).

والثانية: أن أغلبيهم كان ينحدر من أسرٍ عربية مهاجرة بالطبع لم تكن لديهم تلك الرابطة والولاء والإخلاص الذي كان لابد أن يكون فهم نحو وطنهم، فخلق ذلك نوعًا من نفور الناس من الخوارج.

ومن الأسباب التي أدت إلى نفور أهل المشرق من الخوارج، وعجلت بنهايتهم مبالغتهم في تقديرهم لرأيهم^(٢). فإنهم يرون الرأي فيصبح عندهم عقيدة لا يحدون عنها. ولو كان هذا الرأي خطير النتائج، أو قاسيا عنيفا ولكنهم لا يهتمون بذلك، ولا يسمحون للمناقشة فيه بل كانوا عبيدًا مخلصين لأرائهم^(٣)، لا يقيمون وزناً لسواها، ولا يتوانون في التضحية من أجلها فقد قالوا: لعبد الله

إن سلطة الخليفة العباسي مقدسة ومستمدة من الله تعالى^(٤)، فكانت نظرة الخوارج للعباسين كنظرتهم للأمويين على أنهم مغتصبون للسلطة وكانت نظرة العباسيين للخوارج على أنهم أعداء حقيقيون لهم. فسارعت كل من الخلافة الأموية والعباسية وبذلت كل ما لديها من قوة، وسخرت كل إمكاناتها للقضاء على الخوارج. فكان ليقظة الخلافة، ورجالها في مناهضة الخوارج أثر كبير في مواجهتهم والقضاء على ثوراتهم التي قاموا بها في المشرق الإسلامي، فعلى الرغم من كثرة تلك الثورات وما أبدوه فيها من ضروب الشجاعة^(٥)، عجزوا عن تحقيق أهدافهم، وأصبحوا هدفًا للبطش والاضطهاد، وذلك بالرغم منهما انطوت عليه مبادئهم من الدعوة إلى العدل والحرية^(٦).

(١) ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٤٠٢.

(٢) مجهول تاريخ سستان ص ١٠٩-١١٠.

(٣) المبرد الكامل ج ٢ ص ٢٥٤.

(٤) ابن عبدبره العقد الفريد ج ٣ ص ٣٧٠، والمسعودي مروج الذهب ج ٢ ص ٢٥٠.

(٥) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ١٧٢، والمبرد الكامل ج ١ ص ٥٤٦، وابن عبد ربه نفس المصدر ص ٢٥٦.

(٦) الرازي اعتقادات فرق المسلمين ص ٤٢، وانظر محمود اسماعيل، الخوارج ص ٢٥، (Don Spanish).

(Islm,p.86).



ولعل من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى نهاية الخوارج، هي ضعف الطاقات البشرية الاقتصادية فلم تكن جيوشهم تتجاوز الألف أو الألفين في معظم المعارك^(١)، كما أن الإمكانيات الاقتصادية التي عند الخوارج كانت بسيطة جدا انعكس أثرها في العدة العسكرية التي لا تتناسب عدة العدو، وقد عبر عن ذلك أحد زعمائهم وهو أبو حمزة المختار بن عوف بقوله: "أقبلنا من قبائل شتى نفرنا على بغير واحد عليه زادهم وأنفسهم"^(٢)، في حين كانت القوة الأموية تفوقهم في العدة، والعدد فقد أشار الطبري إشارة مهمة إلى عدد الجيش الأموي البالغ أربعة آلاف وعدته المتفوقة والتي كانت عاملا حاسما في تفوق الأمويين فيقول: "إن عبدالله بن محمد بن عطية قدم لحرب الخوارج في أربعة آلاف فارس عربي مع كل واحد منهم بغل، ومنهم عليه درعان ودروع وتنور وتجافيف وعدة لم ير مثلها في ذلك الزمان"^(٣). ثم إن حركة الخوارج أقامت كيائها السياسي في أول الأمر في بيئة ومحيط معادية من الناحية السياسية وخاصة أهل الجزيرة الذين كانوا يسخرون منهم، ويصفونهم بالأعراب الحفاة^(٤). والواقع أن الخوارج في المشرق كانوا يحاربون بجماعات لم يستقر لها نظام، ولم تأخذ شكل الدولة ولم تكن لجماعتهم عاصمة معينة منها يوجهون وإليها يلجأون بل كانوا لا يعلمون إلى أين ذاهبون؟ ومتى يعودون؟^(٥). في حين كانت خصومهم أصحاب نظام مستقر وعاصمة بعيدة عن ميدان القتال بوجه الخليفة منها أو امره ورسائله إلى عماله في الأقاليم، ويعمل ويتصرف وهو هادئ مطمئن فلا بد أن يكون لذلك الأثر الأكبر في نجاح خصومهم عليهم ونهايتهم. على أن أهم أسباب فشلهم في المشرق هو أن مذهب الخوارج مذهب سياسي هدفه تقرير الأمور العامة ولم يكن موجعا إلى هدف يمكن تحقيقه خاصة، وأنهم زهدوا في منصب الإمامة^(٦).

(١) البلاذري أنساب الأشراف ورقة ١١ ب .

(٢) الطبري نفس المصدر ج ٧ ص ٢٩٧ .

(٣) الطبري الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٩٩ .

(٤) الأصفهاني الأغاني ج ١٣ ص ١٣٢ .

(٥) باريزي يعقوب بن الليث .

(٦) ابل قتيبة الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٢٠٦ ، والدينوري الاخبار الطوال ص ١٩١ .



والذي أجمع عليه معظم المؤرخين أن من أهم أسباب فشل الخوارج في المشرق، ونهايتهم هو: تفشي الخلافات والانقسامات بينهم، وداخل جماعتهم حتى بعد المعارك بقليل. وهناك رأي الدكتور سهير القلماوي في الانقسام طرحته حيث قالت: "إن انقسامهم خطة مدبرة للهجوم على الدولة الأموية^(١)، والحقيقة لم يحدث ما يشير إلى ذلك وليس هناك دليل تاريخي واحد يثبت هذا الرأي، بل الذي حدث على العكس من ذلك رأيناهم ينهي بعضهم بعضاً ورأينا خصومهم يستغلون هذا الانقسام في ملاحقتهم والقضاء عليهم. أما الانقسام والانشقاق بين صفوف زعمائهم فكان بمثابة ضربة قوية وجهوها لأنفسهم فقد دب بأسهم بينهم، وانقسموا إلى فرق انشغل بعضها بقتال بعض، كما حدث في كرمان سنة (٧٧هـ / ٦٩٦م)^(٢) حيث تفرق الأزارقة إلى فريقين فريق مع فطري بن الفجاءة، وفريق آخر انتقل إلى عبدربه الصغير، فضعف الفريقان واستغل قائد جيش الأمويين المهلب بن أبي صفرة هذا الانقسام بين الخوارج وتمكن من هزيمة عبدربه وقتله وقضى على أتباعه وذلك سنة (٧٧هـ / ٦٩٦م)^(٣)، ثم ارتحل قطري بن الفجاءة إلى طبرستان فلقق به جيش الشام وقضى عليه وبذلك قضى على الأزارقة تماماً في المشرق الإسلامي^(٤). ومن العوامل التي عجلت بنهاية الخوارج في المشرق وفشلهم هناك .

أولاً: أن أكثرهم كانوا لا يعرفون النظام ولا يألفون الطاعة؛ لأن أغلبهم من أهل البادية ومن أجل ذلك كانت تفتقر كلمتهم لأقل الطواريء، وأوهن الأسباب ولو اتفقت كلمتهم لمحووا بني أمية من الدنيا محوا ولألفوا دولة من أقوى دول الأرض.

(١) سهير القلماوي أدب الخوارج ص ٣٥ .

(٢) ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ١٨٢ وما بعدها.

(٣) الطبري الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٠٠ .

(٤) ابن خلدون العبر ج ٣ ص ١٦١ وابن كثير البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٠ والمبرد الكامل ج ٣ ص ٦٤ .



ثانيًا: إلى آرائهم المتطرفة، فقد كفروا كل مخالفيهم وأوجبوا محاربتهم ومحاربة الولاة (ولاة الأمور عامة) هؤلاء الولاة الذين أسرفوا في العنف الخوارج وبالغوا في استئصالهم والقضاء عليهم .

ففي عهد زياد بن أبيه كانت القبائل إذا أحسّت بخارجي فيهم أو ثقوه وأتوا به زيادا، فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله^(١). وفي عهد ابنه عبيد الله الذي بالغ في سياسة العنف مع الخوارج^(٢)، فكان يقتل من يشتهبه في ميله لمذهب الخوارج ويذكر الدينوري^(٣): أنه قتل تسعمائة رجل بالتهمة والظنة "عدا ما لاقاه الآلاف في السجون من صنوف الإرهاب والتعذيب"^(٤). وجاء الحجاج والمهلب فكانت قسوتهم على الخوارج أشد وأعنف فكان الحجاج يأمر بقتلهم جماعات "بالتهمة لا بالخطيئة"^(٥).

ثالثًا: ومن عوامل فشل الخوارج أنهم لم ينشئوا جماعة كالجماعات السرية التي تكون بمثابة القوة المفكرة في الجسم، وتعمل في الخفاء، وفي هدوء فترسم الخطط، وتنظم الوحدة، وتحفظ كيائها من أن يتعرض إلى الانهيار وسلطانها من أن تتخطفه الأهواء، بل كانوا سرعان ما يعلنون أمرهم ولا يباليون بما قد يتخذ ضدهم من التدابير أو يلقي في سبيلهم من العوائق أو يعرضهم إلى الأخطار.

رابعًا: الأعمال التخريبية التي كان يقوم بها بعض أفراد من بعض فرق الخوارج، من قتل النساء والأطفال وقتل مخالفيهم وإحراق القرى وكسر الخراج، وقطع طرق

(١) المبرد الكامل ص ٩٨٥ ابن عبد ربه العقد الفريد ج ١ ص ٢٥٩.

(٢) الطبرى الرسل والملوك ج ٥ ص ٣١٢ .

(٣) الأخبار الطوال ص ٢٧٠ .

(٤) المبرد نفس المصدر ص ١٠٠٤ وقلهوزن الخوارج والشيعه ص ٢٩ .

(٥) ابل العربي القواصم والعواصم ورقة ص ١٠٧ .



التجارة مما أدى إلى كرههم من جانب الناس عامة، فاندفعوا إلى مساعدة ولاة الدولة في القضاء عليهم .

خامساً: في الكوفة حيث طغيان مذهب التشيع ومناقضة ذلك المذهب لمبدأ الخوارج فكره أهل الكوفة والشيعية عامة للخوارج لخروجهم على علي بن أبي طالب، وتكفيرهم إياه فساعد هؤلاء ولاة الدولة في غالب الأحيان على قتال الخوارج^(١).

سادساً: تفرق الخوارج إلى فرق متعددة^(٢)، مما أدى إلى إضعافهم وتفتيت وحدتهم فسهل على ولاة الدولة القضاء عليهم.

ونتيجة لتبعنا لسيرة الخوارج وتاريخهم الحربي مع الدولة الأموية والدولة العباسية نجد أنهم لم يتوقفوا عن محاولاتهم العسكرية لإسقاط حكم بني أمية أولاً، والعباسيين ثانياً، والاستيلاء على قيادة المسلمين إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغم انتصاراتهم في مواقع كثيرة ورغم ما يبعثه تاريخهم الحربي من إعجاب في نفوس قارئيه، فإن هناك ما يثير الاستغراب في أمرهم فإنهم يحاربون خصومهم في جهات مختلفة، تكاد تكون خالية من التنسيق. ولو قيض لهذه الجماعة أن تعمل تحت إمرة واحدة ، وتنسيق محكم وفق خطة منسقة متكاملة لاستطاعت تحقيق الكثير من مطامعها السياسية، وأهدافها التي خرجت من أجلها ولتجنبت الكثير من الزائم التي منيت بها، ولكننا لا ننكر أن هؤلاء الخوارج استطاعوا أن يبسطوا في بعض الأحيان سلطانهم على بعض الأقاليم في المشرق الإسلامي.



(١) ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ١٤٢ .
(٢) البغدادي الفرق بين الفرق، والشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ١٥٦ .

الفصل الخامس

أثر الخوارج في مجتمعات الشرق

١. الفكر السياسي
٢. الحياة الاقتصادية
٣. الحياة الاجتماعية
٤. الحياة الثقافية



تحدثنا عن وصول الخوارج إلى المشرق وأبرزنا دورهم السياسي هناك متمثلاً في نشر عقيدتهم ومن ثم حروبهم الطاحنة مع الخلفاء الأمويين أولاً ثم العباسيين. لكننا لم نتطرق إلى مدى تأثير هؤلاء الخوارج علي مجتمع الشرق سواء في الفكر السياسي أو في الحياة الاقتصادية أو في الأوضاع الاجتماعية والثقافية. فمما لا شك فيه إن تواجد الخوارج في المشرق بفكرهم الثوري أحدثوا تغييراً واضحاً في أفكار أهل المشرق وأثروا تأثيراً بالغاً في الاقتصاد والحياة الاجتماعية والثقافية وهذا ما سنعرض له فيما يلي :

أولا الفكر السياسي :

قبل أن نتدخل في فكر الخوارج السياسي في المشرق لابد لنا من إلقاء نظرة علي هذا الفكر حول موضوع الخلافة "السلطة" كانت مشكله الخلافة أول مسألة اشدت فيها الخلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ " وخاصة انه لم يرد في القرآن الكريم وهو دستور المسلمين أي نص صريح يتم بموجبه اختيار رئيساً للدولة كما أن الرسول ﷺ " لم يعين الشخص الذي سيتولى زعامة المسلمين من بعده.

ولكن سرعان ما اتفق المسلمون علي انتخاب خليفة للرسول "ص" لتفويض الرسول "ص" له بإمامه المسلمين في الصلاة أثناء مرضه (١) . تولى أبو بكر الخلافة ، ولما شعر بدنو اجله أدرك بضرورة العهد من بعده حتى يجنب المسلمين الفتنة والاختلاف ، وهكذا تم الأمر في الخلافة حتى جاء عهد علي بن أبي طالب . ولما قبل علي بن أبي طالب التحكم اتخذ الخوارج من قبوله هذا مبرراً للقضاء علي التقليد المتعارف عليه في انتخاب الخليفة (٢) ورأوا أن يحققوا حلمهم في التخلص من زعامة قريش ، فأعلنوا أن الخلافة يجب ألا تكون وقفاً علي جماعه معينة ، وظهر ذلك في قولهم بعد انفصالهم في حرورا: " الأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف

1 الدروي ، مقدمه بيروت ١٩٦٠ ص٤٨.

٢ وكان التقليد هو أن يكون الخليفة من قريش لا من سواها ، أي أن تتركز الخلافة في قريش وتكون حكمه علي



والنهي عن المنكر، (١) والتوحيد والعدل (٢) "وأنه ما من صراع سياسي إلا ويكون له اثر عقائدي والعكس صحيح.

فكانت نظرتهم في الحكم تمثل الديمقراطية الحقة ، ذلك أنهم نادوا بان الخلافة حق لكل عربي ، ثم اشتروا الإسلام والعدل بدلا من العروبة والحرية ، عندما دخل في حزبهم كثير من المسلمين من غير العرب وبالتالي تكون الخلافة حق لكل مسلم سواء أكان حرا أو عبدا (٣) دون النظر والاعتبار لنسب الخليفة أو أصله أو عصبيته.

لذلك كانوا يطالبون بالخروج علي الخلفاء الأمويين أولا ثم العباسيين جريا علي القاعدة الإسلامية التي تقول " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (٤). وعلي ضوء ما تقدم في فكر الخوارج السياسي في الخلافة يمكن لنا أن نلخص هذا الفكر في الأثر

أولا : الخلافة حق شائع بين جميع المسلمين الأحرار والأرقاء (٥) . وإذا اختير الخليفة فلا يجوز أن يتنازل عنها وإذا جار أو انحرف استحل الخوارج قتله إذا اقتضت الضرورة ذلك (٦) .

ثانيا : يرى الخوارج أن الخلافة لا تتم إلا بالشورى فيستحقها المسلم يجتمع فيه العلم والزهد ولو كان عبدا (٧). ثالثا : ويرى الخوارج في الخلافة أنهم يقدمون

١ البلازي ، فتوح البلدان ، ج ٢ ، ص ١٩٤ .

٢ الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ج ١ ص ١٥٦ .

٣ . احمد رمضان ، حضارة الدولة العباسية ، ص ٩ .

٤ ابن عبيد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤ ص ٢٠٠ . عن علي رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ بعث جيشاً وأمر عليهم رجلاً فأوقد ناراً وقال: ادخلوها، فأرادوا أن يدخلوها وقال آخرون: إنما فررنا منها، فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة، وقال للآخرين: لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف) رواه البخاري.

والطبري ، الرسل والملوك ج ٧ ص ٣٩٥- ٣٩٦ .

الأصفهاني : الأغاني ج ٢٣ ص ١٣٠ .

٥ (البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ٧٢ .

٦ المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٤٠٦ .

٧ (ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص ٩١ .



الفاضل علي المفضول وقد يعرفون الفاضل إذا ما ندب نفسه أو دعا أو خرج للجهاد وكان التفضيل عندهم بالتقوى (١) .

كان من المتوقع أن تقبل الموالي والعجم وسكان المذهب الأصليين علي مذهب الخوارج في المشرق لسماحة رأيهم في الخلافة حيث جعلوها حق لكل مسلم بغض النظر عن أصله وجنسه ، وهو مبدأ تتفرد به الخوارج دون سائر الفرق الإسلامية (٢) لكن لم يكن من انضم ذوى اثر عددي (٣) . ويعزى احمد أمين السبب في ذلك إلي كون الخوارج من البدو المتعصبين لجنسهم الذين يحتقرون الموالي ويزدرونهم (٤) . ويصف قائلاً : " ولولا هذه العصبية لتبعهم معظم الموالي في المشرق (٥) . في حين يرى المؤرخ ديمويين (٦) أن عددا كبيرا من الموالي انضموا إلى الخوارج حين نادوا بالمساواة وعارضوا حصر الخلافة في قريش ، ويشاركه في هذا الرأي جب وكراموزر Gibb&kramers قائلين أن الانضمام هذا عائدا إلى مساواة الخوارج بين الموالي والعرب (٧) لكن فهلوزن (٨) حينما قال : " أن سياسة الخوارج غير سياسية فلعله كان يعني بذلك أن الخوارج لم يعمدوا إلي التنظيم والدعوة وما يرتبط بها من وسائل الترغيب وكسب الأنظار ، وأنهم لم يفتنوا إلي ذلك إلا في وقت متأخر. والجدير بالذكر ان الخوارج استطاعوا بفكرهم السياسي التأثير علي الولاة أنفسهم فهذا مطرف بن المغيرة واليا للحجاج علي المدائن استمالته الخوارج وأصبح من أصحاب الرأي فيهم (٩) هذا الدليل قوة فكر الخوارج في التأثير. وتجلي التزام الخوارج في المشرق بفكرهم السياسي تجاه السلطة في نظرتهم للإمامة ، علي أنهم يقدمون للإمامة من كان "أبصرهم بالحرب

١ الناشئ الأكبر ، مسائل الإمامة ، ص ٦٨ بيروت ٧١ .

٢ محمود إسماعيل ، لخوارج ، ص ٢٦ .

٣ أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٣٦٢ .

٤ نفسه .

٥ نفسه .

٦ النظم الإسلامية ، ص ٤٨ .

٧ p. islem of Lopadia. Ency sborter :kramers&Gibb .

٨ الخوارج والشيعة ص ٢٩ . تاريخ الدولة العربية ص ٣٧٢ .

٩ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٢٥ .



وأفقههم في الدين وأشدهم اطلاعا بما حمل (١) ولكنهم يفضلون من هو أقدم دراية في الحرب على الفقه والدين لأن ظروف الخوارج كانت في جميع الأحوال ظروف حرب ولأن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستدعي مهارة في القتال ، فعندما خرجوا في أول أمرهم وكانوا اثني عشر ألفا تنادوا بأن أميرهم علي القتال هو شبت بن ربعي (٢) وأميرهم علي الصلاة هو عبد الله بن الكواء البشكري (٣) .

أجازوا إمامه النساء عندهم ، لقد أولي الخوارج منذ ظهورهم ومنذ بداية الدعوة سرا والكتمان اهتماما كبيرا بالمرأة الخارجية التي شاركت بصورة فعالة في تحمل مسؤولياتها وأبدت مقدرة كبيرة في حفظ أسرار الدعوة والتكتم عليها . أن هذا المستوى الرفيع من المعرفة السياسية والتنظيمية ومجابهة المواقف الحربية كان نتيجة للإعداد والدروس التي كان يلقيها مشايخ الدعوة ، فقد كان جابر ابن زيد يزور النساء من الخوارج لغرض تعليمهن (٤) كما كان أبو سفيان يقوم بتدريس الدروس الفكرية في أمور الإسلام والمذهب في مجالس تتعلم فيها المرأة (٥) الدروس القرآنية والفقهية . وكانت بيوت العجائز منهن عبارة عن خلايا يجتمع فيها الخوارج دفعا للشبهة (٦) . أن هذا الإعداد الفكري والتطبيقي مكن المرأة من المشاركة في حوض المعارك الحربية في مختلف المناطق من المشرق الإسلامي . ويشيد الجاحظ بالتزام المرأة عند الخوارج بتقواها ، حتى كان بعضهم يتمنى أن يكون في نسائهم أمثالهن ، ويأخذون بحفظ سورة النور (٧) . وعندما ظهر شبيب بن يزيد الشيباني الملقب بأبي الصحاري (٧٧هـ / ٦٩٦م) وأجاز إمامة النساء إذا خرجن على المخالفين وقمن بأمر الرعية (٨) لذلك اعتبر أتباع شبيب

١ الطبري ، الرسل والملوك ج ٥ ص ١٧٥ .

٢ الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ص ٣٣ .

٣ نفسه .

٤ الشماخي ، السير ص ٨٧ .

٥ نفسه .

٦ الدرجيني ، طبقات الاباضيه اورقه ١٠٧ أ

٧ . الجاحظ ، البيان والتبيين ، بيروت ، ١٩٤٨ ج ٢ ص ١٨٠ .

٨ الاسفرائيني ، التنصير في الدين ص ٣٥ .



هذا أن أمه غزالة الخارجية إمامة من بعده إلى أن استشهدت (١) وكانت غزالة هذه تشارك ابنها شبيب في حربه مع الحجاج دخل شبيب الكوفة أشار إلى أمه أن ترتقي المنبر فصعدت وخطبت (٢) وبإيعوها بعد قتله (٣) علما بأن الخوارج كانوا قبل ذلك يعيرون على عائشة أم المؤمنين خروجها مستدلين على ذلك بقوله تعالى : " وقرن في بيوتكن " الأحزاب آية 33 (٤) ولذلك فقد أعطى الخوارج الإمامة أهمية كبيرة وامتازوا بأنهم أهل إمامة وجماعة ودار وسيف وسموا دارهم دار الهجرة ، ودار المخالفين لهم من المسلمين دار حرب وكفر (٥). ولقد لاحظ ابن أبي الحديد (٦) أن الخوارج في المشرق بالرغم من استعمالهم للكلمة خليفة وإمام إلا أن لقب أمير المؤمنين هو المحبب عندهم فقد أكثروا من استعماله ولعل مرجع ذلك عندهم أن ذلك كان تيمنا منهم باسم أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب (٧) كما أشار الدميري إلى ذلك المعنى أيضا في كتابه (٨) قال : " أن شخصا قال للحجاج أيها الأمير ، فقال الحجاج : إنما الأمير قطري ابن الفجاءة الذي إذا ركب ركب لركوبه عشرون ألفا لا يسألون أين يريد ، وكان لقب قطري كما نعلم أمير المؤمنين . وعندما ظهر حمرة بن عبد الله الخارجي في سجستان وخراسان و مكران وقهتان وكرمان (٩) ، سموه أمير المؤمنين وقال شاعرهم طلحة ابن فهيد (١٠) .

أمير المؤمنين علي رشاد وخير هداية نعم الأمير

هذا ما ينفي ما دعاه البعض (١١) . بأن فكر الخوارج السياسي محصلة ظروف قبلية كامنة في كونهم بدو تميم الذين يقصدون الحياة البدوية ويرفضون الخضوع

١ اليعقوبي ، تاريخ ج ٢ ص ٢٧٥ .

٢ المسعودي مروج الذهب ، ج ٣ ص ١٤٧ .

٣ اليعقوبي ، التاريخ ن ج ٢ ص ٢٥٧ .

٤ الأسفرائيني المصدر السابق ص ٣٥ ، ٣٦ .

٥ بن تيمية ، مجموعة الرسائل الكبرى ، ج ١ ص ٢٤ _ ٢٥ .

٦ ونهج البلاغة ، ط حلبي ج ١ ص ٤٠٢ .

٧ بن أبي الحديد نفس الكتاب والجزء والصفحة .

٨ حياة الحيوان الكبرى ، ط صبيح في القاهرة ج ٢ ص ٥٠٣ .

٩ البغدادي الفرق بين الفرق ص ٩٨ .

١٠ نفسه .

١١ أبو النصر ، الخوارج والإسلام ، ص ١٨٠ .



لسلطان الدولة السياسي. استطاع الخوارج في المشرق الإسلامي بهذا الاتجاه الفكري السياسي في الخلافة والإمامة حيث جعلوها حق مشاع بين المسلمين وصالحة في كل مؤمن من الناس ويستحقها أكثرهم قياما بالكتاب والسنة أوسعهم علما، استطاعوا بذلك أن يذهبوا إلي صفوفهم من سكان المشرق الأصليين أعدادا كبيرة من الموالي والعجم من المسلمين الذين كانوا أكثر ميلا إلى هذه النزعة الجمهورية في السلطة ما دامت تساوي فيها المسلمون جميعا ولذا فإننا نجد بعض المؤرخين يحدثوننا أن جل أصحاب عبد ربه الكبير سنة ٧٧ هجرية ٦٩٦ ميلادية الخارجي الأزرق من الموالي والعجم (١).

ففكر الخوارج السياسي إذن مصدرهم الدين وليس العصبية (٢) وهذا ما عبر عنه ابن خلدون (٣) بقوله الخوارج المستميتين في شأن بضاعتهم لم يكن ذلك بنزعة ملك ولا رياسة ولم يتم أمرهم لمزاحمتهم العصبية القومية إنما تولد عن خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية (٤) متعلقة بالإمامة ذلك هو ما أجمع عليه جمهرة من الدارسين الثقة (٥) ونجدهم بذلك زهدوا (٦) في مذهب الإمامة علي أساس أنها سبب البلاء والنكبات التي حلت بالجماعة الإسلامية. ولما بدأت الدولة الأموية تتداعى وتسير نحو الانحلال والضعف اتخذ الخوارج في المشرق أسلوبا آخر في فكرهم السياسي يختلف تماما عما مضى، إذا انتقلوا بحركاتهم إلى الثورة الشاملة وذلك نظرا لزيادة أعدادهم، فاتضح لنا الفارق بعد أن كانت قلة العدد طابع جيوشهم أصبحوا

ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ج٢، ٧٨. وانظر محمود إسماعيل الخوارج ص ٢٥٨. يخالفهم في ذلك فلهزون وطه حسين الذين قالوا: (فأصبحت العصبية عندهم (الخوارج) أقل خطرا وأهون شأننا من الرأي والمذهب (الفكر) الخوارج والشيعية ص ٢٩. والفتنة الكبرى ج٢ ص ١٤٠.

- ١ المبرد الكامل نج ٢ ص ٢٣٧.
- ٢ محمود إسماعيل، الخوارج، ص ٢٨٥.
- ٣ مقدمة، ج٤، ص ٦٩.
- ٤ ابن خلدون، المقدمة، ج٤، ص ١٧٨ - ١٧٩.
- ٥ لويس أحوال الإسماعيلية، ص ٥.
- ٦ وانظر طه حسين، الفتنة الكبرى، ج٢، ص ١٤٠. وقلهزون الخوارج والشيعية ص ٢٩.
- ٦ ابن قبيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ٢٠٦. والنبوري، الأخبار الطوال، ص ١٩١.



يقاتلون الآن بجماهير قوية (١) وقد علق على ذلك طه حسين بقوله: "إذا كثرت عددهم واستطاعوا مكاسرة السلطان خرجوا من أمصارهم مستخفين أو ظاهرين ثم ابتعدوا إلى مكان يلتقون فيه فإذا التقوا أظهروا المعصية وسلوا السيف (٢). لقد ترك الخوارج أثرا كبيرا في المشرق الإسلامي وذلك بفرقهم المتعددة وأفكارهم المتباينة خاصة ما تشعب عن الخوارج من فرق وفروع (٣) ويمكن لنا أن نبين خطر هذا الأثر في ازدياد قوتهم في المشرق الأمر الذي جعل من الخلفاء الأمويين والعباسيين اللجوء إلى أسلوب القوة تارة والمهادنة تارة أخرى. عندما تولى الحجاج أمر المشرق الإسلامي كانوا والي سجستان هو همام بن عدى السدوسي من أكبر قواد الخوارج (٤) فأرسل إليه الحجاج عبد الرحمن بن الأشعث الذي تمكن من مقاتلته والانتصار عليه، وأرسل برؤوس الخوارج إلى الحجاج، لكن الحجاج طلب من عبد الرحمن أن يرسل إليه عبد الله بن عامر بن كريز الذي نصبه عبد الله ابن الزبير علي سجستان واليا من جانبه (٥) وكان أهل سجستان يعتزون بعبد الله بن عامر بن كريز (٦) هذا لصنيعه الحسن تجاههم مما جعل عبد الرحمن بن الأشعث يتخذة مستشارا له، لذلك رفض عبد الرحمن التخلي عن عبد الله بن عامر، وكتب إلى الحجاج رسالة جاء فيها لن آخذ باطلا ولن أريق دما بغير حق ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والسلام (٧). كان لهذا الخلاف الذي وقع بين عبد الرحمن بن الأشعث والحجاج الأثر الكبير في الاتجاه

١ فلهزون، نفس المصدر، ص ١٠١ - ١٠٢.

٢ طه حسين، نفس الكتاب والجزء، ص ١١٣.

٣ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٩٤.

٤ سجستان بين العرب والفرس، ص ٦٠. الخولي

٥ نفسه

لمعلومات أوفر عن عبد الله بن عامر وجهوده الإسلامية في خراسان وما يتبعها انظر حسن محمود الإسلام في

آسيا الوسطى

ص ١٤٠ وما بعدها.

٦ هو عبد الله بن عامر بن كريز، ولاء عثمان بن عفان البصرة وفارس بعد عزل أبي موسى الأشعري عن

البصرة، وعثمان بن أبي العاص عن فارس، وكان في الخامسة والعشرين من عمره عندئذ (البلازى فتوح

البلدان ص ٤٠٠) ثم ولاء معاوية ص ٤١ هـ علي سجستان وخراسان الخولي سجستان ص ١٤٣.

٧ انظر الباب الرابع من الرسالة (فصل ثورة عبد الرحمن بن الأشعث).



السياسي للخوارج في المشرق فقد تمكن عبد الرحمن من هذا الموقف من ضم عددا من علماء الدين والقراء من الخوارج إلى حركة الذين شرعوا يدعون لمبايعته سرا (١) وسرعان ما أعلن عبد الرحمن ذلك حيث اتجه إلى كابل وأخذ يطلب البيعة من الناس في كل مكان (٢). تفجرت الأزمة بين عبد الرحمن والحجاج علي مستوى الدولة كما مر بنا في ثورة عبد الرحمن بن الأشعث في الباب الرابع من البحث وانتهت كما هو معروف بهزيمة عبد الرحمن علي يد الحجاج ثم انتحاره (٣)

الخوارج يصعدون دورهم من جديد تحت زعامة أبي خلدة الخارجي سنة ٨٦ هـ ٧٠٥ م والمعارك تدور بين حين وآخر بينهم وبين الولاة الذين يتعاقبون علي ولاية المشرق الإسلامي تلك الولاية التي لم يكن لها نصيب في الاستقرار فسرعان ما يتغير الوالي خلال فترة بسيطة من ولايته لكون هذه المنطقة من العالم الإسلامي أكثر اضطرابا وثورة حيث كان الخوارج سببا للهرج والمرج (٤) في المشرق عامة وكان هذا هو تعبيرهم الساخط علي السلطة. وفي عهد هشام بن عبد الملك حيث كان يتولي إمارة خراسان وسجستان خالد ابن عبد الله القسري ، تمكن الخوارج من قتل صاحب شرطته وكان يدعي بشر الحواري (٥) حتى جاء واليا آخر هو عبد الله بن بلال ابن بردة بن أبي موسى الأشعري في شعبان سنة ١١١ هـ ٧٢٩ م (٦) فأصلح ما أفسده من سبقه وولي الصالحين المتفهمين وسار سيرا حسنا بين الرعية ، توخي العدل فيهم ، وأقام مسجدا ما زال قائما حتى الآن ، واشترى أرضه بالفضة والذهب كما اشترى كثيرا من الموارد وأوقفها عليه (٧). لكن في عهده حدث زلزال مدمر في سجستان فخرج الخوارج ثانية وفي تلك الفترة مات هشام وتولي الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وذلك في ربيع

١ الطبري : الرسل والملوك ج ٦ ص ٣٢٩ .

٢ ابن الأثير الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٦٢ .

٣ يقول صاحب تاريخ سيستان : أنهم (دفنوا رأس عبد الرحمن بمصر ، بينما دفنوا جثمانه بالرجخ في سجستان وفي هذا يقول الشاعر هيهات موضع جثة من رأسها رأس بمصر وجثته بالرجخ .

٤ يزديان زندكاني ، يعقوب بن الليث ، ص ٢٥ .

أبوسيف خراسان ص ٣٦ .

٥ الخولي سجستان بين العرب والفرس ص ٦٧ .

٦ نفس المصدر ، ص ٦٨ و ص ١٨٦ .

٧ نفس المصدر ، ص ١٨٧ .



الأول سنة ١٢٥ هـ \ ٧٤٢ م . وولي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز علي العراق وسجستان وخراسان (١) . وقد نهض مروان بن محمد بعد ذلك وطالب بالخلافة وبذلك تتفاقم الأزمة والفتنة بين الأمويين أنفسهم والأمويين والخوارج ، ونجد أنه عندما يثور الزهاد من غير الخوارج يجدون في الأفكار الخارجية قبولا ويحضونهم علي قبول آرائهم وهذا ما حدث إذ يظهر شيبان بن عبد العزيز البشكري (٢) من الخوارج الذين خرجوا علي مروان بن محمد مع جماعة كبيرة ، وبياعون الضحاك بن قيس الخارجي في سجستان وذلك يوم ١٢٧ هـ \ ٧٤٤ م (٣) ويعود الخوارج في هذه المرة أكثر عدة وعتادا من ذي قبل فمالت حركتهم الجديدة إلي أن يصبحوا قوة سياسية أكثر منها دينية وقبلت في صفوفها كل من يريد الانضمام صادقا كان أم غير صادق ، مستغلا أم صاحب هوى ورأى خاص ، وهذا ما كان يقصده شيبان الخارجي في سجستان عندما أراد أن يدخل غوغاء سجستان في دائرته لزيادة أتباعه (٤) . كان الخلفاء يخشون من انتشار مذهب الخوارج في الولايات الشرقية لكون هذه الولايات الأرض الممهدة لاستقطاب أية ثورة ، ولأن الطريق ممهدة أمام الخوارج أو غيرهم للوصول إلي السيطرة والثورة في هذه المناطق ، لذلك اتبعت كل من الخلافتين الأموية والعباسية منذ بداية حكمها للعالم الإسلامي الحكم المركزي الذي يقضى بتبعية الولايات الإسلامية علي سلطة الخلفاء وذلك عن طريق ولايتهم الذين ينفذون ما تأمره به الخلافة اعتبارها نظاما يجعل من الخليفة في دمشق ، أو بغداد ممثلا للسلطتين الدنيوية والدينية معا (٥) . هذه المركزية الإدارية في الحكم وهذا الاتساع الكبير لأملاك

١ الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ص ١٨٨ .

٢ هو شيبان بن عبد العزيز ابودلف البشكري ، وهو من الخوارج الحرورية الذين خرجوا في العراق عام ١٢٧ هـ علي مروان بن محمد الأموي مبياعين الضحاك بن قيس الخارجي وبعد قتل الضحاك ، اختير شيبان المذكور لرئاسة الخوارج وحارب محمد بن محمد عام ١٢٩ هـ \ ٧٤٨ م ثم هرب إلي فارس ومنها اتجه إلي كرمان ثم انتقل منها إلي سجستان إلي أن قتل في عمان سنة ١٣٤ هـ \ ٧٥٣ م .

(ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ١٣١ - ١٣٢)

٣ (ابن الأثير الكامل ج ٤ ص ١٣١ - ١٣٢) .

٤ لم يذكرهم الطبري وابن الأثير شيئا عن حروب شيبان وعليه فإن ما ذكره صاحب تاريخ سيستان عن ذلك جديد مجهول تاريخ سيستان ص ٦٨ .

٥ أبو سيف خراسان ، ص ١١ .



الخلافة ساعد علي ظهور حركات المعارضة والعصيان التي عبرت عن الروح الإقليمية في الولايات الشرقية (١) فوجد الخوارج في كل ذلك فرصة سانحة وأرضا خصبة لبذر بذور أفكارهم السياسية والمذهبية فازدادت قوتهم . وأمام قوة الخوارج واجتماعهم في سجستان خاصة والمشرق عامة ، اضطر بعض ولاة الخلفاء أمثال زهير بن محمد الأزدي ١٤١ هـ ٧٥٨ م (٢) والي سجستان من قبل المنصور ، أن يولي مكانه علي سجستان أحد زعماء الخوارج وهو عبيد الله بن العلاء الخارجي (٣) حينما طلب منه المنصور الحضور إلي البلاط فورا . وأن يستخلف علي سجستان رجلا قويا مكانه وذلك أول عام ١٥١ هـ ٧٦٨ م (٤) ظل عبيد الله ابن العلاء واليا علي سجستان نائبا عن سلفه حتى علم المنصور بذلك فأرسل معن ابن زائدة إلي سجستان ليحل محل عبيد بن العلاء وذلك في شعبان سنة ١٥١ هـ ٧٦٨ م (٥) تحرك عبيد الله بن الخارجي ومعاويته ، فأثار ذلك أهل سجستان وحلت الفوضى في البلاد . فكتب عبيد الله بن العلاء إلي المنصور شاكيا عن تدهور الأوضاع ، لكن معن بن زائدة تمكن من أن يمسك بالرسالة فاستدعي عبيد الله بن العلاء ، وسأله عن هذا الحال فأنكر فأمر بجلده أربعمائة سوط على جسده العاري وعاقب أتباعه وشركائه (٦) . جاء المهدي في ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ ٧٧٤ م (٧) فأبعد الخوارج عن الإمارة وطلب من ولاته محاربتهم فارتفع صوت الخوارج من جديد على أرض سجستان وكان رئيسهم نوح بن حمزة بن مالك (٨) فلما اشتد أمرهم حيث لم يتمكن منهم قائد العباسيين هناك وهو عثمان الطرابي ، لجأ المهدي إلي إسكاتهم بتولية عبيد الله بن العلاء الخارجي أميرا على

١ نفسه .

٢ الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ، ص ٣٠٢ .

٣ لم يكن عبيد الله بن العلاء الخارجي أول وال علي سجستان بل أول دال عليها هو إبراهيم بن حميد المروزي . انظر كتاب البلدان لليعقوبي ص ٢٨٥ .

٤ الخولي المصدر السابق ص ٢٠٤ .

٥ نفسه .

٦ الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ، ص ٢٠٥ .

٧ الطبري ، الرسل والملوك ، ج ٨ ص ١٠٨ .

٨ الخولي ، نفس المصدر ص ٢١٠ .



سجستان مرة ثانية وذلك في رمضان سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٩ م (١) فصعد الخوارج للأمر وهدأت الأحوال قليلاً ، وظل الوضع كما هو عليه إلي أن مات المهدي ليلة الخميس ، الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م (٢) . تولى الهادي ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م (٣) وتمكن من إقرار الأوضاع في سجستان بتعيين ولاة صالحين .

لقد ترك الخوارج أثرا كبيرا في سجستان وما حولها من أقاليم المشرق المتعددة وذلك بفرقهم المتعددة التي لم تسعفنا المصادر إلا بإبراز وظهور القليل منها في المشرق كالاباضية والصفرية والأزارقة رغم أن فرق الخوارج تزيد علي عشرين فرقة (٤) وأفكارهم المتباينة خاصة ما تشعب عن الخوارج من فروع في فرقهم مثل فرقة الخميرية والعجاردة (٥) وتجلي ذلك الفكر السياسي عند الخوارج عندما أعلن حمزة الخارجي (٦) ثورته ، اتصل بكل مراكز الخوارج وتعرف علي المعارضين للخلافة في بغداد وتمكن من جذب أعدادا كبيرة من هؤلاء المعارضين الذين كانت تضمهم جمعيات سرية وخفية ، والتف حوله نحو خمسة آلاف من الخوارج (٧) فاستطاع بهؤلاء أن يهزم جنود والي خراسان سنة ١٨٢ هـ \ ٧٩٨ م (٨) . كان لهذا النصر الأثر البالغ في تقوية الروح المعنوية للخوارج في المشرق فجمع أهالي القرى والمناطق القريبة من سجستان في أحد الميادين ثم صعد المنبر وأعلن في خطبته البليغة معارضته الرسمية للخليفة وعماله خصوصا حاكم خراسان (٩) . ثم ختم خطبته بقوله : لا تدفعوا درهما من خراج ولا أى مال آخر للخليفة لأنه لا يستطيع حمايتكم وأنا لا أريد منكم شيئا ولن آخذ شيئا لأنني لن أبقى في مكان واحد (١٠) . وعلي أثر ذلك فكرت كل من

١ نفسه .

٢ نفس المصدر ، ص ٢١١ .

٣ الطبري ، نفس الكتاب والجزء ، ص ١٨٧ .

٤ البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ٩٤ .

٥ نفس المصدر ، ص ٩٨ .

٦ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ص ١٢٩ .

٧ باريزى ، يعقوب بن الليث ص ٤٣ .

٨ نفسه .

٩ لكون خراسان ممثلة للخلافة في بغداد ووالي خراسان أقوى سلطة في المشرق

١٠ مجهول ، تاريخ سيستان ص ١٥٨ .



خراسان وبغداد جديا في إخماد ثورة حمزة ابن عبد الله الخارجي وأتباعه الخوارج ومن انضم إليهم في سجستان والمشرق . لكن حمزة الذي كانت قوته قد ازدادت إلي حد كبير أراد أن ينهي الأمر كما يريد فخرج مع أصحابه المقربين الشجعان مغيرين علي خراسان ونيسابور وأخذ الخراج والضرائب من الأهالي ونزل كروكي (١٨٨ هـ \ ٨٠٣ م (٢) . فكتب والي خراسان علي بن عيسى بن ماهان (١٨٩ هـ - ٨٠٤ م) (٣) إلي الخليفة هارون الرشيد رسالة ، قال فيها : " لتعلم أن رجلا من خوارج سيستان قد ثار وهو يقوم بالإغارة علي خراسان وكرمان وقتل عمال هذه النواحي الثلاث فانقطع الدخل ولم يعد يصل إلينا درهم ولا دينار ولا حبة من خراسان أو كرمان أو سيستان (٤) . وظهر تأثير الفكر السياسي للخوارج في المشرق واضحا عندما بعث حمزة رسالة إلي أعوانه في مختلف المناطق يطلب منهم العون والمساعدة الكاملة لمحاربة هارون الرشيد باعتبار أن هذه الحرب هي آخر معركة لتحديد موقفه وموقف الخوارج مع الخلافة في بغداد (٥) ، فأجابه أصحابه وأقسموا علي طلاق نسائهم إن لم ينصروه ، وكتبوا وصاياهم ولبسوا أكفانهم والسلاح فوقها وبلغوا ثلاثين ألفا جميعهم من الزهاد وحفظة القرآن (٦) وكانوا ينشدون (٧) .

أظن هارون وأشياعه أن نبيع الحق بالباطل
ولم يكن حمزة ممن يبيع أجله بالعاجل الزائل

- ١ تقع علي مرحلة من شمال زرنج وتعتبر معقل الخوارج بها قبتان وتحت القتين بيت نار للمجوس ، ونار هذا البيت لا تطفأ أبدا ولها خدم يتنابون في إشعالها . لسترنج بلدان الخلافة ص ٣٨٠ . ويعد بيت نار كركويه أعظم بيت في إقليم سجتان : " القزويني : أثار البلاد ص ٢٤٦ والشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ٩٧ .
- ٢ مجهول ، تاريخ سيستان ص ١٦٠ .
- ٣ الطبري ، الرسل والملوك ج ٨ ص ٣١٤ .
- ٤ مجهول ، تاريخ سيستان ص ١٦٠ .
- ويذكر الطبري أنه لما شخص علي بن عيسى إلي خراسان ظلم الناس وعسر عليهم وجمع مالا جليلا ووجهه إلي هارون منها هدايا لم ير مثلها قط من الخيل والرقيق والثياب والمسك والأموال .
- انظر الطبري ، الرسل والملوك ج ٨ ص ٣١٤ .
- ٥ باريزي ، يعقوب بن الليث ص ٤٦ .
- ٦ مجهول ، المصدر السابق ، ١٦٨ .
- ٧ الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ص ٢٣٠ .



وأثناء تقدمهم نحو خراسان وصلت أنباء عن وفاة هارون الرشيد ودفنه في طوس من أرض خراسان وذلك يوم السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ هـ ٨٠٩ م (١).

فلما علم حمزة بذلك قال : (وكفي الله المؤمنين القتال) ثم نظر إلي أصحابه وقال لهم أيها القوم واجبنا الآن أن نغزو عبدة الأصنام في السند والهند والصين وتركستان والروم والزنج (٢)



فغير حمزة فكره السياسي تماما منذ ذلك اليوم حيث امتنع وكف يده عن حرب المسلمين وقتالهم ، فلعل النخوة أو الفتوحات المتوالية قد أسكرته أو غرته أو لعل المحيطين به خدعوه بقوته وأخرجوه عن الطريق الأصلي لثورته وأهدافه ، أو لعل الزهد والورع والتدين الذي لا يعرف حدا عند الخوارج عامة هو الذي دفعه إلي ذلك . والجدير بالذكر أن أعوان حمزة لم يبد منهم أي اعتراض بل قالوا قولة رجل واحد : " إننا معك فيما يأمرك به الله " (٣) . ومما يثير العجب أن أحدا لم يوجه حمزة أو يرشده

١ الطبري ، الرسل والملوك ، ص ٣٤٥ .

المسعودي ، التنبيه والإشراف ص ٢٩٩ .

٢ مجهول ، تاريخ سيستان ١٧٠ .

٣ باريزي ، يعقوب بن الليث ص ٤٨ .

الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ص ٢٣١



للاستفادة من الظروف المواتية آنذاك ، مثل بعد الخليفة القوي عن مقره في بغداد . ثم موته في خراسان واضطراب الأحوال في عاصمة الخلافة وسائر المدن . والحقيقة أن حمزة خسر أحسن الفرص المواتية لنجاح أهدافه ومقاصده بالتغير الفكري المفاجئ الذي سيطر عليه وأدى بدوره إلي اضمحلال تنظيمات الخوارج (١) ولما جاء المأمون ظهرت آثار الخوارج السياسية علي الخلافة واضحة المعالم حيث اضطرب بعض الخلفاء ، وأولهم المأمون إلي قبول النظام اللامركزي في خراسان نفسها (٢) .

رغم أنها أرض الدعوة ومعينها العسكري الذي لا ينضب (٣) . عاود حمزة السير في تحقيق أطماعه فطمع هذه المرة في خراسان ، وتوجه إليها بمن معه من أصحاب لكن قائد خراسان عبد الرحمن النيسابوري خرج إلي حمزة في عشرين ألف من صناديد نيسابور وقتلوا حمزة حتى قتل في هذه الحرب ، فأصبح قتله من مفاخر نيسابور وأهلها (٤) وذلك في جمادى الآخرة سنة ٢١٣ هـ ٨٢٨ م (٥) . مما تقدم يتضح لنا أن مذهب الخوارج مذهب سياسي هدفه تقرير الأمور العامة وفقا لأوامر الله ونواهيته . وأن سياستهم ليست موجهة علي أهداف يمكن تحقيقها خاصة وأنهم "أي الخوارج" قد زهدوا في منصب الإمامة (٦) علي أساس أنها سبب البلاء والنكبات التي حلت بالجماعة الإسلامية . ولكن لنا أن نسأل ما هو الأثر المباشر لفكرهم السياسي المقرون بالقوة العسكرية علي الخلفاء أنفسهم ؟ وللإجابة علي هذا السؤال نقول : أن قوة الخوارج العسكرية أرغمت بعض الخلفاء سواء الأمويين منهم أو العباسيين علي مراسلة الخوارج ، طالبين منهم العودة إلي الطاعة وعدم الحرب وسفك الدماء . كما

١ مجهول ، المصدر السابق ونفس الصفحة .

٢ أبو سيف خراسان ص ١٢ .

٣ أبو سيف خراسان ص ١٢ و

وانظر المقدسي أحسن التقاسيم ص ٢٩٤ .

والكرديزي ، الفرق بين الفرق ص ٣ .

٤ الغدادي ، الفرق بين الفرق ص ١٠٠ .

٥ باريزي ، يعقوب بن الليث ص ٤٩ .

٦ ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ج ٢ ص ٢٠٦ .

والعيني ، الأخبار الطوال ص ١٩١ .



قرر بعضهم (الخلفاء) حق الخوارج من الفيء والصفات والحق والعدل والصفح والعتف والتجاوز عنهم (١). وقد جئنا بهذه الرسائل في ملحق البحث الخاص بالرسائل المتبادلة فارجع إليه .

ثانيا : الأحوال الاقتصادية

أحدث الخوارج آثارا سيئة في أحوال المشرق الإسلامي الاقتصادية ظهرت هذه الآثار واضحة في الخراب والركود والكساد في المجالات الاقتصادية في الزراعة والصناعة والتجارة . كان المشرق منذ فجر الإسلام يعتبر الممول الأساسي للخلافة في دمشق أولا ثم بغداد . وكان الخليفة ينظر إلي المشرق علي أنه مصدر الدخل الأساسي للإنفاق . لذا نجد أن الفتوحات إلي المشرق كثيرا ما تأخذ طابع الصلح مع حكام الأقاليم لكثرة ما يدفعونه من أموال مقابل هذا الصلح . لقد كان ملوك الأقاليم الشرقية منذ صدر الإسلام يدخلون في صلح مع العرب في مقابل دفع الجزية والخراج والرشوة لبعض الولاة (٢). وكانت الأموال التي يدفعونها أموالا طائلة . وقد حدث أول صلح في أيام عبيد الله من أبي بكر عام ٥١ هـ ٦٧١ م إذ دفع رتبيل مليوني درهم بل إنه ذهب بنفسه إلي البصرة لزياد بن أبيه (٣) .

وفي عام ٧٤ هـ ٦٩٣ م عقد رتبيل صلحا مع عبد بن أمية وأرسل إليه حملا من الذهب وتعهد بدفع مليوني درهم سنويا كما افتدى نفسه بمبلغ ٣٠٠ ألف درهم (٤) . مما تقدم نرى أن أقاليم المشرق كانت بمثابة مورد ثروة للخلفاء (٥) بل إن المشرق كان بمثابة المعين الذي لا ينضب بالنسبة للخلافة . ليس من شك في أن ثورات الخوارج ومعاركهم الطاحنة مع الولاة وجيوش الخلافة تركت آثارا بعيدة المدى انعكست علي

١ الخولي ، سجتان بين العرب والفرس ص ٢٢٥ .

٢ أرسل ملك كابل عام ١٥١ هـ إلي معن بن زائدة هدية من الأواني الفضية والذهبية والعباءات التركية المنسوجة من الحرير لأنه قد طالب رتبيل بالخراج كما كان في عهد الحجاج : باسناني بابرى يعقوب بن الليث ص ١٠١- ١٠٢ . وانظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٧ ص ١١٦ . .

٣ باربرى : يعقوب بن الليث ص ١٠١ .

٤ نفسه .

٥ نفسه ص ١٠٢ .



الأحوال الاقتصادية . حيث زهقت الأرواح الكثيرة وخاصة من طبقة العمال ، وأحرقت المنازل والمحلات ، ودمرت المدن والزراعة والطرق وتعطلت التجارة . غير أن ثورات الخوارج بزعامة حمزة بن عبد الله الخارجي (١) كانت أشد وأقوى في الدمار والخراب ، فقد ازدادت قوة حمزة إلي حد كبير حتى أراد بها أن ينهي الأمر كما يريد (٢) فخرج مع أصحابه المقربين الشجعان مغيرين علي خراسان ونيسابور فالتحم معه علي بن عيسى بن ماهان (٣) في نيسابور (٤) ودارت بينهما حرب شديدة استعمل فيها حمزة أسلوب الكر والفر متراجعا إلي سجستان . فدهورت هذه الحرب الاقتصاد في هذه الأقاليم وانقطع الدخل (٥) واضطربت الأوضاع وبلغت الجراءة بأتباع حمزة أنهم هجموا علي مقر الدوائر الحكومية فأحرقوا الدواوين وعبثوا بالخراج (٦) ولما شعر حمزة بازدياد قوته وكثرة أتباعه ، دعا أهل سجستان جميعا وقال لهم : لا تعطوا للسلطان درهما واحدا علي سبيل الخراج ، لأنه لا يمكن أن يرعاكم وأنا لا أريد منكم شيئا قط ولن أخذه فلست بمستقر في مكان بعينه فلم يصل إلي بغداد أي شيء (٧) فكتب علي بن عيسى بن علي بن ماهان (٨) رسالة إلي هارون الرشيد أطلععه فيها علي الأوضاع وأخبره أن رجلا من خوارج سجستان قد ثار وهاجم خراسان وكرمان (٩) وقتل الأهالي وجميع العمال في المناطق الثلاث واستولي علي الدخل فلم يصل درهم ولم ترد حبة من خراسان

١ هو حمزة بن عبد الله الخارجي ، ذكره البغدادي حمزة بن كرك و لتوضيح ذلك انظر البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ٩٨ .

والاشعري ، مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦٥ .

والشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩ .

٢ مجهول تاريخ سيستان ص ٣٧ .

٣ هو علي بن عيسى بن ماهان (١٨٠ - ١٩١ هـ) ٧٩٦ - ٨٠٧ م و لاه الرشيد خراسان فتميزت سياسته بالجنح . فتحي ابوسيف ، خراسان ص ٣٠ .

٤ نيسابور : انظر الفصل الأول من الرسالة (جغرافية المشرق) .

٥ مجهول ، تاريخ سيستان ص ١٦٠ .

٦ نفسه .

٧ مجهول ، تاريخ سيستان ص ٢٢٠ .

٨ هو ابن عيسى بن علي و لاه أبوه علي سجستان أثناء ملاحقته لحمزة (مجهول : تاريخ سيستان ص ١٦٠ .

٩ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٩٨ .

وانظر مجهول تاريخ سيستان ص ١٦٠ .



وسجستان وكرمان إلينا بعد (١) . أدرك هارون الرشيد الموقف في المشرق من خلال هذه الرسالة . فقرر يفكر في الذهاب بنفسه إلي خراسان والتحدث إلي أهلها وترتيب أمورها ، فتوجه إلي خراسان وذلك في سنة ١٩٢ هـ ٨٠٧ م لكنه توفي قبل أن يصل إليها (٢) . من هذه الأحداث يتضح لنا مدى تأثير الخوارج في الاقتصاد فمما لا شك فيه أن هذه الحروب والثورات المتواصلة من قبل الخوارج والمعارضين للخلافة والسلطة لا بد لها أن تستنزف موارد الدولة فكان الولاة يسخرون كل مواردهم المالية في تجهيز الجيوش وتمهيد الطريق لسيورها لملاحقة المعارضين . كان لتواجد الخوارج في المشرق آثارا بعيدة المدى في أحوال المشرق الاقتصادية . والذي أشيع حول هذه الآثار أنها كانت سيئة للغاية ، لما نتج عنها من دمار وخراب وركود وكساد في مجال الزراعة والصناعة والتجارة بعد أن كان خراج سجستان بعد الإسلام ثلاثة ملايين وخمسمائة واثنى عشر من الدراهم ولكن هل (٣) مسؤولة هذه الآثار السيئة تقع علي عاتق الخوارج وحدهم ؟ . مع أننا لا ننكر أن ثورات الخوارج استمرت قرابة قرن ونصف في المشرق وازدادت مع تفاقم الأزمات الاقتصادية ، إلا أن مسؤولية هذه الآثار السيئة تقع كذلك علي عاتق الولاة الذين لم يراع الخلفاء شعور الأهالي في تعيينهم مما زاد في تفاقم الأمور واضطراب الأحوال خاصة وأن الولاية في المشرق لم يكن لها نصيب في الاستقرار فسرعان ما يتغير الوالي خلال فترة وجيزة من ولايته لكثرة الاضطرابات والثورات (٤) . جاء معن بن زائدة الشيباني واليا علي سجستان سنة ١٥١ هـ ٧٦٨ م وكان رجلا قاسيا رغم سخائه الذي كان مضرب الأمثال ، فأخذ يطالب الأهالي بأتاوات كثيرة بل صادر أموال أهل مدينة بست فثاروا جميعا (٥) . والحقيقة معنا أنه عامل أهل سجستان معاملة سيئة ولحقهم من ظلمه وجوره الشيء الكثير (٦) فلا شك أن

١ باريزى : يعقوب بن الليث ص ٤٥ .

٢ نفسه .

٣ الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ، ص ١٨ .

٤ باريزى ، يعقوب بن الليث ص ٥٨ .

٥ مجهول ، تاريخ سيستان ص ١٤٤ .

٦ معجم البلدان ، مادة سجستان ص ٢٨٥ .

و انظر بابزرى ، يعقوب بن الليث ص ٤١ .



ينعكس ذلك علي العمال والعمل والإنتاج وبالتالي علي الاقتصاد العام . ثم جاء وال آخر وهو علي بن عيسي بن ماهان حيث مكثه الرشيد من ولاية خراسان (١٨٠ - ١٩١ هـ ٧٩٦\ ٨٠٦ م) (١) هذا الوالي لا يفكر أبدا منذ إمارته إلا في ملء جيوبه وإرسال الهدايا إلي بغداد وقد أطلق يده في الاستيلاء علي الأموال دون حساب وتجاوز الحد في جمع الأموال من خراسان وما وراء النهر ، وبلاد الجبل ، وجرجان ، وطبرستان ، وكرمان وخوارزم وسيستان ، وجر عليها الخراب بجمعه للأموال دون حساب (٢) . فأرهب بذلك الاقتصاد في المشرق الإسلامي أشد إرهاب ، وحصر المناصب الإدارية في أيدي أنصاره دون تقدير لردود الفعل لدى أهالي هذه البلاد (٣) . وظل كذلك حتى عزله الرشيد من خراسان وأمر بمصادرة أمواله (٤) حتى أنتهي أمره بقتله علي يد رجل من أهالي سمرقند يدعي رافع بن ليث ابن نصر بن سبار (٥) لم تكن أسباب التدهور في المشرق مقصورة علي الخوارج والولاة فقط ، بل نضيف إلي هؤلاء دور العوامل الطبيعية التي ساهمت في تدهور الاقتصاد وأثر الخوارج في ذلك . فإن من الممكن التفاعل مع هذه العوامل والتقليل من أضرارها في حالة الاستعداد لمقومتها وتركيز الإمكانيات المادية والبشرية لذلك . لكن الوضع في المشرق بعد وصول الخوارج إليه حيث الاضطرابات والثورات التي أحدثوها والتي عمت أقاليم المشرق تقريبا ، كان أثرها واضحا في مضاعفة الدمار والخراب لكون هذه استنزفت جهود الولاة والقائمين علي السلطة ، فبدلا من الاتجاه إلي الإصلاح الاقتصادي نرى جهودهم تقتصر علي النواحي العسكرية لبناء الأسوار والقلاع وتجهيز الجيوش . أما العوامل الطبيعية فهي :

- ١ فتحي ابوسيف ، خراسان ، ص ٣٠ .
- ٢ الدنيوري ، الأخبار الطوال ص ٣٩١ .
- تاريخ بيهقي ص ٤١٧ .
- باريزي ، يعقوب بن الليث ص ٤٤ - ٤٥ .
- ٣ الدنيوري ، نفس المصدر ص ٣٩١ .
- ٤ الخولي سجستان بين العرب والفرس ص ٢٢٣ .
- ٥ أحمد رمضان ، حضارة الدولة العباسية ص ٢٨ .



أولاً : البرد القارص في بعض أيام السنة ، والذي يؤدي إلى الإضرار بكل المحاصيل الزراعية والمشروعات وخاصة أشجار الفاكهة ، ولم يقتصر ضرر البرد علي المزروعات بل تعدها أحيانا إلى الأهالي الذين يصابون بالأمراض والعايات وتنتشر بينهم الأوبئة (١) . وتزداد الحالة سوء إذا ما رافق التغيير المناخي معارك حربية وتشريد واحتلال وصراع بين القبائل بعضها البعض فتزداد حالة الناس سوءا وتدهورا .

ثانيا : الرمال التي تسمي في بعض أقاليم المشرق أكفان المزارع (٢) خاصة في سجستان معقل الخوارج فيرى أهلها أن أهم آفة تقضي علي محاصيلهم بعد الجفاف هي الإصابة بالرمال فإذا استيقظوا في الصباح بعد عاصفة رملية ، جرت علي ألسنتهم جميعا هذه العبارة " لقد أصيب المحصول أمس بالرمال " وما يعنيه هذا الكلام هو أن كل حقول سيستان قد ذهبت تحت الرمال ولا سبيل لإنقاذها . (٣)

ثالثا : الرياح التي تهب من صحارى سيستان وخاصة من النواحي الغربية وتكون هذه الرياح في الصيف جافة شديدة الحرارة لقرب تلك النواحي من الصحارى ، ومع حرارة هذه الرياح فإنها تحرك الكثبان الرملية العظيمة التي تغطي كل صحراء سيستان وخراسان وما وراء النهر ، وعادة ما تكون هذه الرياح في الصيف أطول زمنا وأشد قوة منها في الشتاء ، حتى لا يقال أن الرياح لا تهدأ في سجستان (٤) وفضلا عن هذه المشاكل الطبيعية المناخية هناك مشاكل أخرى ، كانتشار الذباب السام الذي كثيرا ما يقضي علي أعداد كبيرة من المواشي (٥) بالإضافة إلي كثرة الأفاعي لوفرة المياه وكثرة الرمال (٦) .

١ مجهول ، تاريخ سيستان ص ١٩٠ .

٢ نفسه .

٣ نفسه .

٤ ياقوت ، معجم البلدان ، ذيل سجستان

٥ Yate khurasam and Sistun

٦ مجهول ، تاريخ سيستان ص ٢٠ .

وانظر باريزى ، يعقوب بن الليث الصفار ، ص ٧٠ .



لقد أحدث الخوارج حالة من الفوضى والاضطرابات بثوراتهم المتعددة ومعاركهم الطاحنة أدت إلى اختلال الأمور في التجارة وتحويل قوافلها القادمة من طبرستان إلى بحر عمان إلى سجستان والتي كانت تتجه بعد ذلك إلى هرات وسائر المدن والأقاليم المجاورة لسجستان أو العكس ، ذلك لأن الأمن والحرية من الضروريات اللازمة لانتشار التجارة واتساعها وهذه الضروريات قد اختفت نتيجة للثورات والمعارك وازدياد قوة المعارضة فأصبحت التجارة بالكساد والضعف فكان تأثير ذلك علي الوضع الاقتصادي كبيرا . مما شك لا فيه أن هناك تبادل تجاريا واسعا بين الأقاليم في المشرق الإسلامي لاتساع هذه الرقعة أولا ، ولاختلاف الأحوال المناخية والإنتاج الزراعي والصناعي فلا بد أن يكون هناك شبه تكامل أو تبادل اقتصادي بين مختلف الأقاليم أي لا بد أن يكون هناك تبادل تجاري في الفائض من هذه الأقاليم . لكننا نعتقد أن صعوبة التركيبة الجغرافية بين الأقاليم أولا وانعدام الأمن والأمان في الطرق بسبب ازدياد نشاط الخوارج وقوة المعارضة . أفقد هذا التبادل دوره ، وضعفت التجارة بين الأقاليم المختلفة عدا إقليم سجستان معقل الخوارج كان هذا التبادل والنشاط بين مدته المختلفة (١) . فكانت مدينة بست تعتبر مصدرا رئيسيا لاحتياجات سجستان لخصوبتها ، فكانت التمور والحبال والحصير (٢) فضلا عن كونها سوقا لتجارة الهند (٣) . تأثرت التجارة بالأحداث الداخلية والثورات التي قام بها الخوارج في المشرق فأصبحت الطرق الداخلية والخارجية غير آمنة لسير القوافل التي طالما تعرضت للسلب والنهب فكان لذلك أثره البالغ في كساد التجارة لم يكن نصيب الصناعة أقل من التجارة في التدهور والضعف في المشرق بتأثير الأحداث ، فهناك أنواع الحرف عند الأهالي مثل صناعة النسيج والحياكة (٤) واعتبرت مدينة (مالقان) أهم مدينة في إنتاج

١ مجهول ، تاريخ سيستان ص ٢٦٥ .

٢ نفسه ، ص ٢٦٦ .

٣ لسترنج ص ٣٨٣ .

٤ العبدى ، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي من المصادر التاريخية والأثرية ن العراق ص ١٠٠ .



النسيج . وقد ذكر الأصبخري (١) أن أكثر أهلها كانوا حاكة . وهناك صناعات أخرى كصناعة النحاس سواء النحاس الأصفر أو الأحمر (٢) تلك الصناعة عمل فيها طبقة الفقراء . كما اشتهرت بين جموع الفقراء صناعة القفاف والحبال والحصير التي اعتبروها من مستلزمات الحياة اليومية لهم (٣) ولعل هذه الصناعات عمل فيها الخوارج لأن درايتهم بصناعة القفاف منذ كانوا في البصرة في أول أمرهم حيث كان من يحرس مجالسهم السرية يعمل في القفاف أمام هذه المجالس للتمويه (٤) كما كان أحد زعمائهم يعرف القفاف (٥) . لكن هذه الصناعات البسيطة تدهورت هي الأخرى وانعدمت في تلك الفترة ، فترة ظهور الخوارج في المشرق وذلك لأن الصناعة كما يرى ابن خلدون (٦) تستجد وتكثر إذا كثرت طلبها وتاريخ المشرق عامة وسجستان وخراسان وكرمان خاصة كما مر بنا بالمعارك والثورات وعدم الاستقرار في هذه الفترة لذلك يكاد ينعدم طالب هذه الصناعات ن فأثرت هذه الأحداث بصورة أو بأخرى في تدهور الصناعة التي بدورها أثرت في تدهور الاقتصاد العام . نتيجة لتدهور الأحوال الاقتصادية في إقليم المشرق ولسوء الأحوال الطبيعية تعرضت بعض مناطق أقاليم المشرق الإسلامي وخاصة تلك التي تركز فيها الخوارج واتخذوها معقلا لهم كسجستان ، تعرضت للمجاعة ونقص في الأغذية ولم يمض عليها وقت طويل حتى تفشت فيها الأوبئة وخاصة بين الفقراء وقضت علي الكثير منهم (٧) .

وأمام هذه الأزمات وقف عمال الخلافة وولاة الأمر حائرين لا يستطيعون إيجاد حل لها لأنهم كانوا في نزاع وقتال مع الخوارج وهو ما لم يترك لديهم أي فائض من الأموال يمكن به مساعدة المنكوبين ، وهكذا كان تأثير تواجد الخوارج في الشرق في

١ المسالك والممالك ص ١٤٣ .

٢ باريزي ، يعقوب بن الليث ص ٢٨ .

٣ انظر الباب الثالث في الرسالة (الحركات السرية للخوارج) .

٤ نفسه .

٥ هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة اشتهر بلقب القفاف لأنه كان يشتغل بصنع القفاف

حمود بن سالم السيابي ، مخطوطة غزالة الوعاء بن أبي الشنا ص ٣٣ .

٦ المقدمة ، ج ٢ ص ٤٨٥ .

٧ ج ١ ، تاريخ سيستان ص ١٨٦ .



تفشي الأمراض (١) . كانت آثار الخوارج بالغة في المجال الاقتصادي في المشرق فكأنهم بذلك قادوا إلي اضطرابات سياسية وثورات (٢) حيث أن التدهور الاقتصادي يعود إلي الاضطراب السياسي ، نستطيع أن نستنتج من ذلك أن الخوارج بأثارهم الاقتصادية السيئة مهدوا بذلك الأثر لثورات الصفرين وغيرهم من الذين جاءوا بعدهم (٣) .

ثالثا : أثر الخوارج في الأوضاع الاجتماعية :

كان الخوارج يعيشون موتورين لا ينسون ثأر إخوانهم الذين صرعوا في النهروان محتفظين بأرائهم كلها لم تغير الهزيمة منها شيئا وإنما زادتهم قوة إلي قوتهم ، وأضافت إليها قوة أخرى منكرة فظيعة تأتي من البغض والحقد والحرص علي طلب الثأر (٤) . ولما كان فكر الخوارج السياسي ، قوامه المساواة بين كافة العناصر والأجناس دون تفرقة أو تمييز ، ودون نظر إلي أصل أو نسب (٥) أو عصبية (٦) وعبروا بذلك الفكر عن الديمقراطية الصادقة واستطاعوا بذلك أن يحدثوا انقلابا في موازين القوى الاجتماعية والتركيبية السكانية في المشرق ، خاصة وأنهم علي أرض خصبة للثورة ، والتأثير .

وكانت التركيبة السكانية في المشرق كالاتي :

١- الفرس وهم السكان الأصليون (٧) وكان لهم تأثير بالغ في الحياة الاجتماعية حيث كانوا يحقدون علي العرب النازحين إليهم ، وزاد ذلك الحقد في بداية الدولة

١ الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ص ٥٨ .

٢ نفسه .

٣ باريزي ، يعقوب بن الليثي ، ص ٤٩ .

٤ طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ج ٢ ص ١١٣ .

٥ الاسفرائيني ، التبصير في الدين ، ص ٤٦ .

٦ محمود إسماعيل ، الحركات السرية في الإسلام ص ١٦ .

٧ حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ج ٢ ص ٣٩٥ .

وسور ، الحضارة الإسلامية في المشرق ص ١٦٩ .



العباسية حيث ظهرت هذه الدولة بمساعدة الفرس فساد العنصر الفارسي واعتمد الخلفاء العباسيون علي الفرس دون العرب (١) .

٢-العرب وهم العرب النازحون في الفتوحات الإسلامية والذين فضلوا البقاء في البلاد المفتوحة ، أو العرب المعارضون للخلافة واللاجئون إلي المشرق حيث وجدوا هناك أرض خصبة للمعارضة والعرب في المشرق وخاصة في خراسان ، كانوا يعتبرون خراسان وفارس شيئا واحدا (٢) ونعتقد أن ذلك يرجع إلي أهمية خراسان بالنسبة للعرب .

٣- ومن السكان في المشرق

الذين لهم تأثير في الحياة الاجتماعية الروم فقد أدت الحروب المتصلة بين المسلمين والبيزنطيين إلي أسرع عدد كبير من الروم واسترقاق كثير منهم فانتشر المماليك الروم تبعا لذلك من رجال ونساء وغلما في بيوت الخلفاء والولاة والأغنياء (٣) .

٤- وهناك عناصر أخرى دخلت في سكان المشرق وهم الرقيق الأبيض من الأتراك والديلم والأكراد وكان هناك أسواق لهؤلاء الرقيق ببعض المدن الكبيرة في المشرق الإسلامي . فقد أشار حسن إبراهيم إلي ذلك قائلا : " وكانت سمرقند التي كانت تعد من أكبر أسواق الرقيق بيئة صالحة جدا لتربية الرقيق المجلوب من بلاد ما وراء النهر، إذ كان أهلها يتخذون ذلك صناعة لهم يعيشون منها (٤)

٥ - ومن عناصر سكان اليهود ، فقد انتشر اليهود في شرق الدولة الإسلامية فيذكر المقدسي أن بخراسان يهودا كثيرة ونصارى قليلين (٥) وهناك الأتراك الذين

١ حسن إبراهيم ، نفس الكتاب والجزء والصفحة ،

٢ المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٥٣ .

٣ منزاد ، الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٢٦٨ - ٢٧٠ .

وانظر سرور ، الحضارة الإسلامية في المشرق ، ص ١٧١ .

٤ حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٢ ص ٣٩٩ .

ومنزاد ، نفس الكتاب والجزء ، ص ٢٦٨ .

٥ المقدسي ، نفس المصدر ، ص ٢٨٦ .



أثروا في الحياة الإجتماعية لتشبههم بالبدو (١) والمجوس وهم بكثرة وخاصة في العراق وجنوب فارس (٢) .

أما طبقات السكان فهناك الطبقة الخاصة وهم الذين يملكون الأراضي ويجبون خراجها فأصبحوا بحكم سيادة دولتهم ملاكا وأرباب قطاعات ، وكانوا يشكلون الحاميات العسكرية في المدن والقرى وعلي حدود الأقاليم ليمنعوا الغزاة والطامعين ، وأطلق عليهم الطبقة الخاصة تميزا لهم عن الطبقة العامة (٣) .

ثم هناك الطبقة العامة من العمال والفلاحين وعامة الشعب ورغم تعدد عناصر السكان وكثرة الطوائف الدينية ، رغم ذلك فإن هذه الطوائف الدينية خاصة في الدولة الإسلامية منفصلة عن بعضها تمام الانفصال ، فلم يقع تزواج بين المسلمين وغير المسلمين (٤) كما لا يجوز للمسيحي أن يتهود ولا لليهودي أن يتنصر وأقتصر التغير في الدين علي الدخول في الإسلام (٥) . نرح إلي المشرق منذ عهد

معاوية بن أبي سفيان أسر عربية كثيرة ، وما أن مضت سنوات قليلة حتى أصبح بخراسان فقط وتوابعها من الأسر العربية ما يصل إلي مائتي ألف .

وتأكدت سياسة التوطين هذه في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي حتى أنه ما كاد القرن الهجري الأول ينتهي حتى كان العنصر العربي في المشرق قد انتشر في إيران كلها من الشرق إلي الغرب (٦) .

لابد أن سياسة التوطين هذه قد بدأت بعد الفتح الإسلامي للمشرق مباشرة حيث أدرك الولاة أن المقاومة العنيفة لسكان وأهالي هذه البلاد المفتوحة وما يرافق

(١) فقد أطلق عليهم الجاحظ ، أعراب العجم حيث يعني بالأعراب البدو سرور ، المصدر السابق ص ١٦٩ .

(٢) سرور ، الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ١٧٩

٣ الطبري ، الرسل والملوك ج ٤ ، ص ٩٤ .

٤ الطبري ، نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٥٨٨ .

٥ منزأم ، الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٥٦ - ٥٧ .

وانظر : سرور ، الحضارة الإسلامية ، ص ١٨٠ .

٦ حسن محمود ، الإسلام في آسيا الوسطي من الفتحين العربي والتركي ، ص ٦٥ - ٦٦ .



هذه المقاومة من انتفاضات وثورات لا بد لها من الاختلاط بالسكان وتوثيق العلاقات بهم فدفعوا بالقبائل العربية إلى المشرق لتكون عوناً للوالة والقادة تمكيناً للفتح (١).

انتقلت القبائل العربية إلى الأمصار المفتوحة في المشرق مصاحبة الجيوش العربية واستقرت في هذه الديار ، وبالتدريج أصبحت جزءاً لا يتجزأ منها . فيحدثنا البلاذري في ذلك .. " أن زياد بن أبي سفيان حين ولي البصرة سنة ٤٥ هـ \ ٦٦٥ م ولي أمير بن أحمد اليشكري مروالروز فكان أمير هذا أول من أسكن العرب في مرو (٢) ثم يسوق إلينا البلاذري نفسه خبراً عن عمل زياد بن أبي سفيان في ذلك فيقول : " أن زياداً ولي الربيع بن زياد الحارثي سنة ٥٠ هـ \ ٦٧٠ م وحول معه أهل المصريين (البصرة والكوفة) زهاء خمسين ألفاً بعيالهم أسكنهم دون النهر" (٣) . وقد واكب هذا الفتح الإسلامي للمشرق وهذه الهجرات العربية ، إسلام نفر كثير من سكان المشرق الأصليين الذين أسلموا وأخلصوا للإسلام والفتح . إما نجاة بأنفسهم من القلق الديني الذي كان ينتابهم ، أو طلباً للمساواة بين المسلمين التي أثارها الخوارج بثوراتهم وعقائدهم ، ثم انضم الاساورة والزط والسياسة إلى العرب ودخلوا في الإسلام (٤) فأقاموا معهم يقاتلون المشركين وخرجوا مع ابن عامر إلى خراسان (٥) .

لقد كان هذا المجتمع الجديد في المشرق الإسلامي وخاصة هؤلاء الذين أسلموا موضع الرعاية والعناية في العهود الأولى خاصة . فيذكر لنا البلاذري (٦) قصة الذين أسلموا من بخارى وقدموا مع عبيد الله بن زياد البصرة وأنه - أي عبيد الله - فرض لهم مثلما يفرض المسلمين .

١ فلهمزون ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٩٣ .

٢ البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٦٨ .

٣ انظر إلى الفصل الثاني الخاص بالفتوحات الإسلامية للمشرق في الرسالة . وانظر كذلك إلى رسالة عمر بن الخطاب في هذا الشأن إلى واليه المغيرة بن شعبة في البصرة (البلاذري فتوح البلدان ص ٤٣١) .

٤ البلاذري نفس المصدر ، ص ٤٦٠ .

٥ نفسه .

٦ فتوح البلدان ، ص ٤٦٣ .



لكن الأمر لم يقدر له أن يسير في مثل هذه المساواة والوداعة إنما تعثر إما بثورات أو بسوء ظن من بعض الولاة الذين لم يطمئنوا إلي إسلام من يسلم من أهل المشرق فلم يرفعوا عنهم الجزية ، بل أرهقوهم بها وانتهم الخوارج هذه الفرصة واستغلوا طغيان الولاة علي العناصر غير العربية لقد كان هذا المجتمع الجديد في المشرق لقد كان هذا المجتمع الجديد في المشرق فكان تأثيرهم في هذه العناصر تأثيرا بالغا إذ اندفع إلي صفوف الخوارج أعداد كبيرة من هذه العناصر التي غدت صفوف الخوارج وزادت من شأنهم وقوتهم (١) فكانت قوتهم هذه منظمة علي أساس عقائدي أدى إلي تماسكها (٢) .

استغل الخوارج الظروف الاجتماعية السيئة في المشرق لصالحهم فكان العرب القادمين إلي المشرق في صراع دائم مع الفرس والترك ، بل كان الصراع أقوى وأشد فيما بين العرب أنفسهم (٣) .

ويذكر لنا فلهزون .. (علي أن هذا الصراع والخصام قد تحول إلي تسابق في محاربة الخوارج) (٤) كما أن ثورات الخوارج أنفسهم كانت تمثل في بعدها الاجتماعي صراعا بين العرب ورجال السلطة ، والخوارج والمخالفين لهم من العرب (٥) . وكان حرص ثوار الخوارج علي " الفتك بأمر العرب " (٦) عموما ، والقرشيين منهم بوجه خاص (٧) .

١ باريزي ، يعقوب بن الليثي ، ص ٤٠ .

٢ نفس المصدر ، ص ٣٨ .

وانظر أبوسيف ، خراسان ص ٤٢ .

٣ انظر إلي الفصل الثاني من البحث (الهجرة والصراعات) .

٤ فلهوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩٣ .

٥ محمود إسماعيل ن الخوارج ، ص ٢٨٦ .

٦ ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١١١ .

وانظر محمود إسماعيل ، الخوارج ، ص ٢٨٦ .

٧ بعد انتصار الخوارج في معركة قديد دخلوا المدينة أخذوا الأسرى معهم فقاموا بقتل من هو من القرشيين وأطلقوا سراح الباقين ، انظر إلي البحث الفصل الرابع (معركة قديد) .



أما علاقة العرب الفاتحين بأهل المشرق فكانت علاقة محدودة كل يعرف حقه وواجبه ، ولعل تحديد هذه الحقوق والواجبات كانت أبرز ما في عقود الصلح المختلفة التي عقدها القواد الفاتحون ، فقد أنزل هؤلاء القواد المسلمون السكان في المشرق منزل أهل الكتاب فجعلوا منهم ذمة (١) وأتاحوا لهم ألوانا من الحريات ، كما أن عقود الصلح لم تجبرهم علي المشاركة في النظام الاجتماعي الجديد وإنما تركت لهم الحرية فمن أراد الخروج منهم فليخرج حتى يبلغ مأمنه (٢) .

لقد كانت هذه الأوضاع الاجتماعية في المشرق الإسلامي عوناً للخوارج في التأثير علي المجتمع في المشرق تأثيراً بالغاً سريعاً .

فكان تأثير الخوارج في المجتمع الإسلامي في المشرق عظيماً ، فأول من دعا أهل خراسان إلي رأى الخوارج رجل من بني تميم يقال له عاصم أو ابن عاصم (٣) وبلغ من تأثير الخوارج علي المجتمع في المشرق ، أن ساعد هؤلاء الخوارج عدداً كبيراً من المسلمين الذين لم يكونوا راضيين عن الحكومة في إسقاط أقاليم كرمان وسيستان في يد الخوارج (٤) أثناء حروبهم مع جيوش الخلافة . فلما أرسل الحجاج عبيد الله بن أبي بكره علي رأس جيش إلي سجستان خرج أهل سجستان واشتبكوا مع هذا الجيش ، يساعدهم الخوارج ، وفي كابل المجاورة لسجستان اقتتلوا قتالاً شديداً أسفر عن فناء هذا الجيش بين قتيل وجريح فسبي بجيش الفناء (٥) وذلك عام ٨١ هـ \ ٧٠٠ م (٦) في عهد عبد الملك بن مروان .

١ اجتمع أبو موسي وعثمان بن أبي ففتحا أرجان صلحا علي الجزية والخراج وفتحا شيراز وهي من أرض ازديشير خرد علي أن يكون ذمة يؤدون الخوارج (البلاذري فتوح البلدان ، ج ٢ ص ٤٧٨) .

٢ في صلح أرجان علي أن يكونوا ذمة يؤدون الخراج إلا من أحب الجلاء (البلاذري نفس المصدر والصفحة) .

٣ البلاذري ، نفس المصدر ، ج ٢ ص ٤٩٥ .

٤ باريزي ، يعقوب بن البثي ، ص ٣٩ .

٥ مجهول ، تاريخ سيستان ص ١١١ .

٦ نفسه .



وعندما أرتفع شأن الخوارج في المشرق وازدادت قوتهم في سجستان تزعم أحد أعيان سجستان وهو عبد الله بن عامر وكان كل أهل سجستان من شيعته ويؤيدنه (١) فكان تأثير الخوارج علي أهل سجستان عامة وشخصياتها خاصة واضحا .

لقد أثر الفكر السياسي للخوارج في المجتمع في المشرق وأتى بثماره في مثل هذا الامتزاج الاجتماعي الذي أزعج الخلافة الأموية في دمشق ، فكان للاندماج والانخراط في صفوف الخوارج تهديد للخلافة في المشرق الذي هو مصدر الثروة الأول للخلافة .

والذي ثبت هذا التعاون بين السكان الأصليين للمشرق والخوارج أن الخلفاء تهاونوا مع تقديرهم لشعور الناس في المشرق عند توليتهم الولاية (٢) .

يقول بعض المؤرخين المحدثين " ومما زاد في تفاقم الأمور في المشرق الإسلامي واضطراب الأحوال فيها تهاون بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين وعدم تقديرهم لشعور الناس عند تولية الولاية في تلك الأقاليم (٣) . فلما تولى معن بن زائدة سجستان عام ١٥١ هـ ٧٦٨ م كان رجلا قاسيا رغم سخائه الذي كان مضرب الأمثال ، وكان يطالب الأهالي بإتاوات كثيرة ، بل صادر أموال أهل مدينة بست (٤) وعامل أهل سجستان معاملة سيئة ولحقهم من ظلمه وجوره الشيء الكثير (٥) وليس هذا بجديد علي معن بن زائدة فهو الذي تولى اليمن سنة ١٤٢ هـ ٧٥٩ م وقام بارتكاب مجازر، والعجب في ذلك أن الخليفة أبا جعفر المنصور قد بارك لمعن بن زائدة هذا العمل (٦) واستصوب فعله لكون من قتلهم معن هم بقية الخوارج الذين قتلوا أهل قديد من

١ باريزي ، نفس المصدر ، ص ٤٠ .

٢ العمرو ، دور الفرس السياسي في العصر العباسي الأول ، ص ١٤٠ .

٣ الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ، ص ٦٢ .

٤ مجهول ، تاريخ سيستان ص ١٤٤ .

٥ ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٢٨٥ .

٦ البيهقي : بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، ص ٢٠ .



أهل المدينة (١) فكان انتقام الخوارج من معن بن زائدة في إقليم خراسان حيث أنكروا عليه عمله وقتلوه (٢) .

وجاء وال آخر هو علي بن عيسى بن ماهان (١٨٠ - ١٩١ هـ \ ٧٩٦ - ٨٠٦ م) (٣) فكان لا يفكر أبدا منذ إمارته إلا في الاستيلاء علي الأموال وتجاوز الحد في ذلك في كل أقاليم المشرق وجر عليها الخراب (٤) وعمل علي حصر المناصب الإدارية في أيدي أنصاره دون تقدير لردود الفعل من الأهالي (٥) . كان الخوارج مسالمين هادئين حينما يكون الوالي من الصالحين أو الفقهاء فندهم يلتمون حوله محاولين جذبهم إليهم ، ليكون عوناً لهم ضد الخلافة أما إذا كان معادياً لهم منتقماً ، فنجدهم يحاولون التخلص منه بقدر الإمكان وبأسرع وقت ممكن . وقد حدث ذلك حينما وجه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن سعيد بن عمر ابن العاص الأعور فأخرجه أهل سجستان عن البلد (٦) . ولقد كان تأثير الفكر السياسي والنشاط الحربي للخوارج في مجتمع المشرق تأثيراً بالغاً في عدم الاستقرار والفتن والانقسامات وكانت الفتن بالذات تحدث بين فترة وأخرى في هذا المجتمع وخاصة في الجانب العربي منه ، فقد أطلت فتنة عظيمة في سجستان بين القبائل العربية ، بين بني تميم وبني بكر بن وائل ، فمن بين هذه المجموعة كان رفيقاً لقطري بن الفجاءة الأزرق الخارجي ، والبعض الآخر في هوى أخري فأطاع بنو تميم سعيد بن عمرو (٧) بينما ذهب بنو بكر عن طاعته والتفوا حول بجير بن سہلب (٨) ومن ثم فقد وقع بين الفريقين عراك وقتال شديد ، قتل فيه الكثير

- ١ ابن حماد الموصلي محمد بن أبوبكر ، روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٩٣ تاريخ ورقة ٢٦٩ أ .
- ٢ البلازري ، فتوح البلدان ج ٢ ، ص ٤٩٤ .
- ٣ أبوسيف ، خراسان ، ص ٣٠ .
- ٤ بيهقي ، تاريخ ص ٤١٧ .
- ٥ باريزي ، يعقوب بن الليث ، ص ٤٤ - ٤٥ .
- ٦ الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص ٣٩١ .
- ٧ وانظر أبو سيف ، نفس المرجع والصفحة .
- ٨ يعقوبي ، كتاب البلدان ، ص ٨٥ .
- ٩ نفسه ، فهرس ولاية سجستان .



من الناس وقد قتل في الحرب هذه سبعون شيخا غير الشباب فأطلقوا علي هذه الحرب " وقعة الشيوخ " (١). هذه بعض آثار الفكر السياسي للخوارج وتواجههم في مجتمع الشرق ، كما سار بعض الولاة في المشرق سيرة غير حسنة وكان همهم الطمع وهدفهم ملء الجيوب فحدثت اضطرابات كثيرة دفعت الناس إلي الانضمام إلي صفوف الخوارج (٢).

ومع هذا التعاون الذي حصل بين الخوارج والسكان الأصليين أو العرب المهاجرين إلا أن نظرة أهل المشرق للخوارج كانت تتسم بنقراطي ضعف من ناحية الروح الوطنية .

الأولي : أن فرق الخوارج كانت تتكون من رجال متدينين ومتعصبين ، وكانت الناحية الدينية لديهم تفوق الناحية الوطنية الشعبية .

والثانية : أن أغلبيهم كان ينحدر من أسر عربية مهاجمة بالطبع لم تكن لديهم تلك الرابطة أو ذلك الإخلاص نحو وطنهم . لذلك اضطرب بعض زعماء الخوارج ومنهم حمزة بن عبد الله الخارجي أن يلحق نفسه بأصل فارسي " (٣) ويدعي أنه من سلالة (روز بن طهماسب البطل الأسطوري الفارسي) حتى يذيب هذه النظرة وفعلا استطاع بذلك أن يجمع حوله عددا كبيرا من الأتباع من سكان سجستان الأصليين ويحقق بهم انتصارا كبيرا ويتمكن من إلحاق الهزائم المتكررة بجيش ولاة سجستان (٤) علما بأن حمزة لم فارسيا إطلاقا ، لإن لغته العربية الواردة في رسالته إلي هارون الرشيد (٥) لا تصدر إلا عن عربي أصيل ، علاوة علي كونه من الخوارج .

١ الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ص ١٩٢ .

٢ باريزي ، يعقوب بن الليث ص ٤٠ .

٣ مجهول ، تاريخ سيستان ص ٢٠ . .

٤ نفسه .

٥ وانظر باريزي ، يعقوب بن الليث ، ص ٤٣ .

٥ انظر ملحق الرسائل في آخر البحث (الملحقات) .



فالخوارج كما مر بنا في أصلهم عرب نزحوا إلي المشرق ليجدوا فيها أرضا وأفرادا لدعوتهم (١) .

وكان لظهور حمزة في المشرق وانتشار أتباعه في سجستان ، وخراسان ومكران ، وقهتان وكرمان (٢) وانتصاره علي كثير من الجيوش المعادية له الأثر الكبير في نفوس السكان . فكان إذا قاتل قوما وهزمهم أمر بإحراق أموالهم وعقر دوابهم وكان مع ذلك يقتل الأسرى من مخالفه (٣) ، مما جعل أهل المشرق يعيشون حالة من الرعب والإرهاب فكان لهذا الوضع في المشرق فطالب حمزة بالطاعة لكنه رفض ذلك وازداد مغالاة في خطورة الموقف في المشرق فطالب حمزة بالطاعة لكنه رفض ذلك وازداد مغالاة في أمره (٤) فأرسل إليه المأمون جيشا بقيادة طاهر بن الحسين الذي قاتل حمزة قتالا شديدا أسفر عن قتل زهاء ثلاثين ألفا من الطرفين أغلهم من أتباع حمزة كما تمكن طاهر من أسر ثلاثمائة منهم شدهم بالحبال بين شجرتين وجذب رؤوس بعضهم إلي بعض وأجهز عليهم (٥) .

ولما كانت مبادئ الخوارج الأساسية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو مبدأ إسلامي يشترك في القول به جميع المسلمين إلا أن الخوارج

اعتنوا بتطبيقه في الحياة الاجتماعية وربطوه باعتباره مبدأ أخلاقيا اجتماعيا بالعدل الإلهي (٦) وأن هذا التطبيق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أخرجهم علي السلطان وولاته (٧) لهذا اعتنوا بتطبيقه في المشرق فكان لهم عونا علي جذب أعداد كبيرة من سكان المشرق الأصليين ممن كان معارضا للسلطة فكان أثر الخوارج السياسي في المجتمع في المشرق كبير لقد لجأ الخوارج إلي تحولا خطير في عقائدهم بما

١ حسن محمود : الإسلام في آسيا الوسطي بين الفتحي العربي والتركي ص ٥٧ .

٢ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٩٤ .

٣ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٩٤ .

٤ الخولي ، سجستان بين العرب والفرس ص ٣٩ .

٥ نفسه .

٦ كويان ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ببيروت سنة ١٩٦٦ ص ١٧٩ .

٧ العنبري : منهج المعارج ص ٥ .



يسائر الظروف الجديدة في المشرق الإسلامي فانعكس ذلك علي المجتمع وعلي الأتباع الجدد في المشرق إذ عزفت هذه الأتباع عن آراء الفرق المتطرفة كالأزارقة أو النجدات ، وأقبلوا علي معتقدات الصفرية الأقل تطرفا (١) والإباضية أصحاب المعتقدات السمحة والذين يعتبرهم حتى علماء الفرق اقرب المذاهب قاطبة إلي أهل السنة (٢) فأقبل هؤلاء الأتباع جماعات علي هاتين الفرقتين اللتين رحبت بهن وأطلقوا عليهن "المهاجرة" (٣) . سمح الخوارج في المشرق لبقية المسلمين بالإنتماء إليهم لمجاهدة السلطة الأموية بغض النظر عن اتجاهاتهم المذهبية ، بعد أن كانوا لا يسمحون بانضمام الغير إليهم إلا بعد امتحانه (٤) . بذلك التغير في الفكر أحدثوا انقلابا اجتماعيا في سكان المشرق خاصة وأن الخوارج أنفسهم أصحاب وفاء وأخلاقهم عربية في خيرها وشرها ، عربية في البساطة وعدم العمق ، عربية في الصراحة والوضوح ، عربية في الشجاعة وعدم تقديس الزعماء ، وقد وصفهم الخليفة عمر بن عبد العزيز بأبلغ وصف حين قال لهم : " أنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها " (٥) ويصفهم فلهزون ويقول : " إن الخوارج لم يكونوا بذرة فاسدة بل كانوا نبتة إسلامية حقيقية ولم يكونوا فرقة تعيش في الظلام بل كانوا ظاهرين علنا علي أوسع أساس (٦) .

ولو لم يكن الخوارج كذلك كما وصفهم فلهزون ، لما قدر لهم النجاح في المشرق عامة وسجستان خاصة حيث انضم إليهم الناس خاصتهم وعامتهم (٧) . كان الخوارج يحاربون تحت علمهم ذي اللون الأبيض (٨) دليلا علي أنهم أصحاب سلام لا أهل حرب ، فكان لهذا اللون في العلم أثر في اندفاع الناس إليهم لكونه راية سلام . وساعدهم عدد كبير من المسلمين الذين لم يكونوا راضين عن الحكومة

١ الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٣ .

٢ التنوخي ، الحق المبين في الرد علي صاحب الفرقان ص ٢٢ .

٣ محمود إسماعيل ، الحركات السرية ، ص ٢٠ .

٤ الدجيلي ، فرقة الأزارقة ، ص ٧٩ .

٥ ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٣١ .

٦ فلهزون ، الخوارج والشعبة ، ص ٢٥-٢٦ .

٧ مجهول ، تاريخ سيستان ، ص ١٠٩ .

٨ نفسه .



فتمكن الخوارج بذلك بعد وقصير من إسقاط أقاليم كرمان وسيستان في أيديهم (١). لكننا لا ننكر مع كل هذه الصفات الدينية والأخلاقية والديمقراطية التي امتاز بها الخوارج إلا أن أمر بعض فرقهم آل إلي التطرف (٢). ومن أهم أثار الخوارج في مجتمع المشرق بروز دور المرأة. فإن المجتمع في المشرق عامة، وسستان معقل الخوارج خاصة شديد في معاملته مع النساء، فلا تخرج المرأة من منزلها وإذا ما أرادت الخروج لزيارة أهلها فبالليل فقط (٣) كما أن تعليمها اقتصر على التدبير المنزلي وتربية الأطفال، هذا التعليم الذي كانت تتلقاه من أمها في البيت قبل زواجها (٤).

فلما جاءوا الخوارج أحدثوا نقلة كبيرة في حياة المرأة في المشرق، فقد أولي الخوارج اهتماما كبيرا للمرأة فمكنوها من المشاركة حتى في حوض المعارك الحربية (٥)، كما شاركت في جمع الأموال وتمويل الحركات بما تحتاجه من مؤونة وسلاح، كما كانت المرأة تعد الطعام للمقاتلين، وكانت تلهب حماس المقاتلين بشعرها مثل زوجة أبي حمزة المختار بن عوف التي تنشد في المعارك وتقول:

من سأل عن اسمي فإني مريم سمعت سوارى بسيف مخزم

هذه المرأة التي قتلت إلي جانب زوجها في المعركة (٦) فكانت تتلقي الدروس الفكرية في أمور الإسلام والمذهب وهناك مجالس تتعلم فيها المرأة الدروس القرآنية والفقهية (٧). وهكذا كان لتواجد الخوارج في المشرق الإسلامي تأثير كبير في المجتمع هناك.

١ البغدادي، الفرق بين الفرق ص ١٥٨.

٢ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١ ص ١١٥.

٣ الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٨.

٤ كريستنس: إيرا في عهد الساسانيين، ص ٤٠٢.

٥ يعقوبي: تاريخ ج ٢ ص ٢٧٥.

٦ الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٧٩.

٧ الشماخي، السير، ص ٨٧.



رابعاً : الحياة الثقافية

ترك الخوارج أثارا واضحة في الحياة الثقافية في المشرق الإسلامي تلك الحياة التي تمكنوا بها من التأثير علي سامعهم في مجتمع المشرق واستمالة عدد غير قليل لقبول آرائهم . وتمثلت هذه الآثار الثقافية في الرسائل الأدبية ، والخطب النثرية والشعر . وجاءت جميعها فيما يتطلبه الإطار الخارجي فكانوا في كل هذه العناصر : عقيدة راسخة لا تززعها الأحداث ، وتحمسا شديدا تهون بجانبه الأرواح والأموال ، وصراحة وسرعة في البديهة . كل ذلك جعل لأدبهم لونا خاصا (١) . فكان أدب الخوارج أدب قوة ، والاستماتة في طلب الحق ونشره ، فهو أدب التضحية ، وهو أدب التعبير البدوي الذي هو في بعض الأحيان أدب غضبان ولكنه غضب للعقيدة والإسلام عامة ، وأحيانا يذرفون الدمع ليسفكوا الدم (٢) ولا يعرفون هزلا في الحياة لأنهم لا يعرفون هزلا في الأدب (٣) . لا يعرف الخوارج عامة في أدبهم خمرا ولا مجونا ، إنما يعرفون الجهاد والتربية القاسية التي تخرج الرجال الأقوياء ، فقد روى أن مروان أخا يزيد لأمه دخل وهو طفل صغير علي عبد الملك بن مروان يبكي لضرب المؤدب له ، فشق ذلك علي عبد الملك ، وكان عنده أحد الخوارج ، فقال له الخارجي : " دعه يبكي فإنه أرحب لشدقه ، وأصح لدماعه ، وأذهب لصوته (٤) وأحرى ألا تأبي عليه عينه إذا حضرته طاعة ربه فاستدلي عبرتها .

وتمثل الأدب في الآتي :

أولا: الرسائل الأدبية :

منذ عهد الرسول " صلي الله عليه وسلم " والرسالة الأدبية أخذت تشق طريقها (٥) وفي عهد الخلفاء الراشدين أدت الرسائل دورا هاما بين الخلفاء وولاتهم وعمالهم

١ أحمد أمين ، ضحي الإسلام ، ص ٣٤١ .

٢ اعتماد الخوارج زيادة قبور أصحابهم وخاصة أهل النهر وذلك للتذكير والانتقام .

٣ أحمد أمين ، نفس المرجع ص ٣٤١ .

٤ المبرد ، الكامل ، ج ٢ ص ١٠٦ .

٥ كتبت الرسول " عليه الصلاة والسلام " إلي الأقاليم ليدخلوا الإسلام منها إلي ساوي التميمي البحرين .



في الأقاليم . وجاء العصر الأموي الذي كثرت فيه الاضطرابات والثورات ، فأدى ذلك إلى نشاط ملحوظ في الرسائل الديوانية خاصة في عهد عبد الملك بن مروان ، الذي عاصره الخوارج في المشرق وخاصة زعيمهم الأديب الذي تولى الإمارة أكثر من عشر سنوات وسمي بأمير المؤمنين (١) فلا بد أن يكون هناك تبادل في الرسائل بين قطرى بن الفجاءة وعماله من جهة وبين قطرى وخصومه من جهة أخرى .

فقد أضعفنا الحظ أن وقعت بين أيدينا رسالة رد بها علي الحجاج بن يوسف الثقفي ، وقد وردت في الكامل للمبرد (٢) وفي البيان والتبيين للجاحظ (٣) انظر ملحق الرسائل في آخر البحث . ومن الرسائل التي علي بعض منها تلك الرسائل المتبادلتان بين نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر وذلك في أول أمر الخوارج وكذلك كتاب نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن الزبير (٤) والرسائل المتبادلة بين صالح بن المسرح وشيب الخارجي (٥) ونلاحظ هذه الرسائل غالبا ما تختم بعبارة مستوحاة من معاني القرآن أو آية منه مثل (والسلام علي من اتبع الهدى (٦) أو (أن الله لا يحب كيد الخائنين) (٧) .

ويتميز الخوارج في رسائلهم بالصرحة والقوة ، ويقدمون المعاني علي الألفاظ وأحيانا يختارون الألفاظ الملونة للتأثير بها علي سامعيهم واستمالتهم لقبول آرائهم لا لإظهار براعتهم الفنية والكلامية (٨) .

ثانيا : خطب الخوارج :

معظم خطباء الخوارج في أغلب الأحيان من زعماء القوم ورؤسائهم وذلك للتأثير علي العامة أكثر حينما يكون المتحدث هو الزعيم ، ولأن مبدأ الخوارج ينص علي أن

١ انظر الملحق ط الرسائل بين عبد الملك والخوارج " .

٢ الكامل ج ١ ص ٢٦٩ .

٣ البيان والتبيين ج ٢ ص ١٦٥ .

٤ انظر الملحق بالرسائل ، رسالة نافع إلي عبد الله بن الزبير .

٥ نفسه .

٦ سورة طه آية ٤٧ .

٧ سورة يوسف آية ٥٢ .

٨ انظر إلي الرسائل في ملحق الرسائل آخر البحث .



الزعيم هو أفقه القوم (١) فالزبير بن علي هو الذي بايعته الخوارج زعيما للأزارقة بعد مقتل عبيد الله بن الماحوز (٢) وصالح ابن المسرح هو الذي بايعته الخوارج الصفرية أميرا للمؤمنين (٣) وعبد ربه الكبير كان من أصحاب قطري كما ذكر في الفصل الرابع من البحث ثم انفصل عنه وتزعم جناحا من الأزارقة (٤) . ومطرف ابن المغيرة هو الذي كان واليا علي المدائن من قبل الحجاج فاستمالته الخوارج وأصبح من أصحاب الرأي فيهم (٥) هكذا كان تأثير أدب الخوارج واضحا في المشرق حيث نجد أن والي الحجاج يصبح خطيبا خارجيا في المشرق. مما لاشك فيه أن الخوارج استطاعوا باهتمامهم الزائد بالخطابة نقل آرائهم وحججهم إلي غيرهم من الناس وترسيخها في نفوس أتباعهم ، كما كان عليهم استمالة القلوب إليهم وخاصة في مجتمع المشرق الإسلامي الذي كان مهينا بطبيعته كما مربنا إلي استقطاب هذه الآراء ، كما كان عليهم تهديد خصومهم ومناوئهم . كل هذا يفرض عليهم اهتماما زائدا بالخطابة التي تعتبر وسيلة الاتصال المؤثرة في نفوس السامعين والتي تعين علي نشر الآراء والعقيدة (٦) . لقد كانت خطب الخوارج ترجمة لأفكارهم العامة فكان الخطباء في جميع خطبهم يلحون علي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما استخدموا الخطبة وسيلة لتشجيع أصحابهم وتثبيت أقدامهم عند اللقاء كما فعل عبد ربه الكبير حين قال لعساكره في أرض المعركة " فتقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة وغالبا ما يتخذون من خطبهم أداة حرب إعلامية يشنونها علي الأعداء . ولما كان زعماء الخوارج هم الخطباء وهم الذين يحفظون كتاب الله فلا شك أن لخطبهم الأثر العظيم في سمع أتباعهم بل وفي المجتمع بأسره . فلا شك أن عددا غير قليل من المجتمع في المشرق تأثر بهذه الخطب وانخرط في صفوف

- ١ الناشئ ، مسائل الإمامة ص ٦٨ .
- ٢ الدنيوري ، الأخبار الطوال ص ٢٦٩ .
- ٣ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ١١٠ .
- ٤ ابن الأثير ، الكامل ج ٤ ص ١٨٢ .
- ٥ ابن الأثير ، نفس المصدر والجزء ص ٤٣٥ .
- ٦ مجهول ، تاريخ سيستان ص ١٦٠ .



الخوارج ، خاصة وأن الخوارج أهل بصيرة واحتجاج وأهل براعة فائقة في الخطابة والشعر^(١) وكان كلام الخوارج قويا كقوة سهامهم ، وكانت خطبهم واضحة ناصعة كقلوبهم يصفهم عبید الله ابن زياد فيقول : " لكلام هؤلاء أسرع إلي القلوب من النار إلي اليراع . ولا أدل علي ذلك من خطبة حمزة بن عبد الله الخارجي البليغة التي أعلن فيها معارضته الرسمية للخليفة والتي أثارت الفوضى والاضطراب في البلاد فأحرقوا الدواوين الحكومية^(٢) .

ثالثا : الشعر عند الخوارج :

أثر الخوارج بشعرهم في المجتمع تأثيرا عظيما خاصة وأن شعرائهم كانوا من الزعماء وقادة الرأي فيهم كما كان من بينهم الفرسان والعلماء والمجاهدون ، فكان منهم خليفة الخوارج الأول عبد الله بن وهب الراسي وأصحابه في النهروان^(٣) وعلي رأسهم جميعا أبو بلال مرداس بن أديه الذي تعظمه الخوارج لشدة تدينه وصحة عبادته^(٤) . وممن اشتهر في المشرق واستطاع أن يجمع أكبر قوة ضاربة للخوارج حيث أنضم إليهم في عهده عدد كبير من الموالي الذين استطاع أن يقنعهم بمنطقه ويحبب إليهم عقيدة الخوارج ، هو أمير المؤمنين قطرى بن الفجاءة^(٥) . كان قطرى مؤثرا حقا وأول ما يطالعنا من شعر قصيدته التي قالها في معركة دولا ب^(٦) أما شعره في الحماسة فقد ذكره : ابن خلكان^(٧)

١ المبرد ، الكامل ج ٣ ص ١٣٩ .

٢ مجهول ، تاريخ سيستان .

وانظر إبراهيم باستاني باريزي ، يعقوب بن الليث ، ص ٤٦ .

٣ بري نيكلسون أن النهروان بالنسبة للخوارج أصبحت مثل كربلاء عند الشيعة ص ٢٠٨ .

٤ المبرد الكامل ج ٣ ص ١١٧ .

٥ يقول ابن خلكان عند الحديث عن قطرى بن الفجاءة : " وقد قبل : أن قولهم (فطرى) ليس باسم له ولكنه نسب إلي موضع بين البحرين وعمان وهو اسم بلد كان فيه أبو نعامة المذكور فنسب إليه . وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٥٦ .

٦ وكان قطرى يلقب في الحرب بأبي نعامة وفي السلم بأبي محمد ، كما ورد في حياة الحيوان الكبرى للدميري ج ٢ ص ٥٠٣ طبعة صبيح القاهرة . راجع معركة دولا ب في حروب الأزليقة في الباب الرابع من الرسالة

٧ ابن خلكان ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .



وقال : أبيات قطرى في الحماسة " أقول لها وقد طارت شعاعا (١). تشجع أجبين الناس وما أعرف في هذا الباب مثلها وما صدرت إلا عن نفس أبيه وشهامة عربية . استطاع قطرى بن الفجاءة كما مر بنا أن يصبح أميرا للخوارج في المشرق لمدة تزيد عن العشر سنوات ، كان هدفه خلالها جمع أكبر قوة ضاربة للخوارج ، وقد تم له ذلك فانضم إليه عدد كبير من الموالي حيث استطاع أن يقنعهم بمنطقه هذا وأن يحبب إليهم العقيدة ويدافعون عنها ومن الذين اعتنقوا مذهب الخوارج متأثرين بمنطق قطرى وزعامته أبو عبيدة معمر ابن المثنى (٢) . وكان للنساء نصيب من الشعر فقد عرفن من خلال ذويهن ، فأم حكيم كانت مع زعيم الأزارقة قطرى بن الفجاءة (٣) وأخت خازون وكان أخوها أحد ولاة نجدة الخنفي (٤) . وأم البزون الصفرية في أواخر العهد الأموي شهرت بولدها الذي كان أحد فرسان الصفرية وليلي وأختها ابنتا طريف الشاري هما اختا الوليد الشاري رأس الشراة في عهد الرشيد (٥) ومن قصيدة ليلى أبا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع علي ابن الطريف (٦) اتضح أثر الخوارج في مجتمع المشرق أنهم عندما دخلوا أقاليم المشرق عملوا علي نشر العقيدة الإسلامية ، واللغة العربية للخوارج يعزى الفضل في نشر الإسلام وتعاليمه في المشرق بين سكان المشرق الأصليين فرسا وتركا ، والذي أعان الخوارج علي ذلك أن حملة العلم اتجهوا

(١) من الوافر:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شِعَاعاً
فَأَنْتِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ
وَلَا تُؤْبِ الْبَقَاءَ بِثُوبٍ عَزَّ
سَبِيلَ الْمَوْتِ غَايَةَ كُلِّ حَيٍّ
وَمَنْ لَا يُعْتَبِطُ يَسْأَلُ وَيَهْرَمُ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
مِنَ الْأَبْطَالِ وَيُحَكِّ لَنْ تُرَاعِي
عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي
صَبْرًا فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ
فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنَعِ الْبِرَاعِ
فَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعٍ
وَتُسَلِّمُهُ الْمُنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ
إِذَا مَا عُذَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

تذكرة الصفدي ٢: ٤ ، وابن خلكان ٤: ٩٤ ، والعييني ٣: ٥٢ ، وابن كثير ٩: ٣٠ ، والدميري ٢: ٣٩١ .

٢ ولد أبو عبيدة سنة ١١٠ هـ وتوفي سنة ٢٠٩ هـ وهو اجمع سائر الرواة لعلوم العرب وأخبارهم وأنسابهم ، كان في البصرة ، وكان يفد علي الخلفاء وعرفت فارس بهما " معجم الأدباء ج ١٩ ص ١٥٤ وابن خلكان وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٧ .

٣ الشريش ، مقالات ، ج ١ ص ٩١ - ٩٢ .

٤ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٢ ص ٣٦٣ .

٥ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ٨٥ - ٨٦ .

٦ ابن الأثير الكامل ج ٦ ص ٤٧ - ٤٨ .



إلى المشرق وذلك لازدياد الخوارج فيه (١) من هؤلاء العلماء الذين ذهبوا إلى المشرق الداعية الأباضي هلال بن عطية الخراساني (٢). كذلك عمل الخوارج علي نشر اللغة العربية فعند دخولهم المشرق كانت بعض الدواوين مثل الخراج والجبايات لا تزال باللغة الفارسية إلى أن جاء عبد الملك ابن مروان ووجد العرب قد كثروا في المشرق وهناك مجالس لتعليم الدين واللغة أعدها الخوارج أسوة بمجالسهم في البصرة (٣) أمام ذلك أضطر عبد الملك إلى تغيير الدواوين إلى العربية وبهذا أصبحت العربية لغة الدين والدولة (٤). ولما كان الخوارج يعتبرون بحق أنهم مؤسسي الفقه الإسلامي وممهدي طريق التفكير والفلسفة حول المسائل السياسية والدينية العامة (٥) نجد أن آثارهم في مجتمع المشرق في هذا المجال كبير، خاصة وأن الخوارج أول من فتح باب الفلسفة الدينية والفقه السياسي العقلي وبذلك برهنوا علي نفاذ في الفكر وقوة الاستدلال (٦) فقد أثار الملطي (٧) قائلاً: " أن الخوارج ذو تعمق في النظر والاستغلال ، وقال : وهو أقدم من ألف في تاريخ المقالات : " ولهم كتب وضعها علي تصحيح مذهبهم فيها حجج وكلام صعب ، وفهم علماء وفقهاء ولهم مروءة ظاهرة ودنيا واسعة . والجدير بالذكر أن ما قيل بأن الخوارج بدو لا نظر لهم هو استدلال خاطئ ومبالغ فيه ، وهو ما زعمه برونوف ، وأحمد أمين كما ذكرنا في الفصول السابقة . أما برونوف فقد تكفل بالرد عليه فلهزون وعلي زعمه أن الخوارج قوم بداءة (٨) . وأما أحمد أمين (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م) فقد قرر أن الخوارج بدو ومن أجل ذلك فإنه لم يرد عنهم مذهب مفلسف ، ولا فقه منظم (٩) عدا الاباضية . وعندما نتحدث عن أئمة الخوارج

١ الشيباني ، مخطوطة : غزاة السعراء تحقيق سيدة كاشف ص ٣٨ .

٢ البهلوي عبيد الله بن عمر الشقصي ، قصيدة خمسة في أمر الخلاف بين الصحابة .

مخطوطة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٠٥٤٩ ب (ورقة ٧١ أ .

٣ ارجع إلي مجالس الخوارج في البصرة الباب الثالث من الرسالة .

٤ ابن خلدون المقدمة ج ١ ص ٣٠٢ .

٥ القلماوى ، أدب الخوارج ، ص ٣٦ .

٦ نفسه ص ٤٢ - ٤٣ .

٧ التنبيه والرد عليه أهل الأهواء والبدع ص ٥٤ .

٨ فلهزون ، الخوارج والشيعية ، ص ١٥ - ١٦ .

٩ أحمد أمين ، ضحي الإسلام ط ٣ القاهرة ١٩٤٩ م ص ٣٣ .



ومؤلفاتهم المؤثرة في الفكر والعقيدة فلنا أن نشير إلي جابر بن زيد (١) هناك من المؤرخين (٢) من اعتبر جابر بن زيد من أول المؤرخين في الإسلام إن لم يكن أولهم علي الإطلاق .

أخذ جابر بن زيد العلم من عبد الله بن عباس ، أخلص أصحاب الرسول " صلي الله عليه وسلم " ومن عائشة زوج الرسول " صلي الله عليه وسلم " وأم المؤمنين ، ومن أنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب (٣) ومن أشهر رفاق دربه الحسن البصري (٤) (أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري) (٥) . وذكره صاحب مركب التاريخ (٦) بأنه من كبار التابعين الذين نشروا الثقافة الإسلامية في القرن الأول الهجري . من أكبر مؤلفاته ديوان جابر الذي أحدث رنة في صدر الإسلام وكان موضع تنافس في دور الكتب الإسلامية عليه ، ولا مجال لنا هنا أن نتحدث عن هذا الديوان إنما نستطيع أن نقول : " كان لهذا الكتاب قيمة كبيرة لما فيه من علم وهدى ولقربه من عصر النبوة ، ولأخذ مؤلفه (٧) عن الصحابة رضوان الله عليهم ، ولهم قمة أخرى أثرية وهي أنه أول كتاب ضخم ألف في الإسلام (وإنه لمن المؤسف أن يضيع هذا التراث العظيم . لقد كان لعلم جابر بن زيد أثره الفعال في المشرق منذ البداية فقد أخذ عن جابر رجال منهم أبو عبيدة ، مسلم بن أبي كريمة الذي أصبح مرجعا للخوارج الذين انتشروا في المشرق (٨) فكان تأثيرهم هناك عظيم حيث ساعد هذا الفكر وهذا العلم علي تقوية روح المعارضة لدى الأهالي في المشرق ضد الخليفة الأموي والعباسي . ومن أشهر دعاة الإباضية في خراسان محبوب بن الرحيل ، وبشر بن النير وهاشم عيلان . وإذا كان الغموض يكتنف مصير هؤلاء فالذي لا شك أن جهدهم في نشر الدعوة

١ والسبائي مخطوطة إزالة الوعناء ، تحقيق سيدة الكاشف ص ٢٥ .

٢ نفسه .

٣ السبائي ، مخطوطة إزالة الوعناء ص ١٨ - ١٩ .

٤ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٥٤ .

٥ هو جابر بن زيد الأزدي العماني ولد قبيل نهاية خلافة عمر بن الخطاب في بلدة الفرق من أعمال نزوى في عمان وكان يلقب بأبي الشعناء وهي ابنته التي لا يزال قبرها معروفا في الفرق (والفرقة قرية من قرى

عمان) سالم بن حمود السبائي ، مخطوطة إزالة الوعناء ص ٢ .

٦ السبائي ، إزالة الوعناء عن أبي الشعناء تحقيق سيدة كاشف ص ٢٦ .

٧ نفسه ، ص ٣٣ .



بخراسان باء وفشل (١). أما أثار الخوارج في العمارة سواء المدن أو القصور فلن تمدنا المصادر بشيء من ذلك علي الإطلاق ولعل السبب في ذلك هو أن الخوارج لم يأتوا بشيء جديد في هذا المضمار في المشرق ، وذلك لكونهم جماعة ليس لهم استقرار وأنهم لا يعلمون متى يرحلون عن أماكنهم . ولا يعرفون إلي أين هم ذاهبون ، واتضح لنا من مخاطبته أكبر زعمائهم حمزة بن عبد الله الخارجي حينما قال لأهل سجستان : أما أنا فلا أريد شيئاً من المال ولا أخذ شيئاً منه لأنني لم أبق في مكان واحد " (٢) . وهكذا يتضح لنا مما تتقدم أن الخوارج أحدثوا ثورة فكرية ثقافية في المشرق من خطبهم ورسائلهم وأشعارهم حيث كانوا يمتازون بالصرحة والقوة ، ويقدمون المعاني علي الألفاظ ويختارون العبارات المثيرة والألفاظ المؤثرة للتأثير بها علي سماعهم واستمالتهم لقبول آرائهم والانضمام إليهم وتحقيق الهدف المشترك " القضاء علي الخلافة " حيث كانوا في أكثر إنتاجهم الأدبي سواء أشعرا أو نثرا كانوا يدورون حول فكرة رئيسية واحد ألا وهي الخروج في سبيل الله لا طمع في سلطان ولا سعي وراء ملك أو جاه وإنما إحقاقا للحق وإزهاق للباطل .

(تم بحمد الله) .

١ اطفيش ، بعض تواريخ أهل وادي ميزاب ص ١١٥ .
٢ مجبول تاريخ ، تاريخ سيستان ص ١٥٨ .



الخوارج وموقف الإسلام منهم

أولا التعريف بالخوارج

الخوارج: في اللغة جمع خارج، والخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على طائفة من الناس، معللين ذلك بخروجهم عن الدين، أو على علي رضي الله عنه، أو لخروجهم على الناس عموماً (١)

الخوارج في الاصطلاح: يوجد للخوارج عدة تعريفات ذكرها العلماء نذكر منها

يقول أبو الحسن الأشعري: أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبين أن خروجهم على علي هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب لما حكم (٢).

يقول الجرجاني: هم الذين يأخذون العشر من غير إذن السلطان وهم في الأصل كانوا في صف الإمام علي رضي الله عنه في القتال، وخرجوا عليه لما قبل التحكيم. قالوا: لم تحكم وأنت على حق.

ويقول ابن عابدين: إنهم يرون علي بن أبي طالب رضي الله عنه على باطل بقبوله التحكيم، ويوجبون قتاله، ويستحلون دماء أهل العدل، ويسبون نساءهم وذرياتهم؛ لأنهم في نظرهم كفار (٣)

وعرفهم الشهرستاني: بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمعت الكلمة على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمان كان، حيث قال في تعريفه للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان

(١) ينظر: ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٥٠/٧)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٠/٢).

(٢) مقالات الإسلاميين (٢٠٧/١).

(٣) حاشية ابن عابدين ٣ / ٣١٠، والبدايع ٧ / ١٤٠. و. التعريفات للجرجاني ص ٩١



الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان^(١)

وقال ابن حجر : والخوارج: الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقتلوه، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة^(٢). وقال في تعريف آخر: أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين^(٣).

يقول الدكتور ناصر العقل: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة الجور^(٤).

والخلاصة

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على سيدنا علي رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين، ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب: الحرورية، والشراة، والمارقة، والمحكمة، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها؛ إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية^(٥).

أول ظهور للخوارج ، تعددت الأقوال في نشأة الخوارج

أنهم نشأوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

أنهم نشأوا في عهد عثمان رضي الله عنه.

أنهم نشأوا في عهد علي رضي الله عنه حين خرج عليه طلحة والزبير، كما يزعم

بعض علماء الإباضية.

(1) الملل والنحل. راجع الصلابي علي بن ابي طالب ٥٩٣

(2) هدي الساري في مقدمة فتح الباري ، ص ٤٥٩.

(3) فتح الباري (٢/٢٨٣).

(4) الخوارج ، ناصر العقل ، ص ٢٨.

(5) مقالات الإسلاميين (١/٢٠٧).

(6) راجع علي بن أبي طالب الصلابي ٥٧٣



أو حين خرج الخوارج من المحكمة عن جيشه كما هو الراجح.

أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة ٦٤ هـ (١)

قال ابن الجوزي: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي، الذي قال لرسول الله ﷺ: اعدل، فقال: «ويلك ومن لم يعدل إذا لم أعدل»؟! (٢)، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، لأنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣).
وممن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة، أبو محمد بن حزم (٤)، وكذا الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) (٥).

ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه بإحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله رضي الله عنه ظلماً وعدواناً، وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولى (٦)، وقال شارح الطحاوية: فالخوارج والشيعه حدثوا في الفتنة الأولى (٧)، وقد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان وقتلوه اسم الخوارج، حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً (٨).

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (٤/ ٣٣١)، ١

أخرجه مسلم (٢/ ٧٤٠).

تلبيس إبليس، ص ٩٠. (٣)

الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٥٧).

الملل والنحل (١/ ١١٦).

عقيدة أهل السنة في الصحابة (٣/ ١١٤١).

شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٦٣. (٧)

النهاية والنهاية (٧/ ٢٠٢). (٨)



اسماء الخوارج اشتهر الخوارج بكثير من الأسماء كان ابرزها

اولا: الخوارج وهو أشهر أسمائهم التي لقبوا بها، وهم يفتخرون بهذا الاسم لأنه مأخوذ من قول الله عز وجل

﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما﴾ [النساء: ١٠٠] لأنهم يصفون أنفسهم بأنهم خرجوا مهاجرين إلى الله ورسوله

قال محمد بن عبد الله السالمي الإباضي: (كان اسم الخوارج في الزمان الأول مدحا؛ لأنه جمع خارجة، وهي الطائفة التي تخرج للغزو في سبيل الله تعالى؛ قال عز وجل: ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة [التوبة: ٤٦] ، ثم صار ذما لكثرة تأويل أحاديث الذم فيمن اتصف بذكر آخر الزمان، ثم زاد استقباحه حين استبد به الأزارقة والصفرية؛ فهو من الأسماء التي اختفى سببها وقبحت لغيرها؛ فمن ثم نرى الإباضية لا يتسمون بذلك، وإنما يتسمون بأهل الاستقامة^(١))

التسمية الثانية: الحرورية نسبة إلى مكان خروجهم على سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مكان قريب من الكوفة بالعراق



(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (٤/ ٣٣٧)، ١



وسئل نافع: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: (يراهم شرار خلق الله، قال: إنهم انطلقوا إلى آيات في الكفار، فجعلوها على المؤمنين

التسمية الثالثة: الشراة ومعني (الشراة) أي الذين باعوا أنفسهم لله

وترجع هذه التسمية الي قول الله تعالى: ﴿إِن اللّٰهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَن لَّهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ﴾ (التوبة: ١١١) وهم يفتخرون بهذه التسمية ويسمون من عداهم بذوي الجعائل (الأموال)، أي: يقاتلون من أجل الجعل الذي بذل لهم، أما هم الشراة، فقد باعوا أنفسهم لله تعالى (١)

التسمية الرابعة: المارقة سمي الخوارج بالمارقة كما جاء في الحديث (الصحيحين) عن علي رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية،) وقال الشهرستاني: (هم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان(٢)

التسمية الخامسة: المحكمة: سمو الخوارج بالمحكمة، لتردادهم كلمة (لا حكم إلا لله) عندما خرجوا علي علي رضي الله عنه يوم الحكمين، وكرهوا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله

قال فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قالوا: "لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ"، قال علي: "كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ" أخرجه مسلم.

التسمية السادسة: النواصب وسبب تسميتهم بالنواصب لمبالغتهم في نصب العدا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

التسمية السابعة: أهل النهروان وهذه التسمية جاءت نسبة إلى المكان الذي قاتلهم فيه سيدنا علي رضي الله عنه

(1) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (٤/ ٣٣٨)،

(2) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (٤/ ٣٣٨)،





التسمية الثامنة: المكفرة وذلك لأنهم يكفرون بالكبائر ويكفرون من خالفهم من المسلمين

قال شيخ الإسلام: والخوارج هم أول من كفر المسلمين يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله. وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها. وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة ويطيعون الله ورسوله فيتبعون الحق ويرحمون الخلق

وقال: وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب بل بما يروونه هم من الذنوب واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك فكانوا كما نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم: (يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان). (١)

(١) مجموع الفتاوى ج ٣/ ٢٧٩ أبو حسن العرجاني، الخوارج عند شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فوائد ومسائل وأحكام، ج ١، صفحة ٤٢



التسمية التاسعة: الشكاكية وذلك أنهم لما رفضوا التحكيم قالوا لعلي رضي الله عنه: (شككت في أمرك وحكمت عدوك من نفسك)، فسموا بذلك الشكاكية .

ثالثا ما جاء في ذكر الخوارج من أحاديث

وردت جملة أحاديث عن النبي ﷺ تبين انحرافهم وخطورتهم علي الأمة الإسلامية نذكر منها

حديث ذو الخويصرة :

روي الشيخان في صحيحهما عن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا ، أَتَاهُ ذُو الْخَوِصِرَةِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ ، فَقَالَ : وَبِئْسَ مَا لَكَ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ، قَدْ خَبْتِ وَخَسِرْتِ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ . فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَدْنُ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عَنْقَهُ ؟ فَقَالَ : دَعُهُ ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيمِهِمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ (١) ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيهِ ، - وَهُوَ قِدْحُهُ - ، فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُدْذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثُ وَالِدَّمَ ، آيَهُمْ (علامتهم) رَجُلٌ أَسْوَدٌ ، إِحْدَى عَظْمَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ (قطعة اللحم) تَدْرَدُرُ ، (ترجرج) وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ. (٢) قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظر إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعتته (٣)

(١) تراقيهم: جمع ترقوة، وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين. الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك، وقيل: كل دابة مرمية.

(2) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام - حديث رقم ٣٤٤٥

(3) مسلم (٧٤٤، ٧٤٣/٢).



وفي قوله صلى الله عليه وسلم : «لا يجاوز تراقبهم» احتمالات:

١. يحتمل أنه لكون قلوبهم لا تفقه، ويحملونه على غير المراد به.
٢. يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله^(١).

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله من اليمن بذهبة في أديم مقرظ (جلد مدبوغ) ، لم تحصل من تراجها (لم تميز ولم تصف من تراب معدنها) قال: فقسّمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن كلاب، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذه من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً»، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة (مرتفع الجبهة) ، كثر اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله»، قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فقال: «لا، لعله أن يكون يصلي»، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم»، قال ثم نظر إليه وهو مُقفٍ (ذاهب ومول) ، فقال: «إنه يخرج من ضُنْجِي (أي أصل الشيء) هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، قال: أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلهم قتل ثمود»^(٢) وفي لفظ: أنه قال له: اعدل، فقال: «ويلك ومن لم يعدل إذا لم أعدل»^(٣)

وروى الشيخان أيضاً من حديث أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهم أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج في

(1) فتح الباري (٦/٦١٨). القاضي عياض في شرح النووي (٧/١٥٩).

(2) أخرجه البخاري (٢/٢٣٢)، ومسلم (٢/٧٤٢).

(3) أخرجه مسلم (٢/٧٤٠).



هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم - أو حناجرهم - يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه، إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقة ، هل علقت بها من الدم شيء»^(١)

وروى البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فوالله لأن أحرَّ من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان (صغار السن) ، سفهاء الأحلام (العقول) ، يقولون من خير قول البرية (قرآن وسنة) لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ ، قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لَا يَجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ ، فَأَيْنَمَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .^(٢)

قال الحافظ ابن حجر: المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة، فإن في حديث سفينة المخرج في السنن وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعاً: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير ملكاً، وكانت قصة الخوارج وقتلهم في النهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وثلاثين للهجرة،^(٣)

وروى أبو يعلى وغيره عن أنس قال: كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يعجبنا تعبه واجتهاده، وقد ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه، فوصفناه بصفته، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل، قلنا هو هذا؟ قال: إنكم لتخبروني

(1) مسلم (٧٤٣/٢، ٧٤٤).

(2) رواه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٧٧١).

(3) فتح الباري (٢٨٧/١٢).



عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان، فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأندشك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني؟ قال: اللهم نعم، ثم دخل يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يقتل الرجل؟ قال: أبو بكر: أنا، فدخل عليه فوجده يصلي، فقال: سبحان الله، أقتل رجلا يصلي وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل المصلين؟! فخرج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما فعلت؟ قال: كرهت أن أقتله وهو يصلي وأنت قد نهيت عن قتل المصلين، قال: من يقتل الرجل؟ قال عمر: أنا، فدخل فوجده واضعا وجهه فقال عمر: أبو بكر أفضل مني، فخرج، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: مه، قال: وجدته واضعا وجهه لله، فكرهت أن أقتله، فقال: من يقتل الرجل؟ فقال علي: أنا، فقال: أنت إن أدركته فدخل عليه فوجده قد خرج، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: مه، قال: وجدته قد خرج: قال: لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان كان أولهم وآخرهم.

قال موسى : سمعت محمد بن كعب يقول : هو الذي قتله علي ، ذو الثدية .(١)

قال ابن رجب في (جامع العلوم والحكم): "وقد روي من وجوه متعددة أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم- أمر بقتل رجل كان يصلي، وقال: (لَوْ قُتِلَ، لَكَانَ أَوَّلَ فِتْنَةٍ وَأَخْرَهَا)، وفي رواية: (لَوْ قُتِلَ، لَمْ يَخْتَلِفْ رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي حَتَّى يَخْرُجَ الدَّجَالُ) خرّجه الإمام أحمد وغيره، فيستدل بهذا على قتل المبتدع إذا كان قتله يكفّ شرّه عن المسلمين، ويحسم مادة الفتن. وقد حكى ابن عبد البر وغيره عن مذهب مالك جواز قتل الداعي إلى البدعة".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية

فَإِنَّ الْخَوَارِجَ خَالَفُوا السُّنَّةَ الَّتِي أَمَرَ الْقُرْآنُ بِاتِّبَاعِهَا وَكَفَرُوا الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَمَرَ الْقُرْآنُ بِمُؤَالَاتِهِمْ وَصَارُوا يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَةَ مِنَ الْقُرْآنِ فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الهيثمي - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ١٠٤٠٢



مَعْرِفَةٍ مِنْهُمْ بِمَعْنَاهُ وَلَا رُسُوخٍ فِي الْعِلْمِ وَلَا اتِّبَاعٍ لِلسُّنَّةِ وَلَا مُرَاجَعَةَ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ
الَّذِينَ يَفْهَمُونَ الْقُرْآنَ. اهـ. (١)

وفي سنن الترمذي عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم في
الخوارج (أنهم كلاب أهل النار) وقرأ هذه الآية {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه} قال
الإمام أحمد بن حنبل: صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه، وقد خرجها مسلم
في صحيحه وخرج البخاري طائفة منها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يحقر أحدكم
صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم. يقرءون القرآن لا يجاوز
حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية - وفي رواية يقتلون أهل
الإسلام ويدعون أهل الأوثان) (٢)
الي غير ذلك من الأحاديث

ولقد اختلف العلماء في ذو الخويصرة التميمي، ذكره ابن الأثير في الصحابة
مستدركا على من قبله، ولم يورد في ترجمته سوى ما أخرجه البخاري من حديث أبي
سعيد، قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم ذات يوم قسما فقال ذو
الخويصرة- رجل من بني تميم: يا رسول الله، أعدل. فقال: «ويلك ومن يعدل إذا لم
أعدل»؟ (٣)

وقيل ليس بصحابي بل هو منافق فلا يعد من الصحابة

وقيل هو حرقوص بن زهير السعدي و حرقوص بضم أوله وسكون الراء والقاف
بعدها واو ساكنة ثم صاد مهملة- (٤) وهو رأس الخوارج المقتول بالنهروان

(1) شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢١٠/١٣) :

(٢) مجموع الفتاوى ج ٣ / ٢٧٩ [. العرجاني، الخوارج عند شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فوائد ومسائل وأحكام، مجلد
١، صفحة ٢٧

(3) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٤٣)

(4) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٤)



وذكر الهيثم بن عدي أن الخوارج تزعم أن حرقوص بن زهير كان من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه قتل معهم يوم النهروان قال: فسألت عن ذلك، فلم أجد أحدا يعرفه.(١)

وقيل هو ذو الثدية أو المخدج : الذي قاتل مع الخوارج في النهروان، وفي وصفه أنه أسود البشرة^(٢)، وفي رواية: حبشي، وأنه مخدج اليد، أي: ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة، فهي من المنكب إلى العضد فقط، أي: بدون ذراع، وفي نهاية عضده مثل حلمة الثدي وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم؛ إذ إنها «تدردر» أي: تتحرك تذهب وتجيء، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلمها بمعنى واحد؛ وهو ناقص اليد^(٣).

يقول الصلابي وقد أخطأ من قال: إن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدي^(٤)، فحرقوص رجل مشهور كان له دور في الفتوح الإسلامية، ثم خرج على عثمان رضي الله عنه، وقد فرَّ إثر معركة الجمل الصغرى التي قتل فيها الزبير وطلحة رضي الله عنهما قتلة عثمان بالبصرة، وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين^(٥).

حكم تكفير الخوارج

كثُر الكلام والتساؤل عن تكفير الخوارج وهل ما يعتنقون ويؤمنون به يخرجهم من الملة ويجعلهم خارج الإسلام ، وهذه المسألة تكلم فيها العلماء و ألفوا فيها كتب ومؤلفات كثيرة جدا جاءت في أبواب العقائد والفرق والكتب الفقهية نلخص منها ما يأتي

(1) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٤٥)

(2) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٤٦).

(3) النهاية في غريب الحديث (١/ ١٢، ١٣) ؛ فتح الباري (١٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥).

(4) الملل والنحل (١/ ١١٥).

(5) فتح الباري (١٢/ ٢٩٢) ؛ الإصابة (١/ ١٣٩) نقلا عن الصلابي كتاب علي بن أبي طالب .



اختلف العلماء في تكفير الخوارج الي قولين رئيسين

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى فَإِنَّ الْأَنْثَمَةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى دَمِّ الْخَوَاجِرِ وَتَضْلِيلِهِمْ وَإِنَّمَا تَنَازَعُوا فِي تَكْفِيرِهِمْ عَلَى قَوْلَيْنِ مَشْهُورَيْنِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ وَفِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَيْضًا نِزَاعٌ فِي كُفْرِهِمْ. وَلِهَذَا كَانَ فِيهِمْ وَجْهَانِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْأُولَى: حَدُهُمَا : أَنَّهُمْ بُغَاةٌ. وَالثَّانِي : أَنَّهُمْ كُفَّارٌ كَالْمُرْتَدِّينَ ، يَجُوزُ قَتْلُهُمْ ابْتِدَاءً ، وَقَتْلُ أَسِيرِهِمْ ، وَاتِّبَاعُ مُدْبِرِهِمْ ، وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ أُسْتُتِيبَ كَالْمُرْتَدِّ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ . اهـ. (١)

القول الأول: وهو عدم تكفيرهم مع الحكم بضلالتهم وفسقهم وبغيمهم

ومن قال بعدم تكفيرهم استدلوا بأنهم دخلوا الإسلام و نطقوا بالشهادتين ولم يصرحوا بالكفر مع مواظبتهم على أركان الإسلام و محافظتهم علي تعاليم الدين من صلاة وصيام وحج وقراءة القران والجهاد وعدم تفریطهم في أي منها وهذا يمنع تكفيرهم وعندما وصفهم ابن عباس قال : فَأَتَيْتُهُمْ فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرَأَشَدَّ إِجْتِهَادًا مِنْهُمْ ، أَيْدِيَهُمْ كَأَنَّهَا تُفَنِّئُ الْإِبِلَ ، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ

وأما أفعالهم التي فيها تكفير للمسلمين واستباحة دمايهم وأموالهم لم يفعلوها مستحلين حرمتها ولكن متأولين الحكم وفسروه عن جهل منهم فهذا يحكم بفسقهم وليس بكفرهم

وقال سيدنا علي رضي الله عنه : لم نقاتل أهل النهروان على الشرك، وسئل عنهم أكفارهم؟ قال: من الكفر فروا، قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرن الله إلا قليلا، قيل: فما هم؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا وبغوا علينا وحاربونا وقاتلونا فقتلناهم.

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٥١٨/٢٨)



قال إسماعيل القاضي: رأى مالك قتل الخوارج وأهل القدر للفساد الداخل في الدين، وهو من باب الإفساد في الأرض وليس إفسادهم بدون إفساد قطاع الطريق والمحاربين المسلمين على أموالهم، فوجب بذلك قتلهم، لكنه يرى استتابتهم لعلمهم يراجعون الحق فإن تمادوا قتلوا على إفسادهم لا على كفرهم، وهذا قول عامة الفقهاء الذين يرون قتلهم واستتابتهم، وذهب أبو حنيفة والشافعي وجمهور الفقهاء وكثير من المحدثين إلى أنه لا يتعرض لهم باستتابة وغيرها ما استتروا ولم يبيغوا ولم يحاربوا

وبالغ الخطابي فقال: أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج على ضلالتهم فرقة من المسلمين، وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم وقبول شهادتهم (١)

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (وَدَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَصُولِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ فُسَّاقٌ وَأَنَّ حُكْمَ الْإِسْلَامِ يَجْرِي عَلَيْهِمْ لِتَلَفُظِهِمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَمُواظَبَتِهِمْ عَلَى أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّمَا فَسَقُوا بِتَكْفِيرِهِمْ الْمُسْلِمِينَ مُسْتَنِدِينَ إِلَى تَأْوِيلِ فَاسِدٍ وَجَرَّهُمْ ذَلِكَ إِلَى اسْتِبَاحَةِ دِمَائِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ بِالْكَفْرِ وَالشِّرْكِ .ا.هـ.) (٢)

قال الخطابي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر: أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين ، وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم ، وأثمهم لا يكفرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام .ا.هـ.

(1) كتاب شرح الزرقاني على الموطأ [الزرقاني، محمد بن عبد الباقي] ج ٢ ص ٢١

(2) ابن حجر في الفتح (٣١٤/١٢) :



وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ:

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ غَيْرَ خَارِجِينَ عَنْ جُمْلَةِ الْمُسْلِمِينَ لِقَوْلِهِ " يَتَمَارَى فِي الْفُوقِ " لِأَنَّ التَّمَارِي مِنَ الشُّكِّ ، وَإِذْ وَقَعَ الشُّكُّ فِي ذَلِكَ لَمْ يُقْطَعْ عَلَيْهِمْ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّ مَنْ ثَبَتَ لَهُ عَقْدُ الْإِسْلَامِ بَيِّقِينَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ إِلَّا بَيِّقِينَ ١.١.هـ.

روى الخلال في السنة بإسناده فقال: وأخبرني يوسف بن موسى أن أبا عبد الله قيل له : أقرر الخوارج ؟ قال : هم مارقة. قيل : أكفارهم ؟ قال : هم مارقة مرقوا من الدين. (١).

وممن ذهب إلى هذا القول - وهو عدم تكفير الخوارج - رواية عن الإمام أحمد ورواية عن الإمام مالك وهو قول الشافعي في رواية.

قال الطالبي: وأما الإمام الشافعي فإنه لم يفرق بين مذهب الخوارج وبين غيره من مذاهب الفرق الأخرى في عدم التكفير بها ١.١.هـ.

وكذلك الإمام النووي قال:

الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ الَّذِي قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ وَالْمُحَقِّقُونَ : أَنَّ الْخَوَارِجَ لَا يُكْفَرُونَ كَسَائِرِ أَهْلِ الْبِدْعِ ١.١.هـ. (٢)

وقال ابن قدامة في المغني

الْخَوَارِجُ الَّذِينَ يُكْفَرُونَ بِالذَّنْبِ ، وَيُكْفَرُونَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَكَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَيَسْتَحِلُّونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا مَنْ خَرَجَ مَعَهُمْ ، فَظَاهِرُ قَوْلِ

(1) الخلال في السنة (ص ١٤٥ رقم ١١١) إسناده حسن
(2) الإمام النووي في شرح مسلم (٥٠/٢)



الْفُقَهَاءِ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُمْ بُغَاءٌ ، حُكْمُهُمْ حُكْمُهُمْ (١) وَهَذَا قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ ،
وَالشَّافِعِيِّ ، وَجَمُهورِ الْفُقَهَاءِ ، وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ . اهـ .

والقول بعدم تكفيرهم هو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية. (٢)

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة

ومما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم وكان
عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري
وكانوا أيضا يحدثونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم المسلم كما كان عبدالله بن
عباس يجيب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل وحديثه في البخاري ،
وكما أجاب نافع بن الأزرق عن مسائل مشهورة وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما
يتناظر المسلمان وما زالت سيرة المسلمين على هذا ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم
الصديق هذا مع أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم في الأحاديث الصحيحة وما
روي من أنهم شرقتلى تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه في الحديث الذي رواه
أبو أمامة رواه الترمذي وغيره أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم فإنهم لم يكن أحد
شرا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم
لم يوافقهم مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم مكفرين لهم وكانوا
متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة ومع هذا فالصحابه - رضي الله عنهم -
والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا
فعل بل اتقوا الله فيهم وساروا فيهم السيرة العادلة . اهـ . (٣) (٤)

(1) ابن قدامة في المغني (١٠٦/٨) :

(2) أقوال أهل الملة في حكم الخوارج المارقة عبد الله بن محمد زُقَيْل

(3) شيخ الإسلام في منهاج السنة (٢٤٧/٥)

(4) أقوال أهل الملة في حكم الخوارج المارقة عبد الله بن محمد زُقَيْل



وجاء في الموسوعة الفقهية: أكثر الفقهاء يرون أنهم بغاة، ولا يرون تكفيرهم، وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنهم كفار مرتدون، وقال ابن المنذر: لا أعلم أحدا وافق أهل الحديث على تكفيرهم، وذكر ابن عبد البر أن الإمام عليا . رضي الله عنه . سئل عنهم: أكفارهم؟ قال: من الكفر فروا . قيل: فمناقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل فما هم؟ قال: هم قوم أصابتهم فتنة، فعموا وصموا، وبغوا علينا، وقتلوا فقاتلناهم، وقال لهم: لكم علينا ثلاث: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نبدؤكم بقتال، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم معنا. اهـ (١)

يقول عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

ذهب الجمهور إلى أنهم مبتدعة وليسوا كفارا، وقالوا: إنهم متأولون، وفرق بين المتأول والجاحد، فالجاحد يكفر والمتأول لا يكفر، وهذه النصوص تدل على فسقهم وبدعتهم ولا تدل على كفرهم، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: إن هذا هو حكم الصحابة عليهم، فالصحابه حكموا عليهم بأنهم مبتدعة ولم يحكموا عليهم بالكفر. واحتجوا بقول علي رضي الله عنه لما سئل عنهم: أكفارهم؟ قال: لا، من الكفر فروا.

والقول بتكفيرهم قول قوي؛ لأن النصوص صريحة بتكفيرهم، وإن كان الجمهور يرون أنهم مبتدعة (٢).

(١) كتاب الموسوعة الفقهية الكويتية ج ٨ ص ١٣٠

(٢) كتاب شرح الوصية الكبرى لابن تيمية - الراجحي ج ٤ ص ٦



القول الثاني:

الحكم بتكفيرهم واستدلوا بالأحاديث الواردة فيهم ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، والذي يمرق من الشيء فإنه يخرج منه، فدل ذلك على كفرهم. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فقال: أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم، ثم شبههم بعاد، فقال: لأن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد، وعاد قوم هود قوم كفار، فدل على كفرهم. مما احتجوا به أيضا ما جاء في رواية: يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه.

قال شيخ الإسلام: ولهم خصلتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم: أحدهما: خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسنة سيئة أو ما ليس بحسنة حسنة وهذا هو الذي أظهره في وجه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: اعدل فإنك لم تعدل حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل). فقوله: فإنك لم تعدل جعل منه لفعل النبي صلى الله عليه وسلم سفها وترك عدل وقوله: "اعدل" أمر له بما اعتقده هو حسنة من القسمة التي لا تصلح وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة فقائلها لا بد أن يثبت ما نفتته السنة وينفي ما أثبتته السنة ويحسن ما قبخته السنة أو يقبح ما حسنت السنة^(١).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح جملة من العلماء الذين قالوا بتكفير الخوارج كالبخاري حيث قرنهم بالملحدين وأفرد عنهم المتأولين بترجمة قال فيها: باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه.

وممن يرى بتكفير الخوارج كما ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي فقال الحافظ:

(١) أبو حسن علي بن حمد العرجاني، الخوارج عند شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فوائد ومسائل وأحكام، مجلد



وَبِذَلِكَ صَرَّحَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي شَرْحِ الْيَزْمِيدِيِّ فَقَالَ : الصَّحِيحُ أَنَّهُمْ كَفَّارٌ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ " وَلِقَوْلِهِ : " لَأَقْتُلَنَّكُمْ قَتْلَ عَادَ " ، وَفِي لَفْظِ " نَمُودَ " ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا إِنَّمَا هَلَكَ بِالْكَفْرِ ، وَبِقَوْلِهِ : " هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ " وَلَا يُوصَفُ بِذَلِكَ إِلَّا الْكُفَّارُ ، وَلِقَوْلِهِ : " إِنَّهُمْ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى " ، وَلِحُكْمِهِمْ عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَفَ مُعْتَقَدَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالتَّخْلِيدِ فِي النَّارِ فَكَانُوا هُمْ أَحَقَّ بِالإِسْمِ مِنْهُمْ .ا.هـ

وكذلك ممن قال بتكفيرهم السبكي ، قال الحافظ: وَمَمَّنْ جَنَحَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَيْمَّةِ الْمُتَأَخِّرِينَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ فَقَالَ فِي فَتَاوِيهِ : اِحْتَجَّ مَنْ كَفَّرَ الْخَوَارِجَ وَغَلَاةَ الرَّوَافِضِ بِتَكْفِيرِهِمْ أَعْلَامَ الصَّحَابَةِ لِتَضَمُّنِهِ تَكْذِيبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهَادَتِهِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، قَالَ : وَهُوَ عِنْدِي اِحْتِجَاجٌ صَحِيحٌ .ا.هـ^(١)

وكذا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي " الْمُفْهِمِ " : وَالْقَوْلُ بِتَكْفِيرِهِمْ أَظْهَرُ فِي الْحَدِيثِ .

وقال أيضا: فَعَلَى الْقَوْلِ بِتَكْفِيرِهِمْ يُقَاتِلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَتُسَبَّى أَمْوَالُهُمْ وَهُوَ قَوْلٌ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي أَمْوَالِ الْخَوَارِجِ ، وَعَلَى الْقَوْلِ بِعَدَمِ تَكْفِيرِهِمْ يُسَلِّكُ بِهِمْ مَسَلِّكُ أَهْلِ الْبَغْيِ إِذَا شَقُّوا الْعَصَا وَنَصَبُوا الْحَرْبَ .ا.هـ

وهذا يدل على أنه غير جازم بالحكم فيهم وإن كان يرى ترك تكفيرهم أسلم لقوله: وَبَابُ التَّكْفِيرِ بَابُ خَطَرٍ وَلَا نَعْدِلُ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا . وممن ذهب إلى تكفيرهم أيضا الحسن بن محمد بن علي ورواية عن الإمام الشافعي ورواية عن الإمام مالك وطائفة من أهل الحديث. وممن ذهب إلى تكفيرهم من المعاصرين سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله^(٢)

وسبب حكم العلماء عليهم بالتكفير لأنهم تعرضوا لصحابة رسول الله ﷺ وكفروهم واستباحوا الأموال والأعراض وغيرها من أسباب فتنة للأمة

(1) الحافظ ابن حجر في الفتح (٣١٣/١٢)

(2) أقوال أهل الملة في حكم الخوارج المارقة عبد الله بن محمد زُقَيْل



قال الخرشي المالكي: " إن رمى عائشة بما برأها الله منه ، بأن قال: زنت، أو أنكر صحبة أبي بكر، أو إسلام العشرة ، أو إسلام جميع الصحابة، أو كفر الأربعة، أو واحداً منهم : كفر" انتهى (١)

وقال تقي الدين السبكي: " احتج المكفرون للشيعة والخوارج : بتكفيرهم لأعلام الصحابة رضي الله عنهم، وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في قطعه لهم بالجنة. وهذا عندي احتجاج صحيح ، فيمن ثبت عليه تكفير أولئك" (٢)

من كفرهم أيضا أبو المظفر الأسفراييني، فيما ذكره عنه الطالبي أيضا، وذلك لأنهم (كفروا الصحابة)، و(من كان اعتقاده كاعتقادهم فإنه لا شبهة تعترض أهل الديانة في خروجه عن الملة) (٣)

يقول ابن باز رحمه الله

المشهور عند العلماء أنهم عُصاة، والقول بتكفيرهم هو أظهر في الأدلة؛ لأنَّ الرسول قال فيهم: يمرقون من الإسلام ثم لا يعودون إليه، فظاهر السنة أنهم كَفَّار، وهم الذين يُكفرون الصحابة ويُفسقونهم، ويُكفرون أهل الكبائر ويعتقدون خلودهم في النار، وهذه عقائد خبيثة باطلة، وقول مَنْ قال بتكفيرهم أظهر.

القول الراجح

ولعل أقرب الأقوال الي الصواب هو التوسط في الحكم عليهم فليس من الإنصاف جعل الخوارج أو أي فرقة أخرى في منزلة واحدة ففي كل فرقة نجد منها المحرف جدا ونجد منها من هو قريب من الاعتدال فالخوارج مثل أي مذهب فكري وعقائدي لا يحكم علي عمومهم بالتكفير عموما لأنهم فرق وأقسام وجماعات شتى

(1) من شرح الخرشي على مختصر خليل (٧ / ٧٤).

(2) من فتاوى السبكي (٢ / ٥٦٩).

(3) آراء الخوارج ((ص: ٢٣))



فمنهم من كان مغالي جدا فقصروا الصلاة على ركعة في الصباح، وركعة في المساء ومنهم فرقة تعرف بالميمونة

والميمونية هي فرقة مغالية من الخوارج أجازت نكاح بعض المحارم التي علم تحريمها من الدين بالضرورة، ثم زادت فأنكرت سورة يوسف أنها من القرآن

وفي هؤلاء قال ابن حزم: (قد تسمى باسم الإسلام من أجمع جميع فرق الإسلام على أنه ليس مسلما، مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا: إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط، وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين، وبنات بني الإخوة، وبنات بني الأخوات، وقالوا: إن سورة يوسف ليست من القرآن، وآخرون منهم قالوا: يحد الزاني والسارق ثم يستتابون من الكفر، فإن تابوا وإلا قتلوا) (١)

ولا شك أن هذا كفر صريح لا يحتمل أي تأويل، ولا يقل عنهم في الكفر فرقة اليزيدية؛ فإن إمامهم يزيد بن أنيسة (زعم أن الله سيبعث رسولا من العجم، وينزل عليه كتابا من السماء يكتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة، فترك شريعة محمد، ودان بشريعة غيرها، وزعم أن ملة ذلك النبي الصابئة، وليس هذه الصابئة التي عليها الناس اليوم، وليس هم الصابئين الذين ذكرهم الله في القرآن، ولم يأتوا بعد) (٢)

وقد كفر البغدادي فرقة الأزارقة؛ حيث جعلها مع الفرق الخارجة عن الإسلام كاليزيدية والميمونية، فبعد أن ذكر أحداثهم قال: (وأكفرتهم الأمة في هذه البدع التي أحدثوها بعد كفرهم الذي شاركوا فيه المحكمة الأولى، فباؤوا بكفر على كفر، كمن باء بغضب على غضب، وللكافرين عذاب مهين

(١) (الفصل) (١١٤/٢). وينظر: ((الفرق بين الفرق)) للبغدادي (ص: ٢٨٠، ٢٨١)، ((رسالة الدبسي)) (ص: ٢٩.

(٢) ينظر: ((المقالات)) للأشعري (١/١٨٤). وينظر: ((الفصل)) لابن حزم (٤/١٨٩)، ((الملل والنحل)) للشهرستاني (١/١٣٦).



ومن أشهر بدعهم إنكارهم حد الرجم على المحصنين (إذ ليس في القرآن ذكره) ،
بينما هو ثابت بالسنة من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وعليه مضى
الصحابة. (١)

يقول الدكتور غالب عواجي

الواقع أن الحكم بتكفير الخوارج على الإطلاق فيه غلو، وأن الحكم بالتسوية
بينهم وبين غيرهم من فرق المسلمين فيه تساهل. يغالي من يكفرهم جميعاً؛ لأنهم لم
يعلنوا الكفر، بل هم -كما هو المعروف عنهم- أهل عبادة وتهجد وصوم، ثم إنهم لم
يعاملوا من الإمام علي والصحابة معاملة الكفار أو المرتدين، وما انحرفوا عن الحق من
آراء ومواقف وأحكام إنما كان بناء على تأويل تأولوا عليه الآيات والأحاديث، ومع أنه
تأويل فاسد إلا أنهم لم يتعمدوا به الكفر، ولم يسعوا به إلى هدم الإسلام، بل طلبوا
الحق -كما قال علي رضي الله عنه- فأخطؤوه، اللهم إلا من أنكر منهم ما هو معلوم من
الدين بالضرورة.

ومع ذلك فإنه يقصر أو يتساهل في الحكم عليهم من يرى أنهم كغيرهم من فرق
المسلمين الأخرى، وهذا خطأ لأنهم بخلاف الفرق الأخرى التي لم يستحل أصحابها من
دماء المسلمين وأموالهم ما استحله الخوارج.

وفيما يظهر ألا يعمم الحكم على جميع الخوارج، بل يقال في حق كل فرقة بما
تستحقه من الحكم، حسب قربها أو بعدها عن الدين، وحسب ما يظهر من اعتقاداتها
وآرائها، أما الحكم عليهم جميعاً بحكم واحد، فإنه يكون حكماً غير دقيق؛ لأن الخوارج
-كما تقدم- لم يكونوا على رأي واحد في الاعتقاد، بل منهم المعتدل، ومنهم المغالي.. (٢)

(1) موسوعة الفرق السقاف باب الحكم علي الخوارج

(2) الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها " (ص ٥٤٤) :



قال ابن حزم: (أقرب فرق الخوارج إلى أهل السنة أصحاب عبد الله بن يزيد الإباضي الفزاري الكوفي، وأبعدهم الأزارقة) (١)

فخلاصة القول أن الخوارج ليسوا علي وتيرة واحدة فليس من الإنصاف أن نسوي بين فرقة منحرفة كالميمونية مثلا التي تنكر سور من القرآن الكريم وتعطل حدودا نزلت من عند الله عز وجل وبين فرقة قريبة من أهل السنة كالإباضية مثلا؟ لم يقل هذا أبدا عاقل منصف فيكون حكم التكفير وعدم التكفير علي حسب كل طائفة ومجموعة وما تعتقده وما تدين به

حكم قتال الخوارج

لا شك أن قتال الفئة الباغية جائز شرعا لما فيه مصلحة للمسلمين ودفع الأذى عنهم ، وخاصة أن رفعوا في وجوه المسلمين السيوف وكثر بغيمهم وتفحشهم .

قال الله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ (الحجرات ٩)

عن عبد الله بن عباس، قال: قال زيد، في قول الله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)، وذلك الرجلان يقتتلان من أهل الإسلام، أو النفر والنفر، أو القبيلة والقبيلة؛ فأمر الله أئمة المسلمين أن يقضوا بينهم بالحق الذي أنزله في كتابه: إما القصاص والقود، وإما العقل والعير، وإما العفو، (فإن بغت إحداهما على الأخرى) بعد ذلك كان المسلمون مع المظلوم على الظالم، حتى يفيء إلى أمر الله، ويرضى به (٢)

(1) (الفصل) ((١١٢/٢))

(2) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٢/٢٩٥)



واتفقت كلمة الصحابة رضوان الله عليهم على قتالهم، وقاتلهم علي بن أبي طالب وجمع من الصحابة. وكان عبدالله بن عمر يرى أن قتال الحرورية حقا واجبا على المسلمين^(١)

قال ابن تيمية: وقد أجمع المسلمون على وجوب قتال الخوارج والروافض ونحوهم، إذا فارقوا جماعة المسلمين وقد اتفق السلف والأئمة على قتال هؤلاء، وأول من قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، وما زال المسلمون يقاتلون في صدر خلافة بني أمية وبني العباس مع الأمراء وإن كانوا ظلمة، وكان الحجاج ونوابه ممن يقاتلونهم، فكل أئمة المسلمين يأمرون بقتالهم

وفي حديث أبي سعيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوما يكونون في أمته: (يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحليق. قال: هم شر الخلق أو من شر الخلق تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق) وهذه السيمة سيما أولهم كما كان ذو الثدية؛ لأن هذا وصف لازم لهم.

وقال وقد استفاض عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الأحاديث بقتال الخوارج، وهي متواترة عند أهل العلم بالحديث. قال الإمام أحمد: صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه، وقد رواها مسلم في صحيحه، وروى البخاري منها ثلاثة أوجه: حديث علي، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، وفي السنن، والمسانيد طرق أخر متعددة. وقد قال - صلى الله عليه وسلم - في صفتهم: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد^(٢))

(1) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (٥/ ٦٧).

(2) مجموع الفتاوى ج ٢٨ / ٤٩٧



والأدلة من السنة علي قتلهم كثيرة جدا وفيها حض على قتال الخوارج، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)) ، ويقول: ((قتالهم حق على كل مسلم)) ، وبين عليه الصلاة والسلام أجر من يقاتلهم فيقول: ((فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة)). كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن علياً رضي الله عنه سيأتي هذا الأمر، يقول علي بن أبي طالب: إني دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة، فقال: ((كيف أنت وقوم كذا وكذا ؟) فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: ثم أشار بيده فقال: قوم يخرجون من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ... الحديث))^(١)

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- يقول -وَيَدَاهُ هَكَذَا- يَعْني تَرْتَعِشَانِ مِنَ الْكِبَرِ: "لَقِتَالُ الْخَوَارِجِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِتَالِ عُدَّتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ". ونقل ابن حجر في "فتح الباري" عن ابن هبيرة قوله: "إن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، إذ إن في قتلهم حفظ رأس مال الإسلام، وفي قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى".

قال ابن كثير في (البداية والنهاية) عن طائفة من الخوارج ظهرت في المدائن: "فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبال، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم".

فبالخلاصة يحل قتال الخوارج إذا قاتلوا المسلمين بأنفسهم وأموالهم؛ لأنهم بذلك يستحلون دماء المسلمين وأموالهم بالمعاصي، فإذا قاتل الخوارج المسلمين قوتلوا كما قاتلهم علي رضي الله عنه، وكما جاء في الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، من لقيهم فليقتلهم فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.^(٢)

(1) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنبة (٥/ ٦٧)،

(2) ص ٩ - شرح كتاب السنة للبرهاري الراجحي - بيان جواز قتال الخوارج



هل يجوز أخذ أموال الخوارج وسلاحهم؟

قال ابن تيمية: عندما سئل هل يجوز أن يستعان بسلاحهم في حربهم قال إذا لم يكن إلى ذلك ضرورة؟ على وجهين: في مذهب أحمد يجوز والمنع قول الشافعي والرخصة قول أبي حنيفة . وقال: فإن منهم من أباح غنيمة أموال الخوارج وقد نص أحمد في رواية أبي طالب في حرورية كان لهم سهم في قرية فخرجوا يقاتلون المسلمين فقتلهم المسلمون فأرضهم فيء للمسلمين فيقسم خمسه على خمسة وأربعة أخماسه للذين قاتلوا يقسم بينهم أو يجعل الأمير الخراج على المسلمين ولا يقسم مثل ما أخذ عمر السواد عنوة ووقفه على المسلمين. فجعل أحمد الأرض التي للخوارج إذا غنمت بمنزلة ما غنم من أموال الكفار. وبالجمله فهذه الطريقة هي الصواب المقطوع به. (١)

والراجع ما قاله صاحب السنة للبرهاري وليس له إذا فارقه أن يطلبهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يأخذ فيئهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم.

وهكذا فعل الصحابة، فإذا قاتل المسلمون الخوارج ثم هربوا فلا يطلبونهم وإنما يتركونهم، وإذا وجد المسلمون جريحا من الخوارج فلا يقتلونه ولا يؤخذ فيئهم وأموالهم؛ لأنهم ليسوا كفارا، ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم، وهم الذين فارقوهم وهربوا فلا يلحق المسلمون الفارين من الخوارج فإذا فارقوا تركوا، فقد عامل الصحابة الخوارج معاملة العصاة، ولم يعاملوهم معاملة الكفار؛ لأنهم متأولون، ولما سئل علي رضي الله عنه: أكفارهم؟ قال: من الكفر فروا. (٢)



(1) مجموع الفتاوى ج ٢٨ / ٥١٤ - ٥١٥

(2) ص ٩ - شرح كتاب السنة للبرهاري الراحي - بيان جواز قتال الخوارج

هل يجوز قتل أسيرهم واللحاق بمدبرهم؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: واختلفوا في قتل أسيرهم واتباع مدبرهم والتذفيف على جريحهم إذا كان لهم فئة يلجئون إليها فجوز ذلك أبو حنيفة ومنعه الشافعي وهو المشهور في مذهب أحمد وفي مذهبه وجه: أنه يتبع مدبرهم في أول القتال .

وقال: وأما قتال الخوارج ومانعي الزكاة وأهل الطوائف الذين لم يكونوا يحرمون الربا فهؤلاء يقاتلون حتى يدخلوا في الشرائع الثابتة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهؤلاء إذا كان لهم طائفة ممتنعة فلا ريب أنه يجوز قتل أسيرهم واتباع مدبرهم والإجهاز على جريحهم، فإن هؤلاء إذا كانوا مقيمين ببلادهم على ما هم عليه فإنه يجب على المسلمين أن يقصدوهم في بلادهم لقتالهم حتى يكون الدين كله لله، فإن هؤلاء التتار لا يقاتلون على دين الإسلام بل يقاتلون الناس حتى يدخلوا في طاعتهم، فمن دخل في طاعتهم كفوا .. (١)

جاء في موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - أما عن سنة الصحابة رضي الله عنهم في قتالهم الخوارج فتتضح من خلال ما فعله علي رضي الله عنه والصحابة معه حينما قاتلوهم في النهروان، ويمكن تلخيص شيء منها في الآتي: ١ - إن الخوارج لا يبدؤون بقتال، ولا يعتدى عليهم بالقتل ما داموا فقط يرون رأي الخوارج، ولا يقاتلون حتى يقتلوا المسلمين أو يقطعوا السبيل حينها يجب على ولي الأمر ردعهم وقتالهم - ويجب إقامة الحجة عليهم، وتقديم النصح لهم، ووعظهم قبل بدئهم بالقتال قال الطبري: "لا يجوز قتال الخوارج وقتلهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم بدعائهم إلى الرجوع إلى الحق، والإعذار إليهم"

إعطاء الأمان لمن يستسلم ويرجع عن باطله وضلاله، ولم يتعرض لقتل المسلمين. - لا يجهز على جريحهم، ولا يتبع مدبرهم - إلا إن كان فارا يتقوى - ولا يسبى



منهم سي، إذ لم يعاملهم علي معاملة الكفار المرتدين، ولم يعاملهم معاملة أهل البغي كأهل الجمل وصفين، بل جعلهم قسماً ثالثاً - لذلك أخذ ما كان في ساحة المعركة من سلاح وكراع وقسمه بين أصحابه، وهذا لم يفعله مع أهل الجمل. كما أنه لم يأخذ كل أموال الخوارج كالكفار المرتدين، بل أخذ ما كان في ساحة المعركة الاستمرار في قتال الخوارج ما قاتلوا وأفسدوا وخرجوا على المسلمين بالسيف، ولا يكف عنهم حتى يكفوا عن المسلمين. فعلي رضي الله عنه بعد النهروان خرج عليه جماعات من الخوارج فقاتلهم، وكذلك فعل معاوية رضي الله عنه - إن فرت جماعات من الخوارج لتتقوى وتخرج فإنهم يطاردون لتستأصل فلولهم، وتقهروتهم، وتكسر شوكتهم (١)

ما حكم الواحد المقدور عليه إن كان على رأي الخوارج؟

يختلف حكمه باختلاف حاله، فلولي الأمر أن يتعامل معه حسب خطره، وحسب مصلحة المسلمين، فله حبسه أو قتله، أو تخلية سبيله.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحروية، والرافضة ونحوهم فهذا فيه قولان للفقهاء، هما روايتان عن الإمام أحمد، والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم كالداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد ... فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا. ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول، أو كان في قتله مفسدة راجحة" (٢)

-وأن أراد التوبة فمما الحكم إذا تاب وأراد الرجوع إلى الحق، فما الحكم فيما سفك من دم أو سلب من مال؟ سئل الإمام أحمد بن حنبل عن ذلك فقال: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون، فرأوا أن يهدر كل دم

(1) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية (٥/ ٦٩)،

(2) النظر ((الفتاوى)) (٢٧٣/٢٨)



أصيب على تأويل القرآن. قيل له: مثل الحرورية؟ قال: نعم، قال: فأما قاطع طريق فلا" واستثنى من ذلك أن يوجد المال قائماً بعينه فإنه يعاد إلى أصحابه (١)

أيهما أشر؟ الرافضة أم الخوارج؟

قال شيخ الإسلام: ومذهب الرافضة شر من مذهب الخوارج المارقين، فإن الخوارج غايتهم تكفير عثمان، وعلي، وشيعتهما، والرافضة تكفير أبي بكر، وعمر، وعثمان، وجمهور السابقين الأولين، وتجحد من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعظم مما جحد به الخوارج، وفيهم من الكذب والافتراء والغلو والإلحاد ما ليس في الخوارج، وفيهم من معاونة الكفار على المسلمين ما ليس من الخوارج، والرافضة جهمية قدرية، وفيهم من الكذب والبدع والافتراء على الله ورسوله أعظم مما في الخوارج المارقين الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي وسائر الصحابة بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بل فيهم من الردة عن شرائع الدين أعظم مما في مانعي الزكاة الذين قاتلهم أبو بكر الصديق والصحابة، ومن أعظم ما ذم به النبي - صلى الله عليه وسلم - الخوارج قوله: (فهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأديان). (٢)

وقال: كما أن الروافض شر من الخوارج في الاعتقاد، ولكن الخوارج أجراً على السيف والقتال منهم، فلاظهار القول ومقاتلة المسلمين عليه جاء فيهم ما لا يجيء فيمن هم من جنس المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. (٣)

وقال: وأما الرافضة فأصل بدعتهم عن نفاق، ولهذا فيهم من الزندقة ما ليس في الخوارج.

(1) السنة للخلال ((١٥٢)).

(2) [مجموع الفتاوى ج ٢٨ / ٥٢٧.

(3) منهاج السنة ج ٣ / ٨٣ . ٢٠١.



وقال: وحال الجهمية والرافضة شر من حال الخوارج، فإن الخوارج كانوا يقاتلون المسلمين ويدعون قتال الكفار، وهؤلاء أعانوا الكفار على قتال المسلمين وذلوا للكفار، فصاروا معاونين للكفار أذلاء لهم، معادين للمؤمنين أعزاء عليهم، كما قد وجد مثل ذلك في طوائف القرامطة والرافضة والجهمية النفاة والحلولية. (١)

وسئل رحمه الله: عن رجل يفضل اليهود والنصارى على الرافضة؟ الجواب: الحمد لله. كل من كان مؤمناً بما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو خير من كل من كفر به؛ وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة، سواء كانت بدعة الخوارج والشيعية والمرجئة والقدرية أو غيرهم؛ فإن اليهود والنصارى كفار، كفرا معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام. والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق للرسول - صلى الله عليه وسلم - لا مخالف له لم يكن كافراً به، ولو قدر أنه يكفر فليس كفره مثل كفر من كذب الرسول - صلى الله عليه وسلم -. (٢)

مناظرة ابن عباس للخوارج

عن عبد الله بن عباس، قال: (لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة، لعلي أكلم هؤلاء القوم. قال: إني أخافهم عليك قلت: كلا، فلبست، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وهم يأكلون فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين، والأنصار، ومن عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد، لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه قالوا: ثلاث قلت: ما هن؟ قال: أما إحداهن، فإنه حكم الرجال في أمر الله وقال الله: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ} [الأنعام: ٥٧] ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة. قالوا: وأما الثانية، فإنه قاتل، ولم يسب،

(١) منهاج السنة ج ٣ / ٤٦٤

(٢) مجموع الفتاوى ج ٣٥ /



ولم يغنم، إن كانوا كفارًا لقد حل سباهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سباهم ولا قتالهم، قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ وذكر كلمة معناها قالوا: محي نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين. قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت: لهم رأييتم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه، وسنة نبيه ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه رأيت قول الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ} [المائدة: ٩٥] وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء لحكم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، هذا أفضل وفي المرأة وزوجها: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا} [النساء: ٣٥] فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟ خرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يَسْبِ، ولم يغنم. أفتسيبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلت: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلت: ليست بأما فقد كفرتم: {النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضالالتين، فأتوا منها بمخرج، أفرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محي نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون. إن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي: اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: امح يا علي اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خير من علي، وقد محي نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم،



فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار) النسائي والحاكم والبيهقي وصححه ابن تيمية في منهاج السنة وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

الخوارج وسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخروجه لمناظرتهم

قد خرجت جماعة كبيرة من جيش سيدنا علي رضي الله عنه بعد معركة صفين قدر عددها باثني عشر ألفاً^(١)، وفي رواية: بثمانية آلاف^(٢)، وفي رواية: بأنهم أربعة عشر ألفاً^(٣)، وقيل عشرون ألفاً^(٤)، وهذه الرواية التي تذكر أنهم عشرون ألفاً، قد جاءت بدون إسناد^(٥).

ولما رأى علي -رضي الله عنه- (ذا الثدي) [مقتولاً: (فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ، وَبَلَغَ رَسُولُهُ) رواه مسلم، وفي رواية: (فَحَرَزْنَا سُجُودًا وَخَرَّ عَلِيٌّ سَاجِدًا مَعَنَا) رواه أحمد. قال ابن تيمية في (الفتاوى): "قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- الخوارج، وذكر فيهم سنة رسول الله المتضمنة لقتالهم، وفرح بقتلهم، وسجد لله شكرًا لما رأى أباهم مقتولاً وهو ذو الثدي، بخلاف ما جرى يوم الجمل وصفين، فإن عليًا لم يفرح بذلك، بل ظهر منه من التألم والندم ما ظهر، ولم يذكر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك سنة، بل ذكر أنه قاتل باجتهاده".

(1) تاريخ بغداد (١٦٠/١).

(2) البداية والنهاية (٢٨٠/٧ - ٢٨١)، إسناده صحيح؛ مجمع الزوائد (٢٣٥/٦).

(3) مصنف عبد الرزاق (١٥٧/١٠ - ١٦٠)، بسند حسن.

(4) تاريخ خليفة، ص ١٩٢.

(5) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٣٠٣.

(6) أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب الصلابي ص ٥٨٥.



كان علي رضي الله عنه وأصحابه قد أعدوا جيشاً للقاء معاوية وأهل الشام وردهم إلى الطاعة، ولكن لما أفسد ((الخوارج)) في العراق وسفكوا الدم الحرام، خطب علي جيشة وسار بهم إليهم، وكانت موقعة النهروان. انظر (١)

يقول الدكتور الصلابي بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم لهم، خرج أمير المؤمنين علي بنفسه إليهم، فكلّمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة، إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلاً، بسبب أن الخوارج فهموا من علي رضي الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته . حسب زعمهم .. وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث بن القيس الكندي إلى أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر، فخطب علي رضي الله عنه يوم الجمعة، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ذكرهم ومباينتهم الناس، وأمرهم الذي فارقوه فيه (٢) ، وفي رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا نواحي المسجد يحكّمون الله، فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغى بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم (٣) ، وأخذ يسكتهم بالإشارة وهو على المنبر، فقام رجل منهم واضعاً إصبعيه في أذنيه ويقول: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فرد أمير المؤمنين علي بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وأعلن أمير المؤمنين علي سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثاً:

- ١ . لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.
- ٢ . ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفياء ما كانت أيديكم مع أيدينا.

(1) ((تاريخ الطبري)) (٣/ ١٧ - ١٢١).

(2) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٢/ ١٥ - ٣١٣)؛ صححه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١١٨ - ١١٩).

(3) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٤٥٢.



٣. ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا^(١)

وخطب سيدنا علي في الناس لما عزم على قتال الخوارج وأراد السير إليهم بين للمسلمين مبررات قتالهم، وأعلمهم بحكم هذا القتال ووجوبه، وبشرهم بالأجر الجزيل لمن يقاتل الخوارج كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء. يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقبهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية))، لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم لاتكلوا عن العمل. وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم وأموالكم. والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.^(٢)

وعامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعده معاملة المسلمين؛ فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره في جنده بأن لا يتبع مدبر، أو يذفف على جريح، أو يمثل بقتيل، يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل. أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع علي حروبه: لم يسب علي يوم الجمل ولا يوم النهروان^(٣)، وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئاً فليأخذه، فجعل الناس يأخذون

(١) أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب الصلابي ص ٥٨٥

(٢) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السننية (٥/٦٨)،

(٣) العنن الكبرى للبيهقي (٨/١٨٢)، بسند صحيح.



حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها، وهذه الرواية لها طرق عدة^(١)، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط.^(٢)

وقد سئل علي رضي الله عنه: أكفارهم؟ قال: من الكفر فروا، فقليل: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم، وفي رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفي رواية: قوم أصابهم فتنة فعموا فيها وصموا^(٣)، كما أنه رضي الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إماماً عادلاً فقاتلوهم، وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً^(٤).

ومن أهم صفات الخوارج التي نستخلصها من الدراسة السابقة نجد أن الخوارج اتصفوا

1. الغلو في الدين: وهي من أبرز صفاتهم

يقول ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بأنه هو: المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق والزيادة على ما لم يطلب شرعاً. وهذا هو الواضح من أفعال الخوارج

قال الله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: ١٤٣

(1) تلخيص الحبير (٤٧/٤).

مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٧/١٥ - ٣٢٨)؛ والشافعي في الأم (١٣٦/٤)؛ وتاريخ الطبري (٦٨٨/٥) بسند ضعيف للانقطاع، إلا أن للسند شواهد وقد توبع. قاله الألباني في إرواء الغليل (١١٧/٨ - ١١٨). منقول عن أسمي

(2) المطالب في سيرة علي بن أبي طالب الصلابي ص ٥٨٥

(3) مصنف عبد الرزاق (١٥٠/١٠)؛ مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٢/١٥)، بسند صحيح.

(4) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٠/١٥)؛ فتح الباري (٣٠١/١٢)، له سند صحيح عند الطبري.



ولقد ذم النبي ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ قَالَ: إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يَشَادَ الدِّينُ إِلَّا غَلْبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي رواية لَهُ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ، الْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبَلَّغُوا.

وعن أنسٍ ﷺ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا، هَذَا حَبْلٌ لِرَيْتَبٍ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: حُلُّوهُ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ مَتَفِقٌ عَلَيْهِ.

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعَسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَعْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ مَتَفِقٌ عَلَيْهِ.

2. الجهل بالدين: وهي أقبح صفات الخوارج وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين، وكان ابن عمر إذا سئل عن الحرورية؟ قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عِدَدِهِنَّ، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج، فلا أعلم أحداً أحق بالقتال منهم.

3. الخروج على الحكام إذا خالفوا منهجهم وفهمهم للدين وشق عصا الطاعة:

4. التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم: فكان الخوارج كفِّرون مرتكب الكبيرة، ويحكمون بخلوده في النار

قال ابن كثير: فكانوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبال، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم.

5. جراءتهم علي رسول الله ﷺ والسنة المباركة



6. الطعن والتضليل و. سوء الظن: و. الشدة على المسلمين:

7. التبرؤ من الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما والحكمين وكل من رضي بالتحكيم.

8. تجويز الإمامة العظمى في غير القرشي

9: مسالمة أهل الكفر وحرب أهل الإسلام: فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله أنه قال في وصفهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

10. صغار الأسنان سفهاء الأحلام: فعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في وصف الخوارج: (حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام) متفق عليه.

مقتل سيدنا عبد الله بن خباب بن الأرت:

ومن أبشع ما روي عن الخوارج.. ما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»

عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقه، قال: دخلوا قرية، فخرج عبد الله بن خباب يجر رداءه. فقالوا: لم ترع؟ مرتين. فقال والله لقد رعتموني قالوا: أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه؟ قال: سمعته يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير فيها من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. قال: فإن أدركتها فكن عبد الله المقتول. قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: ولا تكن عبد الله القاتل. قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. فقدموه على ضفة النهر، فضربوا عنقه، فسال دمه كأنه شراك ما امذفر، يعني: ما اختلط بالماء الدم، وبقرؤ أم ولده عما في بطنها.



وقال المبرد في الكامل: إن الخوارج قالوا لعبد الله بن خباب: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى خيرا. فقالوا له: فما تقول في علي قبل التحكيم؟ وفي عثمان ست سنين؟ فأثنى خيرا. وقالوا: فما تقول في الحكومة والتحكيم؟ قال: أقول: إن عليا أعلم بالله منكم وأشد توقيرا لدينه، وأنفذ بصيرة. قالوا: إنك لست تتبع الهدى، إنما تتبع الرجال على أسمائها. ثم قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه، فامذفر دمه، أي جرى مستطيلا على ذقنه.

وساموا رجلا نصرانيا بنخلة، فقال: هي لكم. فقالوا: ما كنا لناخذها إلا بئمن. فقال: ما أعجب هذا! تقتلون مثل عبد الله بن خباب، ولا تقبلون منا نخلة إلا بئمن؟ وكان قتل عبد الله بقرية يقال لها " كسكر " فهذا السبب استحل علي قتالهم، واستئصالهم بالقتل.

معركة النهروان

كانت معركة النهروان ٣٨ هـ

وسبب المعركة:

مقتل سيدنا عبدالله بن خباب رضي الله وكان من الشروط التي شرطها أمير المؤمنين علي على الخوارج وهي عدم سفك الدماء وعدم ترويع الأمنين وقطع الطرق أمام المسلمين

وعندما طلب سيدنا علي من الخوارج تسليم قاتل عبدالله بن خباب ليقوم عليهم الحد رفضوا، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة^(١)، فسار إليهم بجيشه الذي قد أعده لقتال أهل الشام في شهر محرم من عام ٣٨ هـ^(٢)، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان^(٣).

(1) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٨/١٥ - ٣٠٩)، بسند صحيح.

(2) أنساب الأشراف (٦٣/٢)، بسند فيه مجهول، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٣٢٢.

(3) تاريخ بغداد (٢٠٥/١ - ٢٠٦).



وقبل نشوب القتال والدخول في المعركة خطب سيدنا علي أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا تجاوز صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقبهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعيرات بيض» فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله^(١). ووصل بهم الحال أن قتلوا الرسل التي يرسلها سيدنا علي لهم

يقول الدكتور الصلابي

وزحف الخوارج إلى علي، وقدم علي بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصفّ الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الروح الروح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة، فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرمح والسيوف، فأناموا الخوارج، فصاروا صرعى تحت سنايك الخيول، وقتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوق بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخيرة السلمي^(٢)، وقال أبو أيوب: وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح، فأنفذته من ظهره وقلت له: أبشريا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أينا أولى بها

(١) مسلم (٧٤٨/٢ - ٧٤٩).

(٢) المصدر السابق نفسه.



صلياً^(١).

وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب الراسبي، كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن في اليقين، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب علي رضي الله عنه رجلاً من الخوارج بسيفه، فقال الخارجي: حبذا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: ما أدري إلى الجنة أم إلى النار^(٢)، فقال رجل من بني سعد وهو فروة بن نوفل الأشجعي: إنما حضرت اغتراراً بهذا وأراه قد شك؟ فانعزل بجماعة من أصحابه، ومال ألف إلى أبي أيوب الأنصاري، وجعل الناس يتسللون^(٣).

وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتاً من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة ٣٨/٢/٩هـ^(٤).

وقتل من جيش سيدنا علي فيما رواه مسلم في صحيحه، وعن زيد بن وهب: رجلان فقط^(٥)، وفي رواية بسند حسن قال: وقتل من أصحاب علي اثنا عشر أو ثلاثة عشر^(٦)، وأما قتلى الخوارج، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعاً^(٧)، ويذكر المسعودي أن عدداً يسيراً لا يتجاوز العشرة فروا بعد الهزيمة الساحقة^(٨).

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) أخبار الخوارج من الكامل للمبرد، ص ٢١؛ خلافة علي، ص ٣٢٥.

(3) المصدر السابق نفسه؛ خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، ص ٣٢٥.

(4) أنساب الأشراف (٦٣/٢)، بسند فيه مجهول.

(5) مسلم (٧٤٨/٢).

(6) مصنف ابن أبي شيبة (٣١١/٥)؛ تاريخ خليفة، ص ١٩٧، بسند حسن.

(7) أخبار الخوارج من الكامل، ص ٣٣٨.

(8) خلافة علي بن أبي طالب، ص ٣٢٩؛ تاريخ خليفة، ص ١٩٧.

(٩) نقل عن علي بن أبي طالب الصلابي ص ٩٥٨٨.



مقتل ذو الثدية أو المخدج في المعركة

قال النووي رحمه الله :

" (الْمُخَدَج) أَي نَاقِصِ اليَدِ وَ (المُوَدَّن) نَاقِصِ اليَدِ ، وَيُقَالُ أَيضًا : وَدِينٌ ، وَ (المُنْدُون) صَغِيرِ اليَدِ مُجْتَمِعَهَا كَتُنْدُودَةِ الثَّدْيِ " انتهى (١)

وبعد نهاية المعركة أمر علي رضي الله عنه أصحابه بالبحث عن جثته ، حتى

يتثبت من حديث النبي ﷺ

عن سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ قَالَ : " حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ وَهَبٍ الْجُبَيْتِيُّ أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَتْ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ شَيْئًا وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ شَيْئًا وَلَا تَجَاوِزُ صَلَاتِهِمْ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ) لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا فَضِي لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَتْ لَهُ ذِرَاعٌ عَلَى عَضُدِهِ مِثْلُ حَلْمَةِ الثَّدْيِ عَلَيْهِ شَعْرَاتٌ بِيضٌ ، أَقْتَدَهُبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرَكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُقُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؟! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ . قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَزَلَّي زَيْدُ بْنُ وَهَبٍ مَنْرَلًا مَنْرَلًا حَتَّى مَرَّ بِنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ قَالَ : فَلَمَّا التَّقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ الرَّاسِبِيُّ فَقَالَ : لَهُمْ أَلْقُوا الرِّمَاحَ وَسَلُّوا السُّيُوفَ مِنْ جُفُونِهَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حُرُورَاءَ ، قَالَ : فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ وَأَسْتَلُّوا السُّيُوفَ وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ قَالَ : وَقَتَلُوا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِهِمْ . قَالَ : وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : التَّمِسُوا فِيهِمُ الْمُخَدَجَ ، فَلَمْ يَجِدُوا ، قَالَ : فَقَامَ عَلِيُّ

(١) من " شرح مسلم " (١٧١/٧) .



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى آتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ : أَخْرِجُوهُمْ فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ فَكَبَّرَ وَقَالَ : صَدَقَ اللَّهُ وَبَلَغَ رَسُولُهُ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيِّ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ إِي وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا وَهُوَ يَخْلِفُ " (١).

وبعد مدة من البحث مرت على علي وأصحابه وجد أمير المؤمنين عليّ جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر فقال: أخرجوهم، فإذا المخدج تحتمهم جميعاً مما يلي الأرض، فكبر علي ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله، وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا^(٢).

كيف عامل سيدنا علي رضي الله عنه الخوارج بعد المعركة ؟

وبعد أن انتهت المعركة أصدر سيدنا علي أوامره في جنده بأن لا يتبع مدبر، أو يذفف على جريح، أو يمثل بقتيل.

يقول شقيق بن سلمة: لم يسب عليُّ يوم الجمل ولا يوم النهروان.

ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط

يقول ابن قدامة: «وإنما كان كذلك لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتال لما فيه من الضرر بالفريقين وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين كما قال بذلك كثير من العلماء».

وقد سئل علي أكفأهم، قال: من الكفر فروا، فقيل: منافقون قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً قيل: فما هم قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم، وفي رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفي رواية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا كما أنه

(١) مسلم (١٠٦٦) وأبو داود (٤٧٦٨)

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٧/١٥ - ٣١٩)، بسند صحيح.



وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: «إن خالفوا إمامًا عادلاً فقاتلوهم وإن خالفوا إمامًا جائرًا فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً»^(١)



مكان معركة النهروان

تم بحمد الله وعونه وتوفيقه

(١) فتح الباري، ج ١٢ / ص ٣٠١ - ٣٠٠



خطورة التكفير والغلو في الدين وكيفية التصدي له

خطورة التكفير والغلو في الدين، وكيفية التصدي له

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ [النساء: ٩٤].

تعريف التكفير: هو الحكم على أحد المسلمين بالكفر^(١)

وقيل التكفير هو نسبة أحد من أهل القبلة إلى الكفر، والاسم على وزن تفعيل، يقال: كفر فلان فلانا تكفيرا، أي نسبه إلى الكفر، ومن معاني التكفير في اللغة: التغطية والستر، ومنه تكفير البذر، أي تغطيته بالتربة.^(٢)

زمن ظهور التكفير بين المسلمين:

يرجع زمن ظهور التكفير بين المسلمين: إلى الخوارج، الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكفروه هو ومن معه من الصحابة والتابعين، وذلك بعد حادثة التحكيم التي كانت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين.^(٣)

قال البخاري: كان ابن عمر يراهم (أي الخوارج) شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.^(٤)

(١) (معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ج ١ ص ٤٨٧).

(٢) "ما هو تعريف التكفير وما هي ضوابطه؟ - الشيخ أ.د. محمد بن عبدالغفار الشريف".

(٣) احذروا تكفير المسلمين الشيخ صلاح نجيب الدق

(٤) (فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ١٢ ص ٢٩٥)



ولقد ابتليت الأمة الإسلامية في عصرنا الحديث ببعض المجموعات من الفئات والشباب قليل العلم ، والفقه في الدين ، وأصيبوا بنزعة خارجية وانحراف عن منهج الإسلام ، فأطلقوا عنان التكفير والتبديع والتفسيق ، في المجتمع المسلم ، وبدون ضوابط شرعية ، وعلي اتفه الأسباب ، وأبسط المسائل ، فخرج كل من هب ودب وسمح لنفسه أن يكون قاضيا علي المسلمين ، يكفر منهم من أراد ويبعد ويفسق كل مخالف ، وكل من لم يكن علي هواه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ونسوا أن هذا المنهج مخالف لما كان عليه رسول الله ﷺ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال، وليس على بن آدم نذرفيما لا يملك ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله) رواه البخاري ، وروى الترمذي: ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة ، ويقول ابن تيمية: (كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرامٌ لحق الله، وكذلك التكفير حقٌ لله، فلا يُكفر إلا من كفره الله ورسوله) (١)

ولقد رأينا شبابا وهم في أول أعمارهم لا يجيدون الكثير من العلوم الشرعية ولا الأحكام الفقهية ، وهم يتطاولون علي رجال عاشوا وماتوا وافنوا حياتهم في سبيل الاسلام

(١) عصمت الله محمد، قواعد شرعية في التكفير قراءة لأفكار ابن تيمية



والمسلمين وفي سبيل إحياء سنة النبي الأمين ﷺ كالإمام النووي وابن حجر والغزالي وأبو حنيفة ، رحمهم الله ، بل وجدنا العجب العجاب ، فنجد من يكفر شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وعلماء أجمعت الأمة علي عدالتهم وتوثيقهم وعلمهم وفضلهم ، فأسهل شيء عند هؤلاء هو التكفير واستحلال الدماء والأموال ، نسأل الله لنا ولهم الهداية والرشاد.

وهذا ليس معناه أن علماء الأمة لا يكفرون أحد ولا يبدعون أهل الأهواء والبدع، فهذه الأمور تحتاج إلي ضوابط شرعية محكمة ولا تصدر إلا من علماء وهيئات راسخة في العلم .

حرمة التكفير كما جاء في القرآن والسنة وعلماء الأمة"

لقد نهى القرآن الكريم المسلم أن يتكلم بكلام يكون فيه اتباع للهوى وانحرام عن سبيل وهدي المسلمين ، وما عليه علماء الأمة وأهل الفضل منها فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وامتدح وأثنى الله تعالى على المسلم الذي يدعو لأخيه المسلم فقال سبحانه وتعالى في آية الحشر: قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ محمد: ١٩ وكان من هدي الرسول ﷺ الدعاء للمسلمين وعدم الدعاء عليهم ، كما أمره الله تعالى فقال له ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

وجاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم طيب نفس، قلت: يا رسول الله، ادع الله لي، فقال: ((اللهم اغفر لعائشة، ما تقدم من ذنبيها وما تأخر، ما أسررت وما أعلنت))، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من



الضحك، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أيسرُك دعائي؟)) فقالت: وما لي لا يسرنى دعاؤك؟! فقال صلى الله عليه وسلم: ((والله إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة))^(١) رواه ابن حبان في صحيحه

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى على جنازة يقول: ((اللهم اغفر لحيتنا وميتتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأثاننا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيتنا منا فتوفه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده))^(٢) رواه الترمذي

وعن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة. قال الهيثمي في المجمع: إسناده جيد، وحسنه الألباني في الجامع.

وأمر الله تعالى المسلم بعد إطلاق اللسان في الاتهامات بدون دليل يقول الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤] وكان سبب نزول الآية عندما قتل صحابي رجلا مشركا قال لا إله إلا الله عندما همم بقتله، فبلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فغضب.

ومن الأحاديث التي جاءت في ذم التطاول، وتكفير المسلمين بدون سبب.

ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَبِينُنْ فِيهَا يَزُلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبَدًا مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ). متفق عليه. وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٧١١)، وحسنه الأرنؤوط والألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٥٤)

(٢) رواه الترمذي (١٠٢٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وصححه الألباني.



البخاري.

جَهَنَّمَ) رواه

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ). رواه مالك في "الموطأ" والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ: قُلْ رَبِّي اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخَوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ هَذَا. رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وعن معاذ بن جبل، قال: كنت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويُباعدني عن النار، قال: ((لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسره الله عليه، تعبد لله ولا تَشْرِكْ به شيئاً، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتَحُجَّ البيت))، ثم قال: ((ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يُطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل))، قال: ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ثم قال: ((ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟))، قلت: بلى يا رسول الله، قال: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ((ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟))، قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه، قال: ((كفَّ عليك هذا))، فقلت: يا نبي الله، وأنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ((ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم، إلا حصائدُ ألسنتهم))؛ أخرجه الترمذي، وقال: "هذا حديث حسنٌ صحيح".



فهذه بعض الأحاديث النبوية حذر منها النبي ﷺ المسلم من الخوض في كلام غير جائز شرعاً وليس أعظم أن يتهم المسلم في دينه.

ولقد حذر الرسول ﷺ من يتهم المسلم بالكفر والتضليل بدون بينة ولا دليل ولا برهان

، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله) (١).

وفي مجمع الزوائد من حديث عبد الله بن مسعود قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من الله، فإن قال أحدهما لصاحبه هجرًا، هتك الله ستره، وإذا قال يا

كافر فقد كفر أحدهما) (٢). وثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن شارب خمر ومرتكب كبيرة ومقترف أثم كبير كشراب الخمر، عندما قام رجل فلعنه فقال صلى

الله عليه وسلم: " (لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله) (٣).

والحديث رواه البخاري عن عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه (أن رجلاً كان على عهد النبي وكان اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم

، وكان النبي قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً، فأمر بجلده، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تلعنه، فوالله ما

علمت إلا أنه يحب الله ورسوله» (٤).

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "نهى عن لعنه مع إصراره على الشرب،

لكونه يحب الله ورسوله مع أنه لعن في الخمر عشرة.. ولكن لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين، الذي قام به ما يمنع لحوق اللعنة به، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق

(١) رواه البخاري برقم (٦١٠٥).

(٢) رواه الطبراني والبخاري من حديث يزيد ابن أبي زيادة وحديثه حسن ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٢٧٥/٨.

(٣) رواه البخاري برقم (٦٧٨٠).

(٤) البخاري رقم (٦٧٨٠) وانظر: فتح الباري (١٢/٧٦-٨٠).



ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطاً بثبوت شروط، وانتفاء موانع" (١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن التكفير العام يجب القول بإطلاقه وعمومه، وأما الحكم على المعين بأنه كافرًا أو مشهود له بالنار، فهذا يقف على الدليل المعين، فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه" (٢).

ولقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين حرمة التكفير وخطورته. منها

عن ابن عمر وأبي هريرة . رضي الله عنهم . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه" متفق عليه (٣).

وعن أبي ذر. رضي الله عنه . أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه" رواه مسلم في الصحيح (٤).

موقف الصحابة والتابعين وعلماء الأمة من التكفير المعين

عندما سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب _ رضي الله عنه _ عن الخوارج من أهل النهروان: أكفارٌ هم؟ قال: من الكفر فروا، سئل: أمنافقون هم؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً وأولئك يذكرون الله صباح مساء وإنما هم إخواننا بغوا علينا" (٥).
فعن عمرو بن سلمة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من الله عز وجل فإن قال أحدهما لأخيه كلمة هجر خرق ستر الله الذي بينهما، ولا قال أحدهما أنت كافر إلا كفر أحدهما). (١).

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى = لابن تيمية ٢٢/١٢.

(٣) رواه البخاري برقم (٦١٠٣)، ومسلم برقم (٦٠).

(٤) رواه مسلم برقم (٦١).

(٥) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" ٧٣/٨.



وعن سوار بن شبيب قال: جاء رجل إلى ابن عمر فقال: إن ها هنا قوماً يشهدون علي بالكفر فقال: ألا تقول لا إله إلا الله فتكذبهم).

وقيل لجابر بن عبد الله: يا أبا محمد، هل كنتم تسمون شيئاً من الذنوب كفرةً أو شركاً أو نفاقاً؟ قال: معاذ الله، ولكننا نقول: مؤمنين مذنبين.

وعن أبي سفيان قال: قلت لجابر: أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة كافر؟ قال: لا، قلت: فمشرك، قال: معاذ الله، وفزع لذلك. قال هل كنتم تدعون أحداً منهم كافراً؟ قال: لا (١)

وهذا الإمام أحمد - رحمه الله - لا يكفر المرجئة الذين يقولون الإيمان قول ، بلا عمل لا يكفر من يفضل عليا على عثمان رضي الله عنهما بل نصوصه صريحة بالامتناع عن تكفير الخوارج والقدرية وغيرهم وإنما يكفر الجهمية لأن حقيقة قولهم نفي وجود الإله".

. قال شيخ الإسلام: "إني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً تارة أخرى وإني أقر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل القولية والمسائل العملية" (٣).

وعن يزيد الرقاشي أنه قال لأنس بن مالك: يا أبا حمزة! إن أناساً يشهدون علينا بالكفر والشرك، قال: أولئك شر الخلق والخليقة (٤).

قال الإمام شمس الإسلام ابن تيمية رحمه الله: التكفير حكم شرعي يرجع إلى إباحة المال وسفك الدماء والحكم بالخلود في النار) . وإذا تبين ذلك، فاعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في

(١) رواه الطبراني والبخاري من حديث يزيد ابن أبي زيادة وحديثه حسن ورجاله ثقات، مجمع الزوائد ٢٧٥/٨. مرفوعاً

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ١، ص: ١٠٧.

(٣) مجموع الفتاوى: ٣_ ٢٢٩ أثر التكفير في عقيدة ومستقبل الإسلام البعد العقدي" علي بن عبد العزيز علي الشبل.

(٤) مجمع الزوائد ج ١، ص: ١٠٧.



الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالة والمعادة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرّم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان (١). وعليه: ليس لأحد أن يكفّر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجّة وتبين له المحجّة. ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجّة وإزالة الشبهة. وبيان ذلك لأنّ الكفر حكم شرعيّ وإنما يثبت بالأدلة الشرعيّة ومن أنكر شيئاً لم يدل عليه الشرع بل علم بمجرد العقل لم يكن كافراً وإنما الكافر من أنكر ما جاء به الرسول (٢).

وقال الإمام ابن حجر الهيتمي: ينبغي للمفتي أن يحتاط في التكفير ما أمكنه لعظيم خطره وغلبة عدم قصده سيما من العوام (٣)

وقال محمد بن ناصر الدين الدمشقي: فلعن المسلم المعين حرام وأشد منه رميه بالكفر وخروجه من الإسلام وفي ذلك أمور غير مرضية منها إثمات الأعداء بأهل هذه الملة الزكية وتمكينهم بذلك من القدح في المسلمين واستضعافهم لشرائع هذا الدين، ومنها أنه ربما يقتدى بالرامي فيما رمى فيتضاعف وزره بعدد من تبعه مأثماً، وقل أن يسلم من رمى بكفر مسلماً... فهل بعد هذا الوعيد من مزيد في التهديد، ولعل الشيطان يزين لمن اتبع هواه ورمى بالكفر والخروج من الإسلام أخاه أنه تكلم فيه بحق، ورماه، وأنه من باب الجرح والتعديل لا يسعه السكوت عن القليل من ذلك، فكيف بالجليل هميات، هميات إن في مجال الكلام في الرجال عقبات مرتقها على خطر، ومرتقها هوى لا منجى له من الإثم والوزر، فلو حاسب نفسه الرامي أخاه ما السبب الذي هاج ذلك ؟ لتتحقق أنه الهوى الذي صاحبه هالك (٤).

قال شيخ الإسلام " ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه كالمسائل

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ١٢، ص: ٤٦٨

(٢) مجموع الفتاوى ج ٣، ص: ٢٢٩

(٣) "تحفة المحتاج" (٨٨/٩)

(٤) الدمشقي مجد بن ناصر الدين، الرد الوافر، ص: ١١



التي تنازع فيها أهل القبلة" (١).

وقال . رحمه الله . بعد ما سئل: هل يكفر العبد بالمعصية أم لا؟ "لا يكفر بمجرد الذنب فإنه ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الزاني غير المحصن يجلد، والشارب يجلد والقاذف يجلد ولو كانوا كفاراً لكانوا مرتدين ولوجب قتلهم.." (٢).

وقال العلامة ابن عابدين [لَا يُفْتَى بِكُفْرِ مُسْلِمٍ أَمْكَنَ حَمْلُ كَلَامِهِ عَلَى مَحْمَلٍ حَسَنٍ أَوْ كَانَ فِي كُفْرِهِ خِلَافٌ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ رِوَايَةً ضَعِيفَةً] (٣)
وقال الشيخ حافظ حكيمي في سلم الوصول " ولا نكفر بالمعاصي مؤمناً إلا مع استحلاله لما جنى. (٤).

الأصل في المسلم الإسلام:

لقد خلق الله تعالى عباده حنفاء مسلمين وموحدين ومقرين له تعالى بالوحدانية. قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٩ آل عمران) وقال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ، وكذلك فصل الآيات ولعلمهم يرجعون﴾ (الأعراف ١٧٢- ١٧٤).

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي الذي رواه الإمام أحمد والإمام مسلم (خلقت عبادى حنفاء فاجتالهم الشياطين) قال ابن عباس رضى الله عنهما (كان بين

(١) الفتاوى ٢٨٢/٢

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨٢/٢

(٣) رد المحتار على الدر المختار " (٤/ ٢٢٩-٢٣٠):

(٤) معارج القبول ٣٢٨/٢



آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلها على الإسلام) فهذه الأثار تبين أن الأصل هو التوحيد والكفر والشرك طارئ. وطالما الانسان نطق الشهادتين والتزم بما أمر به الله تعالى ورسوله الكريم و تمسك والتزم بأحكام الإسلام وثبت إسلامه بيقين لا يجوز لأحد أن يخرج من الدين إلا بيقين وثوابت وبراهين

روى البخاري في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخونوا الله في ذمته"^(١).

يقول الإمام ابن رجب -رحمه الله- "من المعلوم بالضرورة إن النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلماً، فقد أنكر على أسامة بن زيد . رضي الله عنهما . قتله لمن قال لا إله إلا الله لما رفع عليه السيف واشتد نكيره عليه ولم يكن ﷺ ليشترط على من جاءه يريد الإسلام، ثم إنه يلزم الصلاة والزكاة"^(٢).

ولقد وضع علماء الأمة لهذا الحكم قاعدة أصيلة مهمة جدا ، التي تقول : «من دخل الإسلام بيقين لم يُخرج منه إلا بيقين» ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (وليس لأحد أن يُكفر أحداً من المسلمين ، وإن أخطأ وغلط ، حتى تُقام عليه الحجة ، وتُبين له المحجة . ومن ثبت إسلامه بيقين : لم يزل ذلك عنه بالشك ؛ بل لا يزول ؛ إلا بعد إقامة

الحجة وإزالة الشبهة."^(٣)

فالإسلام يتحقق للمسلم بمجرد إقراره وبنطقه الشهادتين كما جاء في حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - أو ما يقوم مقامه كما ورد في حديث المقداد بن الأسود -

(١) رواه البخاري برقم (٣٩١).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٧٩، وحديث أسامة مخرج في الصحيحين.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٦٦/١٢).



رضي الله عنه - أن من قال: "أسلمت لله" (١).

بل أنه يكفي في الإقرار أدنى دلالة عليه ولو كان المسلم قد أخطأ في التعبير عن إقراره كما في قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه لما بعثه رسول الله ﷺ إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل فيهم ويأسر ودفع إلى كل رجل من أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل من أسيره فقلت (القائل عبد الله بن عمر) والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه . فرفع النبي ﷺ يديه فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" (٢)(٣).

ورد عن الإمام أحمد - رحمه الله - وغيره من أئمة السلف أنهم قالوا: (الإيمان قول وعمل، والإسلام إقرار) (٤).

بعض من أقوال العلماء في حرمة التكفير بدون بينة

يقول الغزالي في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد: «الذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً. فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم. وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها.

يقول الإمام النووي "اعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع -الخوارج، المعتزلة، الرافضة، وغيرهم-، وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه، فيعرف ذلك، فإن استمر حكم

(١) رواه البخاري برقم: (٦٨٦٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٣٣٩).

(٣) راجع أثر التكفير في عقيدة ومستقبل الإسلام البعد العقدي " علي بن عبد العزيز علي الشبل بتصرف

(٤) انظر: السنة للخلال ٢٢٦/١، والسنة لعبد الله بن أحمد ١٠١/١، وشرح أصول السنة للالكائي ٦١/١



بكفره، وكذا حكم من استحلَّ الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة) (١)

يقول الإمام تقي الدين السبكي، حين سُئِلَ عن حكم تكفير المبتدعة وأهل الأهواء فقال: «اعلم أيها السائل أن كل من خاف الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، إذ التكفير هائل عظيم الخطر، لأن من كفر شخصاً بعينه فكأنما أخبر أن مصيره في الآخرة جهنم خالداً فيها أبد الأبدين، وأنه في الدنيا مباح الدم والمال، لا يُمكن من نكاح مسلمة ولا تجري عليه أحكام المسلمين، لا في حياته ولا بعد مماته، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك مِخْمة من دم امرئ مسلم، وفي الحديث: ((لأنَّ يُخطئ الإمام في العفو أحب إليَّ من أن يخطئ في العقوبة)).

يقول ابن دقيق العيد: «وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين، وليس كذلك وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير».

يقول شيخ الإسلام في مجموعة الرسائل والمسائل وهو بصدد الحديث عن قاعدة أهل السنة والجماعة في أهل الأهواء والبدع: ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال: {آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير} [البقرة: ٢٨٥]، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء، وغفر للمؤمنين خطأهم، والخوارج المارقون الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين من بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي رضي الله عنه حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيمهم لا لأنهم كفار،

(١) شرح صحيح مسلم" (١/ ١٥٠):



ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم.

يقول عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في مجموع الرسائل والمسائل النجدية: «وبالجملة فيجب على من نصح نفسه أن لا يتكلم في هذه المسألة إلا بعلم وبرهان من الله، وليحذر من إخراج رجل من الإسلام بمجرد فهمه واستحسان عقله، فإن إخراج رجل من الإسلام من أعظم أمور الدين».

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم: "إن الذين توقفوا في تكفير المعين في الأشياء التي قد يخفى دليلها، فلا يكفر حتى تقوم عليه الحجة الرسالية من حيث الثبوت والدلالة... وأما ما عُلم بالضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء به، وخالفه - المعين - فهذا يكفر بمجرد ذلك ولا يحتاج إلى تعريف سواء بالأصول أو الفروع ما لم يكن حديث عهد بالإسلام" (١).

قال ابن عثيمين رحمه الله:

"الواجب على المرء أن يتقي الله عز وجل في هذه المسألة، وأن لا يكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره." (٢)

وهذا إن دل وإنما يدل على عظمة الإسلام ورحمته بالمسلمين فوسطية الإسلام تلزم المسلم أن يكون بعيداً عن الشتم والسب والتبديع والتكفير قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

دواعي التكفير وأسباب إنتشاره

من أهم أسباب التكفير لدى بعض الشباب كثرة الجهل، وعدم العلم والمعرفة والتفقه في دين الله.

فالله عز وجل لم يسو بين أهل العلم وأهل الجهل فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر: ٧

(١) مجموع فتاوى ودروس الشيخ محمد بن إبراهيم ١١/١٥٣.

(٢) من "فتاوى نور على الدرب" (٦/٢) بترقيم الشاملة



ولقد حث الاسلام علي العلم والتعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)).^(١)
 والصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه فهم مراد الله ومقصد رسوله ﷺ رضي الله عنه فقال: (العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس لا خير فيهم، كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك^(٢))، ويقصد بالرابع الجاهل.
 وقال الشعبي (رحمه الله): (اتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين فإنه آفة كل مفتون^(٣))

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني خفتُ دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً.

ولقد جاء في الحديث عبدالله بن عمرو قال رسول الله ﷺ - (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) البخاري ومسلم
ومن الأسباب التي تؤدي إلي ظاهرة التكفير أيضا -

المذهبية المذمومة والتعصب المذموم المقيت والمغالاة في ذلك.

وكما أن التعصب المذموم يؤدي إلى تمزق الأمة وتشرذمها وهوانها على الناس، فيكون بأسها بينها شديد.

قال تعالى: (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون). سورة الروم - الآية ٣٢

(١) [رواه البخاري: ١ / ١٥٠ - ومسلم: ٢ / ٧١٨، والترمذي: ٥ / ٢٨، وابن ماجه: ١ / ٨٠، والامام أحمد: ١ / ٣٠٦، والدارمي: ١ / ٨٥.]

(٢) [مختصر منهاج القاصدين: ١٥.]

(٣) [مختصر منهاج القاصدين: ١٥.]



وقال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].
وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَرَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلِّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ.
والفرقة بين المسلمين؛ سبب في الهزيمة والفسل. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: «بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ». قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ إِنَّهَا تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ». أخرج الإمام أحمد والترمذي وأبو داود وابن حبان.
ووعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان: فيعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». متفق عليه.

الاستعلاء على الناس واحتقار أعمالهم والتقليل من شأنهم.

ولقد جاء في الحديث (الكبر بطر الحق وغمط الناس). رواه مسلم.
والحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم.



ومعنى بطل الحق: رده وعدم قبوله، ومعنى غمط الناس احتقارهم والترفع عليهم، واعتقاد الإنسان نفسه أنه كبير، أو أنه فوق الناس وله الفضل عليهم، قال النووي رحمه الله: أما بطل الحق: فهو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً، وقوله صلى الله عليه وسلم: وغمط الناس . معناه: احتقارهم.

غياب التربية وقلة الوعي والتفقه في دين الله تعالى وإضعاف دور العلماء والمؤسسات العلمية والأخذ بظاهر النصوص دون مراعات المقاصد والعلل.

فعندما تقل المجالس العلمية ويقصر أهل العلم في مهمتهم، وينشغلوا بأشياء غير جادة ، حينئذ تنشط البدع وينتشر الجهل بلا شك.

فعن حذيفة عندما سأل الرسول ﷺ عن الخير والشر فقال: يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فأتانا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن.

قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهتدون بغير هديي، ويستنون بغير سنتي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله! صفهم لنا.

قال: هم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا)، والحديث متفق عليه. قال النووي رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها (قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعوا إلى بدعة أو ضلال كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة.

وقال ابن حجر قوله: هم من جلدتنا (أي: من قومنا ومن أهل لساننا وملتنا).

القهر السياسي وتعذيب الدعاة وسجنهم .

وهذا التعامل لا شك أنه يؤدي إلى انحرافات فكرية وحب الانتقام والأخذ بالثأر ، وهو واضح في كثير من البلاد عند خروج شخصيات معروفة ومشهورة ، وكان سبب انحرافها الفكري هو التعذيب والسجن والتنكيل.



أعداء الإسلام والسعي في الفرقة بين المسلمين.

فأعداء الأمة الإسلامية لا يريدون لهذه الأمة خيراً أبداً فدائماً يسعون في فرقتها وإشعال النار بين أبنائها شعارهم (فرق تسد) وهذا ظاهر من أول توسع دولة الإسلام وظهورها ، حيث خرج علي الأمة أمثال عبدالله بن سبأ فأشعلوا النار بين شبابها ، وكانت الفتن والمصائب ولا حول ولا قوة الا بالله.

قال الله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾ [البقرة: ١٢٠]

وقال الله سبحانه: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فأعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ١٠٩]

(وَقَرِّقْ تَسُدُّ) هو مصطلح سياسي عسكري اقتصادي ، ويعني تفريق قوة الخصم الكبيرة إلى أقسام متفرقة لتصبح أقل قوة وهي غير متحدة مع بعضها البعض مما يسهل التعامل معها .

موانع التكفير:

لقد ذكر أهل العلم موانع تمنع من الحكم على المسلم المكلف بالكفر وهي

١_ الجهل:

العدر بالجهل من الأعدار التي يعذر فيها المسلم ، ولكنه يختلف باختلاف الأشخاص والزمان والمكان ، فهناك مسائل لا يعذر فيها بالجهل إلا لمن هو حديث عهد بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة. كالأموار التي لا تخفي علي أحد مثل وجود الله تعالى وأنه واحد ، وكذلك يختلف إن كان الجهل بمعلوم من الدين بالضرورة أو بغير معلوم.



والواجب علي المسلم التعلم والتفقه في دين الله تعالى
وهناك أشياء يعذر فيها المسلم بالجهل ، فإذا فعل المسلم شيئاً منها - جاهلاً بالحكم :
فإنه لا يكفر بذلك ، ولا يرتفع عنه الإسلام حتى تقام عليه الحجة وتزال الشبهة.
قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: " فكل من كان مؤمناً بالله ورسوله ، مصداقاً لهما ،
ملتزماً طاعتها ، وأنكر بعض ما جاء به الرسول ، جهلاً ، أو عدم علم أن الرسول جاء
به : فإنه وإن كان ذلك كفراً ، ومن فعله فهو كافر ، إلا أن الجهل بما جاء به الرسول
يمنع من تكفير ذلك الشخص المعين ، من غير فرق بين المسائل الأصولية والفرعية ،
لأن الكفر جحد ما جاء به الرسول أو جحد بعضه مع العلم بذلك. (١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
"كذلك من دعا غير الله وحج إلى غير الله هو أيضاً مشرك، والذي فعله كفر، لكن قد
لا يكون عالماً بأن هذا شرك محرم.

كما أن كثيراً من الناس دخلوا في الإسلام من التتار وغيرهم وعندهم أصنام لهم صغار
من لبد وغيره وهم يتقربون إليها ويعظمونها ولا يعلمون أن ذلك محرم في دين الإسلام،
ويتقربون إلى النار أيضاً ولا يعلمون أن ذلك محرم ، فكثير من أنواع الشرك قد يخفى
على بعض من دخل في الإسلام ولا يعلم أنه شرك ، فهذا ضال ، وعمله الذي أشرك
فيه باطل ، لكن لا يستحق العقوبة حتى تقوم عليه الحجة ، قال تعالى: (فلا تجعلوا
لله أنداداً وأنتم تعلمون) (٢)

ولقد استدل العلماء الذين قالوا أن العذر بالجهل من موانع التكفير بجملته من الآيات
والأحاديث وأقوال لعلماء الأمة
أدلة العذر بالجهل (٣)

قال الله تعالى ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان
الله عزيزاً حكيماً﴾ (النساء: ١٦٥)

(١) "الفتاوى السعدية" (ص: ٤٤٣-٤٤٧).

(٢) "الرد على الإخنائي" تحقيق العنزي (ص: ٢٠٦).

(٣) التكفير وضوابطه - السقار (ص: ٦٥).



وقال تعالى ﴿وما كنا معدّيين حتى نبعث رسولاً﴾ (الإسراء: ١٥)
 قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أربعة يحتجون على الله يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرِم، ورجل مات في فترة)).^(١)
 يقول ابن تيمية: " فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين أو حصل العجز عن بعضه كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه، كالمجنون مثلاً..^(٢)

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جهلت أمراً لا يسع المؤمن جهله، فأبانه لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وما كفرها ولا عاقبها، لأن الجهل عذر يقبله الله، فقد سألت رسول الله فقالت: مهما يكتنم الناس يعلمه الله؟ قال: ((نعم)).^(٣)
 قال ابن تيمية: " وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك، ولم تكن قبل معرفتها بأن الله عالم بكل شيء يكتنمه الناس كافرة، وإن كان الإقرار [بذلك] عند قيام الحجة من أصول الإيمان، وإنكار علمه بكل شيء كإنكار قدرته على كل شيء ... فقد تبين أن هذا القول كفر، ولكن تكفير قائله لا يحكم به حتى يكون قد بلغه من العلم ما تقوم به عليه الحجة التي يكفر تاركها، ودلائل فساد هذا القول كثيرة في الكتاب والسنة".^(٤)
 كما عذر الله الرجل الذي كان من بني إسرائيل الذي جهل قدرة الله وبعثه للخلائق، فغفر الله له جهله، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - حاكياً خبره: ((كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت، قال لبيته: إذا أنا مت، فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فُعل

(١) (١) رواه أحمد ح (١٥٨٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح (٨٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠ / ٥٩ - ٦٠).

(٣) رواه مسلم ح (٩٧٤)، النسائي ح (٣٩٦٢)، واللفظ له

(٤) مجموع الفتاوى (١١ / ٤١٢ - ٤١٣).



به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم. فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك. فغفر له)).^(١)

ويقول ابن قتيبة: " وهذا رجل مؤمن بالله، مقربه، خائف له، إلا أنه جهل صفة من صفاته، فظن أنه إذا أحرق وذري في الريح أنه يفوت الله تعالى، فغفر الله تعالى له بمعرفته ما بنيته، وبمخافته من عذابه جهله بهذه الصفة من صفاته".^(٢)

قال ابن حجر: " قال الخطابي: قد يستشكل هذا، فيقال: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب أنه لم ينكر البعث، وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعدّب ، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله".^(٣)

يقول ابن تيمية: " فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا ذُري، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك".^(٤)

وقد استنتج العلماء من فقه هذه القصة أن من " أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد، من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح، لم يكن أسوأ حالاً من هذا الرجل، فيغفر الله خطأه، أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق على قدر دينه، وأما تكفير شخص عليم إيمانه بمجرد الغلط في ذلك، فعظيم".^(٥)

قال ابن القيم: " وأما من جحد ذلك جهلاً، أو تأويلاً يعذر فيه صاحبه: فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه ولم يجحد قدرة الله على إعادته عناداً أو تكديباً".^(٦)

(١) رواه البخاري ح (٣٤٨١)، ومسلم ح (٢٧٥٦).

(٢) تأويل مختلف الحديث (١١٩).

(٣) فتح الباري (٦/٥٢٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/٢٣١).

(٥) الاستقامة (١٦٥).

(٦) مدارج السالكين (١/٣٣٨ - ٣٣٩).



المانع الثاني للتكفير - الخطأ، مع سلامة القصد

الخطأ هو فعل الخطأ أو اعتقاده مع إرادة الحق والصواب.

قال تعالى: {وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم} (الأحزاب: ٥) وقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه)).^(١)

قال ابن رجب: " الخطأ هو أن يقصد بفعله شيئاً، فيصاف فعله غير ما قصده، مثل أن يقصد قتل كافر فصادف قتله مسلماً، والنسيان أن يكون ذاكراً الشيء فينساه عند الفعل، وكلاهما معفو عنه: يعني لا إثم فيه ... والأظهر - والله أعلم - أن الناسي والمخطئ إنما عفي عنهما، بمعنى: رفع الإثم عنهما، لأن الإثم مرتب على المقاصد والنيات، والناسي والمخطئ لا قصد لهما، فلا إثم عليهما".^(٢)

ولقد جاء في حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح)).^(٣)

قال القاضي عياض: " فيه أنّ ما قاله الإنسان من مثل هذا في حال دهشته وذهوله لا يؤاخذ به .. ويدل على ذلك حكاية النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك، ولو كان منكراً ما حكاها".^(٤)

(١) رواه ابن ماجه ح (٢٠٤٣)، وابن حبان ح (١٤٩٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح (١٦٦٢).

(٢) التكفير وضوابطه - السقار (ص: ٨٦)

(٣) رواه مسلم ح (٢٧٤٧).

(٤) فتح الباري (١١/١٠٨).



المانع الثالث الإكراه.

ومن الموانع التي تمنع تكفير المسلم إذا ارتكب مكفراً الإكراه، إذ قد يكره المسلم على أمر هو من الكفر، لكن لا مخرج منه، فهذا مما يعذر الله به عباده، فإن التكليف الشرعية منوطة بالاستطاعة، والإكراه أمر خارج عنها، لذا فإن الله لم يكلف به عباده رحمة منه وفضلاً.^(١)

قال الله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (النحل: ١٠٦)

محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال: ((أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ما وراءك؟ قال: شري يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير قال: كيف تجد قلبك، قال: مطمئنا بالإيمان، قال: إن عادوا فعد))^(٢)، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (واتفقوا على أنه (أي عمار) نزل فيه إلا من أكره وقلبه مطمئن [النحل: ١٠٦].)^(٣).

قال الجصاص: "قال أبو بكر: هذا أصل في جواز إظهار كلمة الكفر في حال الإكراه".
أحكام القرآن (١٣/٥)

روي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين ، فقال لأحدهما : ما تقول في محمد ؟ فقال : رسول الله ، فقال : ما تقول في ؟ قال : أنت أيضا ، فخلاه ، وقال للآخر : ما تقول في محمد ؟ قال رسول الله ، قال : ما تقول في ؟ قال : أنا أصم ، فأعاد عليه ثلاثا ، فأعاد جوابه ، فقتله ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : "أما الأول فقد أخذ برخصة الله ، وأما الثاني فقد صدع بالحق ، فهنيئا له "^(٤)

(١) التكفير وضوابطه - السقار (ص: ٩٣)

(٢) رواه الحاكم (٣٥٧/٢) والبيهقي (٢٠٨/٨)، (٢٠٩)

(٣) كتاب الموسوعة العقدية ج ٦ ص ٣٤٣

(٤) التفسير الكبير الرازي - فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين ج ٢٢ ص ٩٨



المانع الرابع التأويل، المقصود به هنا:

التلبس والوقوع في الكفر من غير قصد لذلك، وسببه القصور في فهم الأدلة الشرعية دون تعمّد للمخالفة، بل يعتقد أنه على حق. (١)
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)). (٢)
ولعل أهم أدلة عذر السلف لمن أخطأ في التأويل عذرهم قدامة بن مظعون وأصحابه حين شربوا الخمر مستحلين شرهما، لغلطهم في فهم معنى قوله تعالى: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات} (المائدة: ٩٣)، واعتقاد جواز شرب الخمر كفر، لكن بسبب التأول لم يكفرهم عمر رضي الله عنه ولا الصحابة، بل بينوا لهم معنى الآية، واستتابوهم من استحلالها، وعاقبوهم على شرهما.

يقول الطحاوي: "اتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك، فإن قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة، وتأولوا قوله تعالى: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات} (المائدة: ٩٣) فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا على استحلالها قتلوا، وقال عمر لقدامة: (أخطأت إستك الحفرة، أما إنك لو اتقيت وأمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر)". (٣).

التقليد، وهو المانع الخامس من موانع الكفر

والذي يظهر من كلام العلماء رحمهم الله: أنه يُعذر من وقع في الكفر تقليداً إن كان جاهلاً لا بصيرة له ولا فقه، فهو معذور حتى تقوم عليه الحجة

(١) قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٣٦)

(٢) رواه البخاري ح (٧٣٥٣)، ومسلم ح (١٧١٦)

(٣) التكفير وضوابطه - السقار (ص: ٨٢)



قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((وأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام، ولكنهم مخالفون في بعض الأصول فهؤلاء أقسام:)) (أحدها: الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له، فهذا لا يُكْفَر، ولا يُفَسَّق، ولا تُردُّ شهادته إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى، وحُكْمُهُ حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً)^(١)

خطورة التكفير وما يبني عليه من أحكام

والذي يترتب علي التكفير أمور في غاية الأهمية قد ذكر العلماء بعضها منها وهي:

التفريق بين زوجته ، لأن المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع

يقول الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لِهِنَّ﴾ [المتحنة: ١٠].

وعلي القاضي أن يقوم بنقل أولاده من تحت سلطانه فلا يجوز أن يبقوا تحت سلطانه؛ لأنه لا يُؤْتَمَن عليهم، ويُخشى أن يُؤثّر عليهم بكفره

فقد حق الولاية والنصرة من المجتمع الإسلامي .

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في خطبته وهو مسند ظهره إلى الكعبة قال: المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم^(٢).

يعامل معاملة المرتد وحكم المرتد القتل ، بعد أن يُستتاب قال رسول الله ﷺ: (من بدّل دينه فاقْتُلوه) أخرجه البخاري

(١) الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية لابن القيم رحمه الله، ص ١٧٤

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي (٤٧٣٤)، وأحمد (٩٩٣)



إذا مات لا تُجرى عليه أحكام المسلمين، فلا يُغسَل، ولا يُصَلَّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُورث، كما أنه لا يرث إذا مات مورث له. لأن الكفر من موانع الإرث يقول النبي ﷺ (لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم) المتفق عليه

إن مات وهو كافر يستوجب لعنة الله وطرده من رحمته، والخلود الأبدي في نار جهنم. ولا يجوز الدعاء له بالرحمة والترحم عليه ولا يُستغفر له؛ لقوله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} (١).

التكفير حكم شرعي

يقول أبو حامد الغزالي: " الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلاً، إذ معناه إباحة الدم والحكم بالخلود في النار، ومدركه شرعي، فيدرك إما بنص، وإما بقياس على منصوص".

ويقول ابن تيمية: " الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يُعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأً في العقل، يكون كفراً في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل، تجب في الشرع معرفته".

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: ((الكفر حق الله ورسوله، فلا كافر إلا من كَفَّرَهُ اللهُ ورسوله))

ويقول ابن الوزير: " إن التكفير سمعي محض لا مدخل للعقل فيه"، ويقول: "إن الدليل على الكفر والفسق لا يكون إلا سمعياً قطعياً". (٢)

(١) قضية التكفير بين أهل السنة و فرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٣٩)

(٢) التكفير وضوابطه - السقار (ص: ٢٩) ظاهرة الغلو في التكفير، ص ٢٣، د. يوسف القرضاوي،



خطورة التكفير علي الأمة :

ولابد أن نعلم أن خطورة التكفير في المجتمعات:
حتما ستؤدي إلى -:إثارة الفتن، ونشر الخراب والدمار و العصبيات، وزرع فتيل الحروب والنزاعات بين المسلمين.

ومزيق الأمة، وعدم وحدتها وضعف شكوتها وعدم قدرتها للتصدي لأعدائها
قتل المسلمين واستباحة دمائهم، وزرع الكراهية في نفوسهم ، وإعطاء صورة سيئة عن الإسلام، وتشويه محاسن الإسلام
فعل المسلم أن يكون فطن متنبه لكل هذه المخططات.

كيفية التصدي لظاهرة التكفير:

١_ أقوى سلاح للقضاء علي هذه الأفكار هو الحوار والمناقشة الهادفة البناءة. وهذا هو منهج الصحابة الكرام في التعامل مع المخالف ، وهذا ما فعله سيدنا علي عندما أرسل سيدنا عبدالله بن عباس للخوارج ومناقشتهم وإقامة الحجة عليهم ، فعندما ناقش وناظر سيدنا علي وسيدنا ابن عباس الخوارج فبعد المناظرة والنقاش رجع عدد كبير منهم ودخلوا مع المسلمين.

فالفكر المنحرف يُردّ عليه بالحجة والبيان والبرهان ولا بد أن نؤكد أن العنف لا يأتي بأي ثمرة مطلقا بل يزيد من الأمور تعقيدا والعنف يولد عنفا أكثر منه.

فعن عبد الله بن عباس، قال: (لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دار، وكانوا ستة آلاف فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة، لعلي أكلم هؤلاء القوم. قال: إني أخافهم عليك قلت: كلا، فلبست، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وهم يأكلون فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس، فما جاء بك؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين، والأنصار، ومن عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره، وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد، لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم قلت: هاتوا ما نقيتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه قالوا: ثلاث قلت: ما هن؟ قال: أما



إحداهن، فإنه حكم الرجال في أمر الله وقال الله: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ} [الأنعام: ٥٧] ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة. قالوا: وأما الثانية، فإنه قاتل، ولم يسب، ولم يغنم، إن كانوا كفارًا لقد حل سباهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سباهم ولا قتالهم، قلت: هذه ثنتان، فما الثالثة؟ وذكر كلمة معناها قالوا: معى نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين. قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت: لهم رأييكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه، وسنة نبيه ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه رأيت قول الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ} [المائدة: ٩٥] وكان من حكم الله أنه صيره إلى الرجال يحكمون فيه، ولو شاء لحكم فيه، فجاز من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، هذا أفضل وفي المرأة وزوجها: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا} [النساء: ٣٥] فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة؟ خرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب، ولم يغنم. أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلت: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلت: ليست بأمننا فقد كفرتم: {التَّبَيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضلالتين، فأتوا منها بمخرج، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما معى نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون. إن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي: اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله. قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: امح يا علي اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي، واكتب هذا ما صالح عليه



محمد بن عبد الله والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خير من علي، وقد محى نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، فقتلهم المهاجرون والأنصار) النسائي والحاكم والبيهقي وصححه ابن تيمية في منهاج السنة وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لمن ابتدع: «ارجعوا فتعلموا ممن هو أعلم منكم، وعلموا من أنتم أعلم منهم» [١].

٢ _ ضرورة إنشاء مؤسسات فقهية ومراكز علمية فعالة متخصصة لمواجهة التكفير، لكي تدافع عن الإسلام وإظهار أحكامه وتوضيح تشريعاته.

٣ _ إنشاء وتفعيل دور المؤسسات الخيرية والأهلية لنشر مفاهيم الوسطية بكافة الوسائل والأساليب.

٤ _ الاهتمام بدور العلماء ودور الدعاة في بيان خطورة هذا الفكر وبراءة الإسلام منه.
٥ _ المعالجة النفسية والرعاية الطبية فمن الممكن أن هذه الأفكار تكون لها أسباب نفسية واجتماعية

٦ _ استغلال طاقة الشباب في أشياء نافعة ومعسكرات تربية هادفة فالفراغ عند الشباب قاتل ويؤدي به الى الانحراف السلوكي والفكري ولهذا كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: يقول "إن الله خلق الأيدي لتعمل فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمس في المعصية أعمالاً.. فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك في المعصية."

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: "إني لأبغض الرجل أن أراه فارغاً، ليس في شيء من عمل الدنيا، ولا عمل الآخرة" (١)

(١) حلية الأولياء: ١/١٣٠.



ويقول الإمام الشافعي ، نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، كما يكون في النفس، كذلك يكون في القلب، وفي اللسان والجوارح.. فهي كلها إما أن تشتغل بالحق وإما فسوف تنشغل بضده..

يقول ابن القيم رحمه الله: "فهي النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله عز وجل سكنه محبة المخلوقين ولابد، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولابد، فاختر لنفسك إحدى الخطيتين، وأنزلها في إحدى المنزلتين" [الوابل الصيب ١/١١١].

ويقول ابن القيم أيضا "من الفراغ تأتي المفسد، وتتوالى المعاصي على العبد في سلسلة مدمرة، تُضعف الإيمان في القلب وتبعده عن مولاه، فمن فرغ من عمل جاد مثمر فلا بد وأن يشتغل بما يضره ولا ينفعه، وقد قال الشافعي رحمه الله: نفسك إن لم تشغلها بالحق؛ وإلا شغلتك بالباطل"^(١).

وقالوا

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

انتهي وأخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب.



أبرز المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- السنة للخلال
- السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ٢٤١هـ
- شرح أصول السنة هبة الله الالكائي 418 هـ
- شرح صحيح مسلم يحيى بن شرف النووي الشافعي ٦٧٦هـ
- صحيح ابن حبان: التقاسيم والأنواع
- العواصم من القواصم ، أبو بكر بن العربي ٥٤٣ هـ
- الفهرست ابن النديم ٣٨٤هـ)
- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة
- البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الدين
- ابن خياط (أبو عمرو خليفه (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ، خليفة
- أبو العباس الدرجيني ، طبقات الإباضية
- مجهول ، تاريخ سستان
- الجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين
- المسالك والممالك" لابن خرداذبه (٢٥٠هـ / ٨٦٤م)
- الأعلاق النفيسة" لابن رسته (٢٩٠هـ / ٩٠٣م)
- كتاب البلدان لابن الفقيه (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م)
- وكتاب "المسالك والممالك" للإصطخري (ت ٣٤٠هـ)،
- التنبيه والإشراف للمسعودي، (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م)
- "صورة الأرض" لابن حوقل (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٨م)
- "معجم البلدان"، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)



- سجستان بين العرب والفرس منذ دخول الاسلام حتى ظهور الصفاريين: الخولي
- الحركات السرية في الإسلام رؤية عصرية" للدكتور محمود إسماعيل، وكتابه الآخر "الخوارج في المغرب"
- كتاب "نشأة الإباضية"، للدكتور عوض خليقات
- أدب الخوارج"، للدكتورة سهير القلماوي
- الخوارج والشيعة" يوليوس فلهاوزن
- مهدي طالب هاشم "حركة الإباضية في القرن الثالث الهجري"
- د. آمال محمد حسن بعنوان: "برقة وطرابلس في القرون الثلاثة الأولى
- الدكتور محمود إسماعيل "جدل حول الخوارج وقضية التحكيم".
- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،
- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط
- الأحكام السلطانية، القاهرة ، ١٩٢٨ الماوردي، أبو الحسن (٤٥٠هـ)
- تاريخ خليفة بن خياط خليفة بن خياط بن خليفة (المتوفى: ٢٤٠هـ)
- التاريخ الكبير ، أبو عبد الله البخاري (المتوفى: ٢٥٦هـ)
- تاريخ المدينة لابن شبة ابن ربيعة النميري أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)
- المعرفة والتاريخ الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفى: ٢٧٧هـ)
- التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة (المتوفى: ٢٧٩هـ)
- تاريخ واسط الواسطي، أبو الحسن، بَحْشَل (المتوفى: ٢٩٢هـ)
- تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والفقهاء والمحدثين القشيري، أبو علي (المتوفى: ٣٣٤هـ)
- البدء والتاريخ الطاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)



- تاريخ مولد العلماء ووفياتهم أبو سليمان الربيعي (المتوفى: ٣٧٩هـ)
- تاريخ علماء الأندلس أبو الوليد، المعروف بابن الفرضي (المتوفى: ٤٠٣هـ)
- تلخيص تاريخ نيسابور : أبو عبد الله المعروف بابن البيهقي (المتوفى: ٤٠٥هـ)
- تاريخ جرجان : أبو القاسم الجرجاني (المتوفى: ٤٢٧هـ)
- تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان أبو نعيم الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)
- تاريخ بغداد الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)
- تكملة تاريخ الطبري: المعروف بالمقدسي (المتوفى: ٥٢١هـ)
- تاريخ دمشق لابن القلانسي (المتوفى : ٥٥٥هـ)
- تاريخ دمشق أبو القاسم ابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)
- الإنباء في تاريخ الخلفاء بابن العمراني (المتوفى: ٥٨٠هـ)
- مجموع الفتاوى لابن تيمية
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية
- ما هو تعريف التكفير وما هي ضوابطه الشيخ أ.د. محمد بن عبد الغفار الشريف
- احذروا تكفير المسلمين الشيخ صلاح نجيب الدق
- أثر التكفير في عقيدة ومستقبل الإسلام البعد العقدي "علي بن عبد العزيز علي الشبل
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني
- عصمت الله محمد، قواعد شرعية في التكفير قراءة لأفكار ابن تيمية
- الألباني السلسلة الصحيحة.
- السنن الكبرى: أبو بكر البيهقي
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الهيثمي



- أثر التكفير في عقيدة ومستقبل الإسلام البعد العقدي "علي بن عبد
- الدمشقي محمد بن ناصر الدين الرد الوافر
- رد المحتار على الدر المختار ابن عابدين
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول حافظ الحكيم
- جامع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلي
- مجموع فتاوى ودروس الشيخ محمد بن إبراهيم
- مختصر منهاج القاصدين. ابن قدامة
- الجواب الكافي ابن القيم :
- الفتاوى السعدية
- الرد على الإخنائي "تحقيق العززي
- قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال سعيد علي وهف القحطاني
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم
- ظاهرة الغلو في التكفير د. يوسف القرضاوي
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية
- ما هو تعريف التكفير وما هي ضوابطه؟ -أ.د. محمد بن عبدالغفار الشريف
- احذروا تكفير المسلمين الشيخ صلاح نجيب الدق
- عصمت الله محمد، قواعد شرعية في التكفير قراءة لأفكار ابن تيمية
- كتاب الخراج أبو يوسف (١١٣ - ١٨٢ هـ)
- ابن الفقيه، مختصر البلدان، ابن الفقيه (ت نحو ٣٤٠ هـ)
- المسعودي ، التنبيه والإشراف
- (تاريخ أصبهان) حمزة الأصفهاني (٣٦٠ هـ)
- ابن عبدربه، العقد الفريد



- ابن الاعثم توفي حوالي عام (٣١٤هـ)؛ «كتاب الفتوح»
- القزويني ، آثار البلاد - (٦٨٢ هـ)
- ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان
- القزويني ، آثار البلاد
- الخولي ، سجستان بين العرب والفرس
- وفيات الاعيان ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١هـ)
- ولبر إيران ماضيها وحاضرها من الترجمة العربية
- لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية
- النووي ، تهذيب الأسماء
- الأعلام للزركلي



محتوى الكتاب

الصفحة	العنوان
	بطاقة الكتاب
1	كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة
3	مقدمة المحقق
8	تقريظ ١
9	تقريظ ٢
10	ترجمة لصاحب الكتاب
14	المقدمة
38	الفصل الأول:
39	١- جغرافية المشرق الإسلامي ...
78	٢ - الخوارج وفكرهم السياسي والعقدي
120	الفصل الثاني: عوامل استقطاب المشرق للخوارج
121	١- الفتح الإسلامي وظهور العنصر العربي في المشرق.
153	٢- ثر حركة القبائل العربية في المشرق في تواجد الخوارج.
153	أ - حركة القبائل
158	ب - الصراع بين القبائل ودور الخوارج.
162	٣- هجرة الخوارج من العراق إلى المشرق.
162	أ - العرق مركز التنظيم السري .
173	ب - الهجرة إلى الشرق ودور الولاة.



188	الفصل الثالث: المشرق معقل الخوارج
189	١- الخوارج في عهد معاوية
202	٢- المهلب وأزارقة المشرق
213	٣- قطري بن الفجاءة والإمارة في المشرق
221	٤- الحجاج والخوارج
252	الفصل الرابع: فشل الخوارج في المشرق
253	١- نكبة الأزارقة في طهرستان
268	٢- جهود النجدات والأباضية في تثبيت كياناتهم
295	٣- دور الخلفاء العباسيين في اضعاف الخوارج الصفورية.
311	٤- ضعف الخوارج وعوامل فشلهم
317	الفصل الخامس: أثر الخوارج في مجتمعات المشرق
318	١- الفكر السياسي
332	٢- الأحوال الاقتصادية
339	٣- الحياة الاجتماعية
351	٤- الحياة الثقافية
359	الخوارج وموقف الإسلام منهم
403	خطورة التكفير والغلو في الدين وكيفية التصدي له
433	أبرز المصادر والمراجع
438	الفهرس العام

